

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كِتَابُ

الْحَقُّدُ الْفَرِيدُ

تأليف

أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهرسه

أحمد أمين ، إبراهيم الأبياري ، عبد السلام هارون

الجمعية العلمية

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كِتَابُ
الْعَقْلِ الْفَرِيدِ
تأليف

أبي عمراحمـد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهرسه

أحمد أمين ، إبراهيم الأبياري ، عبد السلام هارون

المجمع العلمي

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء السادس من كتاب العقد الفريد

كتاب الياقوتة الثانية

في الغناء^(١) واختلاف الناس في ذلك

٩ قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في أعار يض الشعر ،
وعِل القوافي ، وفَسَرنا جميع ذلك بالمنظوم والمثثور ، ونحن قائلون بعمون الله
وإذنه في علم الغناء^(٢) واختلاف الناس فيه ، ومن كرهه ولأى وجه كرهه ، ومن
أستحسنه ولأى وجه أستحسن .

وكرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم
١٠ والنوادر والأمثال ، عطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ، ومرتفع النفس ،
وربيع القلب ، ومجال الهوى ، ومسلاة الكئيب ، وأنس الوحيد ، وزاد
الراكب ؛ اعظم موقع^(٣) الصوت الحسن من القلب ، وأخذ به بمجامع النفس .

١١ قال أبو سعيد بن مسلم : قلت لأبن دأب : قد أخذت من كل شيء بطرف
بين ابن مسلم وابن
دأب في الغناء
غير شيء واحد ، فلا أدري ما صنعت فيه ؟ فقال : لعلك تريد الغناء ؟ قلت :
أجل . قال : أما إنك لو شهدتني وأنا أترنم بشعر كثير عزة حيث يقول :
وما مرة من يوم على كيومها وإن عظمتم أيام أخرى وجلت

(١) في بعض الأصول : « في الألحان » .

(٢) في بعض الأصول : « في علم الألحان » .

(٣) في بعض الأصول : « موضع » .

لأَسْرَخْتَ تِكْنِكَ . قال : قلت : أتقول لي هذا ؟ قال : إى والله ،
والمهدى أمير المؤمنين كنت أقوله .

فضل الصوت الحسن

- قال بعض أهل التفسير في قول الله تبارك وتعالى : (يزيد في الخلق ما يشاء) :
هو الصوت الحسن . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري ، لما
أعجبه حسن صوته : لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود .
- وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يسرى في الجسم ويجرى في العروق ،
فيصفوله الدم ، ويرتاح له القلب ، وتهش^(١) له النفس ، وتهتز الجوارح ، وتخف
الحركات . ومن ذلك كرهوا للطفل أن يَنوِّم على أثر البكاء حتى يرقص ويضطرب .
- وقالت ليلي الأخيلىة للحجاج حين سألها عن ولدها ، وأعجبه ما رأى من
شبابه : إني والله ما حملته سهواً ، ولا وضعتُه يَتْنًا ، ولا أرضعته غَيْلاً ، ولا أُنمته^(٢)
مَتَقًا . يعنى لم أنومه مُستوحشاً باكياً . وقولها : « ما حملته سهواً » . تعنى فى بقايا
الحيض . ويقال : حملت المرأة وُضْعاً وتُضْعاً ، إذا حملت فى أَسْتِقْبَال الحيض .
وقولها « ولا وضعتُه يَتْنًا » تعنى مُنْكَسًا . وقولها : « ولا أرضعته غَيْلاً » تعنى
لبننا فاسداً .
- وزعمت الفلاسفة أن النعم فضلٌ بَقِيَ من المنطق لم يقدر الإنسان على أستخراجه ،
فأستخرجته الطبيعة بالألحان على التَّرجيع لا على التقطيع ، فلما ظهر عشقته
النفسُ ، وحنَّ إليه الروح . ولذلك قال أفلاطون : لا ينبغي أن تُمنع النفس من
مُعاشقة بعضها بعضاً . ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفُتور
على أبدانهم ترنموا بالألحان فاستراحت لها أنفسهم . وليس من أحد كائنًا من
كان إلا وهو يَطرِب من صوت نفسه ، ويُعجبه طنين رأسه . ولو لم يكن من

لبعض المفسرين
ثم لى صلى الله
عليه وسلم فى
إعجابه بصوت
أبى موسى

لأهل الطب

بين الحجاج ولىلى
الأخيلية

للفلاسفة ثم
لأفلاطون

(١) فى بعض الأصول : « وتنمو » .

(٢) فى بعض الأصول : « أبته » .

فَضْلُ الصَّوْتِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ لَذَّةٌ تُكْتَسَبُ مِنْ مَأْكَلٍ أَوْ مَلْبَسٍ
أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ نِكَاحٍ أَوْ صَيْدٍ ، إِلَّا وَفِيهَا مَعَانَاةٌ عَلَى الْبَدَنِ وَتَعَبٌ عَلَى الْجَوَارِحِ ،
[مَا خِلَا السَّمَاعِ ؛ فَإِنَّهُ لَا مَعَانَاةَ فِيهِ عَلَى الْبَدَنِ وَلَا تَعَبَ عَلَى الْجَوَارِحِ] ^(١) .

وَقَدْ يُتَوَصَّلُ بِالْأَلْحَانِ الْحَسَنِ إِلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَمَنْ ذَلِكَ أَنَّهُ تَبَعَّثَ عَلَى
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَالذَّبِّ عَنِ الْأَعْرَاضِ ،
والتَّجَاوُزِ عَنِ الذُّنُوبِ . وَقَدْ يَبْكِي الرَّجُلُ بِهَا عَلَى خَطِيئَتِهِ ، وَيَرْقُقُ الْقَلْبُ مِنْ
قَسْوَتِهِ ، وَيَتَذَكَّرُ نَعِيمَ الْمَلَاسِكُوتِ وَيُمَثِّلُهُ فِي ضَمِيرِهِ .

وَكَانَ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي رُبَّمَا حَاضِرَ مَجْلِسِ الرَّشِيدِ وَفِيهِ الْغِنَاءُ ، فَيَجْعَلُ
مَكَانَ السَّرُورِ بِهِ بَكَاءً ؛ كَأَنَّهُ يَتَذَكَّرُ بِهِ نَعِيمَ الْآخِرَةِ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ : إِنْ كُنْتُ لِأَسْمَعَ الْغِنَاءَ مِنْ مُخَارِقٍ عِنْدَ الْمُعْتَصِمِ
فَيَقْعُ عَلَى الْبَكَاءِ . حَتَّى إِنْ الْبَهَائِمُ لَتَحْنُ إِلَى الصَّوْتِ الْحَسَنِ وَتَعْرِفُ فَضْلَهُ .

وَقَالَ الْعَتَّابِيُّ وَذَكَرَ رَجُلًا فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ جَلِيسَهُ لَطِيبٌ عِشْرَتُهُ لَأَطْرِبُ
مِنَ الْإِبِلِ عَلَى الْخُدَاءِ ، وَالنَّحْلِ عَلَى الْغِنَاءِ .

وَكَانَ صَاحِبُ الْفِلَاحَاتِ يَقُولُ بَأَنَّ ^(٢) الْفَحْلُ أَطْرِبُ الْحَيَوَانَ كُلَّهُ إِلَى الْغِنَاءِ ،
وَأَنْ أَفْرَاحَهَا لَا تَسْتَنْزِلُ بِمَثَلِ الزَّجْلِ وَالصَّوْتِ الْحَسَنِ . قَالَ الرَّاجِزُ :

وَالطَّيْرُ قَدْ يَسُوقُهُ لِلْمَوْتِ إِصْفَاؤُهُ إِلَى حَنِينِ الصَّوْتِ .

وَبَعْدَ : فَهَلْ خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا أَرْقَعَ بِالْقُلُوبِ ، وَأَشَدَّ اخْتِلَافًا لِلْعُقُولِ مِنَ الصَّوْتِ
الْحَسَنِ ، لَا سِوَا إِذَا كَانَ مِنْ وَجْهِ حَسَنِ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

رُبَّ سَمَاعٍ حَسَنٍ سَمِعْتُهُ مِنْ حَسَنِ

مُقَرَّبٍ مِنْ فَرَحٍ مُبْعَدٍ مِنْ حَزَنِ

لَا فَارِقَانِي أَبَدًا فِي صِحَّةٍ مِنْ بَدَنِ

(١) مكان هذه العبارة في بعض الأصول : « غيره لكني » .

(٢) في بعض الأصول : « وقال صاحب الفلاحات : إن » .

وهل على الأرض رعديد مُستطار القواد يُغنى بقول جرير بن الخطافي :
 قل للجبان إذا تأخر سرجه هل أنت من شرك المنية ناجي
 إلا تاب إليه رُوحه ، وقوى قلبه . أم هل على الأرض بخيل قد تقفمت^(١)
 أطرافه لوماً ؟ ثم غنى بقول حاتم الطائي :

• يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الجواد يرى في ماله سُبُلًا
 إلا انبسطت أنامله ، ورشحت أطرافه ؟ أم هل على الأرض غريب
 نازح الدار بعيد المحل يُغنى بشعر علي بن الجهم :

يا وحشتاً للغريب في البلد النازح ماذا بنفسه صنعاً
 فارق أحبائه فما أنتفعوا بالعيش من بعده ولا أنتفعوا
 يقول في نأيه وغرْبته عدل من الله كل ما صنعنا
 ١٠ إلا أنقطعت كبده حينئذ إلى وطنه ، وتشوفاً إلى سكنه .

اختلاف الناس في الغناء

اختلف الناس في الغناء ، فأجازه عامة أهل الحجاز ، وكرمه عامة أهل
 حجة من أجازه العراق . فمن حُجة من أجازه أن أصله الشعر الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم به ،
 وحض عليه ، وندب أصحابه إليه ، وتجنّد^(٢) به على المشركين . فقال لحسان :
 ١٥ شُن الغارة على بني عبد مناف ، فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في
 غلس الظلام .

وهو ديوان العرب ، ومقيّد أحكامها ، والشاهد على مكارمها . وأكثر شعر
 حسان بن ثابت يُغنى به .

قال فرج بن سلام : حدثني الرياشي عن الأصمعي قال : شهد حسان بن ثابت
 ٢٠ مآدبة لرجل من الأنصار ، وقد كُفّ بصره ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، فكلمها
 حسان وابنه على مائدة الأنصار

(١) في بعض الأصول : « تقفمت » .

(٢) في بعض الأصول : « وتجنّى » تحريف .

قُدِّمَ شيء من الطعام قال حسان لأبنته : أطعام يد أم طعام يدين ؟ فيقول له : طعام يد . حتى قُدِّمَ الشواء . فقال له : هذا طعام يدين . فقبض الشيخ يده . فلما رُفِعَ الطعام اندفعت قينة لهم تُغَنِّي بِشعر حسان :

انظر خليلي بباب جِلَقَ هل ^(١) تبصر ^(٢) دون البلقاء من أحد ^(٣)

جمال شعناء قد هبطن من الـ مَحْبَس بين السكَّبان فالسند ^(٤)

قال : فجعل حسان يبكي ، وجعل عبد الرحمن يؤمى إلى القينة أن تردده . قال الأصمعي : فلا أدري ما الذي أعجب عبد الرحمن من بكاء أبيه .

لعائشة فيها يملأه
الأولاد

استنشد النبي
صلى الله عليه وسلم
للشريد

وقالت عائشة ، رضى الله عنها : علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم . وأردف النبي صلى الله عليه وسلم الشريد ، فأستنشده من شعر أمية ، فأنشده مائة قافية وهو يقول : هيه ، استحسنانا لها .

فلما أعيام القدح في الشعر والقول فيه ، قالوا : الشعر حسن ولا نرى أن يؤخذ بلحن حسن . وأجازوا ذلك في القرآن وفي الأذان . فإن كانت الألحان مكروهة ، فالقرآن والأذان أحق بالتنزيه عنه . وإن كانت غير مكروهة فالشعر أحوج إليها لإقامة الوزن وإخراجه عن حد الخبر . وما الفرق بين أن يُنشد الرجل :

* أنعرف رسماً كاطراد المذانب *

مترسلاً ، أو يرفع بها صوته مرتجلاً . وإنما جعلت العرب الشعر موزوناً لمد الصوت فيه والدندنة . ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور .

مما يحتاج به من
قول النبي صلى
الله عليه وسلم

واحتجوا في إباحة الغناء واستحسنانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : أهديتم الفتاة إلى بعلها ؟ قالت : نعم . قال : وبعثتم معها من يُغنى ؟ قالت : لا ، قال : أو ما علمتم أن الأنصار قوم يُعجبهم الغزل ؟ ألا بعثتم معها من يقول :

(١) جلق : اسم دمشق .

(٢) في بعض الأصول : « تنظر » والرواية في الديوان : « تؤنس » .

(٣) البلقاء : كورة من أعمال دمشق ، بين الشام ووادي القرى .

(٤) شعناء : امرأة

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ نُحْيِيكُمْ^(١) نُحْيِيكُمْ

وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّمَرَاءُ لَمْ نَخْلُلْ بَوَادِيَكُمْ

واحتجوا بحديث عبد الله بن عبد الله بن أويس، ابن عم مالك، وكان من أفضل رجال الزهري قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل فارع^(٢) وهي تُغنى:

هَلْ عَلَى وَنَحْمُكُمْ إِنَّ لَهْوَتُ مِنْ حَرَجِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا حرج إن شاء الله. والذي لا يُنكره أكثر الناس غناء النصب، وهو غناء الرُّكبان.

حدث عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد^(٣) عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن عبد الله بن عمر عن أبيه، قال: سمع بنا عمر بن الخطاب وأنا وياهم بن عمر

ابن عمر وعاصم
ابن عمر مع ابن
الخطاب

تُغنى غناء النصب، فقال: أعيداً على. فأعدنا عليه. فقال: أتما كحمارى العبادى، وقيل له: أى حمارىك شر؟ قال: هذا ثم هذا.

وسمع أنس بن مالك أخاه البراء بن مالك يُغنى، فقال: ما هذا؟ قال: أبيات عربية أنصبتها نصبا.

بين أنس وأخيه
البراء حين سمعه
يغنى

ومن حديث الجعاني^(٤) عن حماد بن زيد عن سليمان بن يسار قال: رأيت سعد بن أبي وقاص في منزل بين مكة والمدينة قد ألقى له مُصلي، فأستاق عليه

بين ابن يسار
وابن أبي وقاص

ووضع إحدى رجله على الأخرى وهو يتغنى. فقلت: سبحان الله أبا إسحاق، أتفعل مثل هذا وأنت مُحرم؟ فقال: يا ابن أخى، وهل تسمعونى أقول هجراً؟

ومن حديث المفضل عن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى، قال: قال عمر ابن الخطاب للناطقة الجعدى: أسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك^(٥).

بين ابن الخطاب
والناطقة الجعدى

(١) فى بعض الأصول: « غيونا ». (٢) فارع: حصن بالمدينة.

(٣) هو أبو زيد المدنى أسامة بن زيد بن أسلم العدوى مولى عمر. روى عن أبيه من جده. وعنه ابن المبارك. (تهذيب التهذيب (١: ٢٠٧)).

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن عبد الحميد الجعاني. (السمعاني). وفى بعض الأصول: « الجعاني ».

(٥) فى بعض الأصول: « غنائك ».

فأسمعه كلمة له . قال : وإنك لقائلها ؟ قال : نعم . قال : اطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب .

عاصم عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء . قال : وما بأس ذلك يا ابن أخي ؟

بين ابن جريج وعطاء في التغني بالقرآن

معزفة داود عليه السلام

قال : وحدث عبيد بن عمير الليثي أن داود النبي عليه السلام كانت له معزفة يضرب بها إذا قرأ الزبور ، لتجتمع عليه الجن والإنس والطير ، فيبكي ويبكي من حوله . وأهل الكتاب يجدون هذا في كتبهم .

٢٣٢
٣

ومن حجة من كره الغناء أن قال : إنه يُنقِر القلوب ، ويستفز العقول ، ويستخف الحليم ، ويبعث على اللهو ، ويحضر على الطرب ، وهو باطل في أصله . وتأولوا في ذلك قول الله عز وجل : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) وأخطأوا في التأويل . إنما نزلت هذه الآية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السمر^(١) والأحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ، ويقولون إنها أفضل منه . وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هُزُوًا . وأعدل الوجوه في هذا أن يكون سبيله سبيل الشعر ، فحسفه حسن وقبيحه قبيح .

سفيان بن عيينة ويحب له من ابن جامع

وقد حدث إبراهيم بن المنذر الحزامي^(٢) أن ابن جامع السهمي قدم مكة بمال كثير ، ففرقه في ضُفَاء أهلها ، فقال سفيان بن عيينة : بلتني أن هذا السهمي قدم بمال كثير . قالوا : نعم . قال : فعلام يُعطى ؟ قالوا : يُغنى الملوك فيعطونه . قال : وبأى شيء يُغنيهم ؟ قالوا : بالشعر . قال : فكيف يقول ؟ فقال له فتى من تلاميذه : يقول :

أطوفُ بالبيت مع من يطوف وأرفع من منزري الأسبل

(١) في بعض الأصول : « السير » .

(٢) في بعض الأصول : « الحزامي » تحريف . وانظر التهذيب (١ : ٣٨٥) — والسماعاني

قال : بارك الله عليه ، ما أحسنَ ما قال ! قال : ثم ماذا ؟ قال :

وَأَسْجُدُ بِاللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَتْلُو مِنْ الْمُحْكَمِ الْمُنَزَّلِ

قال : وأحسنَ أيضاً ، أحسنَ الله إليه ؛ ثم ماذا ؟ قال :

عَسَى فَارِجُ الْهَمِّ عَنْ يُوسُفَ يُسَخَّرَ لِي رَبَّةَ الْمَخْمَلِ

قال : أمسك أَمْسِكَ . أفسد آخرًا ما أصلح أولاً .

الأتري سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ حَسَنَ الْحَسَنِ مِنْ قَوْلِهِ وَقَبَّحَ الْقَبِيحَ .

وَكَرِهَ الْغِنَاءَ قَوْمٌ عَلَى طَرِيقِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا ، كَمَا كَرِهَ بَعْضُهُمُ الْمَلَاذَ

وَلُبَسَ الْعِبَاءِ ، وَكَرِهَ الْحُورَازِي^(١) وَأَكَلَ الْكَشْكَارَ ، وَتَرَكَ الْبُرْأَ أَكَلَ الشَّعِيرَ ،

لَا عَلَى طَرِيقِ التَّحْرِيمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَجْهٌ حَسَنٌ وَمَذْهَبٌ جَمِيلٌ . فَإِنَّمَا الْحَلَالُ

مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : (وَلَا تَقُولُوا إِنَّمَا تَصِفُ ١٠

أَلْسِنَتُكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ . إِنَّ الَّذِينَ

يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) .

وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ أَيْضًا جَاهِلًا بِالْغِنَاءِ أَوْ مُتَجَاهِلًا بِهِ ، فَلَا يَأْمُرُ بِهِ وَلَا يُنْكِرُهُ .

قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ : مَا تَقُولُ فِي الْغِنَاءِ يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟ قَالَ : نَعِمَ الْعَوْنُ

عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ! يَصِلُ الرَّجُلُ بِهِ رَحْمَهُ ، وَيُوَاسِي بِهِ صَدِيقَهُ . قَالَ الرَّجُلُ : لَيْسَ ١٠

عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ . قَالَ : وَعَمَّ سَأَلْتَنِي ؟ قَالَ : أَنْ يُغْنِيَ الرَّجُلُ . قَالَ : وَكَيْفَ يَغْنَى ؟

فَجَعَلَ الرَّجُلُ يُلَوِّى شِدْقِيهِ وَيَنْفُخُ مِنْخَرِيهِ . قَالَ الْحَسَنُ : وَاللَّهِ يَا بْنَ أَخِي ،

مَا ظَلَمْتُ أَنْ عَاقِلًا يَفْعَلَ هَذَا بِنَفْسِهِ أَبَدًا .

وَإِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ تَشْوِيَهُ وَجْهَهُ وَتَعْوِيجَ فَمِّهِ ، وَإِنْ كَانَ أَنْكَرَ الْغِنَاءَ

فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَهُ . ٢٠

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عِمَارَةَ^(٢) : حَدَّثَنِي أَبُو الْمُغَلَّسِ عَنْ أَبِي الْحَارِثِ ، قَالَ : اخْتَلَفَ

بَيْنَ سَائِلٍ
وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ
فِي الْغِنَاءِ

ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ
عَبِيدٍ وَرَأَيْتُهُمَا
فِي الْغِنَاءِ

(١) الْخَوَارِزْمِيُّ : لِأَبِي الدَّقِيقِ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عِمَارَةُ » .

في الغناء عند محمد بن إبراهيم وإلى مكة ، فأرسل إلى ابن جريج وإلى عمرو ابن عبيد فأتياه فسألها ، فقال ابن جريج : لا بأس به ، شهدت عطاء بن أبي رباح في ختان ولده ، وعنده ابن سريج المغني ، فكان إذا غنى لم يقل له : اسكت ، وإذا سكت لم يقل له : غن ، وإذا لحن رد عليه . وقال عمرو بن عبيد : أليس الله يقول : (مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) . فأيهما يكتب الغناء ؟ الذي عن اليمين أو الذي عن الشمال ؟ فقال ابن جريج : لا يكتبه واحد منهما ، لأنه لغو كحديث الناس فيما بينهم ، من أخبار جاهليتهم وتناشد أشعارهم .

٢٣٣
٣

بين الزهري
وأبي يوسف

وقال إسحاق : وحدثني إبراهيم بن سعد الزهري ، قال : قال لي أبو يوسف القاضي : ما أعجب أمركم يا أهل المدينة في هذه الأغاني ما منكم من شريف ولا ذني يتحدثن عنها . قال : فغضبتُ وقلت : قاتلكم الله يا أهل العراق ما أوضح جهلكم وأبعد من السداد رأيكم متى رأيت أحداً سمع الغناء فظهر منه ما يظهر من سفهائكم هؤلاء الذين يشربون المسكر ، فيترك أحدهم صلاته ، ويطلق امرأته ، ويقذف المحصنة من جاراته ، ويكفر بربه ، فأين هذا من هذا ؟ من اختار شعراً جيّداً ثم اختار له جرماً حسناً فردده عليه ، فأطربه وأبهجه ، فغنا عن الجرائم ، وأعطى الرغائب . فقال أبو يوسف : قطعني ، ولم يحرجوا .

بين الرشيد
والزهري

قال إسحاق : وحدثني إبراهيم بن سعد الزهري قال : قال لي الرشيد : من بالمدينة ممن يحرم الغناء ؟ قال : قلت : من أتبعه ^(١) الله خزيته . قال : بلغني أن مالك بن أنس يحرمه . قلت : يا أمير المؤمنين ، أو لمالك أن يحرم ويحكم الله ما كان ذلك لأبن عمك محمد صلى الله عليه وسلم إلا بوحي من ربه ، فمن جعل هذا لمالك ؟ فشهادتي على أبي أنه سمع مالكا في عرس ابن حنظلة الفسيل يتغنى :

(١) في بعض الأصول : « أمته » .

سُئِمِي أَزْمَعْتُ بَيْنَنَا فَأَيْنَ تَظُنُّهَا^(١) أَيْنَا
ولو سمعتُ مالِكاً يَحْرِمُهُ وَيَدِي تَفَالَهُ لَأَحْسَنْتُ أَدَبَهُ . قال :
فَتَبَسَّمَ الرَّشِيدُ .

بين ابن عمر
وابن جعفر

وعن أبي شعيب الحراني عن جعفر بن صالح بن كيسان عن أبيه ، قال :
كان عبدُ الله بن عمر يُحِبُّ عبدَ الله بن جعفر [حُبًّا شَدِيدًا] . فدخل عليه يوما
وبين يديه جارية في حَجَرِهَا عُودٌ ، فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟ [قال : وما تَظُنُّ
به يا أبا عبد الرحمن ؟ فإن أصاب^(٢) ظَنُّكَ فَلَكَ الْجَارِيَةُ . قال : ما أَرَانِي إِلَّا قَدْ
أَخَذْتُهَا ، هذا ميزان رومي . فضحك ابنُ جعفر ، وقال : صدقت . هذا ميزان
يُوزَنُ بِهِ الْكَلَامُ ، وَالْجَارِيَةُ لَكَ . ثم قال : هاتِي . فغَنَّتْ :

أَيَا شَوْقًا إِلَى الْبَلَدِ الْأَمِينِ وَحَيَّ بَيْنَ زَمَرٍ وَالْحَبْرُونَ
ثم قال : هل ترى بأَسَا ؟ قال : هل غيرُ هذا ؟ قال : لا . قال : فما أَرَى
بهذا بأَسَا .

بين ابن عمر
وابن عمر

وسمع عبدُ الله بن عمر ابنَ محرز يُغَنِّي :
لَوْ بَدَّلْتُ^(٣) أَعْلَى مَنَازِلِهَا سَفَلًا وَأَصْبَحَ سَفَلُهَا يَغْلُو
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا أَحْتَمَلْتُ^(٤) مَتَى الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
فقال عبد الله بن عمر : قل : إن شاء الله . قال : يَفْسُدُ الْمَعْنَى . قال : لا خَيْرَ
فِي كُلِّ مَعْنَى يُفْسِدُهُ « إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

حدث محمد بن زكريا الغلابي بالبصرة ، قال : حدثني الشَّرقِيُّ^(٥) عن
الأصمعي ، قال : سمع عمرُ بن عبد العزيز رَاكِبًا يَغَنِّي فِي سَفَرِهِ :
فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ النَّقَى وَجَدُّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُودِي^(٦)

بين عمر بن
عبد العزيز
وراكب يغي

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بَوَصَّلَهَا » .
(٢) فِي ١ ، ج : « فَإِنْ أَصَابَهُ » . (٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بَدَلَتْ » .
(٤) فِي ج : « شَهَدَتْ » . (٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « ابْنُ الشَّرْقِيِّ » .
(٦) الْآيَاتُ مِنْ مَعْلَقَةِ طَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ .

فنهت سَبَقُ العاذلات بِشَرِيَّةٍ . كَيْتِ متى ما تُثَلَّ بالماء تُزِيدُ .
وَكُرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَيَّفُ مُحْتَبَا . كَيْسِدُ الْغَضَائِي الطَّخِيَّةُ ^(١) الْمُتَوَرَّدُ .
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مُعْجَبٌ . يَهْتَكُنَةُ تَحْتَ الطَّرَافِ الْمَمْدُدُ .
فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : وَأَنَا لَوْلَا ثَلَاثٌ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ هُوْدَى : لَوْلَا
أَنْ أَنْفِرَ فِي السَّرِيَّةِ ، وَأَقْسِمَ بِالسُّوِيَّةِ ، وَأَعْدِلَ فِي الْقَضِيَّةِ .

٥٠
٢٣٤
٣

بين جرير المدني
والأسلمى العابد

قال جرير المدني : بمررت بالأسلمى العابد ، وهو في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم يُصَلِّي ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ وَأَشَارَ بِالْجُلُوسِ ، فَجَلَسْتُ . فَلَمَّا سَلَّمَ أَخَذَ
بِيَدِي ، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِي ، وَقَالَ : كَيْفَ هُوَ ؟ قُلْتُ : أَحْسَنُ مَا كَانَ قَطًّا . قَالَ :
أَمَّا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ خَلَا لِي وَجْهُكَ وَأَنْتَ أَسْمَعْتَنِي :

١٠ : يَا لَقَوْمِي لِحُبْلَاكَ الْمَضْرُومِ . يَوْمَ شَطَوَا وَأَنْتَ غَيْرُ مَلُومٍ .
أَصْبَحَ الرَّبِيعُ مِنْ أَمَامَةِ قَفْرٍ غَيْرِ مَقْنَى مَعَارِفٍ وَرُسُومِ .

قُلْتُ : إِذَا شِئْتُ . قَالَ : فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ابن المبارك
وسكران ينفى

وَحَدَّثَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التَّمُوزِيُّ ، بِمَكَّةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَبِيبَانِ
ابْنُ مُوسَى ^(٢) وَسُوَيْدٌ ، صَاحِبَا ابْنِ الْمُبَارَكِ ، قَالَا : لَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ إِلَى
الشَّامِ مُصْرَابَطًا خَرَجْنَا مَعَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالْفَزْوِ
وَالسَّرَايَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْتَفَتَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَلَى أَعْمَارٍ
أَفْنَيْنَاهَا ، وَأَيَّامٍ وَلَيَالٍ قَدْ قَطَعْنَاهَا فِي عِلْمِ الشَّعْرِ ، وَتَرَكْنَا هَاهُنَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ
مَفْتُوحَةً . قَالَ : فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَنَحْنُ مَعَهُ فِي أَرْزَقَةِ الْمَصِيصَةِ إِذَا نَجْنِ بِسَكْرَانَ قَدْ
رَفَعَ صَوْتَهُ يَنْفَى :

١٥

٢٠ : أَذَلَّنِي الْهَوَى فَاثْنَا الذَّلِيلُ . وَلَيْسَ إِلَى الَّذِي أَهْوَى سَبِيلُ .
فَأَخْرَجَ رُزْنًا بَجَا ^(٣) مِنْ كُهُ ، فَكَتَبَ الْبَيْتَ . فَقُلْنَا لَهُ : أَتَكْتَبُ بَيْتَ

(١) الطخية : الظلمة . ويروى : « نهته » .
(٢) في بعض الأصول : « حسان » ، وانظر التهذيب (٣٨٣) .
(٣) في غير نسخة : « برناج » .

شعر سمعته من سكران ؟ قال : أما سمعتم المثل : رُبَّ جوهرة في مَزيل ؟
 قال : وولى الأوقص الخزومي قضاء مكة ، فأرُئي مثله في العفاف والنبل .
 فبينما هو نائم ذات ليلة في عُليّة له ، إذ مرَّ به سكران يتغنى ويلحن في غنائه .
 فأشرف الخزومي عليه ، فقال : يا هذا ، شربت حراماً ، وأيقظت نياماً ،
 وغنيت خطأ ، خذه عني ، فأصلحه عليه .

الأوقص
 الخزومي
 وسكران يتغنى

قال : الأوقص الخزومي : قالت لي أمي : أي بُني ، إنك خلقت في صورة
 لا تصلح معها لأجامة الفتيان في بيوت القيان ، فعليك بالدين فإن الله يرفع به
 الخسيسة ويُتم به النقيصة . فنفذني الله بقولها .

للأوقص في
 نصيحة أمه له

وحدث عباس بن الفضل قاضي المدينة ، قال : حدثني الزبير بن بكار :
 قاضي مكة عن مُصعب بن عبد الله ، قال : دخل الشعبي على بشر بن مروان ،
 وهو والي العراق لأخيه عبد الملك بن مروان ، وعنده جارية في حجرها عُود .
 فلما دخل الشعبي أمرها فوضعت العود . فقال له الشعبي : لا ينبغي للأمير أن
 يستحي من عبده . قال : صدقت . ثم قال للجارية : هاتي ما عندك ، فأخذت
 العود وغنّت :

الشعبي وبشر بن
 مروان في جارية
 عنده تغني

ومما شجاني أنها يوم ودعت تولت وماء العين في الجفن حائرُ
 فلما أعادت من بعيد بنظرة إلى التفاتك أسلمته المحاجر
 فقال الشعبي : الصغير أكيسهما ، يريد الزبير . ثم قال : يا هذه ، أرني
 من بملك ، وشدي من زيرك . فقال له بشر بن مروان : وما عليك ؟ قال :
 أظن العمل فيهما . قال : صدقت ، ومن لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه .

وحدث عن أبي عبد الله البصري قال : غنى رجل في المسجد الحرام ، وهو
 مُستلق على قناه صوتاً ، ورجل من قریش يُعطي في جواره ، فسمعه خُدام
 المسجد ، فقالوا : يا عدو الله ، اتغنى في المسجد الحرام ! ورفعوه إلى صاحب
 الشرطة . فتجوز القرشي في صلاته ، ثم سلم وأتبعه ، فقال لصاحب الشرطة :

قصة قرشي
 مع رجل غنى
 بجواره وهو
 يصلي في المسجد

كذبوا عليه أصلحك الله ، إنما كان يقرأ . فقال : يا فُتاق ، أتأتوني برجل قرأ القرآن تزعمون أنه غنى ! خلّوا سبيله . فلما خلّوه ، قال له القرشي : والله لو لا أنك أحسنت وأجدت ما شهدت لك ، اذهب راشدا .

٢٣٥
٣
٥

وكان لأبي حنيفة جارٌّ من الكتيالين مُغرم بالشراب . وكان أبو حنيفة يُحيي الليل بالقيام ويُحييه جاره الكتيال بالشراب ويُغنى على شرابه :
أبو حنيفة وجار له كان يديم الشراب والفناء

أضاعوني وأنى فنى أضاعوا ليوم كريمة وسداد نغري

فأخذه العسس ليلة فوقع في الحبس ، وفقد أبو حنيفة صوته ، واستوحش له . فقال لأهله : ما فعل جارنا الكتيال ؟ قالوا : أخذه العسس فهو في الحبس . فلما أصبح أبو حنيفة وضع الطويلة على رأسه وخرج حتى أتى باب عيسى ابن موسى ، فاستأذن عليه . فأمرع في إذنه . وكان أبو حنيفة قليلاً ما يأتي الملوك . فأقبل عليه عيسى بوجهه ، وقال : أمرٌ ما جاء بك يا أبا حنيفة ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ، جارٌّ لي من الكتيالين أخذه عسس الأمير ليلة كذا ، فوقع في حبسك . فأمر عيسى بإطلاق كل من أخذ في تلك الليلة إكراماً لأبي حنيفة . فأقبل الكتيال على أبي حنيفة متشكراً له . فلما رآه أبو حنيفة ، قال : أضعتك يا فتى ؟ يُعرض له بقصيدته . قال : لا والله ، ولكنك بررت وحفظت .

١٥

الأصمعي قال : قدم عراقيٌ بعدل من خمر العراق إلى المدينة فباعها كلها إلا السود . فشكا ذلك إلى الدارمي ، وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد . فقال : ما تجعل لي على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعها كلها على حُكك ؟ قال : ما شئت ، قال : نعم الدارمي إلى ثياب نسكه ، فألقاها عنه وعاد إلى مثل شأنه الأول ، وقال شعراً ورفعه إلى صديق له من المُغنين فغنى به ، وكان الشعر :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بزاهدٍ مُتعبِد
قد كان شمراً للصلاة ثيابه حتى خُطرت له يباب المسجد

رُدِّيَ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ . لَا تَقْتُلِيهِ بِحَقِّ دِينِ مُحَمَّدٍ .
 فشاع هذا الغناء في المدينة وقالوا : قد رجع الدارمي وتعمق صاحبته الخمار
 الأسود . فلم تبق مليحة بالمدينة إلا اشترت خماراً أسود ، وباع التاجر جميع
 ما كان معه . فجعل إخوان الدارمي من النساء يلقون الدارمي فيقولون : ماذا
 صنعت ؟ فيقول : ستعلمون نبأه بعد حين . فلما أنفذ العراقي ما كان معه رجع
 الدارمي إلى نسكه ولبس ثيابه .

عروة بن أذينة
 وامرأة

وحدث عبد الله بن مسleme بن قتيبة ببغداد قال : حدثني سهل عن
 الأصمعي قال : كان عروة بن أذينة يعدُّ ثقةً ثبتاً في الحديث ، روى عنه مالك
 ابن أنس ، وكان شاعراً لبقاً في شعره غزلاً ، وكان يصوغ الألحان والغناء على
 شعره في حداثته وينجلها المغنين ، فمن ذلك قوله ، وغنى به الحجازيون :
 يا ديار الحى بالأجهم لم يبين رسمها كليمه
 وهو موضع صوته . ومنه قوله :

قالت وأبنتها وجدى وبخت به . قد كنت عندي تحت الستر فاستتر
 ألت تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري
 قال : فوقفت عليه امرأة وحوله التلامذة ، فقالت : أنت الذي يقال فيك
 الرجل الصالح ؟ وأنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدى عمدت نحو سقاء القوم أبرد
 هبني بردت يبرد الماء ظاهره . فمن أنار على الأحشاء تبتقد
 لا والله ، ما قال هذا رجل صالح قط .

٢٣٦
 ٣

قال : وكان عبد الرحمن بن عبد الله الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء
 ابن أبي رباح في العبادة ، وأنه مر يوماً بسلامة وهي تُغنى ، فقام يستمع غناها .
 فرآه فبولاها فقال له : بهل لك أن تدخل فتسمع ؟ فأبى . فلم يزل به حتى دخل .
 فقال له : أوقفك في موضع بحيث تراها ولا تراك ، ففنته فأعجبته ، فقال له مولاها :

عبد الرحمن القس
 وسلامة

هل لك في أن أحوّلها إليك ؟ فأبى ذلك عليه ، فلم يزل به حتى أجابه . فلم يزل يسمعهما ويلاحظهما النظر حتى شُغِفَ بها . ولما شعرت للاحظه إياها غنته :

رُبَ رسولَيْنِ لنا بَلَّغَا رسالةً من قبل أن يبرحا
لم يُعْمِلَا خُفًا ولا حافرا ولا لسانًا بالهوى مُنْصَحَا
حتى أَسْتَقْلَا بجوَايَهِمَا بالطائر الميمون قد أُنْجَحَا
الطَّرْفَ والطَّرْفَ بعُشْنَاهُمَا^(١) فَتَقَضَّيَا حَاجَا وما صَرَّحَا

قال : فأغنى عليه وكاد أن يهلك . فقالت له يوما : إني والله أحبك .
قال لها : وأنا والله أحبك . قالت : وأحب أن أضع فمى على فمك . قال : وأنا والله .
قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك
عداوة يوم القيامة ، أما سمعت الله تعالى يقول : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو إلا المتقين) . ثم نهض وعاد إلى طريقته التي كان عليها ، وأنشأ يقول :
قد كنتُ أغذل في السَّفَاهَةِ أهلَهَا فَأَعْجَبَ لِمَا تَأْنَى بِهِ الأيامُ
فالْيَوْمَ أعذرهم وأعْلَمُ أَنَّمَا سُبُلُ الضَّلَالَةِ والهُدَى أَقْسَامُ^(٢)
وله فيها :

إِنِّ سَلَامَةَ التي أَمَدَّتْنِي تَجَلْدِي
لو تَرَاهَا وَعُودَهَا حين يبدو وتَبْتَدِي
لجَرِيرٍ وللغَرِيبِ وللقرْمِ مَعْبِدِ
خِلَتُهُم بين عُودَهَا والدَّسَانِينِ واليَدِ

أخبار عبد الله بن جعفر

٢٠ حَدَّثَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعِجْلِيُّ بِمَآثِرِهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ
الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : كَانَ مُعَاوِيَةُ يَعِيبُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ مِمَّا عَنِ الْغِنَاءِ . فَأَقْبَلَ
مُعَاوِيَةُ عَامًّا مِنْ ذَلِكَ حَاجًّا ، فَزَلَّ لِلدِّينَةِ ، فَمَرَّ لَيْلَةً بَدَارَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ،

معاوية وعبد الله
ابن جعفر وابن
سبيد المني

(١) في ج : « بينهما » . (٢) الخبر في مجالس ثعلب ٦ - ٧ .

فسمع عنده غناء على أوتار ، فوقف ساعة يَسْتَمِعُ ثم مضى وهو يقول :
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . فلما أنصرف من آخر الليل مرة بداره أيضاً ، فإذا
 عبد الله قائم يُصَلِّي ، فوقف ليستمع قراءته ، فقال : الحمد لله ، ثم نهض وهو
 يقول : (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) . فلما بلغ
 ابن جعفر ذلك أعد له طعاما ، ودعاه إلى منزله ، وأحضر ابن صَيَّاد المغنى ، ثم
 تقدم إليه يقول : إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام فحرك أوتارك وغنى .
 فلما وضع معاوية يده في الطعام حرك ابن صَيَّاد أوتاره وغنى بشعر عدي
 ابن زيد ، وكان معاوية يُعَجِّبُ به :

يا كُبَيْنِي أوقدي النارا إنَّ مَنْ تَهْوِينِ قد حارَا
 رَبُّ نَارٍ بِثِ أَرْمَتَهَا تَقْضِيهِ الْهِنْدِيُّ وَالْغَارَا
 ولها ظَنِّي يُوجِّعُهَا عَاقِدٌ فِي الْخَصْرِ زُنَارَا

قال : فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام ، وجعل يضرب
 رجله الأرض طربا . فقال له عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما هو
 يُخْتَارُ الشعر يركب عليه يُخْتَارُ الألحان ، فهل ترى به بأسا ؟ قال : لا بأس بحكمة
 الشعر مع حكمة الألحان .

قال : وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام ، فأنزله في دار عياله ،
 وأظهر من إكرامه وبره ما كان يستحقه . فعاظ ذلك فاختة بنت قرظلة ،
 زوجة معاوية ، فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر ، فجاءت إلى
 معاوية فقالت : هَلُمَّ فاسمع ما في منزل هذا الذي جعلته بين لحك ودمك ، وأنزلته
 في دار حرملك . فجاء معاوية فسمع شيئا حرَّكه وأطربه ، وقال : والله إني
 لأسمع شيئا تكاد الجبال تنخر له ، وما أظنُّه إلا من تلقين الجن ، ثم انصرف .
 فلما كان من آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله وهو قائم يصلي . فأنبه فاختة ،
 وقال لها : أسمى مكان ما أسمعني ، هؤلاء قومي ، ملوك بالنيهار رُهبان بالليل .

معاوية وفاخته
 زوجه وابن
 جعفر

معاوية وابن
جعفر وبديع

ثم إن معاوية أرق ذات ليلة فقال لخدمته خديج : أذهب فانظر من عند عبد الله ، وأخبره بخروجه إليه فذهب فأخبره . فأقام كل من كان عنده ، ثم جاء معاوية ، فلم يرف في المجلس غير عبد الله . فقال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس فلان . قال معاوية : مره يرجع إلى مجلسه . ثم قال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس فلان . قال : مره يرجع إلى مجلسه ، حتى لم يبق إلا مجلس رجل . فقال : مجلس من هذا ؟ قال : مجلس رجل يداوى الآذان ، يا أمير المؤمنين . قال له معاوية : فإن أذن عليا ، فمره فليرجع إلى موضعه ، وكان موضع بديع المغني . فأمره ابن جعفر ، فرجع إلى موضعه . فقال له معاوية : داو أذن من علتها . فتناول العود ثم غنى :

١٠
أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَلِّمِ
فَحَرَّكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ رَأْسَهُ . فقال معاوية : لِمَ حَرَّكَتَ رَأْسَكَ يَا بَنَ جَعْفَرٍ ؟ قال : أُرِيحِيَّةُ أَجْدَاهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ لَقِيتُ^(١) عِنْدَهَا لِأَبْلَيْتُ ، وَلَئِنْ سُمِّلَتْ عِنْدَهَا لِأَعْطَيْتُ . وكان معاوية قد خضب فقال ابن جعفر لبديع : هات غير هذا ، وكانت عند معاوية جارية أعز جواريه عنده ، كانت متولية خضابه . فغناه بديع :

٢٠
أَلَيْسَ عِنْدَكَ شُكْرٌ لَلَّتِي جَعَلْتَ مَا أَبْيَضَ مِنْ قَادِمَاتِ الشَّعْرِ كَالْحُمِّ
وَجَنَّدَتْ مِنْكَ مَا قَدْ كَانَ أَخْلَقَهُ صَرَفُ الزَّمَانِ وَطُولُ الدَّهْرِ وَالْقِدَمِ
فَطَرَبَ مُعَاوِيَةَ طَرَبًا شَدِيدًا ، وجعل يحرك رجله . فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، سألتني عن تحريك رأسك ، فأخبرتني . وأنا أسألك عن تحريك رجلك . فقال معاوية : كل كريم طروب . ثم قام وقال : لا يبرح أحد منكم حتى يأتيه إذني . فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ، ومائة ثوب من خاص ثيابه ، وإلى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب .

(١) في بعض الأصول : « لاقيت » .

وعن ابن الكلبي والهيثم بن عدى ، قالا : بينا عبدُ الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة إذ سمع غناء ، فأصغى إليه ، فإذا بصوت شجى رقيق لَقِينَةٍ تُغَنِّي :

دخوله بيتا السماعه
جارية تغنى فيه
وحديث ذلك

قُلْ لِلْكَرَامِ بِيَابُنَا يَلْبَجُوا مافي التصابي على الفتى حَرَجُ

- فنزل عبدُ الله عن دابته ودخل على القوم بلا إذن . فلما رأوه قاموا إليه إجلالاً له ورفعوا مجلسه . ثم أقبل عليه صاحبُ المنزل ، فقال : يا بن عمِّ رسول الله ، دخلتَ منزلنا بلا إذن وما كُنتَ لهذا بخلق . فقال عبدُ الله : لم أدخل إلا بإذن . قال : ومن إذن لك : قال : قَينَتك هذه سمعتها تقول :

* قُلْ لِلْكَرَامِ بِيَابُنَا يَلْبَجُوا *

- فولجنا ، فإن كُنَّا كراماً فقد أذن لنا ، وإن كُنَّا لثاماً خَرَجْنَا مَذْمُومِينَ .
فضحك صاحبُ المنزل ، وقال : صدقتَ جُمِلتَ فذاك ، ما أنت إلا من أكرم الأكرمين . ثم بعث عبيدُ الله إلى جارية من جواريه فجاءت ، فقال لها : غنى . فغَنَّت . فطرب القوم وطرب عبدُ الله . فدعا بتياب وطيب ، فكسا القوم وصاحب المنزل وطيبهم ، ووهب له الجارية ، وقال له : هذه أحذق بالغناء من جاريتك .

١٥ أخبار ابن أبي عتيق

ذكر رجل من أهل المدينة أن ابن أبي عتيق — وهو عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق — دخل على عائشة أم المؤمنين ، وهي عمته ، فوضع رأسه في حجرها أو على رُكبتها ، ثم رفع عقيرته يتغنى :

هو وعائشة
حين غنى في
حجرها

- وَمُقَيَّدٍ حَجَلٍ جَرَرْتُ بِرَجْلِهِ بَعْدَ الْمَدْوِ لَهُ قَوَائِمُ أَرْبَعٌ (١)
فَاطْرَبَ زَمَانَ اللَّهُ مِنْ زَمَنِ الصَّبَا (٢) وَأَنْزَعَ إِذَا قَالُوا أَبِي لَكَ مَنَزَعٌ (٣)

(١) في بعض الأصول : « ومير خجل » .

(٢) في بعض الأصول : « جنب » .

(٣) في بعض الأصول : « قالوا أبي ينزع » .

فليأتين عليك يوماً مرة يُبكي عليك مُقنعا لا تسمع
قالت له عائشة : يا بُنى ، فاتق ذلك اليوم .

كثير ومعاذ
المغنى في بيت
ابن أبي عتيق

حدث أبو عبد الله محمد بن عرفة بواسط قال : حدثني أحمد بن يحيى عن
الزبير بن بكار عن سليمان بن عباس السعدي عن السائب راوية كثير ، قال :
قال لي كثير يوماً : قم بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدث عنده . قال : فجئناه ،
فوجدنا عنده ابن معاذ المغنى ، فلما رأى كثيراً قال لابن أبي عتيق :
ألا أغنيك بشعر كثير ؟ فاندفع يغنى بشعره حيث يقول :

أبائنة سعدى نم ستيبين كما أنبت من حبل القرين قرين
أب دُم أجمال وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزين
فأخلفن ميعادى وخن أمانتى وليس لمن خان الأمانة دين ١٠

فالتفت ابن أبي عتيق إلى كثير فقال : ولدين صحبتن يا بن أبي جمة ؟ ذاك
والله أشبه بهن ، وأدعى للقلوب إليهن ؛ وإنما يوصفن بالبخل والأمتناع ،
وليس بالأمانة والوفاء . وابن قيس الرقيات أشعر منك حيث يقول :

حبذا الإدلال والغنج والى فى طرفها دَعَجُ
والى إنْ حَدَّثَتْ كَذَبَتْ والى فى ثَغَرها فَلَجُ ١٥
خَبَرُونى هل على رَجُل عاشق فى قُبلة حَرَجُ

فقال كثير : قم بنا من عند هذا ، ثم نهض .

بين ابن جعفر
وابن أبي عتيق

وقال عبد الله بن جعفر لابن أبي عتيق : لو غنيتك فلانة جاريتى صوتاً
ما أدركتك ذكائك^(١) . قال ابن أبي عتيق : قل لها تفعل وليس عليك إن
ميتَ زمان . فأخذ بيده عبد الله بن جعفر وأدخله منزله ، ثم أمر الجارية فخرجت ،
وقال لها : هات ، فغنّت :

بهوالك صيرنى العذول نكالاً وجيد السبيل إلى المقال فقالا

(١) فى بعض الأصول : « أدركت ذكائك » .

ونهيته نومي عن جفوني فأنتهي وأمرت ليلى أن يطول فظالا
قال : فرمى بنفسه ابن أبي عتيق إلى الأرض وقال : (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا
فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَائِمَ وَالْمُعْتَرِ).

أبو القاسم جعفر بن محمد قال : لما وصف عبد الله بن جعفر لعبد الملك بن
مروان ابن أبي عتيق وحديثه عن إقلاقه وكثرة عياله ، أمره عبد الملك بن مروان
أن يبعث به إليه . فأعلمه ^(١) ابن جعفر بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه إليه .
فدخل ابن أبي عتيق على عبد الملك فوجده جالسا بين جارييتين قائمتين عليه
يميسان كغصني باني ، بيد كل جارية مروحة تروح بها عليه ، مكتوب
بالذهب على المروحة الأولى ^(٢) :

١٠ إنني أجب ^(٣) الرِّياحَ وبني يلعب الخَجَلُ ^(٤)
وحِجابُ إذا الحبيبُ ثنى الرأسَ للقبَلِ
وغِيَاثُ إذا النَّدِيمُ تغنى أو أُرْتَجِلُ

وفي المروحة الأخرى :

١٥ أنا في الكَفِّ لطيفه مَسْكَنِي قَصْرُ الْخَلِيفَةِ
أنا لا أَصْلَحُ إِلَّا لِظَرِيفٍ أو ظَرِيفِهِ
أو وَصِيفٍ حَسَنٍ الْقَدِّ شَبِيهِ بِالْوَصِيفَةِ

قال ابن أبي عتيق : فلما نظرتُ إلى الجاريتين هَوَّنتُ الدنيا عليّ ، وأنستاني
سوء حالي ، وقلت : إن كانتا من الإنس فما نساؤنا إلا من الهائم . فكلمتا كررتُ
بصري ^(٥) فيهما تذكّرت الجنة ، فإذا تذكّرت أمرأتى ، وكنتُ لها مُحِبًّا ، تذكّرت النار .

(١) في بعض الأصول : « فأناه » .

(٢) في بعض الأصول : « الواحدة » .

(٣) في ج : « يبعث » .

(٤) في ج : « جلابة » .

(٥) في ج : « نظرت » .

قال : فبدأ عبدُ الملك يتوجَّع إلى بما حكى له ابنُ جعفر عني ويخبرني بما لي عنده من جميل الرأي . فأكذبتُ له كُلَّ ما حكاه له ابنُ جعفر عني ، ووصفتُ له نفسى بغاية الملاء والجدة . فامتلاً عبدُ الملك سروراً بما ذكرتُ له ، وغماً بتكذيب ابن جعفر . فلما عاد إليه ابنُ جعفر عاتبه عبدُ الملك على ما حكاه عني وأخبره بما **٥** ~~يخبرني~~ به نفسى . فقال : كذب والله يا أمير المؤمنين ، وإيه أحوجُ أهل الحجاز إلى قليل فضلك ، فضلاً عن كثيره . ثم خرج عبدُ الله فلقيني فقال : ما حملك أن كذبتني عند أمير المؤمنين ؟ قلت : أفكنتُ تُراني تُجلسني بين شمس وقمر ، ثم أتفاقر عنده ! لا والله ما رأيتُ ذلك لنفسى وإن رأيتَه لى . فلما أعلم بذلك عبدُ الله بن جعفر عبدَ الملك بن مروان ، قال : فالجاريَتان له . قال : فلما صارتا إلى زُرت عبدَ الله بن جعفر فوجدته قد أمتلاً فرحاً ، وهو يشرب و بين يديه عُسٌّ **١٠** فيه عسل ممزوج بمسك وكافور . فقال : مَهم . قلت : قد والله قبضت الجاريتين . قال : فأشرب . فتناولت العُسَّ فبجرت منه جرعة . فقال لى : زد . فأبيتُ عليه . فقال : لجارية له عنده تُغنيه : إن هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير المؤمنين ، فخذى فى نعتهما ، فإنهما كما فلسكت صدورهما . فخرَّكت **١٥** الجارية العود ثم غنّت :

عهدى بها فى الحى قد جُرِّدت زهراء مثل القمر ^(١) الضامر
قد حجَّم الشدى على نحرها فى مُشرف ^(٢) ذى بهجة ناخر
لو أسندت مئيتاً إلى صدرها قام ولم يُنقل إلى قابر
حتى يقول الناسُ بما رأوا يا عجباً للميت الناصر
٢٠ قال : فلما سمعتُ الإبياتَ طربتُ ، ثم تناولتُ العُسَّ فشربت عللاً بعد نهل ، ورفعت عَقيرتى أغنى :
سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُغْنِي وَلَوْ سَقَوَا جبالَ حُنينٍ ماسَقَوْنِي لَغَنَّتِ

(١) فى بعض الأصول : « صفراء مثل المهرة » .

(٢) فى بعض الأصول : « فى مشرق » .

قال : وخرج أبو السائب وابن أبي عتيق يوماً يتنزّهان في بعض نواحي مكة ، فنزل^(١) أبو السائب ليبول وعليه طويلته ، فأصرف دونها . فقال له ابن أبي عتيق : ما فعلت طويلتك ؟ قال : ذكرت قول كثير :

أبو السائب وابن
أبي عتيق
وبر الشيطان

٢٤٠
٣

أرى الإزار على كُبنى فأحسده إن الإزار على ماضمٌ محسودُ

فتصدّقت بها على الشيطان الذي أجرى هذا البيت على لسانه . فأخذ ابن أبي عتيق طويلته فرمى بها وقال : أتسبقني أنت إلى برّ الشيطان ؟

سمع سليمان بن عبد الملك مُغنياً في عسكره فقال : اطلبوه . فجاءوا به . فقال : أعِدْ عليّ ما تغنيت به . فغنى وأحتفل . وكان سليمانُ أغبر الناس ، فقال لأصحابه : وكأنها والله جَرَجرة الفحل في الشول . وما أحسب أننى تسمع هذا إلا صَبَّت . وأمر به فخصى .

سليمان بن
عبد الملك ومغن

١٠

وقالوا : إن الفرزدق قدم المدينة فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله ابن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي سمّت لجه الدُّبُر ، فقال الأحوص : ألا أسمعتك غناء ؟ قال : تَغَنٍّ . فغناه :

الفرزدق
والأحوص في
شأن جرير

أتنسى إذ تُودّعنا سُليمى بُعود^(٢) بِشامة سقى البشامُ

بنفسى مَنْ تَجَنَّبُه عَزِيزٌ علىّ وَمَنْ زيارته لِمَام
وَمَنْ أَمسى وأصبح لا أراه وَيَطْرُقنى إذا هَجَعَ النِّيام

١٥

فقال الفرزدق : لمن هذا الشعر ؟ قال : لجرير . ثم غناه :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِكُمُكْ غادروا وشلاً بِعَيْنِكَ ما يزال مَعِينَا
غَيَّضَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لى ماذا لقيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

٢٠

فقال : لمن ذا الشعر ؟ فقال : لجرير . ثم غناه :

أَسْرَى لِحَالِدَةِ الْخَيَالِ ولا أرى شيئاً^(٣) أَلَدَّ مِنَ الْخَيَالِ الطَّارِقِ

(١) في بعض الأصول : « قال » .

(٢) في ديوان جرير : « بفرع » .

(٣) في الديوان : « مللا » . وطلل الإنسان : شخصه .

إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ يُمَلِّ جَسَدَيْهِ فَانْقَعَ^(١) فَوَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ
فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ فَقَالَ : لَجَرِيرٍ . فَقَالَ : مَا أَحْوَجَهُ مَعَ عَفَانِهِ إِلَى خُنُوثِهِ
شَعْرِي ، وَمَا أَحْوَجَنِي مَعَ فُسُوقِي إِلَى رِقَّةِ شَعْرِهِ .
وَقَالَ جَرِيرٌ : وَاللَّهِ لَوْلَا مَا شَغَلَتْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْكِلَابِ لَشَبَّيْتُ تَشْيِيبًا تَحْنُ
مِنْهُ الْعَجُوزُ إِلَى أَيَّامِ شَبَابِهَا ، حَتَّى يَنْجَمَلَ إِلَى عَطْنِهِ .

وَقَالَ : الْأَحْوَصُ يَوْمًا لِمَعْبِدٍ : أَمْضِ بِنَا إِلَى عَقِيلَةٍ حَتَّى نَتَحَدَّثَ إِلَيْهَا
وَنَسْمَعَ مِنْ غَنَائِهَا وَغَنَاءِ جَوَارِيهَا . فَمَضَى فَأَلْقَى عَلَى بَابِهَا مُعَادًا الْأَنْصَارِيَّ ،
وَابْنَ صِيَادٍ . فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهَا ، فَأَذْنَتْ لَهُمْ إِلَّا الْأَحْوَصَ ، فَإِنَّهَا قَالَتْ : نَحْنُ
عَلَى الْأَحْوَصِ غِيضَابٌ . فَأَنْصَرَفَ الْأَحْوَصُ وَهُوَ يُلُومُ أَصْحَابَهُ عَلَى اسْتِبدَادِهِمْ
بِهَا ، وَقَالَ :

ضَنْتُ عَقِيلَةً عَنْكَ الْيَوْمَ بِالزَّادِ وَآثَرْتُ حَاجَةَ السَّارِي عَلَى الْغَادِي
قَوْلًا لِمَنْزَلِهَا حُيِّتَ مِنْ طَّلَالٍ وَلِلْعَقِيقِ إِلَّا حُيِّتَ مِنْ وَادِي
إِذَا وَهَبْتُ نَصِيبِي مِنْ مَوَدَّتِهَا لِمَعْبِدٍ وَمُعَادٍ وَابْنَ صِيَادٍ
وَجَعَلَ رَجُلٌ يَتَرْتَمُ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَرَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْمَعُ ، فَأَخَذَهُ
بَعْضُ الْقَوْمَةِ ، فَقَالُوا : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَتَغْنَى فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ! وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى
صَاحِبِ الْحُكْمِ . وَأَتَبَعَهُمُ الْقُرَشِيُّ ، فَقَالَ لِمُصَاحِبِ الْحُكْمِ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، إِنَّمَا
كَانَ يَقْرَأُ . فَأُطْلِقْ سَبِيلَهُ . فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِيُّ : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْكَ أَحْسَنْتَ فِي غَنَائِكَ ،
وَأَقَمْتَ دَارَاتِ مَعْبِدٍ لَكُنْتُ عَلَيْكَ أَشَدَّ مِنَ الْأَعْوَانِ .

مَنْ فِي مَسْجِدِ
الْمَدِينَةِ إِلَى جَوَارِ
مَعْبِدٍ وَحَدِيثِ
ذَلِكَ

دَارَاتِ مَعْبِدٍ

وَالصَّوْتِ الْمُنْسُوبِ إِلَى دَارَاتِ مَعْبِدٍ قَوْلُ أَعْشَى بَكْرٍ :
هُرَيْرَةٌ وَدَعْمَا وَإِنْ لَامَ لَأْتُمْ غَدَاةً غَدِ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمٌ
وَيُرْوَى أَنَّ مَعْبِدًا دَخَلَ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ وَالِي خِرَاسَانَ ، وَقَدْ فَتَحَ خَمْسَ مَدَائِنَ ،
فَجَعَلَ يَفْخَرُ بِهَا عِنْدَ جُلَسَائِهِ . فَقَالَ لَهُ مَعْبِدٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ صُغِفَتْ بِعَدِكَ خَمْسَةُ أَصْوَاتٍ

(١) فِي الدِّيْوَانِ : « فَانْقَعَ » .

إنها لأكثر من خمس المدائن التي فتحت . والأصوات هي :

الأول :

وَدَّعْ هُرَيْرَةْ إِنْ الرِّكْبُ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ^(١)

والثاني :

هُرَيْرَةْ وَدَّعْهَا وَإِنْ لَامٌ لَأْتُمْ غَدَاةً غَدِ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمٌ

والثالث :

وَدَّعْ لُبَانَةً قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْجِلْ فَإِنَّ سَبِيلَهُ أَنْ يُسْبَلَا

والرابع :

لَعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بَعْشَمَةٌ^(٢) دَارُهَا لَقَدْ كَذَبْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أَيْبَحُ

والخامس^(٣) :

تَغْدِي^(٤) الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا^(٥)

(١) البيت للأعشى .

(٢) عشة : امرأة . وألج : أشفق وأجزع . والبيت لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه .

(٣) ويقال إن مدائن معبد سبعا لا خسا ، وأنها تسمى أيضا حصون معبد . وعدها أبو الفرج :

* لَعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بَعْشَمَةٌ دَارُهَا *
* وَهُرَيْرَةْ وَدَّعْهَا وَإِنْ لَامٌ لَأْتُمْ *
* وَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَسْمُو *
* وَكَمْ بِذَاكَ الْحُجُونَ مِنْ حَىْ صَدَقْ *
* وَكَمْ لَوْ تَعْلَمِينَ الْغَيْبَ أَيْقَنْتُ أَنَّنِي *
* وَكَمْ يَادَارُ عِبْلَةً بِالْجَوَاءِ تَكْلُمِي *
* وَوَدَّعْ هُرَيْرَةْ إِنْ الرِّكْبُ مُرْتَحِلٌ *

(انظر الأغاني ٨ : ٩١) .

(٤) في بعض الأصول : « تقد بي » ولا وجه له . وروى : « تقدت بي » . تقدى به بغيره : أسرع .

(٥) في ن : بعدهذا : « تم الجزء التاسع والثلاثون . وهو الأول من كتاب الياقوتة الثانية في الغناء واختلاف الناس فيه ، يتلوه الموفى أربعين وهو الثاني من كتاب الياقوتة في باقي الغناء إن شاء الله عز وجل والحمد لله رب العالمين وصلى الله

على محمد خاتم النبيين وعلى آله وسلم تسليما » .

أصل الغناء ومعدنه

قال أبو النذر هشام بن الكلبي : الغناء على ثلاثة أوجه : النصب والسناد والمزج . فأما النصب فغناء الرثكبان والقيينات . وأما السناد فالثقل الترجيع الكثير النغمات . وأما المزج فالخفيف كله ، وهو الذي يُثير القلوب ويهيج الحليم . وإنما كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً ، وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة ، وهذه القرى مجامع أسواق العرب .

وقيل إن أول من صنع العود لامك بن قابيل بن آدم ، وبكى به على ولده . ويقال : إن صانعه بطليموس صاحب كتاب الموسيقى ، وهو كتاب اللحن الثمانية .

وكان أول من غنى في العرب قينتان لعاد ، يقال لهما الجرادتان ، ومن غنائهما :

ألا يا قِيلَ ويحك قم فها نيم لعل الله يُصبحنا غماماً
وإنما غننا بهذا حين حُبسَ عنهما المطر . وكانت العرب تُسمى القينة الكريفة ، والعود الكيران . والمزهر أيضاً هو العود ، وهو البربط ، وكان أول من غنى في الإسلام الغناء الرقيق طويس ، وهو علم ابن سريج ، والدلال ، ونومة الضحى ، وكان يكنى أبا عبد النعيم ، ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الإسلام :

قد براني الشوق حتى كدت من شوقي أذوبُ

أخبار المغنين

أولهم : طويس ، وكان في أيام عثمان رضي الله عنه . حدثنا جعفر بن محمد قال : لما ولي أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية بن

طويس
هو وأبان حين
ول المدينة

أبى سُفْيَان قَعَدَ فِي بَهْوٍ لَهُ عَظِيمٍ ، وَأَصْطَفَى لَهُ النَّاسَ ، فَجَاءَهُ طُوَيْسُ الْمَغْنَى ، وَقَدْ خَضَبَ يَدَيْهِ غَمَسًا وَاشْتَمَلَ عَلَى دُفٍ لَهُ ، وَعَلَيْهِ مَلَاءَةٌ مَصْقُولَةٌ ، نَسَلَمَ ، ثُمَّ قَالَ :
 بِأَبِي وَأُمِّي يَا أَبَانُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَانِيكَ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ ، إِنِّي نَذَرْتُ لِلَّهِ فَيْكَ
 نَذْرًا إِنْ رَأَيْتُكَ أَنْ أَخْضِبَ يَدَيَّ غَمَسًا وَاشْتَمَلَ عَلَى دُفٍ وَآتَى مَجْلَسَ إِمَارَتِكَ
 وَأَغْنِيكَ صَوْتًا . قَالَ : فَقَالَ : يَا طُوَيْسُ ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذَلِكَ . قَالَ :
 بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا بَنَ الطَّيِّبِ ، أَبِخْنِي . قَالَ : هَاتِ يَا طُوَيْسُ . فَخَسِرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ
 وَأَلْقَى رِدَاءَهُ وَمَشَى بَيْنَ السَّمَاطِينَ وَغَنَى :

مَا بَالُ أَهْلِكَ يَا رَبَّابَ خُزْرًا كَانَهُمْ غِيضَابُ

قَالَ : فَصَفَّقَ أَبَانُ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَامَ عَنْ مَجْلَسِهِ ، فَاحْتَضَنَهُ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ،
 وَقَالَ : يَلُومُونَنِي عَلَى طُوَيْسٍ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ : مِنْ أَسَنِّ ، أَنَا أَوْ أَنْتَ ؟ قَالَ :
 وَعَيْشِيكَ لَقَدْ شَهِدْتُ زَفَافَ أُمِّكَ الْمُبَارَكَةِ إِلَى أَبِيكَ الطَّيِّبِ . انْظُرْ إِلَى حَذَقِهِ
 وَرَقَّةِ أَدَبِهِ ، كَيْفَ لَمْ يَقُلْ : أُمُّكَ الطَّيِّبَةُ إِلَى أَبِيكَ الْمُبَارَكِ .

وَعَنْ ابْنِ السَّكَبِيِّ قَالَ : خَرَجَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْحَجِّ ، وَهُوَ وَالِي
 الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ ، وَكَانَ فَيَمُنْ خَرَجَ بَكْرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيَّ
 وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، فَلَمَّا انْصَرَفَا رَاجِعِينَ مَرَّ بِطُوَيْسٍ
 الْمَغْنَى ، فَدَعَا هَا إِلَى النَّزُولِ عِنْدَهُ . فَقَالَ بَكْرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ : قَدْ الْبَعِيرُ إِلَى مَنْزِلِكَ .
 فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : أَنْتَ نَزَلَ عَلَى هَذَا الْمُخَنَّثِ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ مَنْزِلُ
 سَاعَةِ ثُمَّ نَذَهَبَ . فَاحْتَمَلَ طُوَيْسُ السَّكَلَامَ عَلَى سَعِيدٍ . فَأَتَيَا مَنْزِلَهُ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ
 نَظَفَهُ وَنَجَّدَهُ ، فَأَتَاهُمَا بِفَاكِهِةِ الشَّامِ ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، فَقَالَ لَهُ بَكْرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ :
 مَا بَقِيَ مِنْكَ يَا طُوَيْسُ ؟ قَالَ : بَقِيَ كُتْلَى يَا أَبَا عَمْرٍو . قَالَ : أَفَلَا تَسْمَعُنَا مِنْ
 بَقَايَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . ثُمَّ دَخَلَ خِيَمَتَهُ فَأَخْرَجَ خَرِيطَةً ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا دُفًّا ، ثُمَّ
 نَقَرَ وَغَنَى :

هو وبكر بن
 إسماعيل وسعيد
 ابن عبد الرحمن

يا خليلي نابي سهدى لم تنم عيني ولم تكدي
كيف تلحوني على رجل مؤنس تلتذه كبدي
مثل ضوء البدر صورته ليس بالزئيلة التكد
من بني آل الغيرة لا حامل نكس ولا جحد
نظرت عيني فلا نظرت بعده عيني إلى أحد^(١)

ثم ضرب بالدف الأرض والتفت إلى سعيد بن عبد الرحمن ، فقال :
يا أبا عثمان ، أتدري من قاتل هذا الشعر ؟ قال : لا . قال : قالت خوله بنت
ثابت عمتك في عمارة بن الوليد بن الغيرة ، ونهض . فقال له بكر : لو لم تقل
ما قلته لم أسمعتك ما أسمعتك . وبلغت القصة عمر بن عبد العزيز فأرسل إليهما
فسألهما فأخبراه ، فقال : واحدة بأخرى والبادي أظلم . ١٠

الأصمعي قال : حدثني رجل من أهل المدينة قال : كان طويس يتغنى في
عُرس رجل من الأنصار ، فدخل الثُمان بن بشير العُرس وطويس يتغنى :
أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شاننا شانها^(٢)
وعمرة من سروات النسا . تنفج بالمسك أردانها

ف قيل له : اسكت اسكت — لأن عمرة أم الثُمان بن بشير — فقال الثُمان :
إنه لم يقل بأسا ، إنما قال :

وعمرة من سروات النسا . تنفج بالمسك أردانها
وكان مع طويس بالمدينة ابن سريج والدلال ونومة الضحى ، ومنه تعلموا .
ثم نجم بعد هؤلاء سلم الخاسر ، وكان في صحبة عبد الله بن جعفر . وعنه أخذ
معيد الغناء . ٢٠

ثم كان ابن أبي السمع الطائي ، وكان يتيا في حجر عبد الله بن جعفر ،
ابن أبي السمع

(١) الرواية في الأغاني :

نظرت يوما فلا نظرت بعده عيني إلى أحد

(٢) الشعر لفيس بن الخطيم ، والبيت مطلع القصيدة .

وأخذ الغناء عن معبد ، وكان لا يضرب بعود ، إنما يغنى مرتجلاً . فإذا غنى لمعبد
صوتاً حقيقه ، ويقول : قال الشاعر فلان ، ومطّطه معبد وخففتها أنا . ومن غنائه :

نام صحبي ولم أنم ليخيل بنا ألم
إن في القصر عادة كحلت مقتلتي بدم

سكينة ومعبد
والغريض

هـ وكان معبد والغريض بمكة . ولمعبد أكثر الصناعة الثقيلة . ولما قدمت
سكينة بنت الحسين عليهما السلام مكة أتاهما الغريض ومعبد فغنياها (١) :

٢٤٣
٣

عوجي علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلني تخرجي (٢)

قالت : والله ما لك ما مثل إلا الجدي (٣) الحار والبارد ، لا يدري أيهما أطيب .

قال إسحاق بن إبراهيم : شهد الغريض ختنا لبعض أهله ، فقال له بعض

غناء الغريض في
ختان بعض أهله

القوم : غن . فقال : هو ابن الزانية إن غنى . قال له مولا : فأنت والله ابن الزانية ،

فغن . قال : أ كذلك أبا عبدل ؟ قال : نعم . قال : أنت أعلم . فغنى :

وما أنس م الأشياء لا أنس شادناً بمكة مكحولاً أسيلاً مداً

تشرّب لون الرّازقي بياضه وبالزعفران خالط المسك رادعه

فلوت الجنّ عنقه فمات . وقال غير إسحاق : بل غنى :

١٥ أمن مكتومة الطلل يلوح كأنه خلال

لقد نزلوا قريبا منك لو نفعوك إذ نزلوا

تحاولني لتقتلني وليس بعينها حوال

ثم نجم ابن طنبورة ، وأصله من اليمن ، وكان أهرج الناس وأخفهم غناء ،

ابن طنبورة

ومن غنائه :

٢٠ وفتيان على شرف جميعاً دلفت لهم بياطية تدور

كأنني لم أصد (٤) فيهم بياز ولم أطمع بعرضتهم صقوري

(١) ساق أبو الفرج هذا الخبر (٢ : ١٣١) وذكر فيه ابن سريج مكان معبد .

(٢) البيت للعرجي . (انظر الأغاني ١ : ١٠٦ بلاق) .

(٣) في الأغاني : « ما أشبهكما إلا بالجديين » .

(٤) في بعض الأصول : « لم أنم » .

فلا تشرب بلا هو فاني رأيت الخيل تشرب بالصغير
ويقال إنه حضر مجلساً لرجل من الأشراف إلى أن دخل عليهم صاحب
المدينة . فقيل له : غنّ ، فغنّى :

ويلي من الحية ويلّ إليه قد عَشَّس الحية في بيتيه
فضحك صاحب المدينة ووصله .

ومنهم : حكم الوادي ، وكان في صحبة الوليد بن يزيد ويُغنى بشعره ، حكم الوادي
ومن غنائه^(١) :

خَفَّ من دار جبرتي يا بن داود أنمها
قد دنا الصبحُ أو بدا وهي لم يُقَضْ لُبسها
فمَتى تَخْرُج العرو س لقد طال حَبْسها
خرجت بين نسوة أكرمُ الجنسِ جنسها^(٢)

وكان بالشام أيام الوليد بن يزيد مُغَنٍّ ، يقال له الغَزِيل ، ويكنى أبا كامل ، أبو كامل الغزِيل
وفيه يقول الوليد بن يزيد :

مَنْ مُبْلَغ عَنِّي أبا كامل أنى إذا ما غاب كلها مل
ومن غنائه :

أمدح الكأس ومن أعملها وأهجُ قوماً قتلونا بالمعش^(٣)
إنما الكأس ربيعٌ باكر فإذا ما لم نذُتْها لم نعيش

مغنوا الرشيد
وزامره

وكان لهارون الرشيد جماعة من المغنين ، منهم إبراهيم الموصلي ، وابن جامع
السهمي ، ومخارق ، وطبقة أخرى دونهم ؛ منهم . زلز ، وعمرو الغزّال ، وعلويه .
٢٠ . وكان له زامر يقال له برصوما . وكان إبراهيم أشدهم تصرفاً في الفناء ، وابن جامع

(١) الشعر للوليد بن يزيد . (انظر الأغاني ٦ : ١١٥) .

(٢) في الأغاني :

بين خمس كواعب أكرم الخمس جنسها

(٣) الشعر لنايفة بن شيان . (انظر الأغاني ٦ : ١٥٣) .

أحلام نعمة . فقال الرشيد يوماً لبرصوما : ما تقول في ابن جامع ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، وما أقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب ؟ قال : فإبراهيم الموصلي ؟ قال : هو بستان فيه جميع الثمار والرياحين . قال : فعمرو الغزال ؟ قال : هو حسن الوجه يا أمير المؤمنين .

قال إسحاق : قلت ليوسف : من أحسن الناس غناء ؟ قال : ابن محرز . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن شئت أجلت وإن شئت فصلت . قلت : أجل . قال : كان يغني كل إنسان بما يشتهي ، كأنه خلق من قلب كل إنسان .

بين إسحاق
ويوسف في
أحسن الناس
غناء

وكان إبراهيم أول من وقع الإيقاع بالقضيب .

إبراهيم الموصلي

وحدث يحيى بن محمد قال : بينما نحن على باب الرشيد تنتظر الإذن إذ خرج الآذن ، فقال لنا : أمير المؤمنين يقرئكم السلام . قال : فانصرفنا . فقال لنا إبراهيم : تصيرون إلى منزلي ؟ قال : فأنصرفنا معه . قال : فدخلت داراً لم أر أشرف منها ولا أوسع ، وإذا أنا بأرشة خز مظهرة بالسنباب . قال : فقمعدنا ، ثم دعا بقدر كبير فيه نبيذ ، وقال :

في بيت إبراهيم
الموصلي

اسقني بالكبير إني كبير إنما يشرب الصغير صغير

ثم قال :

اسقني قهوة بكوب كبير ودع الماء كله للصغير

ثم شرب به ، وأمر به فملئ ، وقال لنا : إن الخليل لا تشرب إلا بالصغير . ثم أمر بجوار ، فأحطن بالدار . فما شبت أصواتهن إلا بأصوات طير في أجمة يتجاوئن .

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : لما أفضت الخلافة إلى المأمون أقام

إسحاق الموصلي
والمأمون

عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الغناء ، ثم كان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى . ثم واطب على السماع وسأل عني ، فخرجني عندهم بعض من حسدني ، فقال : ذلك رجل يتيه على الخلافة . فقال المأمون : ما أبقى هذا من التيه شيئاً ، وأمسك عن ذكرى . وجفاني كل من كان يصلي ، لما ظهر من سوء رأيه . فأضرب ذلك بي ، حتى

جاءني يوماً علويه فقال لي : أتأذن لي اليوم في ذكرك ؟ فإني اليوم عنده . فقلت : لا ، ولكن غنّه بهذا الشعر ، فإنه سيبعثه على أن يسألك : من أين هذا ؟ فينفتح لك ما تريد ، ويكون الجواب أمهال عليك من الأبتداء . فمضى علويه . فلما استقرّ به المجلس غناه الشعر الذي أمرته به ، وهو :

يا مَشرع الماء قد سُدَّتْ مَسالكُهُ أما إليك سبيلٌ غيرُ مَسدودٍ
الحائِمِ^(١) حارٍ حتى لا حياة به مُشرِّدٍ عن طريق الماء مَطرودٍ

فلما سمعه المؤمنون قال : ويلك ! لمن هذا ؟ قل : يا سيدي ، لعبد من عبيدك جفوتّه وأطرحتّه ؟ قال : إسحاق ؟ قلت : نعم . قال : ليحضر الساعة . قال إسحاق : فجاءني الرسول ، فصرّتُ إليه . فلما دخلت ، قال : ادنُ ، فدنوت . فرفع يديه ماذها ، فانسكأتُ عليه ، فاحتضنني بيديه ، وأظهر من إكرامي وبرّي ما لو أظهره صديقٌ لي مواسٍ لسرّني .

الرشيد وعبد
الغنى

قال : وحدثني يوسف بن عمر المدني قال : حدثني الحارث بن عبيد الله قال : سمعت إسحاق الموصلي يقول : حضرت مسامرة الرشيد ليلة عبث الغنى ، وكان فصيحاً متأدياً ، وكان مع ذلك يُغني^(٢) الشعر بصوت حسن . فتذاكروا رقة شعر المدنيين ، فأنشد بعض جلسائه أبياتا لابن الدمينه حيث يقول :

وأذكر أيام الحمى ثم أنتنى على كبدي من خشية أن تصدّعا
وليس عشيّات الحمى براجع عليك ولكن خلّ عيذك تدمعا
بكّت غيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

فأعجب الرشيد برقة الأبيات . فقال له عبث : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الشعر مدني رقيق ، قد غذى بماء العقيق ؛ حتى رقّ وصفا ، فصار أصفى من الهواء ؛ ولكن إن شاء أمير المؤمنين أنشدته ما هو أرقّ من هذا وأجلى ، وأصلب وأقوى ، لرجل من أهل البادية . قال : فإني أشاء . قال : وأترجم به يا أمير المؤمنين ؟ قال : وذلك لك . فغنيّ لجرير :

(١) في بعض الأصول : « الحائر » . (٢) في بعض الأصول : « يكبد على » .

إن الذين غَدَوْا بَلْبَكَ غَادَرُوا وَشَلَا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيْضُ مَنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
رُوحُوا الْعَشِيَّةَ رُوحَةً مَذْكُورَةً^(١) إِنْ حِرْنُ حِرْنًا أَوْ هُدَيْنَ هُدَيْنَا
فَرَمَوْا بِهِنَ مَسَوَاهِمًا عَرَضَ الْفَلَا إِنْ مِتْنِ مِيتًا أَوْ حَيَّيْنِ حَيِّينَا
قال : صدقت يا عبثر ، وخلع عليه وأجازه .

زرياب وابن
الأغلب

وكان لإبراهيم اللوصلي عبدٌ أسود يقال له زرياب ، وكان مطبوعاً على الغناء ،
عده إبراهيم ، وكان ربما حضر به مجلس الرشيد يُغنى فيه . ثم إنه أنتقل إلى
القيروان إلى بني الأغلب ، فدخل على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، فغناه
بأبيات عنبرة الفوارس ، حيث يقول :

فَإِنْ تَكُ أُمِّي غُرَابِيَّةً مِنْ أَبْنَاءِ حَامٍ بِهَا عِبْتَنِي
فَأَنْتَ لَطِيفٌ بِيَبِيضِ الظُّبَا وَتُسْمِرُ الْعَوَالِي إِذَا جِئْتَنِي
وَلَوْ لَا فِرَارُكَ يَوْمَ الْوَعَى لَقَدْتُكَ فِي الْحَرْبِ أَوْ قُدْتُنِي

فغضب زيادة الله ، فأمر بصقع قفاه وإخراجه ، وقال له : إن وجدتكَ في
شيء من بلدى بعد ثلاثة أيام ضربت عنقك . فجاز البحر إلى الأندلس ، فكان
عند الأمير عبد الرحمن بن الحكم .

١٥

وكان في المدينة في الصدر الأول مُغْنٍ يُقال له : قَنَدٌ ، وهو مولى سعد بن
أبي وقاص . وكانت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تستظرفه ، فضر به سعد ،
فخلفت عائشة لا تكلمه حتى يرضى عنه قَنَدٌ . فدخل عليه سعد وهو وجيع من
ضربه ، فاسترضاه ، فرضى عنه ، وكلته عائشة .

قند الملقى وقى
من أخباره

وكان معاوية يُعَقِّبُ بَيْنَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَلَى الْمَدِينَةِ .
يستعمل هذا سنة وهذا سنة ، وكانت في مروان شدة وغلظة ، وفي سعد لين

(١) في بعض الأصول : « راحوا العشيّة راحة مذكورة » . وما أثبتنا من سائر
الأصول والديوان .

عريكة وحلم وصَفَح . فلقى مروان بن الحكم قنْداً المغنى ، وهو معزول عن المدينة وبيده عكازة ، فلما رآه قال :

قُلْ لَقَدْ يُشِيعُ الْأَظْمَانَا رَبِّمَا سَرَّ عَيْنَنَا وَكَفَانَا

قال له قند : لا إله إلا الله ، ما أسمعك والياً ومعزولاً .

- ٥ وروى ابن الكلبي عن أبيه قال : كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنهم فيه وأضيقهم خلقاً ، إذا قيل له غنَّ يقول : أو لمثلي يُقال هذا ؟ على عتق رقة إن غنيتُ يومى هذا . فإن غنَّى وقيل له : أحسنت . قال : لمثلي يُقال أحسنت ؟ على عتق رقة إن غنيتُ سائر يومى هذا . فلما كان في بعض الأيام سال وادى العقيق ، فجاء بالعجب ، فلم يبق بالمدينة مُحْتَبَاة ولا شابة ولا شاب ولا كهل إلا خرج يُبصره ، وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى ، وهو مُعْتَجِر بفضل ردائه ، فنظر إليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام ، وكان فيمن خرج إلى العقيق ، وبين يديه أسودان كأههما ساريتان ، يمشيان بين يديه أمام دابته ، فقال لهما : أنتما حُرَّان لوجه الله . إن تفعلما ما آسركما به ، وإلا أقطعكما إزبا إزبا ، أذهبا إلى ذلك الرجل المُعْتَجِر بفضل ردائه ، فخذنا بضبعيه ، فإن فعل ما آسره به ، وإلا فاقذفا به في العقيق . قال : فضيا والحسن يتفوهما . فلم يشعر ابن عائشة إلا وهما آخذان بضبعيه . فقال : مَنْ هذا ؟ فقال له الحسن : أنا هذا يا ابن عائشة . قال : كَبَيْك وسَعْدِيك ، وبأبى أنت وأمى . قال : أسمع منى ما أقول ، وأعلم أنك مأسور في أيديهما ، هما حُرَّان إن لم تُغن مائة صوت إن لم يطرحاك في العقيق ، ولئن لم يفعلا ذلك لأقطعن أيديهما . فصاح ابن عائشة : يا ويلاه ! واعظيم مُصِيبَتاه ! قال : دَع من صِيَاحك وخُذ فيما يَنْفَعنا . قال : اقترح وأقم مَنْ يُحصى ، وأقبل يغنى . فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه . فلما تمت أصواته مائة كبر الناسُ بلسان واحد تكبيرة واحدة ارتجت لها أقطار المدينة ، وقالوا للحسن : صلى الله على روحك حَيًّا وميتاً ، فما أَجْتَمَعَ لأهل المدينة

من أخبار ابن عائشة

سُرور قطّ إلا بكم أهل البيت . فقال له الحسن : إنما فعلت هذا بك يا ابن عائشة لأخلاقك الشكسة . قال له ابن عائشة : والله ما صرّت عليّ مصيبة أعظم منها . لقد بلغت أطراف أعضائي . فكان بعد ذلك إذا قيل له : ما أشد ما صرّ عليك ؟ قال : يوم العقيق .

وكان إبراهيم بن المهدي : وهو الذي يقال له ابن شكلة ، داهياً عاقلاً عالماً ٥
بأيام الناس ، شاعراً مُلقاً ، وكان يصوغ مُجيداً .

شيء عن إبراهيم
ابن المهدي

ويروى عن إبراهيم أنه قد كان خالف على المأمون ودعا إلى نفسه ، نظفر به المأمون فعفا عنه ، وقال لما ظفر به المأمون :

هو والمأمون

ذهبت من الدنيا كما ذهبت مني هوى الدهر بي عنها وأهوى بها عني
فإن أبك نفسي أبك نفساً عزيزة وإن أحسبها أحسبها على ضنّ ١٠

فلما فتحت له أبواب الرضا من المأمون غنى سهما بين يديه . فقال له المأمون : أحسنت والله يا أمير المؤمنين . فقام إبراهيم رهبةً من ذلك ، وقال : قتلتني والله يا أمير المؤمنين ، لا والله لا أجلس حتى تُسميني بأسمى . قال : أجلس يا إبراهيم . فكان بعد ذلك آثر الناس عند المأمون ، ينادمه ويسامره ويُغنيه . فحدثه يوماً فقال : بينا أجمع أهلك يوماً يا أمير المؤمنين بطريق مكة إذ تخلّفت عن الرفقة ١٥ وأنفردت وحدي وعطشت ، وجعلت أطلب الرفقة ، فأتيت إلى بئر فإذا حبشي نائم عندها ، نقلت له : يا مأثم ، قم فاسقني . فقال : إن كنت عطشان فانزل واستق لنفسك . فخطر صوت ببالي ، فترنمت به وهو :

كفّنتني إن ميت في دِرْع أروى وأسقياني^(١) من بئر عروة مائي

فلما سمعني قام شيطاً مسروراً وقال : والله هذه بئر عروة ، وهذا قبره . ٢٠
فمعبت يا أمير المؤمنين إنما خطر ببالي في ذلك الموضع . ثم قال : أسقيك على أن تُغنيني ؟ قلت : نعم . فلم أرل أغنيه وهو يجمذ الجبل ، حتى سقاني وأروى دابتي ،

(١) في الأغاني (٩ : ٦٣) : « وامتطى » .

ثم قال : أدلك على موضع العسكر على أن تُغنييني ؟ قلت : نعم . فلم يزل يعدو بين يدي وأنا أغنييه حتى أشرفنا على العسكر فأنصرف . وأتيت الرشيد فحدثته بذلك فضحك . ثم رجعنا من حجتنا ، فإذا هو قد تلقاني وأما عديل الرشيد ، فلما رأيته قال : مَن والله أقيل له : أتقول هذا لأخي أمير المؤمنين ؟ قال : إني لعمر الله ، لقد غناني ، وأهدى إلي أقطا وتمرا . فأمرت له بصلة وكسوة ، وأمر له الرشيد بكسوة أيضا . فضحك المأمون ، وقال : غنني الصوت . فغنيتُه ، فافتن به . فكان لا يقترح علي غيره .

وكان مخارق وعلويه قد حرقا القديم كله ، وصيرا فيه نغما فارسية ، فإذا أتاهما الحجازي بالغناء الأول الثقيل قالا : يحتاج غناؤك إلى قصار . وأسم علويه على بن عبد الله بن سيف ^(١) بن يوسف ، مولى لبني أمية .

وكان زلزل أضرب الناس بوتر ، لم يكن قبله ولا بعده مثله . ولم يكن يُغني ، وإنما كان يضرب على إبراهيم وابن جامع وبرصوما . ومن غنائه في المأمون :

ألا إنما المأمون للناس عِصمة مُمَيَّزة بين الضلالة والرُّشد
رأى الله عبد الله خير عباده فذلكه والله أعلم بالعباد

حدث سعيد بن محمد العجلي عن الأصمعي قال : كان أبو الطمحان القيني ، حنظلة بن الشَّرْق شاعرا مجيدا ، وكان مع ذلك فاسقا ، وكان قد أنتجع يزيد ابن عبد الملك ، فطلب الإذن عليه أياما ، فلم يصل ، فقال لبعض المغنين : ألا أعطيك بيتين من شعري تُغني بهما أمير المؤمنين ؟ فإن سألك من قائلهما فأخبره أنني بالباب ، وما رزقني الله منه فهو بيني وبينك . قال : هات . فأعطاه هذين البيتين :

يكاد النِّمام الغُريرُ عد إن رأى مُحَيَّا ابن مروان وَيَنْهَلُ بَارِقُهُ

(١) في بعض الأصول : « علي بن يوسف » . وما أثبتنا من الأغاني وسائر الأصول .

يزيد بن عبد
الملك وحنظلة
الشرقي

يَظَلُّ نَتَيْتُ الْمِسْكَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى تَسِيلُ بِهِ أَصْدَاغُهُ وَمَتَارِقُهُ
 قال : فَغَنَى بِهِمَا فِي وَقْتِ أَرْيَحِيَّةٍ ، فَطَرَبَ لَهَا طَرَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : اللَّهُ دَرَّ
 نَائِلُهُمَا ، مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَبُو الطَّيْحَانِ الْقَيْنِي ، وَهُوَ بِالْبَابِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
 مَا أَعْرِفُهُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جَلَسَائِهِ : هُوَ صَاحِبُ الدَّيْرِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
 وَمَا قِصَّةُ الدَّيْرِ ؟ قَالَ : قِيلَ لِأَبِي الطَّيْحَانِ : مَا أَيْسَرُ ذُنُوبِكَ ؟ قَالَ : لَيْلَةُ الدَّيْرِ .
 قِيلَ لَهُ : وَمَا لَيْلَةُ الدَّيْرِ ؟ قَالَ : نَزَلَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِدَيْرٍ نَصْرَانِيَّةٍ فَأَكَلْتُ عَنْدهَا
 طَفَيْشَلًا^(١) بِلَحْمِ خِنْزِيرٍ . وَشَرَبْتُ مِنْ خَمْرِهَا ، وَزَنَيْتُ بِهَا ، وَسَرَقْتُ كِسَاءَهَا
 وَمَضَيْتُ . فَضَحِكَ يَزِيدُ وَأَمَرَ لَهُ بِالْفَنَى دَرَاهِمَ ، وَقَالَ : لَا يَدْخُلُ عَلَيْنَا . فَأَخَذَهَا
 أَبُو الطَّيْحَانِ وَانْسَلَّ بِهَا وَخَيَّبَ الْمُغْنَى .

- ١٠ أبو جعفر البغدادي قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ كَاتِبُ بُغَا عَنْ أَبِي عِكْرَمَةَ
 قَالَ : خَرَجْتُ يَوْمًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَمَعِيَ قُرْطَاسٌ لَا كُتُبَ فِيهِ بَعْضُ مَا اسْتَفِيدُهُ
 مِنَ الْعُلَمَاءِ . فَفَرَرْتُ بِبَابِ أَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، فَإِذَا بِيَابُهُ الْمَسْدُودُ ، وَكَانَ مِنْ
 أَحَذِقِ النَّاسِ بِالْغِنَاءِ ، فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا عِكْرَمَةَ ؟ قُلْتُ : إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ لَعَلِّي
 اسْتَفِيدُ فِيهِ حِكْمَةً أَكْتُبُهَا . فَقَالَ : أَدْخُلْ بِنَا عَلَى أَبِي عَيْسَى . قَالَ : فَقُلْتُ :
 ١٥ مِثْلُ أَبِي عَيْسَى فِي قَدْرِهِ وَجَلَالَتِهِ يُدْخِلُ عَلَيْهِ بَغِيرَ إِذْنٍ ! قَالَ : فَقَالَ لِلْحَاجِبِ :
 أَعْلِمِ الْأَمِيرَ بِمَكَانِ أَبِي عِكْرَمَةَ . قَالَ : فَهَالِكُ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى خَرَجَ الْعُلَمَاءُ فَخَلَعُوا
 ثِيَابَهُمْ . فَدَخَلْتُ إِلَى دَارِ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا بِنَاءً ، وَلَا أَطْرَفَ فَرَشًا ،
 وَلَا صِبَاخَةَ وَجُوهٍ . فَخِينُ دَخَلْنَا نَظَرْتُ إِلَى أَبِي عَيْسَى . فَلَمَّا أَبْصَرَنِي قَالَ لِي :
 يَا بَغِيضُ ، مَتَى تَحْتَشِمُ ؟ أَجْلَسُ ، فَجَلَسْتُ . فَقَالَ : مَا هَذَا الْقُرْطَاسُ بِيَدِكَ ؟ قُلْتُ :
 ٢٠ يَأْسِيْدِي حِمْلَتُهُ لِاسْتَفِيدَ فِيهِ شَيْئًا ، وَأَرْجُو أَنْ أَدْرِكَ حَاجَتِي فِي هَذَا الْمَجْلَسِ .
 فَكَشَنَّا حِمْلَتَنَا ، ثُمَّ أَتَيْنَا بِطَعَامٍ مَا رَأَيْتُ أَكْثَرَمَنَّهُ وَلَا أَحْسَنَ ، فَأَكَلْنَا . وَحَانَتْ
 مِنِّي التَّفَاتَةُ ، فَإِذَا أَنَا بِزَيْنٍ^(٢) وَدَيْسٍ ، وَهُمَا مِنْ أَحَذِقِ النَّاسِ بِالْغِنَاءِ ، قَالَ : فَقُلْتُ :

المسدود وزين
وديس

(٢) الطفيشل ، كسميدع : نوع من الرق .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بَدْنِينَ » .

هذا مجلس قد جمع الله فيه كل شيء مَلِيح . قال : ورُفِعَ الطعام وحجى بالشراب ،
وقامت جارية تَسْقِينَا شراباً ما رأيتُ أحسن منه ، في كأس لا أقدر على وصفها .
فقلت : أعزك الله . ما أشبه هذا بقول إبراهيم بن المهدي يصف جارية بيدها خر :

خمرَاء صافية في جَوْف صافية يَسْمَى بها نَحْوَنَا خُود من الخُورِ
حَسَنَاء تَحْمِل حَسَنًاوِينَ في يدها صَافٍ من الرَاح في صَافِي القَوَارِيرِ

٥

وقد جلس المسدود وزين وديس . ولم يكن في ذلك الزمان أحدٌ من
هؤلاء الثلاثة بالغناء ، فابتدأ المسدود فغنى :

٢٤٨
٣

لَمَّا أَسْتَقَلَّ بِأَرْدَافٍ تُجَاذِبُهُ وَأَخْضَرَ فوق نِظَامٍ ^(١) الدُّرَّ شَارِبُهُ
وَتَمَّ في الحِسن والتَّامَّتْ محاسنُهُ وَمَازَجَتْ بِدَعَا فيها غَرَائِبُهُ
وَأَشْرَقَ الْوَرْدُ في نَسْرِينَ وَجَنَّتُهُ وَاهْتَزَّ أَعْلَاهُ وَارْتَجَّتْ حَقَائِبُهُ
كَلِمَتُهُ بِجُفُوفٍ غَيْرِ نَاطِقَةٍ فَكَانَ من رَدِّهِ مَا قَال حَاجِبُهُ
ثُمَّ سَكَتَ فَغَنَى زَيْن :

١٠

الْحُبُّ حُلُو أَمْرَتِهِ عَوَاقِبُهُ وَصَاحِبُ الْحُبِّ صَبُّ الْقَلْبِ ذَائِبُهُ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ بِالطَّرْفِ وَدَعْنِي يَوْمَ الْفِرَاقِ وَدَمْعُ الْعَيْنِ سَاكِبُهُ
ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ وَدَاعَى الشَّوْقُ يَهْتِفُ بِي أَرْفُقُ بِقَلْبِكَ قَدْ عَزَّتْ مَطَالِبُهُ
ثُمَّ سَكَتَ وَغَنَى دَيْس :

١٥

وَعَاتِبْتُهُ دَهْرًا فَلَمَّا رَأَيْتُهُ إِذَا أَزْدَادُ ذُلًّا جَانِبِي عَزَّ جَانِبُهُ
عَقَدْتُ لَهُ في الصَّدْرِ مَنَى مَوْدَةٍ وَخَلَيْتُ عَنْهُ مِنْهُمَا لَا أَعَاتِبُهُ
ثُمَّ سَكَتَ فَغَنَى زَيْن :

بَذَرُ مِنَ الْإِنْسِ حَقَّتْهُ كَوَاكِبُهُ قَدْ لَاحَ عَارِضُهُ وَأَخْضَرَ شَارِبُهُ
إِنْ يَعِدُ الْوَعْدَ يَوْمًا فَهُوَ مُخْلَفُهُ أَوْ يَنْطَاقُ الْقَوْلَ يَوْمًا فَهُوَ كَاذِبُهُ

٢٠

(١) في بعض الأصول : « حجاب » .

عاطيته كدم الأوداج^(١) صافية فقام يشدو وقد مالت جوانبه
قال أبو عكرمة : فمجبت أنهم غنّوا بلحن واحد وقافية واحدة . قال
أبو عيسى : يُعجبك من هذا شيء يا أبا عكرمة ؟ قلت : ياسيدي ، ألنني دون
هذا . ثم إن القوم غنّوا على هذا إلى أنقضاء المجلس ، إذا ابتدأ المسدود بشيء
تبعه الرجلان بمثل ما غنى . فكان مما غنى المسدود :

يدير حنة من ذات الأكيراح^(٢) من يصح عنك فإني لست بالصّاحي^(٣)
يَعْتاده كُلُّ مُحْفَوٍّ^(٤) من الدهان عليها سَحَقُ أَمْساح
ما يَدْخُلُون إلى ماء بآنيةٍ إلا أَعْتَرَفَا من الغدران بالراح
ثم سكت فغنى زنين :

دَعِ البساتين من آس وتُفاح^(٥) واعدل هُديت إلى ذات الأكيراح^(٦)
وأعدل إلى فتية ذابت لحومهم من العبيادة إلا نضو أشباح
وتخمة عُنُقَتْ في دنّها حَقَبًا كأنها دَمعة من جفن سَيّاح^(٧)
ثم سكت فغنى دبّيس :

لا تَحْفَلْنَ بِقَوْلِ اللَّائِمِ اللَّاحِي واشرب على الورد من مشمولة الراح
كأسًا إذا أنحدرت في حلق شاربها أغناك لألأوها عن كل مضباح^(٨)
ما زلت أَسْقِي نَدِيمِي ثم أَلْمَه والليل مُلْتَحِفٌ في ثوب سَيّاح^(٩)
فقام يشدو وقد مالت سواقفه يدير حنة من ذات الأكيراح
ثم ابتدأ المسدود فغنى :

بأحورار البيت والدّعج وأبيضاض الشجر والفلج^(١٠)

٢٤٩
٣

٢٠

(١) في بعض الأصول : « الأرواح » .
(٢) الشعر لأبي نواس . والأكيراح : موضع بظاهر البكوفة بالقرب منه ديران : دير
مرعبدا ودير حنة .

(٣) في بعض الأصول : « محني » .

(٤) الشعر لبكر بن خازجة (انظر معجم البلدان في رسم الأكيراح) .

٢٥

(٥) السباح : الراهب المتعبد . وفي بعض الأصول : « في جفن » .

(٦) في بعض الأصول : « أمساح » .

(٧) في بعض الأصول : « واحمرار الحد في الدرج » .

- وَبَتَفَاحِ الْخُدودِ وما
كُنْ رَقِيقَ الْقَلْبِ إِنَّكَ مِنْ
ثُمَّ سَكَتَ وَغَنَى زَيْنِ :
- كَيْتَرَوِي التَّيْهَ مُعْتَدِلْ
وَلَهُ صُدْغَانِ قَدْ عَطَفَا
وَإِذَا مَا افْتَرَّ مُبْتَسِمَا
مَا لَمَابِي مِنْكَ مِنْ فَرَجِ
ثُمَّ سَكَتَ وَغَنَى دَيْسِ :
- يُعْمَلُ الْأَجْفَانِ بِالذَّعْجِ
بِأَبِي ظَبْيٍ كَلِيفَتُهُ بِهِ
مَرَّ بِي فِي زِيٍّ ذِي خَنْثِ
قَلْتُ قَلْبِي قَدْ فَتَكَتَ بِهِ
ثُمَّ سَكَتَ وَغَنَى الْمَسْدُودِ :
- مَا يُبَالِي الْيَوْمَ مَنْ صَنَعَا
كُنْتُ ذَا نُسْكَ وَذَا وَرَعِ
كَمْ زَجَرْتُ الْقَلْبَ عَنْكَ فَلَمْ
لَا تَدْعُنِي لَاهُوى غَرَضَا
ثُمَّ سَكَتَ وَغَنَى دَيْسِ :
- أُسْقِنِي كَأْسًا مُصَرَّدةً
قَدْ شَرِبْتُ الْخُبَّ شُرْبَ فَنَى
ثُمَّ أَبْتَدَأَ أَيْضًا دَيْسِ فَنَى :
- يَقُولُونَ فِي الْبُسْتَانِ لِلَّيْلِ لَذَّةٌ
إِذَا شَدَّتْ أَنْ تَلْقَى الْحَاسِنَ كُلَّهَا
- ضَمَّ مِنْ مَسْكَ وَمِنْ أَرْجِ
قَتَلَ مَنْ يَهْوَاكَ فِي حَرْجِ
هَاشِمِي الدَّلَّ وَالْفَنَجِ
بِيضِ الْخَدِّ كَالسَّبَجِ
أَطْلَقِ الْأَسْرَى مِنَ الْأَمْجِ
لَا ابْتِلَانِي اللَّهُ بِالْفَرْجِ
عَمَلِ الصَّهْبَاءِ بِالْأَمْجِ
وَاضِحِ الْخَدَّيْنِ وَالْفَلَجِ
بَيْنَ ذَاتِ الضَّالِّ مِنَ الْأَمْجِ^(١)
قَالَ مَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجِ
- مَنْ بَقَلْبِي يُبَدِّعُ الْبِدْعَا
فَتَرَكْتُ الثُّسْكَ وَالْوَرَعَا
يُصْغِ لِي يَوْمًا وَلَا نَزْعَا
إِنْ وَزِدَ اللَّوْتَ قَدْ شَرَعَا
- إِنْ نَجَّمَ اللَّيْلُ قَدْ طَلَعَا^(٢)
لَمْ يَدَّغْ فِي كَأْسِهِ جُرَعَا
- وَفِي الْخُرِّ وَالْمَاءِ الَّذِي غَيْرَ آسِنِ
فَنِي وَبِهِ مَنْ تَهْوَى جَمِيعُ الْحَاسِنِ

(١) أَمْج : بلد من أعراض المدينة . (معجم البلدان) .

(٢) التصريد : الشرب دون الرى .

فغضب المسدود لما قطع عليه ديبس ، وقال : غنّ على غير هذه القافية والالحن ،
ثم ترجع إلى حالنا الأولى . فقال أبو عكرمة : قد أصبت .
فابتدأ المسدود يغنى :

أدعوك من قلبى إذا لم أرك يا غايَةَ الطرف إذا أبصرك
قضى لك الله فسبحان من أحلك القلب ومن قدّرك
لست بناسيك على حالة ياليت ما تذكّرني أذكرك
صبرنى الله على ما أرى منك من الهجر كما صيرك

قال : فقال زنين : وأنا فلا بد أن أسلك سبيلكما . قال أبو عكرمة : ثم
التفت إلى ، فقال : ما ترى ؟ فقلت : أحسنت والله . فابتدأ يغنى :

ياهاثم القلب عاص من عذلك ما نلت ممن هويته أملك
دعاك داعي الهوى بخدعته حتى إذا ما أجبته خذلك
فأحتل لداء الهوى وسطوته إنك إن لم تداوه قتلك

ثم أبتدأ المسدود يغنى :

شقت جيبى عليك شقا وما لجيبى أردت شقا
أردت قلبى فصادنته يدى بالجب قد توقى
مالك رقى أيت عثى لولاك ما كنت مسترقا
ثم سكت وغنى زنين :

قد ذبت شوقا وميت عشقا يازفات الحب رفقا
ثكلت نفسى وزرت رمسى إن كنت للهجر مستحقا
ثم سكت وغنى ديبس :

ظلمت شوقا وبخر عشقى يفيض عذبا ولست أسقى
أنا الذى صرت من غرامى على فراش السقام ملقى
فمن زفير ومن شهيق ومن دموع تجود سبعا

١٠
٢٥٠
٣

١٥

٢٠

ثم ابتداء المسدود فغنى :

ماذا على نُجَل العُيون لو أنهم
أَمِنُوا مُقاساةَ الهُموم وأيقنوا
أَوَمَّوْا إِلَيْكَ فَسَلُّوا أَوْ عَزَّجُوا
أَنْ الْمُحِبَّ إِلَى الْأَحِبَّةِ يَذْلِجُ

ثم سكت وغنى ديبس :

هَيَّا فَقَدْ بَدَأَ الصَّبَّاحُ الْأَبْلَجُ^(١)
بَانُوا وَلَمْ أَنْضِ الْأَبَانَةَ مِنْهُمْ
قَدْ ضَمَّ مُشَبَّهَةَ الْغَزَالِ الْهُودِجُ
وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا تَصَابَى يَلْهَجُ

ثم سكت وغنى زنين :

السُّحْرُ وَالْفُنُجُ فِي عَيْنَيْكَ وَالْدَّعِجُ
الدَّرُّ ثَفَرُكَ لَوْلَا أَنْ ذَا بَرْدُ
وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ فِي خَدَيْكَ وَالضَّرْجُ
وَالْحَبْرُ صُدْغُكَ لَوْلَا أَنْ ذَا سَبِجُ
أَنْضِجْتَ قَلْبِي وَلَوْ أَنَّ الْوَرَى لَقِيتُ
قُلُوبُهُمْ مِنْكَ مَا لَاقَيْتُ مَا لَمْ أَجِ

ثم سكت وابتداء المسدود فغنى :

يَا صَاحِبَ الْمَقَلِّ الْمِرَاضِ
إِنْ تَجَفَّنِي مُتَعَمِّدًا
انْظُرْ إِلَى بَعِينِ رَاضٍ
لِتَذِيقِي جُرْعَ الْحِيَاضِ
فَلَطَمًا أَمْكَنْتَنِي
مِنْكَ الْمَرِاشِفَ عَنْ تَرَاضِ

ثم سكت وغنى زنين :

هَاتِمٌ يُذْنِفُ مِنَ الْإِعْرَاضِ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْإِغْمَاضِ
مُؤَثَّقُ النَّوْمِ مُطْلَقُ الدَّمْعِ مَا يَفْرِفُ مَلْجَأًا مِنَ الْخَتُوفِ الْقَوَاضِ
مَا بَرَى جِسْمَهُ سِوَى لِحَظَاتٍ أَمْرَضَتْهُ مِنَ الْعُيُونِ الْمِرَاضِ

ثم سكت وغنى ديبس :

كُنْ سَاطِئًا وَأَظْهَرْ بِأَنَّكَ رَاضٍ لَا تُبْدِينْ تَكَرُّهَ الْإِعْرَاضِ
وَانْظُرْ إِلَى بِمَقْلَةٍ غَضْبَانَةٍ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَنْظُرْ بِمَقْلَةٍ رَاضٍ

(١) في ١ :

* هيا بدا وضع النهار الأبلج *

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥١
٣

وارحَمْ جُفُونًا مَا تَجِفُّ مِنَ الْبُكَاءِ
واحْكُمْ فِدَيْتُكَ بَيْنَ جِيسَمِي وَالْهَوَى
فِي لَيْلَةٍ مَسْلُوبَةٍ الْإِغْمَاضِ
فَالْحُكْمُ مِنْكَ عَلَى الْجَوَارِحِ مَا ضُ
ثُمَّ ابْتَدَأَ الْمَسْدُودُ نَفْسِي :

يَا ذَا الَّذِي حَالٌ عَنِ الْعَهْدِ
بِسُمرَةِ الْخَالِ وَمَا قَدْ حَوَى
وَمَنْ بَرَّانِي مِنْهُ بِالْصَّدِّ
مِنْ حُمْرَةٍ فِي سَالَفِ الْخُلْدِ
أَلَا تَعْطَفْتُ عَلَى عَاشِقِي
ثُمَّ سَكَتَ وَغَنَى زَيْنِي :

أُظِلَّ بِكُتْمَانِ الْهَوَى وَكَأَنَّمَا
فَلَا الدَّمْعَ أَطْفَى حُرَّةَ الْبَيْنِ وَالْبُكَاءِ
أَلَا الَّذِي لَاقَاهُ غَيْرِي مِنَ الْوَجْدِ
وَلَا أَنَا بِالشُّكْرِى أَنَفْسٍ مِنْ جَهْدِي
ثُمَّ سَكَتَ وَغَنَى دُيُوسِي :

تَهَزَّاتِ بِي لَمَّا خَلَوْتَ مِنَ الْوَجْدِ
وَعَبَّتِ عَلَى الشُّوقِ وَالْوَجْدِ وَالْبُكَاءِ
وَلَمْ تَرْتِ لِي لَا كَانَ عِنْدَكَ مَا عِنْدِي
وَأَنْتَ الَّذِي أَجْرَيْتَ دَمْعِي عَلَى خَدِّي
صَدَدْتَ بِلَا جُرْمٍ إِلَيْكَ أَتَيْتُهُ
أَلَا إِنِّي عَبْدٌ لَطَرْتُكَ خَاضِعٌ
ثُمَّ غَنَى الْمَسْدُودُ :

أَقَمْتُ بَيْنَ لَدِيٍّ وَرَحَلْتُ عَنْهَا
أَقْلُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا نَصِيْبًا
كَلَامًا عِنْدَ صَاحِبِهِ غَرِيبُ
مُحِبٌّ قَدْ نَأَى عَنْهُ الْحَبِيبُ
ثُمَّ سَكَتَ وَغَنَى زَيْنِي :

خَلِيلِي مَا لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ
فِيَا مَعْشَرَ الْعُشَّاقِ مَا أَوْجَعَ الْهَوَى
وَلَا لِلْعُيُوفِ النَّاظِرَاتِ ذُنُوبُ
إِذَا كَانَ لَا يَبْقَى الْمُحِبُّ حَبِيبُ
ثُمَّ سَكَتَ وَغَنَى دُيُوسِي :

[ذَلَّتْ لَوَجْهِكَ أَعْيُنُ وَقُلُوبُ
يَا وَاحِدَ الْحَسَنِ الَّذِي لِحَفَظَاتِهِ
بَيْنَ الْمَخَافَةِ وَالرَّجَاءِ تَذُوبُ]
تَدْعُو النُّفُوسَ إِلَى الْهَوَى فَتُجِيبُ

مَنْ وَجَّهَهُ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَقَدَّهُ (١)
الناظرينك على العيون رقيق
عُضْنُ نَضِيرٍ مُشْرِقٍ وَكُثِيبِ
أَمْ هَلْ لَطَرْتُكَ فِي الْقُلُوبِ نَصِيبِ
ثم ابتدا المسدود فغنى :

قَلَقٌ لَمْ يَزُلْ وَصَبْرٌ يَزُولُ
لَمْ تَسِيلْ دَمْعِي عَلَى مَنْ رَأَى
وَرِضَى لَمْ يَطُلْ وَسُخْطٌ يَطُولُ
لَمْ تَسِيلْ دَمْعِي عَلَى مَنْ رَأَى
جَالٌ فِي جِشْمِي السَّقَامُ لِحِشْمِي
يُنْقِضِي لِلاَقْتِيلِ حَوْلَ قِيَمِي
مُدْنَفٌ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ تَجُولُ
وَأَنَا فِيكَ كَلٌّ يَوْمَ قَتِيلِ
ثم سكت وغنى زنين :

وَيُثْنِنِي مِمَّنْ أَحَبَّ كِتَابَهُ
كُنْفَى حَزَنًا أَلَّا أُطِيقَ وَدَاعَكُمْ
وَيَمْنَعْنِيهِ إِنَّهُ لِبَخِيلِ
وَقَدْ حَانَ مِنِّي يَا ظُلُومَ رَحِيلِ
ثم سكت وغنى ديس :

لَيْسَ إِلَى تَرْكِكَ مِنْ حِيلَةٍ
فَكَيْفَ شِئْتُ فَكُنْ سَيِّدِي
وَلَا إِلَى الصَّبْرِ لِقَابِي سَبِيلِ
فَإِنْ وَجَدِي بِكَ وَجْدٌ طَوِيلِ
إِنْ كُنْتَ أَرَمْتَ عَلَى هَجْرِنَا
فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلِ
قال أبو بكرمة : فأقبل أبو عيسى على المسدود ، فقال له : غنَّ صَوْنًا ، فغنى :

مَا حِيلَنِي وَفُؤَادِي هَانُمُ أَبَدًا
لَا وَالَّذِي تَلَفَتْ نَفْسِي بَفَرْقَتِهِ
بَعْقَرِ الصَّدْعِ مِنْ مَوْلَايَ مَلْسُوعِ
فَالْقَلْبُ مِنْ حُرْقِ الْهَجْرَانِ مَصْدُوعِ
مَا أَرَّقَ الْعَيْنَ إِلَّا حُبٌّ مُبْتَدِعِ
ثُوبُ الْجَمَالِ عَلَى خَدَّيْهِ مَخْلُوعِ

قال أبو بكرمة : فوالله الذي لا إله إلا هو لقد حضرت من المجالس

٢٠ ما لأجصى ، ما رأيت مثل ذلك اليوم . ثم إن أبا عيسى أمر لكل واحد بجائزة

وأنصرفنا . ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (٢)

(١) في بعض الأصول : « وحسنه » .
(٢) في ١ بدهنا : « آخر الجزء الأول من الياقوتة الثانية في الألمان . واختلاف الناس في ذلك » .

(١) من سمع صوتاً فوافقه معناه واستخفه الطرب

ابراهيم الموصلي
والرشيد
حكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه ، قال : دخلت على هارون
الرشيد ، فلما رأيته قد أخذ في حديث الجوارى وغلبتهن على الرجال ، غنيتُه
بأبياته التي يقول فيها :

٥ ملك الثلاث الأنسات عني وحلّان من قاي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصياني
ماذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطاني
فارتاح وطرب وأسر لي بعشرة آلاف درهم .

ابراهيم الموصلي
والأمين
وغنى إبراهيم الموصلي محمد بن زبيدة الأمين بقول الحسن بن هاني فيه :

١٠ رشا لولا محاسنه (٢) خلّت الدنيا من الفتن
كل يوم يشرق له حسنه عبداً بلا ثمن
يا أمين الله عيش أبداً دم على الأيام والزمن
أنت تمقى والفناء لنا فإذا أفتيتنا فكُنْ
سنّ للناس القرى فقرّوا (٣) فكان البخل لم يكن

١٥ قال : فاستخفه الطرب حتى قام من مجلسه ، واكب على إبراهيم يُقبل
رأسه . فقام إبراهيم من مجلسه يُقبل أسفل رجله ، وما وطئنا من البساط .
فأمر له بثلاثة آلاف درهم . فقال إبراهيم : يا سيدي ، قد أجزتني إلى هذه الغاية
بعشرين ألف ألف درهم . فقال الأمين : وهل ذلك إلا خراج بعض الكور ؟

الرياشي عن الأصمعي ، قال : قدم جرير المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم ،
وأناه أشعب فيهم . فسلموا عليه وحادثوه ساعة وخرجوا ، وبقى أشعب . فقال له
٢٠

بين جرير
وأشعب

(١) قبل هذا العنوان في ١ : الجزء من الياقوتة الثانية من كتاب العقد . بسم الله

الرحمن الرحيم . ربّ يسر وأعن .

(٢) في بعض الأصول : « ملاحظته » .

(٣) في ١ : « سنّ للناس الندي فبدا » .

جرير : أراك قبيحا وأراك لثيم الحسب ، فقيم قعودك وقد خرج الناس ؟ فقال له : أصلحك الله ، إنه لم يدخل عليك اليوم أحد أنفع لك مني . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني آخذ رقيق شريك فازينته بحسن صوتي . فقل له جرير : فقل . فاندفع يغنيه :

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل لؤم العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل
قال : فاستخف جريرا الطرب لغنائه بشعره حتى زحف إليه وأعتقه .
وقبل بين عينيه ، وسأله عن حوائجه فقضاها له .

بين المسور بن
غزوة وزوجه

الزبير بن بكار قال : كان المسور بن غزوة ذا مال كثير ، فأسرع فيه على

إخوانه ، فذهب . فسأل امرأته ، وكانت موسرة ، فبعتته وبخلت عليه . فخرج

يريد بعض خلفاء بني أمية منتجعا . فلما كان ببعض الطريق نزل ماء يقال له
بَلاَ كَث . فقال له غلامه : كيف يقال لهذا الماء ؟ قال : يقال له بَلاَ كَث . فقال :

بينما نحن من بلا كَث بالقا ع سراعا والعيس تهوى هوبا
خَظرت خطرة على القلب من ذكر كَرَاك وَهنا فما أستطعت مضيا
قلتُ لبيك إذ دعاني لك الشوق وللحاديتين كُرا المَطِيَا

فقال : هن بدن إن لم تكرها رواجع . قال له : قد أشرفن على أمير

المؤمنين . قال : هن بدن إن لم تكرها رواجع . فأنصرف ودخل المصلى ليلا .

فوجد رجال قريش حلقا يتحدثون ، فقالوا له : زاد خير . فقال : زاد خير . حتى

انتهى إلى داره . فقالت له امرأته : زاد خير . فأنشدها الأبيات . قالت : كل

ما أملك في سبيل الله إن لم أشاطرك مالي . فشاطرته مالها .

همر الوادي
وعبد مغن

وروى أبو العباس قال : حدثت أن همر الوادي قال : أقبلت من مكة أريد

المدينة فجعلت أسير في صَدَد^(١) من الأرض ، فسمعت غناء من الهواء لم أسمع مثله ،

(١) الصدد : المكان المرتفع الغليظ .

فقلت : والله لا أتوصلن إليه . فإذا هو عبد أسود . فقلت له : أعد ما سمعت .
فقال : والله لو كان عندى قيرى أقرىكه ما فعلت ، ولكن أجعله قراك . فإني والله
ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيت وأنا كسلان فأنشط ،
وربما غنيت وأنا عطشان فأروى . ثم ابتدا فغنى :

وكنْتُ متى ما زُرْتُ سَعْدَى بأَرْضِها أرى الأرض تُطوى لى وِبدَنو بَعِيدُها ٥
مِنَ الخَفِيراتِ البَيضِ وَدَّ جَلِيسِها إذ ما انقَضَتْ أَحَدُونَةُ لو تُعِيدُها
قال عمر : فحفظته منه . ثم تغنيت به على الحالات التى وصف ، فإذا هو
كما ذكره .

وتحدث الزبيريون عن خالد صامة بأنه كان من أحسن الناس ضرباً بعبود ،
قال : قدمت على الوليد بن يزيد فى مجلس ناهيك به مجلساً ، فأنفيتها على سريره
وبين يديه معبد ومالك بن أبى السَّمح وابن عائشة وأبو كامل غزِيلُ الدمشقى ،
فجملوا يغنون حتى بلغت النوبة إلى . فغنيتها :

خالد صامة
والوليد بن يزيد

مَرَى هَمَّى وَهَمُّ المَرءِ يَمْتَرِى وغاب النجم إلا قَيْدَ فِثْرِ
لَهْمٍ ما أزال له قَرِيناً كأنَّ القلبَ أودع^(١) حَرّاً جَمَرِ
على بَكَرٍ أخى فارقت بكراً وأنى العيش يصلح بعد بكر

فقال : أعد يا صام . ففعلت . فقال لى : من يقول هذا الشعر ؟ قلت : يقوله
عروة بن أذينة يرثى أخاه بكراً . قال الوليد : وأنى عيش يصلح بعد بكر . والله
لقد حَجَرَ واسعا . هذا والله العيش الذى نحن فيه يصلح على رَغَمِ أنفه .

وقد قيل إن سُكينة بنت الحسين غُنيت^(٢) بهذا الشعر فقالت : ومن بكر
هذا ؟ [فوصف لها . فقالت] : هو ذاك الأسيّد^(٣) الذى كان يأتينا ، لقد طاب
كل شيء بعده حتى الخبز والزيت .

سكينة وشعر
لعروة بن أذينة

٢٠

(١) فى الكامل ٣٨٦ : « أبطن » .

(٢) فى الكامل : « أنشدت هذا الشعر » .

(٣) الأسيّد : تصغير الأسود . وفى بعض الأصول : « الأسد » . وما أثبتنا من
سائر الأصول والكامل .

اسحاق الموصلي
ورجل آخاه
بالمدينة يفتي

وعن عبد الصمد بن المعدل قال : سمعتُ إسحاق الموصلي يتحدثُ قال :
حججبتُ مع الرشيد ، فلما نزلت المدينة آخيتُ بها رجلا كانت له مُسروءة ومعرفة
وأدب ، وكان يفتي . فإني ذات ليلة في منزلي إذا أنا بصوته يسأذن عليّ ، وظننت
أمراً قد حدث ففرع فيه إليّ . فأسرعتُ نحو الباب ، فقلت : ما جاء بك ؟ قال :
دعاني صديق إلى طعام عَتيد ومجلس شراب قد ألتقي طرفاء ، وشِواء رَشَراش^(١) ،
وحديث مُمتع وغناء مُشبع ، فأجبتُهُ وأتت معه إلى هذا الوقت ، فأخذتُ مني
حُميا السكّاس مأخذها ، ثم غَنّيت بقول نُصيب :

٥
٢٥٤
٣

نَزَيْبُ أَلَمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَّكَ الْقَلْبُ
فَكِدْتُ أَطِيرُ طَرِبًا . ثم وجدتُ في الطرب تَفْقِيصًا إذ لم يكن معي من
يَفْهَمُ هذا كما فهِمْتُهُ . ففرزعتُ إليك لأُصِفَ لك هذه الحال ، ثم أرجع إلى
صاحبي . وضربَ بغلته موليًا . فقلت : قِفْ أَكَلِك . فقال : ما بي إلى الوقوف
إليك من حاجة .

نصيحة معاوية
لابنه يزيد
سائب خاثر

وحدّث أن معاوية بن أبي سفيان أستمع على يزيد ذات ليلة فسمع عنده
غِناءً أعجبه ، فلما أصبح قال له : مَنْ كان مُلْهِيك البارحة ؟ قال : سائب خاثر ،
قال : فأكثر له من العطاء .

ابن أبي عتيق
وعثمان المري
في تحريم الغناء
بالمدينة

وكان ابن أبي عتيق من نُبلاء قریش وظرفائهم . فمن ظريف أخباره أن
عثمان بن حَيَّان المُرِّي لما دخل المدينة واليا عليها أجمع إليه الأشراف من قریش
والأنصار ، فقالوا له : إنك لاتعمل عملاً أحرى ولا أولى من تحريم الغناء والزنا .
ففعل وأجلهم ثلاثاً . فقدم ابنُ أبي عتيق في الليلة الثالثة وكان غائباً . فخطَّ رحله
ببَابِ سَلَامَةِ الزَّرقاء ، وقال لها : بدأتُ بك قبل أن أصير إلى منزلي . قالت :
أو ما تَذْرى ما حَدَثَ بِغَدِكَ ؟ وأخبرته الخبر . فقال : أقيمى إلى السَّحَرِ حتى ألقاه .
فلقيه فأخبره أنه إنما أقدمه حُبَّ التَّسليم عليه ، وقال له : إن أفضَلَ ما عملتَ تحريم

(١) الرَشَراش : الحُضُلُ النَّدَى الذي يقطر دسمه .

الغناء والزنا . فقال : إن أهلك أشاروا علىّ بذلك . فقال : إنهم وُقِّعُوا ووُقِّعَتْ ،
ولكنني رسولُ امرأةٍ إليك تقول : قد كانت هذه صناعتِي فتُبِتْ إلى الله منها .
وأنا أسألك أيها الأمير ألا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم .
فقال عثمان : إذا أدعَها . فقال : إذا لا يدعك الناس ، ولكن تدعوبها فتتظفر
إليها ، فإن كان يجوز تركها تركتها . قال : فادع بها . فأصر بها ابنُ أبي عتيق .
فتنقبت وأخذت سُبْحَةَ في يدها وصارت إليه ، فحدثته عن مآثر آبائه ، فقبحها بها .
فقال ابنُ أبي عتيق : أريد أن أسمع الأمير قراءتها . ففعلت ، فحَرَكَه حُداؤها .
ثم قال له ابنُ أبي عتيق : فكيف لو سمعتها في صناعتها التي تركتها . فقال له :
قل لها فلتُغن . فغنت :

سَدَدَن خِصَاصَ الْبَيْتِ لَمَّا دَخَلْنَهُ بِكُلِّ بَنَانٍ وَاضِحٍ وَجَبِينِ ١٠
فنزل عثمان عن سريره ثم جلس بين يديها ، وقال : لا والله ما مثلك يخرج
عن المدينة . فقال ابنُ أبي عتيق : يقول الناس أذن لسلامة ومنع غيرها . فقال
له : قد أذنت لهم جميعا .

وَذَكَرَ لابْنَ أَبِي عَتِيقٍ أَنَّ الْحَنَثِينَ خُصُوا . وَأَنَّهُ خُصِيَ فَلَانٌ فِيهِمْ ، لَوَاحِدٌ
مِنْهُمْ كَانَ يَعْرِفُهُ . فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : إِنْ أَلَّهِ لَتُنْ خُصِيَ لَقَدْ كَانَ يُحْسِنُ : ١٥

ابن أبي عتيق
وقد بلغه أن
مغنيا خصى

لَعَنَ رُبْعَ بَذَاتِ الْجِدِّ شِشِ أَمْسَى دَارِسًا خَلَقًا
ثم استقبل ابنُ أبي عتيق القبلة ، فلما كَبَّرَ سَلَّمَ ، ثم قال لأصحابه : أما إنه
كان يُحْسِنُ خَفِيفَهُ ، فأما ثَقِيلُهُ فلا والله ، ثم كَبَّرَ (١) .

وَكَانَ سَلِيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مُنْرَطَ الْغَيْرَةِ ، فَسَمِعَ مُغْنِيًّا فِي عَسْكَرِهِ ، فَقَالَ :
اطْلُبُوهُ ، فَجَاءُوا بِهِ . فَقَالَ لَهُ : أَعِدْ مَا تَغْنِيْتُ بِهِ . فَأَعَادَ وَاحْتَفَلَ . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : ٢٠
وَاللَّهِ لَسْكَأُنْهَا جَرَجْرَةَ الْفَجْلِ فِي الشُّوْلِ ، وَمَا أَحْسَبُ أَثَى تَسْمَعُ هَذَا إِلَّا صَبَّتْ
إِلَيْهِ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَخُصِيَ .

سليمان بن عبد
الملك ومغن أمر
بخصائه

حدث رجل سمع
شعرا في مجلس
ابن هشام

وقال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي : روى لنا أن رجلا من الصالحين كان
عند إبراهيم بن هشام ، فأنشده إبراهيم قول الشاعر :

إِذَا أَنْتِ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ وَإِذَا أَجُرُّ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي

فقام الرجل فرمى بشق ردائه وأقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ، ثم
رجع إلى موضعه فجلس . فقال له إبراهيم : ما بالك ؟ قال : إني كنت سمعت
هذا الشعر فأستحسنه ، فأليت ألا أسمعته إلا جرت ردائي كما جرت هذا
الرجل رَسَنه .

بين شاعر ومغن

ووقف رجل من الشعراء على رجل من المغنين فأنشده :

إِنِّي أَتَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَهْلِي فِي حَاجَةٍ يَسْقَى لَهَا مِثْلِي

لَا أَبْتَغِي شَيْئًا لَدَيْكَ سِوَى حَقِّ الْجَوْلِ بِجَانِبِ الرَّمْلِ

قال له : انزل [ناك ما طلبت] .

بين دحان وقوم
سألوه عن ثمن
ثوبه

مر دحان المغنى بقوم وعليه رداء عدنى يثرى . فقالوا له : بكم أخذت
الرداء ؟ فقال :

* ما ضر جيراننا إذا انتجعوا *

نصيحة إسحاق
للمغنين وأخذ
أشعب بها

وحدث أبو العباس أحمد بن بكر ببغداد قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم
الموصلى قال : كان يُقال قديماً : إذا قسا عليك قلب القرشي من تهامة فغنه بشعر
عمر بن أبي ربيعة وغناء ابن سريج . وكذا فعل أشعب برجل من أهل مكة من
بنى هاشم ، وكان أشعب قد أنتجع أهل مكة من المدينة . قال أشعب : فلما
دخلت عليه غنيته بغناء أهل المدينة وأهل العتيق . فلم ينتجع ذلك فيه ولم يحرك
من طيبه ولا أريحته . فلما عيل صبرى غنيته بغناء ابن سريج المكي وقول
ابن أبي ربيعة القرشي :

نظرتُ إليها بالمُحْصَبِ مِنْ مَنِي . وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحْرِيجُ عَارِمُ
فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ . بَدَتْ لَكَ تَحْتَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتِ هَائِمُ

بعيدة مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلِ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ
 قَالَ : غَرَّكَتَ وَاللَّهِ مِنْ طَرَبِهِ . وَكَانَ الَّذِي أَرَدْتُ . ثُمَّ غَنَيْتَهُ لِأَبْنِ أَبِي رَبِيعَةَ
 الْقُرَشِيِّ أَيْضًا :

وَلَوْلَا أَنْ تَقُولَ لَنَا قَرِيشُ مَقَالَ النَّاصِحِ الْأَدْنَى الشَّفِيقِ
 لَقُلْتُ إِذَا التَّقِينَا قَبْلَيْنِي وَإِنْ كُنَّا بِقَارَعَةِ الطَّرِيقِ
 نَقَالَ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ . هَكَذَا يَطِيبُ التَّلَقُّي ، لَا بِالْخُوفِ وَالتَّوَقُّي . قَالَ : فَلَمَّا
 رَأَيْتُهُ قَدْ طَرَبَ لِلصَّوْتَيْنِ وَلَمْ يَنْدَلِ بِشَيْءٍ . قُلْتُ : هُوَ الثَّالِثُ وَإِلَّا فَعَلِيهِ السَّلَامُ .
 قَالَ : فَغَنَيْتَهُ الثَّالِثُ مِنْ غَنَاءِ ابْنِ سُرَيْجٍ وَقَوْلِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَيُقَالُ إِنَّهَا لَجَمِيلٌ :
 مَا زِلْتُ أَمْتَحِنُ الدَّسَاكِرَ دُونَهَا حَتَّى وَجِلْتُ عَلَى خَفِيِّ الْمَوَاجِجِ
 فَوَضَعْتُ كَفِّي عِنْدَ مَقْطَعِ خَصْرِهَا ^(١) فَمَنْعَتْ نَفْسًا وَلَمْ تَتَلَهَّجْ ^(٢)
 قَالَتْ وَحَقُّ أَخِي وَحُرْمَةُ وَالِدِي لِأَنْبَهَنَ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
 فَخَرَجْتُ خِيفَةً قَوْلَهَا فَتَبَسَّمتْ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ ^(٣)
 فَرَشَفْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا رَشَفَ النَّزِيفُ بِرَدِّ مَاءِ الْحَشْرِجِ
 فَصَاحَ الْهَاشِمِيُّ : أَوَاهُ ! أَحْسَنَ وَاللَّهِ وَأَحْسَنَتْ ! وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ وَثَلَاثِينَ
 حُلَّةً وَخِلْعَةً كَانَتْ عَلَيْهِ .

١٥

وَعَنَى ابْنُ سُرَيْجٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقُولُ جَرِيرٌ :
 بَعَثَنَ ^(٢) الْهَوَى ثُمَّ أَرْتَمِينَ قُلُوبَنَا بِأَسْمِهِمْ ^(٤) أَعْدَاءُ وَهْنٌ صَدِيقُ
 وَمَا ذُقْتُ طَعْمَ الْعَيْشِ مِنْذُ نَأَيْتُمْ وَمَا سَاغَ لِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ رَيْقُ ^(٥)
 قَالَ : فَخَطَفَ مِنْ ثَوْبِهِ ذِرَاعًا ، وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ الْعَقِيَانِ فِي نَحْوِ الْقِيَانِ .
 قَالَ : وَصَحَّبَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ شَابًّا فِي سَفِينَةٍ ، وَمَعَهُمْ جَارِيَةٌ تُغْنِي ،

ابن سريج
 وهاشمي

ناحك وشاب
 وجارية تغني

٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « كَفَّهَا » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَلَمَّا تَلَهَّجْ » .
 (٣) فِي ن : « لَمْ تَلْجِجْ » . (٤) فِي الدِّيَّوَانِ : « دَعُونَ » .
 (٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بِأَعْيُنِ » .
 (٦) رَوَايَةُ الْبَيْتِ فِي الدِّيَّوَانِ :

٢٥

وَمَا ذُقْتُ طَعْمَ النَّوْمِ إِلَّا مَفْرَعًا وَمَا سَاغَ لِي بَيْنَ الْحِيَاظِمِ رَيْقُ

٢٥٦
٣ فقال له : إن معنا جارية تُغنى ونحن نُجَلِّك ، فإذا أذنت لنا فعلنا ؟ قال : فأنا أعترل وأفعلوا ما شئتم . فتنجى وغنت الجارية :

حتى إذا الصبحُ بدا ضوءه وغابت الجوزاء والمرزُمُ
أقبلتُ والوطءُ خفي كما ينساب من مكنه الأرقم
فرمى الناسكُ بنفسه في الفرات وجعل يخط بيديه طربا ويقول :
أنا الأرقم . فأخرجوه وقالوا : ما صنعتَ بنفسك ؟ فقال : والله إني أعلم من تأويله
مالا تعلمون .

وقال أحمد بن جعفر : حضر قاضي مكة مأدبة لرجل من الأشراف . فلما
انقضى الطعام أندفعت جارية تُغنى :

١٠ إلى خالد حتى أنحنأ بخالد فنعيم الفتى يُرجى ونعيم المؤملُ
فلم يدر القاضي ما يصنع من الطرب حتى أخذ نعليه فعلقهما في أذنيه ، ثم
جنى على رُكبتيه ، وقال : اهدوني فإني بدنة .

١٥ كان رجل من الهاشميين يُحب السماع ، فبعث إلى رجل من المغنين فأقترح
عليه صوتا كان كلفا به ، فغناه إياه . فطرب الهاشمي وشق ثوبا كان عليه ، ثم
قال للمغنى : أفعَل بنفسك مثل ما فعلتُ بنفسى . قال : أصلحك الله ، إنك تجد
خلفا من ثوبك ، وإني لا أجِد خلفا من ثوبي . قال : أنا أخلف لك . قال : فافعل
ونفعل . قال : أخرجتنا من حدّ الطيب إلى حدّ السُّوم .

من قرع قلبه صوت فمات منه أو أشرف

٢٠ حدث أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله المأمون في طريق الحج من العراق إلى
مكة قال : حدثني أبي ، قال : كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم
عقلا وأفضلهم أدبا ، قرأت القرآن وروت الأشعار وتعلمت العربية ، فوَقعت عند
يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه ، فقال لها ذات يوم : ويحك إلامالك

حديث مفتية
ليزيد بن عبد الملك

- قرايةً أو أحد يحسن أن أصطنعه أو أسدى إليه معروفًا؟ قالت : يا أمير المؤمنين ،
أما قراية فلا ، ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاتي ، كنت أحب أن
ينالهم شيء مما ^(١) صرتُ إليه . فكتب إلى عامله بالمدينة في إشخاصهم وأن يُعطى
كل رجل منهم عشرة آلاف درهم ، وأن يُعجل بسراحتهم إليه . ففعل عاملُ
المدينة ذلك . فلما وصلوا إلى باب يزيد استؤذن لهم ، فأذن لهم وأكرمهم وسألهم
حوادثهم . فأما الاثنان فذكر حوائجهم ، فقضاها لهما . وأما الثالث فسأله عن
حاجته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مالي حاجة . قال : ويحك ! ولم ؟ ألسْتُ أقدر
على حوائجك ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن حاجتي لا أحسبك تقضيها .
قال : ويحك ؟ فسألني فإنك لا تسألني حاجة أقدر عليها إلا قضيتها . قال : ولى
الأمان يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم وكرامة . قال : إن رأيت أن تأمر جاريتك
فلانة التي أكرمتنا لها أن تُغنيني ثلاثة أصوات ، أشرب عليها ثلاثة أرطال ،
فأفعل . قال : فتغير وجه يزيد وقام من مجلسه ، فدخل على الجارية فأعلمها .
قالت : وما عليك يا أمير المؤمنين ، افعل ذلك . فلما كان من الغد أمر بالفتى
فأحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فألقيت . فقام يزيد على أحدها ، وقعدت
الجارية على الآخر وقعد الفتى على الثالث ، ثم دعا بطعام فتغذوا جميعا ، ثم دعا
بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ، ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت . ثم قال
للفتى : قل ما بدالك وسل حاجتك . قال : تأمرها تُغني :

لا أستطيع سألوا عن مودتها أو يصنع الحبُّ بي فوق الذي صنعا

أدعو إلى هجرها قلبي فيسمعني حتى إذا قلتُ هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت . فشرب يزيد وشرب الفتى ثم شربت الجارية . ثم أمر
بالأرطال فملئت ، ثم قال للفتى : سل حاجتك ، قال : تأمرها تُغني :

تخيرتُ من نهران عود أراكة لهند ولكن من يبلغه هنداً ^(٢)

(١) في بعض الأصول : « من خير ما » .

(٢) في بعض الأصول : « لهند فن هذا يلقى هنداً » .

ألا عَرَّجَا بِي بَارِكُ اللَّهِ فِيكُمَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدُ لَأَرْضِكُمَا قَصْدَا
 قال : ففغنت بهما وشرب يزيد ثم الفتى ثم الجارية . ثم أمر بالأرطال
 فملئت ، ثم قال للفتى : سَلْ حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، مرها تفتي :
 مِنَّا الْوِصَالُ وَمِنْكُمْ الْهَجْرُ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ
 وَاللَّهُ مَا أَسْلَوْكُمْ أَبَدًا مَا لَاحَ نَجْمٌ أَوْ بَدَأَ فَجَجْرٌ
 قال : فلم تأت على آخر الأبيات حتى خَرَّ الفتى مَغْشِيًا عَلَيْهِ . فقال :
 يزيد للجارية : انظري ما حاله . فقامت إليه فخرَّ كتفه فإذا هو ميت . فقال لها :
 أبكيه . قالت : لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي . قال لها : أبكيه ، قوالله
 لو عاش ما أنصرف إلا بك . فبكته ، وأمر بالفتى فأحسن جهازه ودفنه .

عبد الملك بن
 مروان وابن
 جعفر وحديث
 جارية لابن جعفر

١٠ قال : وحدث أبو يوسف بالمدينة قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي
 عن أبيه ، أن عبد الله بن جعفر وفد على عبد الملك بن مروان ، فأقام عنده حينًا .
 فبينما هو ذات ليلة في سمره إذ تذاكروا الغناء . فقال عبد الملك : تَبَّحَ اللَّهُ الْغِنَاءُ ،
 مَا أَوْضَعَهُ لِلْمَرْوَةِ ، وَأَجْرَحَهُ لِلْعَرَضِ ، وَأَهْدَمَهُ لِلشَّرَفِ ، وَأَذْهَبَهُ لِلْبَهَاءِ . وعبد الله
 ساكت ، وإنما عرض لعبد الله ، وأعاناه عليه مَنْ حضر من أصحابه . فقال عبد الملك :
 ١٥ مالك أبا جعفر لا تتكلم ؟ قال : ما أقول ولحمي يتمزّع وعِرْضِي يتمزّق . قال :
 أما إني نُبِئتُ أنك تُفتي ؟ قال : أجل يا أمير المؤمنين . قال : أَفَ لَكَ وَتُف .
 قال : لا أَف ولا تُف ، فقد تأتى أنت بما هو أعظم من ذلك . قال : وما هو ؟
 قال : يأتيك الأعرابي الجاني يقول الزور وَيَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ ، فتأمر له بألف
 دينار ، وأشتري أنا الجارية الحسنة من مالى فأختار له من الشعر أجودَه ، ومن
 ٢٠ الكلام أحسنه ، ثم تردده على بصوت حسن ، فهل بذلك بأس ؟ قال : لا بأس ،
 ولكن أخبرني عن هذه الأغاني ما تصنع ؟ قال : نعم ، اشتريت جارية باثني عشر
 ألف درهم مطبوعة ، فكان بديح وطويس يأتيانها فيطرحان عليها أغانيهما ، فعلقتُ
 منهما حتى غلبت عليهما ، فوضعت ليزيد بن معاوية ، فكتب إلي : إنما أهديتها

إلى وإما بعثها بحكمك . فكُتبتُ إليه : إنها لا تخرج عن ملكي يبيع ولا هبة .
 فبذل لي فيها ما كنتُ أحسب أن نفسه لا تسخو به ، فأبيتُ عليه . فبينما هي
 عندي على تلك الحال إذ ذُكرت لي عجوز من عجائزنا أن فتى من أهل المدينة
 يسمع غناءها ، فعلقها وشغف بها ، وأنه يحب في كل ليلة مستتراً يقف بالباب حتى
 يسمع غناءها ثم ينصرف . فراعيت مجيئه ، فإذا الفتى قد أقبل مُقنّع الرأس ،
 فأشرفتُ عليه وقد قعد مُستخفياً . فلم أدعُ بها تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعه .
 فبات مكانه الذي هو فيه . فلما أنشق الفجر أطلعت عليه فإذا هو في موضعه ،
 فدعوت قتيمة الجوارى قلتُ لها : أنطلي الساعة فزيني هذه الجارية وأعجلي بها إلى .
 فلما جاءت به انزلتُ وفتحت الباب وحرّكته . فانتبه مذعوراً ، فقلت له : لا بأس
 عليك ، خذ بيد هذه الجارية فهي لك ، وإن هممت ببيعها فردّها إلى . فدهش
 وأخذ الخبل ولبط به ^(١) . فدنوت من أذنه فقلت : ويحك ! قد أظفرك الله
 ببغيتك ، فقم فانطلق بها إلى منزلك . فإذا الفتى قد فارق الدنيا . فلم أر شيئاً
 قط أعجب منه .

٢٥٨
٣

قال عبد الملك : وأنا والله ما سمعتُ شيئاً قط أعجب من هذا ، ولولا أنك
 عاينته ما صدّقت به ، فما صنعت بالجارية ؟ قال : تركتها عندي وكنت إذا ذكرت
 الفتى لم أجد لها مكاناً من قلبي ، وكرهتُ أن أوجه بها إلى يزيد فيبلغه حالها
 فيحقد عليّ ، فما زالت تلك حالها حتى ماتت .

ووقف رجل يقال له طريفة على أيوب المغنى ^(٢) فقال :

طريفة وأيوب
المغنى

إني قصدت إليك من أهلي في حاجة يسعى لها مثلي
 لا أبتغي شيئاً لديك سوى حيّ المحول بجانب الرّمل
 فقال له انزل فلك ما طلبت ^(٣) . فنزل . فأخرج عوده ثم غناه ، يقول

أمرى القيس :

(١) لبط به : صرع . (٢) في بعض الأصول : « أيوب الشعي »

(٣) مر هذا الخبر من ١٠ من هذا الجزء .

حى الحمول بجانب العزل^(١) إذ لا يلائم شكلها شكلى
فلُبط^(٢) بطريفة، فإذا هو فى الأرض مُنجدل . فلما أفاق قام يمسح التراب
عن وجهه . فقليل له : ويحك ! ما كانت قصتك ؟ قال : أرتفع والله من رجلى
شئ حارّ وهبط من رأسى شئ بارد فالتقيا وتصادما ، فوقعت بينهما لا أدرى
ما كانت حالى . ٥

أخبار عنان وغيرها من القيان

حدث محمد بن زكريا الغلابى بالبصرة : قال : حدثنا إبراهيم بن عمر قال :
كان هارون الرشيد قد أستمع عرض عنان جارية الناطقى ليشتريها ، وقال لها : أنا والله
أحبك . ثم أمسك عن شرائها . فجلس ليلة معه سُمّاره ، فغناه بعض من حضر
من المغنين بأبيات جرير حيث يقول : ١٥

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال مَعِينَا
قال : فطرب الرشيد لها طرباً شديداً وأعجب بالأبيات ، وقال لجلسائه : هل
منكم أحد يُجيز هذه الأبيات بمثلهم ، وله هذه البدرة ؟ وبين يديه بدرة من
دنانير ، فقالوا فلم يصنعوا شيئاً . فقال خادم على رأسه : أنا بها لك يا أمير المؤمنين .
قال : شأنك . فاحتمل البدرة ثم أتى الناطقى ، فقال له : استأذن لى على عنان . ١٥
فأذنت له . فدخل وأخبرها الخبر . فقالت : ويحك ! وما الأبيات ؟ فأنشدتها
إياها . فقالت له : اكتب :

هَيَّجَتْ بِالْقَوْلِ الذى قد كُلتَه داءً بقلبي ما يزال كَمِينَا
قد أينعت ثمراته فى حينها وسقين من ماء الهوى فروينا
كذب الذين تقولوا ياسيدى إن القلوب إذا هوين هوينَا ٢٠

(١) العزل : ماء بين البصرة واليمامة . وفى بعض الأصول : « الرمل » . وما أثبتنا من
سائر الأصول وديوان امرئ القيس ومعجم البلدان (عزل) .
(٢) يقال : لبط به ، بالبناء للجهول ، إذا ضرب بنفسه الأرض من داء أو أمر
بفساه مفاجأة . (٣) فى بعض الأصول : « فى طينها » .

فقلت له : دونك الأبيات ، فدفع إليها البدره ورجع إلى هارون . فقال له :
ويحك ! من قالها ؟ قال : عنان ، جارية الناطفي . فقال : خلعت الخلافة من عنقي إن
باتت إلا عندي . قال : فبعث إلى مولاها فأشترها منه بثلاثين ألفا ، وباتت ببقية
تلك الليلة عنده .

وقال الأصمعي : ما رأيت الرشيد مُتبدلا قط إلا مرة ، كتبت إليه عنان ،
جارية الناطفي رقعة فيها :

الرشيد وبيت
شعر لعنان سأل
الشراء أن
يجزوه

كنتُ في ظِلِّ نِعْمَةٍ بهـواكا آمنا منك لا أخاف جفـاكا^(١)
فسمى بيننا الوشاة فأقرز تَ عيون الوشاة بي فهناكا
ولعمري لغير ذا كان أولى بك في الحق يا جملت فداكا
قال : فأخذ الرقعة بيده ، وعنده أبوحنص^(٢) الشطرنجي ، فقال : أيسم يشير
إلى المعنى الذي في نفسي فيقول فيه شعرا ، وله عشرة آلاف درهم ؟ فظننت أنه
وقع بقلبه أمرُ عنان ، فبدر أبوحنص^(٢) فقال :

٢٥٩
٣

مجلس يُنسب السرور إليه لمحب ريمانه ذكراكا
فقال : يا غلام ، بدره .

فقال جرير :

كُلما دارت الزُجاجة والساكس أعارته صبوة فبكاكا^(٣)
فقال : يا غلام ، بدره . قال الأصمعي : فقلت :

لم ينلك الرجاء أن تحضريني وتجنات أمنيته عن سواكا
قال : أحسنت والله يا أصمعي ، لما ولك بهذا البيت عشرون ألفا .
وقال : غير أني أشعرُكم حيث أقول :

قد تمنيت أن يُغشيني الله نعاسا لعل عيني تراكا
قلنا له : صدقت والله يا أمير المؤمنين .

وقال بكر بن حماد الباهلي : لما انتهى إلى خبر عنان وأنها ذكرت لهارون ،

بكر الباهلي
والناطفي وعنان

(١) في ن : د في متاكا . (٢) في بعض الأصول : د أبو جعفر .

(٣) في أ : د فصباكا .

وقيل له إنها أشعر الناس ، خرجت متعرضا لها ، فما راغني إلا الناطقي مولاها قد
ضرب على عضدي ، فقال لي : هل لك فيما سنح من طعام وشراب ومجالسة
عنان ؟ فقلت : ما بعد عنان مطلب . ومضي بنا حتى أتينا منزله . فمقل دابته ثم
دخل ، فقال : هذا بكرة شاعر باهلة يريد مجالستك اليوم . فقالت : لا والله ، إني
كسلانة . فحمل عليها بالسوط ، ثم قال لي : ادخل ، فدخلت ودمعها يتحدّر
كالجمان في خدها ، فطمعت بها فقلت :

هذي عنان أسبلت دمعها كاللؤلؤ إذ ينسل من خيطه
ثم قلت لها : أجزى . فقالت :

فليت من يضربها ظلما تجف يميناه^(١) على سوطه
فقلت لها : إن لي حاجة . فقالت : هاتها ، فمن سببك أودينا^(٢) . قلت لها :
بيت وجدته على ظهر كتابي لم أقرضه ولم أقدر على إجازته . قالت :
قل . فأنشدتها :

فازال يشكو الحب حتى حسبته تنفس في أحشائه أو تكلم^(٣)
قال : فأطرقت ساعة ثم أنشدت :
ويبكى فأبكي رحمة لبكائه^(٤) إذا ما بكى دمعاً بكيت له دماً
قلت لها : فما عندك في إجازة هذا البيت :

بديع حسن بديع صدي جمعت خددي له ملاذاً
فأطرقت ساعة ثم قالت :

فماتبوه فمتمنوه فأوعده نكان ماذا .

٢٠ وجلس أبو نواس إلى عنان فقالت : كيف علمك بالعروض وتقطيع الشعر
يا حسن ؟ قال : جيد . قالت : قطع هذا البيت :

(١) في بعض الأصول : « كفاه » . (٢) في بعض الأصول : « أتينا »

(٣) في بعض الأصول : « فتكلما » .

(٤) في ن : * فأبكي لديه رحمة لبكائه *

أكلت الخردل الشامسي في قصعة^(١) خَبَّاز
فلما ذهب يقطع ضحك به وأضحكت . فأمسك عنها وأخذ في ضروب
من الأحاديث ، ثم عاد سائلا لها ، فقال : كيف علمك بالعروض ؟ قالت : حسن
يا حسن . فقال : قطعي هذا البيت :

حوّلوا عنا كنيستكم يا بني خَمالة الخطب
فلما ذهبت تقطع ضحك أبو نواس . فقالت له : قبحك الله ! ما برحت حتى
أخذت بشارك .

حدث أبو عبد الله بن عبد البر المدني قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم
الموصلي قال : كان للمأمون جماعة من المغنين وفيهم مَغْنٌ يسمى سَوْسَنًا ، عليه
وَمِنْ جمال . قال : فبينما هو عنده يغني إذ تطلمعت جارية من جواريه فنظرت إليه
فعلقتة . فكانت إذا حضر سوسن تُسوي عودها وتغني :

المأمون ومغنيه
سوسن

ما مررنا بالسَّوسن الغَضُّ إلا كان دَمْعِي لُمَقَاتِي نَدِيمًا
حبذا أنت والمُسَمَّى به أنت وإن كنت منه^(٢) أذكي نسيمًا
فإذا غاب سوسن أمسكت عن هذا الصوت وأخذت في غيره . فلم تزل تفعل
ذلك حتى فطن المأمون . فدعا بها ودعا بالسيف والنطع ، ثم قال : اصدّقيني أمرًا .
قالت : يا أمير المؤمنين ، ينفعني عندك الصدق ؟ قال لها : إن شاء الله . قالت :
يا أمير المؤمنين ، أطلعتُ من وراء الستارة فرأيتُه فعلقته . فأمسك المأمون عن
عقوبتها ، وأرسل إلى المغني فوجهها له ، وقال : لا تقرُّ بنا .

قال أبو الحسن : كان الواثق إذا شرب وسكر رقد في موضعه الذي سكر
فيه ، ومن سكر من نُدْمَانِه ترك ولم يخرج . فشرب يوماً فسكر ورقد وانقلب
أصحابه ، إلا مغنياً أظهر التراقد ، وبقيت معه مَذْنِيَّة للواثق . فلما خلا المجلس وقع
المغني في سِجَاءَةٍ^(٣) ودفعها إليها :

الواثق وحديث
مغن مع جارية له

إني رأيتك في المنام كأنني مُتَرَشِّفٌ مِنْ رِيْقِ فَيْسِكِ الْبَارِدِ

(١) في بعض الأصول : « في صحفة » . (٢) في ن : « وإن كان منك » .

(٣) السجاءة ، بالكسر : سعي من القرباس وأخذ .

وَكُنَّ كَفَنُكَ فِي يَدَيَّ وَكُنَّا
ثُمَّ انْتَبَهْتُ وَمَنْكِبُكَ كَلَامَا فِي رَاحَتِي وَتَحْتَ خَدِّكَ سَاعِدِي
فَأَجَابَتْهُ :

خَيْرًا رَأَيْتَ وَكُلَّ مَا أَبْصَرْتَهُ سَتَنَالُهُ مِنِّي بِرَغَمِ الْحَسَادِ
وَتَبَيَّتَ بَيْنَ خِلَافِي وَدَمَالِجِي وَتَحِلُّ بَيْنَ مَرَاشِفِي^(١) وَتَجَاسِدِي
فَنَسْكَونَ أَنْعَمَ عَاشِقَيْنِ تَعَاظِيَا مُلَحَّ الْحَدِيثِ بِلَا تَخَافَةَ رَاصِدِ
فَلَمَّا مَدَّتْ يَدَهَا لَتَرَى إِلَيْهِ بِالسَّجْدَةِ ، رَفَعَ الْوَائِقَ رَأْسَهُ فَأَخَذَ السَّجْدَةَ مِنْ يَدِهَا ،
وَقَالَ لَهَا : مَا هَذِهِ ؟ فَحَلَّلْنَا لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَجْرُ بَيْنَهُمَا قَبْلَ هَذَا كَلَامٌ وَلَا كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ
غَيْرَ الْآحِظِ ، إِلَّا أَنَّ الْعَشِقَ قَدْ خَاسَرَهَا . فَأَعْتَقَهَا وَزَوَّجَهَا مِنْهُ . فَلَمَّا أَشْهَدَ لَهُ وَتَمَّ
النِّكَاحُ ، أَقَامَهَا الْوَائِقَ بِمَحْضَرِ الْغَنَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بَعْضِ الْبُيُوتِ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا ثُمَّ
خَرَجَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَرَدْتُ أَنْ تُكْشِفَنِي^(٢) فِيهَا وَهِيَ خَادِمِي ، فَقَدْ كَشَفْتَكَ
فِيهَا وَهِيَ زَوْجَتُكَ .

يزيد وحبابة
ونصيحة أخيه
مسلمة له

قَالَ : وَلَمَّا كَلَّفَ يَزِيدَ حَبَابَةَ وَأَشْتَغَلَ بِهَا وَأَضَاعَ الرِّعْيَةَ ، دَخَلَ عَلَيْهِ مَسْلَمَةُ
أَخُوهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَرَكْتَ الظُّهُورَ لِلْعَامَّةِ وَالشُّهُودَ لِلْجُمُعَةِ وَأَضَعْتَ
أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَأَحْتَجَبْتَ مَعَ هَذِهِ الْأُمَّةِ . فَأَرْعَوِي قَلِيلًا وَظَهَرْتُ لِلنَّاسِ . فَأَوْحَتْ
حَبَابَةُ إِلَى الْأَحْوَصِ أَنْ يَقُولَ أَيْبَانًا يُهَوِّنُ فِيهَا عَلَى يَزِيدَ مَا قَدَّرَ مَسْلَمَةُ . فَقَالَ ،
وَعَفَّتْ بِهَا حَبَابَةُ :

أَلَا لَا تَلُمُهُ الْيَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا فَقَدْ مَنَّ الْمَحْزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقِي وَلَمْ تَذُرِي مَا لِهَوَايَ فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَّدَا
هَلِ الْعِيشُ إِلَّا مَا تَلَذَّ وَتَشْتَهَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَّدَا
فَلَمَّا سَمِعَهَا ضَرْبَ بَحْزِرَانَتِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : صَدَقْتَ ! صَدَقْتَ ! عَلَى مَسْلَمَةَ لَعْنَهُ
اللَّهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى سِيرَتِهِ الْأُولَى .

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوَلِ : « وَتَحُولُ بَيْنَ مَرَاشِفِي » .
(٢) الْكُشْفَانُ : الدِّبُوثُ ، مَعْرَبٌ . وَيُقَالُ لِلشَّامِ : لَا تُكْشِفْ فَلَانَا .

موت حبابة ثم
موت يزيد

وحدث ابن الغار^(١) قال : حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال : حدثنا الهيثم
ابن أبي بكر قال : كان يزيد بن عبد الملك كليلًا بحبابة كلفًا شديدًا . فلما توفيت
أكب عليها أيامًا يترشفها ويتشبهها حتى أتت ، فقام عنها وأمر بجهازها ، ثم خرج
بين يدي نعشها ، حتى إذا بلغ القبر نزل فيه ، حتى إذا فرغ من دفنها وأنصرف ،
أصق إليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤنسه . فلما أكثر عليه قال له : قاتل الله ابن أبي
جمعة^(٢) حيث يقول :

فإن تسأل عنك النفس أو تدع الهوى فبالياس تسألو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قاتل من أجلك هذا هامة اليوم أو غد
قال : وطمن في جنازتها ، فدفنناه إلى سبعة عشر يومًا .

المعتصم وجارية
فلبت عليه

وذكر المعتصم جارية كانت غلبت عليه وهو بمصر ، ولم يكن خرج بها
معه ، فدعا مغنيا له فقال له : ويحك ! إني ذكرت جارية ، فأقلقني الشوق إليها ،
فها صوتا يشبه ما ذكرت لك . فأطرق مليا ثم غنى :

وددت من الشوق المبرح أني أعار جناحي طائر فأطير
فما لنعيم لست فيه بشاشة وما لسرور لست فيه سرور
وإن أمرا في بلدة نصف قلبه ونصف بأخرى غيرها لصبور
فقال : والله ما عدوت ما في نفسي ، وأمر له بجائزة ، ورحل من ساعته .
فلما بلغ الفرما قال :

غريب في قرى مصر يقامى الهم والسدما
للإلك كان بالميدا ن أقصر منه بالفرما

للمأمون في قينة له

وقال المأمون في قينة له :
لها في لحظها لحظات حثف ثميت بها ونحي من تريد
فإن غضبت رأيت الناس قتلى وإن ضحكت فأرواح تعود

(١) هو محمد بن الغار . وقد اضطرب في بعض الأصول بين « الغار » و « الفار » .
(٢) هو كثير عزة ، نسب إلى أبي والده ، وهي جمعة بنت الأشيم .

- وتسبي العالمين بمقتلها كأن العالمين لها عبيد
وأنشد البحري في قينة له :
أمازحها فتغضب ثم ترضى وجلّ فمالها^(١) حسن جميل
فإن تغضب فأحسن ذات دلّ وإن رضيت فليس لها حدّ يل
وقال ابن المعتز في قينة له :
[سمّيت في ليل شبيهة بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب]
فأمسيت في ليلين للشعر والدجا وشمسين من كأس ووجه حبيب
وقال هارون الرشيد في قينة له :
تبدى صدودا وتُخفى تحته مقة فالنفس راضية والطرف غضبان
يأمن وضعت له خدي فذلّه^(٢) وليس فوق سوى الرحمن سلطان
وقال إبراهيم الشيباني : القينة لا تخلص محبة لأحد ، ولا تؤثّر إلا من باب
الطمع . وقال علي بن الجهم : قلت لقينة :
هل تعلمين وراء الحب منزلة تدني إليك فإنّ الحب أقصاني^(٣)
فقلت : تأتي من باب الذهب ، وأنشدت :
اجعل شفيعك منقوشاً تقدّمه فلم يزل مُدنياً من ليس بالداني
وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة ، فجلس عندها يوماً يطارحها الغناء ،
فلما أراد الخروج قال لها : ناويلني خاتمك أذكرك به . قالت : إنه ذهب ، وأخاف
أن تذهب ، ولسكن خذ هذا العود فلعلك تعود . وناولته عُوداً من الأرض .
وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة يكلفها وينقطع إليها إذا نظر إليها .
فطلبت منه أن يسلفها دراهم . فانقطع عنها وتجنّب دارها ، فعملت له دواء ولقيته

(١) في بعض الأصول : « فتغضب دون وكل فمالها » .

(٢) في بعض الأصول : « فذلاني » .

(٣) البيت لأبي عمارة المكي أحمد بن أبي مرة ، وقيل ليعقوب بن عبد الرحمن الخزومي ، صاحب عمر بن أبي ربيعة . (انظر المرزباني ٤٣٨ ب - والخنار من شعر بشار ٤٩) .

به . فقال لها : ما هذا ؟ قالت : دواء عملته لك تشربه لهذا الفزع الذى بك .
قال : أشربيه أنت للطعم ، فإن أنقطع طعمك انقطع فزعى ، وأنشأ يقول :
أنا والله أهـوالك ولكن ليس لى نفعه
فأما كنت تهوينى فقد حلت لى الصدقه

بين جيزوقينة

وقعد أبو الحارث جيز^(١) إلى قينة بالمدينة صدرَ نهاره ، فجعلت تُحدّثه ولا
تذكر الطعام . فلما طال ذلك به ، قال : مالى لا أسمع للطعام ذكرا ؟ قالت :
سبحان الله ، أما تستحى ، أما فى وجهى ما يشفلك عن هذا ؟ فقال لها : جعلت
فداك ، لو أن جميلا وبُشينة قعدا ساعة واحدة لا يأكلان لبصق كل واحد منهما
فى وجه صاحبه وأفترقا .

أبو نواس وقينة
بالعراق

وقال الشيبانى : كانت بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف إليها ، فتُظهر
له أنها لا تُحب غيره ، وكان كلما جاءها وجدَ عندها فتى يجلس عندها ويتحدث
إليها ، فقال فيها :

ومُظهرة تلخى الله وُدّا وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها صديق ولا تحسون ألفا كل عام
أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

١٥

بين أبي نواس
وقبان

وقال الشيبانى : حضر أبو نواس مجلسا فيه قيان ، فقلن له : ليتنا بناتك .
قال : نعم ، ونحن على المجوسية .

قينة بين شيخين

وقال العتبي : حضرت قينة مجلسا فغنت فأجادت ، فقام إليها شيخ من
القوم فجلس بين يديها وقال : كل مملوك لى حر ، وكل امرأة لى طالق ، لو كانت
الدنيا كلها صُررا فى كفى لقطعته لك ، فأما إذ لم يكن ، فجعل الله كل حسنة
لى لك ، وكل سيئة عليك على . قالت : جزاك الله خيرا ، فوالله ما يقوم الوالد

(١) فى الأصول : « جيز » وفى الكامل (٤٢٠) والمشتبه (١٧٥) : « جين » .

وأورده القاموس (مادة جن) وقال : « وأبو الحارث جين كقبيط المدينى . ضبطه

٢٥

المحدثون بالنون ، والصواب بالزاي المعجمة . وأنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جيزا قد أوتى الحكمة والميزا

لولده بما قُت به لنا . فقام شيخ آخر وقعد بين يديها وقال لها : كل مملوك لي حُر
وكل امرأة لي طالق ، إن كان وهب لك شيئاً ولا حمل عنك ثقلاً ، لأنه ماله حسنة
بهبالك ، ولا عليك سيئة يحملها عنك ، فلائى شئ . تحمدينه ؟

[حدث أحمد بن عمر المسكي قال حدثني أبي قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم
الموصلي يقول : كان بالمدينة رجل جعفري من ولد جعفر بن أبي طالب ، وكان
يحب الغناء ، وكان بالمدينة قينة يقال لها بصيص ، وكان الجعفري يتعشقه فقال
 يوماً لإخوانه : قوموا معي إلى هذه الجارية حتى نكاشفها فقد والله أيتمت ولدي
وأرملت نسائي وأخربت ضيعتي . فقاموا معه حتى إذا جاءوا إلى بابها دقته ،
نُفِزَتْ إليه ، فإذا هي أملح الناس دلاً وشكلاً ، فقال لها : يا جارية ، أتغنين :

١٠ وكنت أحبكم فسلوت عنكم عليكم في دياركم السلام

فاستحييت وخجلت وبكت وقالت : يا جارية ، هاني عودي . والله ما أحسن هذا
ولكن أحسن غيره ، فغنت :

تحمّل أهلها منها فبأنوا على آثار من ذهب الغناء

قال : فاستجيا والله صاحبنا حتى تصبب عرقاً ثم قال لها : ياسيدي أنتي حسنين

١٥ أن تغني :

وأخضع للعبى إذا كنت ظالماً وإن ظلموا كنت الذي أتفضل ؟

قالت : والله ما أعرف هذا ولكن غيره ، فغنت :

فإن تقبلوا بالود أقبل بمثله وأنزلكم منا بأكرم منزل

٢٠ قال : فدفع الباب ودخل وأرسل غلامه يحمل إليه حوائجه . وقال :

لمن الله الأهل والولد والضيعة .

خبر الدلفاء

خبرها مع سليمان
ابن عبد الملك

- قال أبو سويد : حدثني أبو زيد الأسدي قال : دخلتُ على سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وهو جالس على دكان مبلط بالرخام الأحمر ، مفروش بالديباج الأخضر ، في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع ، وإذا بإزاء كل شق من البستان ميدان بنبت الربيع قد أزهر . وعلى رأسه وصائف ، كُمل واحدة ٥
منهن أحسنُ من صاحبتهما . وقد غابت الشمسُ فنضرت الخضرة ، وأضعفت في حُسْنها الزُّهرة ، وغنت الأطيّار فتجاوبت ، وسفت الرياح على الأشجار فتمايلت ، بأنهار فيه قد شُمِقت ، ومياه قد تدفقت . فقلت : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . وكان مُطرقاً ، فرفع رأسه وقال : أبا زيد ، في مثل هذا الحين يُصاب أحد حيتاً^(١) ؟ قلت : أصلح الله الأمير ، أو قد قامت القيامة بعد . قال : نعم ، على ١٠
أهل المحبة سرّاً والمراسلة بينهم خفية^(٢) . ثم أطرق ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : أبا زيد ، ما يطيب في يومنا هذا ؟ قلت : أعز الله الأمير ، قهوة صفراء في زجاجة بيضاء ، تُناولها مقدودة هيفاء ، مضمومة لفاء دَعْجاء . أشربها من كفها ، وأمسح ٢٣٦
في يديها . فأطرق سليمان مليّاً لا يُخبر جواباً ، تنحدر من عينه عبرات بلا شهييق .
فلما رأى الوصائف ذلك تنحّين عنه . ثم رفع رأسه فقال : أبا زيد ، حلت في ١٥
يوم فيه انتضاء أجلك ، ومُنْتَهَى مدتك ، وتَصَرُّمُ عمرك ، والله لأضربن عنقك أو لتُخبرنني ما أثار هذه الصفة من قلبك . قلت : نعم أصلح الله الأمير ، كنت جالساً عند باب أخيك سعيد بن عبد الملك ، فإذا أنا بجارية قد خرجت إلى باب ٢٠
النصر كالغزال أنفلت من شبكة الصياد ، عليها قميصٌ سَكَبٌ^(٣) يتبين منه بياضُ يَدْنِها ، وتدويرُ سُرَّتْها ، ونقشُ تِسْكَتْها ، وفي رجلَيْها نعلان صرّاران ، قد أشرق بياض قدميها على حُمْرة نعلَيْها ، مضمومة بفرد ذؤابة تضرب إلى حِقْوَيْها ،

(١) في ن : « تصاب حيا » .

(٢) في ن : « خفياً » .

(٣) السكب : ضرب من الثياب رقيق كأنه الغبار من رقيقه كأنه سكب ماء من الرقة .

وفي بعض الأصول : « اسكندرائي » .

وتسيل كالعشاكيل على منكبيها ، وطرة قد أسبلت على متنى جبينها ، وصُدغان
قد زُبنا كأنهما نُونان على وجنتيها ، وحاجبان قد قوَّسا على محجري عينيها ، وعيمان
مملوءتان سِحرا ، وأنف كأنه قصبه دُرّ ، وفم كأنه جرح يَقْطُر دما . وهي تقول :
عباد الله ، مَنْ لى بدواء ما لا يُشْتكى ؟ وعلاج ما لا يَسْمى ^(١) ؟ طال الحجاب ،
وأبطأ الجواب ، فالقُود ^(٢) طائر ، والقلب ^(٣) عازب ، والنفس والهة ، والقُود
مُختلس ، والنوم مُحْتَبَس ، رحمة الله على قوم عاشوا تَجَلّداً ، وماتوا تَبَلّداً . ولو كان إلى
الصبر حيلة ، وإلى العزاء سبيل ، لكان أمراً جميلاً . ثم أطرقت طويلاً ، ثم رفعت
رأسها . فقلت : أيتها الجارية ، إنسيّة أنت أم جنيّة ؟ سمائية أم أرضية ؟ فقد أعجبنى
ذكاء عقلك ، وأذهلنى حُسن منطقك . فسرت وجهها بكُمها كأنها لم تَرَنى ، ثم
قالت : أعذر أيّها المتكلم الأريب ، فما أوحش الساعة بلا مُساعد ، والمُعاساة
لصبّ مُعانِد ، ثم أنصرفت . فوالله ، أصلح الله الأمير ، ما أكلت طَيِّباً إلا غُصصت
به لَذْكَراها ، ولا رأيت حُسناً إلا سَمَج في عيني حُسْنها . قال سُلَيْمان : أبا زيد ،
كاد الجَهِل أن يستفزّنى ، والصُّبا أن يُعاودنى ، والحِلْم أن يعزب عني ؛ لحسن ما رأيت
وشجوا ما سَمِعْت ، تلك هى الذَّلْفاء التى يقول فيها الشاعر :

١٥ إِنَّمَا الذَّلْفاءُ ياقوتة أخرجت من كيس دِقْقان

شراؤها على أخى ألف ألف درهم . وهى عاشقة لمن باعها ، والله إني من
لا يموت إلا بحزنها ، ولا يدخل القبر إلا بغُصتها ، وفى الصبر سلوة ، وفى توتّم
الموت نُهية ، فم أبا زيد فاكتم المفاوضة . يا غلام ثقله بِبَدْرَةٍ . فأخذتها وأنصرفت .
قال أبو زيد : فلما أنضت الخلافة إلى سُلَيْمان صارت الذَّلْفاء إليه ، فأصر بفُسطاط ،
فأخرج على دَهْناء الغوطة وضرب فى روضة خُضراء ، مُونقة زهراء ، ذات حدائق

(١) فى بعض الأصول : « من لا يشتكى وعلاج من لا ينتهى » .

(٢) فى ن : « فالقلب » .

(٣) فى ن : « والصبر » .

بهجة ، تحتها أنواع الزهر الغض ، من بين أصفر فاقع ، وأحمر ساطع ، وأبيض ناصع ، فهي كالثوب الحرى^(١) ، وحواشى البرد الأتمى^(٢) ، يشير منها مَرَّ الرياح نسيم يربى^(٣) على رائحة العنبر ، وفيتت المسك الأذفر . وكان له مَنَنٌ ونديمٌ وسيمير يقال له سنان ، به يأنس وإليه يسكن . فأمر أن يضرب فسطاطه بالقرب منه . وقد كانت الذلفاء خرجت مع سليمان إلى ذلك المتنزه ، فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكل سرور ، وأتم حُبور ، إلى أن انصرف مع الليل إلى فسطاطه . فنزل به جماعة من إخوانه فقالوا له : قرأنا ، أصلحك الله . قال : وما قرأكم ؟ قالوا : أكل وشرب وسماع . قال : أما الأكل والشرب فمباحان لكم ، وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه إياي عنه ، إلا ما كان في مجلسه . قالوا : لا حاجة لنا بطعامك وشرابك إن لم نسمعنا . قال : فأختاروا صوتاً واحداً أغنىكموه . قالوا : غننا صوت كذا . قال : فرفع عقيرته يتغنى بهذه الأبيات :

تَحْجُوبَةُ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرْقَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا طَلَمَهَا^(٤) السَّحَرُ
تَنَنَّى عَلَى اتِّخَاذِهَا مِنْهَا مِنْ مَعْصُفَةٍ وَالْحُلَى بِإِدْرِ عَلَى لَبَائِهَا خَمِيرِ
فِي لَيْلِهِ أَلَمْ لَا يَكْدِرُ مُضَاجِعُهَا أَوَجُّهَا عِنْدَ أَبِي أُمِّ الْقَمَرِ
لَمْ يَحْجِبِ الصَّوْتِ أَحْرَاسٌ وَلَا غَلَقُ فَدَمَعَهَا لَطُرُوقُ الصَّوْتِ مُنْهَدِرِ
لَوْ خُلِّيتْ لَمَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمِ تَكَادُ مِنْ لَيْنِهَا لِلْمَشَى تَنْفَطِرِ

فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت إلى وسط الفسطاط تستمع ، فجعلت لا تسمع شيئاً من حسن خلق ولطافة قد إلى الذي وافق المعنى ، من وقت الليل واستماعها الصوت إلا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها^(٥) . فحرك ذلك ساكنها في قلبها ، فحملت عيناها وعلا تشيجهما . فانقبه سليمان فلم يجدها معه ، فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها

(١) نسبة إلى الحرم . قال ابن منظور : والنسبة في الناس إلى الحرم حرى ، بكسر

الحاء وسكون الراء . فإذا كان في غير الناس قالوا : ثوب حرى ، بالتحريك .

(٢) الأتمى : ضرب من البرود .

(٣) في ن : « تنى » .

(٤) في ن : « بلها » .

(٥) في بعض الأصول : « ومهبطها » .

على تلك الحال ، فقال لها : ما هذا يا ذلفاء ؟ فقالت :

ألا رُبَّ صَوْتٍ رَائِعٍ مِنْ مُشَوِّهِ قَبِيحٍ الْمُحْيِيَّ رَاضِعِ الْأَبِّ وَالْجَذِّ
يَرَوِّعُكَ مِنْهُ صَوْتُهُ وَلَعَلَّهُ إِلَى أُمَّةٍ يُعْرِى مَعَا وَإِلَى عَبْدٍ

فقال سليمان : دَعْنِي مِنْ هَذَا ، فوالله لقد خامر قلبك منه ما خاصر .

٥ يا غلام ، على بستان . فدعت الذلفاء خادماً لها فقالت : إن سبقت رسول
أمير المؤمنين إلى بستان فحذره ولك عشرة آلاف درهم ، وأنت حر لوجه الله .
فخرج الرسول ^(١) . فسبق رسول سليمان . فلما أتى به قال : يا بستان ، ألم أنهك
عن مثل هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، حملني الثمل وأنا عبدُ أمير المؤمنين وغدني
نعمته ، فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يضيع حظّه من عبده فليفعل . قال :
١٠ أما حظّي منك فلن أضيعه ، ولكن ويلاك ! أما علمت أن الرجل إذا تغنى أصغت
المرأة إليه ، وأن القوس إذا صهل استودقت ^(٢) له الحصان ، وأن الفحل إذا هدر
ضجعت له النانة ، وأن التيس إذا نبّ استحرمت له الشاة ؟ إياك والقوود إلى
ما كان منك فيطول غمك .

أبو السمراء
وأمرأة تبيع
الطرائف

١٥ قال إسحاق : حدثني أبو السمراء قال : خرجت فبذأت بالمدينة ، فاني
لمنصرف من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا امرأة بفناء المسجد تبيع
من طرائف المدينة ، وإذا هي في ناخية وحدها وعليها ثوبان خلتان ، وإذا هي
ترجّع بصوت خفي شجي ، فالتفت فرأيتها . فوثقت فقالت : هل من حاجة ؟
قلت : تزيدني في السماع ، قالت : وأنت قائم ؟ لو قعدت . فقعدت كالخجل .
فقالت : كيف علمك بالغناء ؟ قلت : علم لا أحده . قالت : فعلام أنفخ بغير نار ،
٢٠ ما منمك من معرفته ؟ فوالله أنه لسحورى وفطورى ، قلت : وكيف وضعته بهذا
الموضع العالي ؟ قالت : يا هذا ، وهل له موضع يوضع به وهو من علوه في السماء
الشاهقة ؟ قلت : فكل هؤلاء النسوة اللاتي أرى على مثل رأيك وفي مثل

(١) في ن : « نخرج الرسولان » . (٢) استودقت : اشتهدت .

حالك ؟ قالت : فيهن وفيهن ، ولي بينهن قصّة . قلت : وما هي ؟ قالت : كنتُ أيام شبابي وأنا في مثل هذه الخلقة التي ترى من القُبْح والدُّمَامَة ، وكنتُ أشتهي الجماع شهوة شديدة ، وكان زوجي شابًا وضيئًا ، وكان لا ينتشر عليّ حتى أتحمفه وأطيبه وأسكره . فأضرّ ذلك بي ، وكان قد علّقته امرأة قصّار تجاورني ، فزاد ذلك في غمّي . فشكوت إلى جارة لي ما أنا فيه وغلبتُ امرأة القصار على زوجي .

٢٥٦
٣

فقلت : أدلك على ما يُنمّضه عليك ويردّ قلبه إليك ؟ قلت : وأبأبي أنت ، إذا تكونين أعظم الخلق منّةً عليّ . قالت : اختانفي إلى تجمع مولى الزُّبير ، فإنه حسن الغناء ، فأعلقى من أغانيه أصواتا عشرة ثم غنى بها زوجها ، فإنه سيّجاءمك بجوارحه كما . قالت : فألظّظت^(١) بمجمع ، فلم أفارقه حتى رضيتُ حَذَاقَةً ومعرفة . فكنت إذا أقبل زوجي اضطلجمتُ ورفعتُ عقيرتي ثم تغنّيت . فإذا غنيت صوتاً بت عليّ زُب^(٢) ، وإن غنيت صوتين بت عليّ زُين^(٣) ، وإن غنيت ثلاثة فثلاثة .

فكنا كغندمانى جذيمة حِقْبَةً من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

قال : فضحك الله حتى أمسكتُ على بطني ، وقلت : يا هذه ، ما أظن الله خلق مثلك . قالت : اخفض من صوتك . قلت : ما كان أعظم منّةً صاحبة^(٤)

١٥ المشورة . قالت : حسبك بها منّة وحسبك بي شاكرة . قلت : ففي قلبك من تلك الشهوة شيء ؟ قالت : لَدَع في الفؤاد ، وأما تلك الغلّة التي كانت تُنسيّني الفريضة وتقطّعنني عن النافلة فقد ذهب تسعة أعشارها . فوقفت عليها وقلت : ألك حاجة أن أرم بعضَ حالك ؟ قالت : لا ، أنا في فائت من العيش . فلما نهضتُ لأقوم ، قالت : عليّ رسلك ، لا تنصرف خائبًا ، ثم ترنّمت بصوت تُخفيه من جاراتها :

(١) كذا في ن . وألظ : لزم . والذي في سائر الأصول : « التلطت » .

(٢) في بعض الأصول : « نيف » .

(٣) في بعض الأصول : « نيفين » .

(٤) في بعض الأصول : « منة من المشورة » .

ولي كبدٌ مَـتروحةٌ مَن يبيعني بها كبداً ليست بذات قُروح
أبي الناسُ كُلُّ الناسِ لا يشترونها ومَن يشتري ذا علةً ^(١) بصحيح
أبو بكر بن جامع عن الحسين بن موسى قال : كتب علي بن الجهم إلى قينة
كان يتمشّتها :

بين ابن الجهم
وقينة تمشّتها

خَفِيَ اللهُ فيمَن قد تَبَلَّتْ فَوادَه وتَيَمَّته دهرًا كأن به سِحرًا
دعى الهَجْرَ لا أسمع به منك إنما سألتك أسراً ليس يُعْرِى لَكُمْ ظَهراً
فَسَكَتَ إليه : صدقت ، جُمِلت فداك . ليس يُعْرِى لنا ظهراً ، ولكنه
بملاً لنا بطناً .

وكان أبو بكر الكاتب مُفَتِّناً بقينة محمد بن حماد ، فأهدى إليها قميصاً ^(٢) ،
فقال فيه بعض الكتاب :

أبو بكر الكاتب
وقينة ابن حماد

أهدى إليها قميصاً يَنِيكها فيه غيرُه
فلا سعادة حِرُّها وللشقاوة أيرُه

حدث أبو عبد الله بن عبد البر المدني بمصر قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم عن
الهيثم بن عدي قال : كان بالمدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لإحداهما
رشاً وللأخرى جُوذِر ، وكان يُحب الغناء ^(٣) . وكان بالمدينة مُضحك لا يكاد
يغيب عن مجالس المتظرِّفين ^(٤) . فأرسل الهاشمي إليه ذات يوم ليَضْحَك به . فلما أتاه
قال : ما الفائدة فيك ^(٥) وفي لذتك ولالذة لي ؟ قال له : وما لذتك ؟ قال : تُحضر
لي نبيذاً ، فإنه لا يطيب لي عيش إلا به . فأمر الهاشمي بإحضار نبيذ وأمر أن
يُطرح فيه سكر العُشر . فلما شربه المُضحك تحرَّكت عليه بطنه ، وتناوم الهاشمي
ونغمز جواريه عليه . فلما ضاق عليه الأمرُ وأضطر إلى التبرُّز قال في نفسه :
ما أظن هاتين المُغَنِّيَتَيْنِ إلَّا يمانيتين ، وأهلُ اليمن يُسمون الكُنف المراحيض .

هاشمي ومضحك

(١) في ن : « عرة » . (٢) في بعض الأصول : « ممسكة » .

(٣) في ن : « يعجبه السماع » .

(٤) في بعض الأصول : « عن مجلس أحد » .

(٥) في ن : « إنك في لذتك ولالذة لي » .

فقال لهما : يا حبيبتى ، أين المرحاض ؟ قالت إحداها لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت يقول غنّيانى :

رَحَضَتْ قُوَادِي فَخَلَّيْتَنِي أَهِيْمُ مِنَ الْحَبِّ فِي كُلِّ وَادٍ
فاندفعتا تغنّياه . فقال فى نفسه : ما أراها فهمتا عني ، أظنهما مكّيتين وأهل مكة يسمونها البخارج . قال : يا حبيبتى ، أين المخرج ؟ قالت إحداها للأخرى : ما يقول ؟ قالت : يقول غنّيانى :

خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَابَتِ الْمُنَادَى لِلصَّلَاةِ فَأَعْلَمَا^(١)
فاندفعتا تغنّياه . فقال فى نفسه : لم يفهما والله عني ، أظنهما شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب . فقال لهما : يا حبيبتى ، أين المذهب ؟ قالت إحداها لصاحبتها : ما يقول ! قالت : يقول غنّيانى :

ذَهَبَتْ مِنَ الْمِجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ
ففتناه الصوت . فقال فى نفسه : لم يفهما عني ، وما أظنهما إلا مدنيّتين ، وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء ، فقال لهما : يا حبيبتى ، أين بيت الخلاء ؟ قالت إحداها لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يسأل أن تغنى :

خَلَّى عَلَى جَوَى الْأَشْوَاقِ إِذْ ظَنَّمَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ وَالتَّسْهِيدِ وَالْحَزَنَا
قال : ففتناه . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أحسب الفاسقتين إلا بخرّيتين ، وأهل البصرة يسمونها الحشوش ، فقال لهما : أين الحش ؟ فقالت إحداها لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت يسأل أن تغنيه :

أَوْحَشَ الْحِشَّانُ فَالرَّيْبُ مِنْهَا^(٢) فَمُنَاها فَالْمَنْزِلُ الْمَعْمُورُ
فاندفعتا تغنّياه . فقال : ما أراها إلا كوفيتين ، وأهل الكوفة يسمونها الكُف . قال : يا حبيبتى ، أين الكنيف ؟ قالت إحداها لصاحبتها : يعيش سيدنا هل رأيت أكثر أفتراحا من هذا الرجل ! ما يقول ؟ قالت : يسأل أن تغنى :-

(١) فى ن : « أقام للمنادى بالعشاء فأعلما »

(٢) الحشان ، بكسر الحاء : هو فى أصله جمع حش ، بالضم ، وهى اظام

لليهود بالمدينة .

تسكنفني الهوى طفلاً فشيبني وما أكتهلا

قال : فغلبه بطنه وعلم أنهما تولعان به ، والهاشمي يتقطع ضحكا . فقال لهما :
كذبتا يازانيتان ، ولكني أعلمكما ماهو ، فرغ ثيابه فسلح عليهما ، وانتبه الهاشمي ،
فقال له : سبحان الله ! أتسلح على وطائي ! قال : والذي خرج من بطني أعزُّ
علي من وطائك ، إن هاتين الزانيتين إنما حسبتا أني أسأل عن الخش للضراط ،
فأعلمتهما ماهو .

قولهم في العود

قال يزيد بن عبد الملك يوماً ، وذكر عنده البربط فقال : ليت شعري ماهو ؟
فقال له عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أنا أخبرك ماهو ، محدودب
الظهر ، أرسح البطن ، له أربعة أوتار ، إذا حركت لم يسمعها أحد إلا حرك
أعطافه وهز رأسه .

مرَّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي برجل يئنح عوداً فقال له : لمن تُرهف
هذا السيف ؟

[وقال بعض الكتاب في العود :

وناطق بلسان لا ضمير له كأنه نخذ نيطت إلى قدم
يبيد ضمير سواء في الكلام كما يبيد ضمير سواء منطق القلم]

ومن قولنا في هذا المعنى :

يا مجلساً أينعت منه أزاهره يُنسبك أوله في الحسن آخره
لم يذر هل بات فيه ناعماً جذلاً أوبات في جنة الفردوس ساهره
والعود يخفق مثناه ومثلثه والصبح قد غرّدت فيه عصافره
وللهجسارة أمزاج إذا نطقت أجلبها من طيور البر ناقره^(١)

(١) في بعض الأصول : « أحياءها الكبير المعنى ناقره » .

٢٦٧
٣

٥

١٠

١٥

٢٥

٢٥

وَحَنٌّ مِنْ بَيْنِهَا النُّكْبَانُ عَنْ نَعْمٍ
كَأَنَّمَا الْعُودُ فِيمَا بَيْنَنَا^(١) مَلَاكٌ
كَأَنَّهُ إِذَا تَمَطَّى وَهِيَ تَتْبَعُهُ
ذَلِكَ لِلصَّوْنِ الَّذِي لَوْ كَانَ مُبْتَدَلًا
صَوْتُ رَشِيقٍ وَضَرْبٍ لَوْ يُرَاجَعُهُ
لَوْ كَانَ زُرْيَابٌ حَيًّا نَمَّ أَسْمَعُهُ

وقال بعض الكتاب في العود :

لبعض الكتاب
في مثله

وَنَاطِقٌ بِلِسَانٍ لَا ضَمِيرَ لَهُ
يُبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ فِي الْكَلَامِ كَمَا

وقال الحمدوني فيه :

الحمدوني

وَسَجَّعَتْ رَجْعَ عُودٍ بَيْنَ أَرْبَعَةٍ
فَوَلَدَتْ لِلنَّدَامَى بَيْنَ نَعْمَتِهَا
فَمَا تَلَعَّمْ عَنْهَا لَفْظُ مِرْهَرِهَا
تُهْدَى إِلَى كُلِّ جِزْمٍ^(٣) مِنْ طَبَائِعِهَا
وَتَرْتَمَى^(٥) الْعَيْنُ مِنْهَا رَوْضَ وَجْنِهَا

وقال عكاشة بن الحصين :

لعكاشة بن
الحصين

مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا
وَكَأَنَّ يُمْنَاهَا إِذَا ضَرَبَتْ بِهَا

ومن قولنا في العود :

لابن عبد ربه

(١) في ن : « بينها » .

(٢) في بعض الأصول : « وسجعت رجع صوت بين أربعة » .

(٣) في بعض الأصول : « حر » تحريف .

(٤) في بعض الأصول : « أترقى » تحريف .

(٥) في بعض الأصول : « نغم » .

(٦) في ن : « عكاشة البحصي » .

يأرب صوت بصوغه عصب
جوفاء مضمومة^(١) أصابها
في ساكنات^(٢) تحريكها نغم
أربعة جزئت لأربعة
أصغرها في القلوب أكبرها
يُبعت منه الشفاء والسقم
إذا أرنت بفنن لافظها
قلت حمام يحيين حم
لما لسان بكفت ضاربها
يُرب عنها وما لحن فم

٥

قولهم في المبردين في الغناء

لأبي نواس

قال أبو نواس :

قل زهير إذا شدا وحدا
سَخُنْتُ من شدة البرودة حتى
أقلل أوا أكثر فانت مذار
صرت عندي كأنك النار
كذلك الثلج بارد حار
لا يوجب السامعون من صفتي

١٠

وقال أيضا :

قد نضجنا ونجن في الجليش طرا
فأصيبوا لنا حسينا فقيه
أنضجتنا كواكب الجوزاء
عرض من جليد برد الشتاء
لم يغيره من برد ذاك الغناء
لو يثنى وقوه ملاّن خيرا

١٥

وله :

كان أبا الفليس إذ يُغنى
يُميل بشدقه طورا وطورا
يحاكي عاطسا في عين^(٣) شمس
كان بشدقه^(٤) خربان خرس

٢٦٨
٣

وقال دعبيل :

لدعبيل

(١) في ن : « مضمومة »

(٢) في بعض الأصول : « ساكنات » :

(٣) في بعض الأصول : « في ضوء » .

(٤) في ن : « بلعيه » .

وَمُعْنٌ إِنْ تَقْنَى أَوْرَثَ النَّدْمَانِ هَمًّا
أَحْسَنَ الْأَقْوَامِ حَالًا فِيهِ مَنْ كَانَ أَصَمًّا

للحمدوني وقال الحمدوني :

بَيْنَمَا نَحْنُ سَالِمُونَ جَمِيعًا إِذْ أَتَانَا ابْنُ سَالِمٍ مُخْتَلَا
فَتَفَعَّنِي صَوْتًا فَكَانَ خَطَاءَ نَحْمُ نَتْنِي أَيْضًا فَكَانَ مُحَالَا
سَالِفًا خِلْمَةً^(١) عَلَى مَا تَفَعَّنِي نَحْلَعْنَا عَلَى قَفَاءِ النُّعَالَا

لعباس الحياط ولعباس الحياط :

رَأَيْتُ يَوْمًا سَائِبًا^(٢) يَضْرِبُ قَعَمْتُ مِنْ مَجْلِسِنَا أَهْرَبُ
لَأَنَّهُ يَنْبِجُ مِنْ عُودِهِ عَلَيْكَ مِنْ أَوْتَارِهِ أَكَلَبُ
كَأَنَّمَا تَسْمَعُ فِي حَلْقِهِ دَجَاجَةٌ يَخْنُقُهَا ثَعْلَبُ
مَا تَهْجِي مِنْهُ وَلِكُنْفِي مِنْ الَّذِي يَسْمَعُهُ أَهْجَبُ
وقال آخر :

وَمُعْنٌ يَخْرَى عَلَى جُلْسَانِهِ ضَرَبَ اللَّهُ شِدْقَهُ بِغَنَائِهِ
وقال مؤمن في ربيع المغنى وكان يتغنى وينتثر في الدواة :

غَنَاؤُكَ يَا رَبِّيعَ أَشَدَّ بَرْدًا إِذَا سَحَى الْمَجِيرُ مِنَ الصَّقِيعِ
وَنَقَرُكَ فِي الدَّوَاةِ أَشَدَّ مِنْهُ فَمَا يَصْبُو إِلَيْكَ سَوَى رَقِيعِ
أَغَشَّنَا فِي الْمَصِيفِ إِذَا تَلَطَّى وَدَعَّنَا فِي الشِّتَاءِ فِي الرَّبِّيعِ

باب من الرقائق

قد جُبِلَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى سُوءِ الْاِخْتِيَارِ وَقِلَّةِ التَّحْصِيلِ وَالنَّظَرِ ، مَعَ
لُؤْمِ الْفَرَاغِ ، وَضَمَفِ^(٣) الْمِمْ ، فَقَلَّ مَنْ يَخْتَارُ مِنَ الصَّنَائِعِ أَرْفَعَهَا ، وَيَطْلُبُ مِنَ
الْعُلُومِ أَنْفَعَهَا ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَثْقَلُ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأَبْغَضُهَا إِلَيْهِمْ ، مَوْثَةُ التَّحْفِظِ ،

(١) في بعض الأصول : « حاجة » . (٢) في بعض الأصول : « نصرأ شادياً » .

(٣) في بعض الأصول : « وضفة » .

وأخفها عندهم وأسهلها عليهم إسقاط المروءة .

وقيل لبعضهم : ما أحلى الأشياء كلها ؟ قال : الأرتكاس . وقيل لعبد الله
ابن جعفر : ما أطيب العيش ؟ قال : هتك الحياء وأتباع الهوى .

وقيل لعمر بن العاص : ما أطيب العيش ؟ قال : ليقم من ههنا من
الأحداث . قال : فلما قاموا . قال : العيش كله إسقاط المروءة ، وأى شيء أثقل
على النفس من مجاهدة الهوى ومكابدة الشهوة . ومن ذلك كان سوء الاختيار
أغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار .

الأتري أن محمد بن يزيد النحوي ، على علمه بالآفة ومعرفته باللسان ،
وضع كتاباً سماه بالروضة وقصد فيه إلى أخبار الشعراء المحدثين ، فلم يفتخر لـ كل
شاعر إلا أبرد ما وجد له ، حتى أنتهى إلى الحسن بن هاني ، وقلما يأتي له بيت
ضعيف لـ رقة فطنته وسبوطه بنيته وعذوبة ألفاظه ، فاستخرج له من أبرد أبياتاً
ما سمعناها ولا روينها ، ولا ندرى من أين وقع عليها ، وهي :

ألا لا تلحنى في القمار جليسى ولا تلحنى في شربها بعبوس

تعشها قلبي فنبض عشقها إلى من الأشياء كل نفيس

٢٦٩
٣

وإن هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين أجتلب ذكره
١٥

في كتاب الموالى ، فقال : ومن الموالى الحسن بن هاني ، وهو من أقدر الناس على

الشعر ، وأطبعهم فيه . ومن قوله :

جاء بها صفراء بكرأ يزنها إلى عروساً ذات دلٍ معشوق

فلما جلّتها الكأس أبدت لناظري محاسن ليت بالجمان مطوق

ومن قوله :

ساع بكاس إلى ناس على طرب كلاهما عجب في منظر رجب

قامت تريك وشمل الليل مجتمع صبحاً تولد بين الماء والعنب

كانت صغرى وكبرى من قفاقها حصباء دُرّ على أرض من الذهب

وجُلُّ أشعاره الخريات بديعة لا نظير لها ، فخطر بها كلها وتخطاها إلى التي
خايسته في برده ، فما أحسبه لحقه هذا الاسم أعنى المبرد ، إلا لبرده . وقد تخير
لأبي العتاهية أشعارا تقبل من بردها ، وشنقها وقرطها بكلامه ، فقال : ومن شعر
أبي العتاهية المستظرف عند الظرفاء المخير عند الخلفاء قوله :

يا قرة العين كيف أمسيت أعز علينا بما تشكيت
وقوله :

آه من وجدى وكربى آه من لوعة حُبِّى
ما أشدَّ الحُبَّ يا سُبْحانَكَ اللهُمَّ ربِّى

ونظير هذا من سوء الاختيار ما تنخيره أهل الحذق بالفناء والصانعون الألمان
من الشعر القديم والحديث ، فإنهم تركوا منه الذى هو أرق من الماء ، وأصفى من
رقعة الهواء ، وكُل مدنى رقيق ، قد غذى بماء العقيق ، وغثوا بقول الشاعر :

فلا أنسى حياتى ما عَبدت الله لى ربًّا

وقلتُ لها أنيلينى فقالت أفرق الدنيا^(١)

ولو تعلم ما نى لم تهب دُبًّا ولا كلبًا^(٢)

وأقل ما كان يجب فى هذا الشعر أن يضرب قائله خمسمائة سوط ، وصانعه ،
أربعمائة ، والمضى به ثلثمائة ، والمضى إليه مائتين . ومثله :

كأنما الشمس إذا ما بدت تلك التى قلبى لها يضرب

تلك سُلَيْمى^(٣) إذا ما بدت وما أبا فى ودَّها أرغب

كأن فى النفس لها سحرًا ذاك الذى علمته المذهب

يعنى بالمذهب الجنى . ومثله :

يا خليلي أتما عللاني بين كرم ومزهر وجنان^(٤)

(١) فى بعض الأصول : « فقالت تعرف الدنيا » .

(٢) فى بعض الأصول : « تر الدب ولا العنبا » .

(٣) فى بعض الأصول : « سُلَيْمى » .

(٤) بين : يا خليلي عللاني • بين لبستان وكرم وجنان

من سوء
الاختيار

خبراني أين حلت مناي يا عباد الله لا تكتماني
إنما حلت بواد خصب يُنبِت الورد مع الزعفران
أحلف بالله لو وجدتاني غرقاً في البحر ما أنقذاني

ومثله :

٢٧٠
٣

أبصرت سلمي من مني يوماً فراجعت العبا
يا درة البحر متى تشهد سوقاً تشترى

ومثله :

٥

يا مقشر الناس هذا أمرٌ ورئي شديد
لا تغنني يا فلانة فأنني لا أريد

ومثله :

١٠

أرقت فأمسيت لا أرقد وقد شفى البيض والخود
نصرت لظي بني هاشم كائن مكنحل أرمد
أقلبُ أمري لدى فكرتي وأهبط طوراً فما أصد
وأصعد طوراً ولا علم لي على أنني قبلكم أرشد

ومثله :

١٥

ما أرجى من حبيب ضرت عني بالمداد
لو يكفيه سحاب ما ارتوت منه بلادي
أنا في وادٍ ويمسى هو لي في غير وادٍ
ليته إذ لم يجد لي بالهوى ردّ فوادي

ومثله :

٢٠

ما لسمي تجنبت ما لها اليوم ما لها
إن تكن قد تغضبت أصلح الله حالها

باب من رقائق الغناء

قال الزبير بن بكار : سألت إسحاق هل تُغنى من شعر الراعى شيئاً ؟ قال :
وَأين أنت من قوله :

بين ابن بكار
وإسحاق في
شعر الراعى

فلم أر مظلوماً على حال عِزَّة أقل أنصاراً باللسان وباليدِ
سوى ناظرٍ ساجٍ بعين مريضة جرت عبرةً منها ففاضت بأحمد

ومن شعر ابن الدمينية وهو عبيد الله بن عبد الله ، والدُمينية أمه ، وهو من
أرق شعراء المدينة بعد كثير عزة ، وقيس بن الخطيم :

من شعر ابن
الدمينية

بنفسي وأهلي مَنْ إذا عرضوا له بيمض الأذى لم يذر كيف يُجيب
ولم يعتذر عُذر البرئ ولم تزل له بهتة حتى يُقال مُريب
جرى السيلُ فاستبكان السيلُ إذ جرى وفاضت له من مُقلتي غروب
وما ذاك إلا أن تيقنت أنه يمر بوادٍ أنت منه قريب
يكون أجاباً قبلكم فإذا أنتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب
أيا ساكني شرفي دجلة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

ومن قول يزيد بن الطثرية ، وغنى به ابنُ صياد المني (١) وغيره :

مما غنى به ابن
صياد في قول
ابن الطثرية

بنفسي مَنْ لو مرَّ برَّدُ بنائه على كبدى كانت شفاءً أنامله
ومَنْ هابني في كل شيء وهبته فلا هو يُعطيني ولا أنا سائله

٢٧١
٣

ومما يُغنى به من قول جرير :

مما يغنى به في
قول جرير

أتذكر إذ تودعنا سليبي بعود بشامة سقي البشام
بنفسي مَنْ تجنبه عزيزٌ على ومن زيارته لِمَ سام
ومَنْ أمسى وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام

٢٠

(١) في بعض الأصول : « الدني » .

متى كان الخيام بذى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام
ومما غنى به نومة الضحى :
يا موقد النار قد أعميت قوادحه أقبس إذا شئت من قلبي بمقباس
ما أوحش الناس في عيني وأقبحهم إذا نظرت فلم أبصر في الناس
ومما يُغنى به من شعر ذى الرمة . وهو من أرق شعر يغنى به قوله :
لئن كانت الدنيا على كما أرى تباريح من ذكراك فالموت أروح
وأكثر ما كان يُغنى معبد بشعر الأحوص ، ومن جيد ما غنى به
له قوله :

كأنى من تذكر أم حفص وحبل وصلها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه تموت لها المفاصل والعظام
سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام
فإن يكن النكاح أحل شيئا فإن نكاحها مطرا حرام
ومن شعر المتوكل بن عبد الله بن نهشل وكان كوفيا في عصر معاوية ،
وهو القائل : * لآتفه عن خلق وتأتى مثله * :
قفى قبل التفرق يا أماها ورُدّي قبل يئسكم السّلاما
ترجّيا وقد شطّت نواها ومنتك المني عامّا فعاما
فلا وأبيك لا أنساك حتى تجاوب هامتي في القبر هاما

ومما يُغنى به من شعر عدى بن الرقاع :
تزجي أغنّ كأن إبرة رَوْقه قلم أصاب من الدواة مدّادها
ولقد أصبت من المعيشة لذة ولقيت من شظف الخطوب شدادها
وعلمت حتى ما أسائل عالما عن حرف واحدة لكي أزدادها^(١)

(١) في ن بعد هذا : « تم الجزء الموفى أربعين بكمال كتاب الياقوتة الثانية في الفناء والاختلاف فيه . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد نبيه الكريم وآله وسلامه . يتلوه في الحادى والأربعين أول كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن إن شاء الله تعالى » .

(١) كتاب المرجانة الثانية

في النساء وصفاتهن

- ٥ قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا في الغناء واختلاف الناس فيه ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النساء وصفاتهن وبما يحمد ويذم من عشرتهن ، إذ كان العيش كله مقصورا على الخليفة الصالحة والزوجة الموافقة ، والبلاء كله موكلا بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس إلى كريم عشرتها ، ولا تقر العين برؤيتها .
- ١٠ قال الأصمعي : حدثني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير قال : ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق ، ولا وضع أحد نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء . ثم قال : لعن الله فلانة ، ألفت بني فلان بيضا طوالاً فقلبتهم سودا قصارا .
- ٢٧٢ / ٣ وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : المرأة العاقلة تبني بيتها والسفينة تهدمه .
- ١٥ وقال : الجمل كاذب والحسن مخلف ، وإنما تستحق المدح للمرأة الموافقة .
- ٢٠ مكحول ، عن عطية بن بشر ، عن عكاف بن وداعة الهلالي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : يا عكاف ، ألك امرأة ؟ قال : لا . قال : فأنت إذا من إخوان الشياطين ، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم ، وإن كنت منّا فإنكح فإن من سئتنا النكاح .
- لماشة
- ٢٠ وقال صلى الله عليه وسلم : « أوصيكم بالنساء فإنهن عندكم عوان » ، يعني أسيرات .
- لنبي صلى الله عليه وسلم
- (١) في ن قيل « بسم الله الرحمن الرحيم : اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وسلم »

قولهم في المناكح

خطبة صمصمة
إلى عامر بن
الظربة ابنته

خطب صمصمة بن معاوية إلى عامر بن الظرب حكيم العرب ابنته عمرة ،
وهي أم عامر بن صمصمة فقال : يا صمصمة ، إنك أتيتني تشتري مني كبدي ،
فأرجم ولدي قبلتك أو رددتك . والحسيب كفف الحسيب ، والزوج الصالح
أب بعد أب . وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفر من السر إلى
العلانية . يا معشر عدوان ، خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبة
ولاً رهبة ، أقسم لولا قسم الحظوظ على الجود ما ترك الأول للآخر
ما يعيش به .

خطبة عمرو بن
حجر إلى عوف
بن محلم

العباس بن خالد السهمي قال : خطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم
الشيباني ابنته أم إياس ، فقال : نعم ، أزوجها على أن أسمى بنيتها وأزوج بناتها .
فقال عمرو بن حجر : أما بنونا فنقسمهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ،
وأما بناتنا فينكحن أكفأهن من الملوك ، ولكفى أصدقها عقارا في كنفه
وأمنحها حاجات قومها ، لا ترد لأحد منهم حاجة . فقبل ذلك منه أبوها ، وأنكحه
إياها . فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها فقالت : « أي بنية . إنك فارقت بيتك
الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفه ، وقرين لم
تألفه ، فيكوني له أمة يكن لك عبدا ، واحفظي له خصالا عشرة يكن لك
ذخرا . أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .
وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ،
ولا يشم منك إلا أطيب ريح . وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه
وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة . وأما السابعة والثامنة :
فالاحتراس بماله ^(١) ، والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التدبير ،
وفي العيال حسن التدبير . وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرا ولا تفشين

(١) الاحتراس : التحفظ .

له سرا، فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره .
ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مُهتماً، والسكابة بين يديه إذا كان فرحاً .
فولدت له الحارث بن عمرو، جد أسرى القيس الشاعر .

خطبة لقيط
لبنت ذى الجدين

الشيباني قال : حدثنا بعض أصحابنا أن زرارة بن عدس نظر إلى أبنه لقيط
فقال : مالي أراك مختالاً كأنك جئتني بابتة ذى الجدين ، أو مائة من هجائن النعمان ؟
فقال : والله لا يمس رأسى دهنٌ حتى آتيك بهما ، أو أبلى عذراً . فانطلق حتى
أتى ذا الجدين ، وهو قيس بن مسعود الشيباني ، فوجده جالساً في نادى قومه من
شيبان ، فخطب إليه بنته علانية ، فقال له : هلاً ناجيتنى ؟ قال : علمتُ أنى إن
ناجيتك لم أخدعك ، وإن عالنتك لم أفضحك ، قال : ومن أنت ؟ قال : لقيط
ابن زرارة . قال : لأجرم ، لا تبينتن فينا عزباً ولا محروماً . فزوجوه وساق عنه
المهر ، وبقي بها من ليلته تلك . ثم خرج إلى النعمان فجاء بمائتين من هجائنه ،
وأقبل إلى أبيه ، وقد وثى نذره . فبعث إليه قيس بن مسعود بابتته مع ولده
بسطام بن قيس ، فخرج لقيط يتلقاها في الطريق ومعه ابن عم له ، يقال له قراد ،
فقال لقيط :

٢٧٣
٣

هاجت عليك ديار الحى أشجاناً واستقبلوا من نوى الجيران^(١) قربانا ١٥
تامت نؤادك^(٢) لم تقضى التى وعدت إحدى نساء بنى ذهل بن شيبانا
فأنظر قراد وهل فى نظرة جزع^(٣) عرض الشقائق هل يئنت أظمانا^(٤)
فيهن جارية نضح القيسير بها تكسى ترائبها ذراً ومرجانا
كيف أهديت ولا نجم ولا علم وكنت عندى نؤوم الليل وسنانا
ولما رحل بها بسطام بن قيس قالت : مروا بى على أبى أودعه ، فلما ودعته ٢٠

(١) فى ن : « لوى جيران » . (٢) فى ن : « لو تقضى » .

(٣) فى ن : « وما فى نظرة خرعا » .

(٤) التبين : التبش . قال النابغة :

* إلا الأوارى لأياما أيبنها *

وفى بعض الأصول : « تنبت أجفانا » .

قال لها : يا بُنية ، كوني له أمةً يكن لك عبداً ، وليكن أطيبَ طيبك الماء ، ثم
لا أذكرك ولا أيسرت^(١) ، فإنك تلدين الأعداء وتقرّبين البعداء ، إن زوجك
فارس من فرسان مُضر ، فإذا كان ذلك فلا تخمّشي وجهاً ولا تخلقي شعراً فلما
قُتل لقيط تحمّلت إلى أهلها ثم مالت إلى مجلس عبد الله بن دارم ، فقالت : نعم
الأحباء كنتم يا بني دارم ، وأنا أوصيكم بالقرائب خيراً ، فلم أر مثل لقيط ، ثم
لحقت بقومها . فتزوجها ابنُ عم لها ، فكانت لاتسلو عن ذكر لقيط . فقال لها
زوجها : أي يوم رأيت فيه لقيطاً أحسنَ في عينك ؟ قالت : خرج يوماً يصطاد ،
فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني مُختضباً بالدماء ، فضمتني ضمة ، ولشني لثمة ،
فليقتي ميتٌ لثمة . فخرج زوجها ففعل مثل ذلك ، ثم أتاها ، فضمتها ولثمها ، ثم قال
لها : من أحسن أنا أم لقيط عندك ؟ قالت : « سرّعي ولا كالسعدان » .

زواج قيس بن
زهير

أبو الفضل : عن بعض رجاله قال : قدم قيس بن زهير بعد ما قتل أهل
الهبةاء على النمر بن قاسط فقال : يا معشر النمر ، نزعتم إليكم غريباً حزيناً
فانظروا لي أسراً أنزوجها ، قد أذلها الفقر ، وأذهبها الغنى ، لها حسب وجمال .
فزوجوه على هيئة ما طلب . فقال : إني لا أقيم فيكم حتى أعلمكم أخلاقى : إني
غيور فخور ضجور ، ولكني لا أغار حتى أرى ، ولا أفخر حتى أفعل ، ولا آنف
حتى أظلم . فأقام فيهم حتى وُلد له غلام سماء خليفة ، ثم بدا له أن يرتحل عنهم ،
فجمعهم ثم قال : يا معشر النمر ، إن لكم علىّ حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم . فأمركم
بخصال ، وأنهاكم عن خصال : بالإبل ، فإن بها تُنال الفرصة ، وسودوا من
لا تعابون بسودده ، وعليكم بالوفاء فإن به عيش الناس ، وإعطاء ما تريدون إعطاءه
قبل المسألة ، ومنع ما تريدون منعه قبل القسم ، وإجارة الجار على الدهر ،
وتنفيس المنازل . وأنهاكم عن الرّهان ، فإن بها شككت مالكم ، وأنهاكم عن
الهنى فإنه صرع زهيرا ، وعن السرف في الدماء فإن يوم الهبةاء أورثني الذل ،
ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق ، ولا تردوا الأكلفاء عن النساء

(١) الإذكار : أن تلد الذكور . وأيسرت : ولدت في سهولة .

فَتُحْجَوْنَ إِلَى الْبَلَاءِ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا الْكَفَاءَ فَخَيْرُ أَزْوَاجِهِنَّ الْقُبُورُ .
وَاعْلَمُوا أَنِّي أَصْبَحْتُ ظَالِمًا مَظْلُومًا ، ظَلَمْتُ بَنُو بَدْرَ بِقَتْلِهِمْ مَالِكًا ، وَظَلَمْتُ بِقَتْلِي
مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

هند والفاكه بن
المغيرة

كَانَ الْفَاكَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ أَحَدَ فَتَيَانَ قُرَيْشٍ ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ هِنْدَ
بِنْتَ عُتْبَةَ ، وَكَانَ لَهُ بَيْتٌ لِلضِّيَافَةِ يَغْشَاهُ النَّاسُ فِيهِ بِلَا إِذْنٍ ، فَقَالَ يَوْمًا فِي ذَلِكَ
الْبَيْتِ ، وَهِنْدُ مَعَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا نَائِمَةً ، فَجَاءَ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَغْشَى
الْبَيْتَ ، فَلَمَّا وَجَدَ الْمَرْأَةَ نَائِمَةً وَلَّى عَنْهَا . فَأَسْتَقْبَلَهُ الْفَاكَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، فَدَخَلَ عَلَى
هِنْدَ وَأَنْبَهَاهَا ، وَقَالَ : مَنْ هَذَا الْخَارِجُ مِنْ عِنْدِكَ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَبَهْتُ حَتَّى
أَنْبَهْتَنِي ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطْ . قَالَ : الْحَقُّ بِأَبِيكَ . وَخَاضَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِمْ .
فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا : يَا بُنَيَّةُ : أَنْبِئِي شَأْنَكَ ، فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ صَادِقًا دَسَسْتُ عَلَيْهِ
مَنْ يَقْتُلُهُ فَيَنْقَطِعُ عَنْكَ الْعَارُ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا حَاكَمْتُهُ إِلَى بَعْضِ كُفَّاهِ
الْيَمَنِ . قَالَتْ : وَاللَّهِ يَا أَبَتِ إِنَّهُ لَسْكَاذِبٌ . فَخَرَجَ عُتْبَةُ ، فَقَالَ : إِنَّكَ رَمَيْتَ
أَبْنَتِي بِشَيْءٍ عَظِيمٍ ، فَإِنَّمَا أَنْ تَبَيَّنَ مَا قُلْتَ ، وَإِلَّا فَحَاكِمْنِي إِلَى بَعْضِ كُفَّاهِ
الْيَمَنِ . قَالَ : ذَلِكَ لَكَ . فَخَرَجَ الْفَاكَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ ، وَنِسْوَةٍ مِنْ
بَنِي مَخْزُومٍ ، وَخَرَجَ عُتْبَةُ فِي رِجَالٍ وَنِسْوَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، فَلَمَّا شَارَفُوا بِلَادَ
الْكَاهِنِ تَغَيَّرَ وَجْهُ هِنْدَ ، وَكَسَفَ بِأُهَا . فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا : أَيُّ بُنَيَّةٍ ، أَلَّا
كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَشْتَهَرَ فِي النَّاسِ خُرُوجُنَا ؟ قَالَتْ : يَا أَبَتِ ، وَاللَّهِ مَا ذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ قَبْلِي ، وَلَكِنَّكُمْ تَأْتُونَ بِشَرٍّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْمِنِي بِسِمَةٍ
تَبْقَى عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ . فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا : صَدَقْتَ ، وَلَكِنِّي سَأُخْبِرُهُ لَكَ . فَصَفَّرَ
بِفَرَسِهِ ، فَلَمَّا أَذَلَّى ^(١) ، عَمِدَ إِلَى حَبَّةٍ بَرٍّ فَأَدْخَلَهَا فِي إِحْلِيلِهِ ، ثُمَّ أَوَكَّى عَلَيْهَا وَسَارَ .
فَلَمَّا نَزَلُوا عَلَى الْكَاهِنِ أَكْرَمَهُمْ وَنَحَرَ لَهُمْ . فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ : إِنَّا أَتَيْنَاكَ فِي أَمْرٍ وَقَدْ
خَبَأْنَا لَكَ خَبِيَّةً ، فَمَا هِيَ ؟ قَالَ : ثَمَرَةٌ فِي كَمَرَةٍ . قَالَ : أُرِيدُ أَتَيْنَ مِنْ هَذَا .

٢٧٤
٣

١٥

٢٠

(١) أدلى الفرس وغيره : أخرج جردانه ليبول أو يضرب .

قال : حبة بُر في إحليل مُهر . قال : صدقت . فانظر في أمر هؤلاء النسوة ،
فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك ، حتى إذا بلغ
إلى هند مسح يده على رأسها ، وقال : قومي غير رَسحاء^(١) ولا زانية ، وستلدين
ملكاً يسمى معاوية . فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها فنثرت^(٢) يده من يدها ،
وقالت : والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك . فنزوجها أبو سفيان
فولدت له معاوية .

خبر زواج هند
من أبي سفيان

وذكروا أن هند بنت عُتبة بن ربيعة قالت لأبيها : يا أبت ، إنك زوجتني
من هذا الرجل ولم تؤاسرنى في نفسى ، فعرض لى معه ما عرض ، فلا تزوجنى
من أحد حتى تعرض على أمره ، وتبين لى خصاله . فخطبها سهيل بن عمرو
وأبو سفيان بن حرب ، فدخل عليها أبوها وهو يقول :

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك يا هند الهنود ومقنع
وما منهما إلا يعاش بفضله وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزأ وما منهما إلا أغر سميدع
فدونك فاخترى فانت بصيرة ولا تخدعى إن المخادع يخدع

قالت : يا أبت ، والله ما أصنع بهذا شيئاً ، ولكن فسر لى أمرها وبين لى
خصالها ، حتى أختار لنفسى أشدها موافقة لى . فبدأ بذكر سهيل بن عمرو ،
فقال : أما أحدهما ففي سطة من العشرة^(٣) ، وثروة من العيش ، إن تابعته تابعتك ،
وإن ملت عنه حط إليك ، تحمكين غلبه فى أهله وماله . وأما الآخر فموسع عليه
منظور إليه ، فى الحسب الحسيب ، والرأى الأريب ، مذره أرؤمته ، وعز عشيرته ،
شديد الغيرة ، كثير الطيرة ، لا ينام على ضعة^(٤) ، ولا يرفع عصاه عن أهله . فقالت :
يا أبت ، الأول سيد مضياع للحرة ، فما عسست أن تلين بعد إياها ، وتصنع

(١) الرسحاء : القبيحة . (٢) النثر : الجذب بشدة .

(٣) السطة ، كمدة : التوسط ، أى هو من أوساطهم وخيارهم .

(٤) فى بعض الأصول : « عن ضبعة » .

تحت جناحه ، إذا تابعها بعلمها فأشرت ^(١) ، وخافها أهلها فأمنت ، فسأت عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحقت ، وإن أنجبت فمن خطأ ما أنجبت ، فاطور ذكر هذا عني ولا تُسمه لي . وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة ، الحرة العفيفة ، وإني للتي لا أريب له عشيرة فتغيره ، ولا تُصيبه بذعر فتغيره ، وإني لأخلاق مثل هذا الموافقة ، فزوجه من أبي سفيان .
فولدت له معاوية ، وقبله يزيد ، فقال في ذلك سهيل بن عمرو :

نُبِّئتَ هنداً تَبَرَّ اللهُ سَعْيَهَا نَابَتْ وَقَالَتْ وَصَفَ أَهْوَاجَ مَائِقِ
وما هَوَجِي يا هِنْدُ إِلَّا سَجِيَّةً أَجْرُهَا ذِيْلِي بِحَسَنِ الْخِلَاقِ
ولو شئتُ خادعتُ القَتَى عن قُلُوصِهِ وَلَا طَمَعْتُ بِالْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ شَارِقِ
ولكنني أكرمتُ نفسي تَكَرُّماً وَرَانَعْتُ عَنْهَا الذَّمَّ عِنْدَ الْخِلَاقِ
وإني إذا ما حُرَّةٌ ساءَ خُلُقُهَا صَبَرْتُ عَلَيْهَا صَبْرَ آخِرِ عَاشِقِ
فإن هي قالتُ خَلٌّ عنها تركُّها وَأَقْلِلْ بَتْرَكَ مِنْ حَبِيبِ مُفَارِقِ
فإن ساءَ حَوْنِي قَلْتُ أُسْرِى إِلَيْكُمْ وَإِنْ أَبْعَدُونِي كُنْتُ فِي رَأْسِ حَالِقِ
فلم تَنَسَكِحِي يا هِنْدُ مِثْلِي وَإِنِّي لَمَنْ لَمْ تَعْمَقْنِي فَأَعْلَمِي غَيْرُ وَاثِقِ

فبلغ أبا سفيان ، فقال : والله لو أعلم شيئاً يرضي أبا زيد سوى طلاق هند لعلته . وألح سهيل في تنقص أبي سفيان . فقال أبو سفيان :

رَأَيْتُ سُهَيْلاً قَدْ تَفَاوَتْ شَأْوُهُ وَفَرَّطَ فِي الْعَلِيَاءِ كُلِّ عِنَانِ
وأصبح يَسْمُو لِلْعَالِي وَإِنِّه لَذُو جَفْنَةٍ مَغْشِيَةٍ وَقِيَانِ
وشرب كرام من لؤي بن غالب عِرَاضُ الْمَسَاعِي عُرْضَةُ الْحَدَثَانِ
ولكنه يوماً إذا الحربُ شَمَرَتْ وَأَبْرَزَ فِيهَا وَجْهَ كُلِّ حَصَانِ
تَطَاطَأَ فِيهَا مَا اسْتَطَاعَ بِنَفْسِهِ وَقَنَّعَ فِيهَا رَأْسَهُ وَدَعَانِي
فَأَكْفِيهِ مَا لَا يُسْتَطَاعُ دِفَاعُهُ ^(٢) وَالْقَيْتُ فِيهَا كُلُّكُلِي وَجِرَانِي

(١) في بعض الأصول : « فأنشرت » .

(٢) في بعض : « ما لا يستطيع » .

قال : وتزوج سهيل بن عمرو امرأة فولدت له ولدا ، فبينما هو مسائر معه إذ نظر إلى رجل يركب ناقه ويقود شاة ، فقال لأبيه : يا أبت ، هذه ابنة هذه ؟ يريد الشاة ابنة الناقة ، فقال أبوه : يرحم الله هنداً ، يعني ما كان من فراستها فيه .

خطبة الرسول
صلى الله عليه
وسلم لأم هانئ

٥ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، لو تزوجت أم هانئ بنت أبي طالب ؟ فقد جعل الله لها قرابةً فتكون صهرًا أيضًا . فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : والله لهو أحبُّ إلى من سمعي وبصري ، ولكن حقه عظيم وأنا مؤتمنة^(١) ، فإن قتت بحقة خفت أن أضيع أيتامى ، وإن قتت بأمرهم قصرت عن حقه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خير نساء رَكِبَ الإبل نساء قريش ، أحناها على ولد في صغره ، وأرعاها على بعل في ذات يده . لو علمت أن مريم بنت عمران ركبت جملًا لاستنيتها .

زواج رسول
الله صلى الله عليه
وسلم من حفصة
وزواج عثمان من
ابنة الرسول

١٥ ولما توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان عرض عليه عمرُ ابنته حفصة ، فسكت عنه عثمان . وقد كان بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يزوجه ابنته الأخرى . فشكا عمرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سكوت عثمان عنه ، فقال له : سيزوج الله أبنتك خيرًا من عثمان ويزوج عثمان خيرًا من أبنتك . فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج عثمان أبنته .

نصيحة ورقة
لخديجة بزواج
الرسول صلى
الله عليه وسلم

٢٠ ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن عبد العزى ذكرت ذلك لورقة بن نوفل . وهو ابن عمها ، فقال : هو الفحل لا يقدر أنفه ، تزوجيه .

خطبة عمر
لأم كلثوم

وخطب عمرُ بن الخطاب أم كلثوم بنت أبي بكر ، وهي صغيرة ، فأرسل إلى عائشة ، فقالت له : الأمر إليك . فلما ذكرت ذلك عائشة لأم كلثوم قالت : لا حاجة لي فيه . فقالت عائشة : أنرغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم . إنه

(١) أيتمت : صار أولادها يتامى .

خَشِنَ العيش شديد على النساء ، فأرسلت عائشة إلى المغيرة بن شعبه ، فأخبرته .
 فقال لها : أنا أكفيك . فأنى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغني عنك أمرٌ
 أعيدك بالله منه . قال : ما هو ؟ قال : بلغني أنك خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر .
 قال : نعم . أفرغبت بها عني ، أم رغبت بي عنها ؟ قال : لا واحدة منهما ،
 ولكنها حَدَثَةٌ نشأت تحت كنف خليفة رسول الله في لين ورفق ، وفيك
 غِلظة ، ونحن نهابك وما نقدر أن نرُدك عن خلق من أخلاقك فكيف بها إن
 خالفتك في شيء فسطوت بها ، كنت قد خلعت أبا بكر في ولده بغير ما يحق
 عليك ؟ فقال : كيف لي بعائشة وقد كلمتها ؟ قال : أنا لك بها ، وأدلك على
 خير لك منها ، أم كلثوم بنت علي ، من فاطمة بنت رسول الله ، تعلق منها
 بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان علي قد عزل بناته لولد جعفر بن
 أبي طالب . فلقية عمر فقال : يا أبا الحسن ، أنكحني أبتك أم كلثوم بنت فاطمة
 بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قد حبستها لابن جعفر . قال : إنه والله ما على
 الأرض أحدٌ يرضيك من حُسن صحبتها بما أرضيك به ، فأنكحني يا أبا الحسن .
 قال : قد أنكحتكها يا أمير المؤمنين . فأقبل عمر ، فجلس في الروضة بين القبر والمنبر
 واجتمع إليه المهاجرون والأنصار . فقال : زُفوني . قالوا : بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال :
 بأم كلثوم ، فأني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل سبب ونسب
 ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » وقد تقدمت لي صحبة فأحببت أن يكون لي
 معها سبب . فولدت له أم كلثوم زيد بن عمر ، ورقية بنت عمر . وزيد بن عمر
 هو الذي لطم سمرة بن جندب عند معاوية إذ تنقص علياً فيما يقال .

وخطب سلمان الفارسي إلى عمر أبنته^(١) ، فوعده بها فشق ذلك على عبد الله
 ابن عمر ، فلقى عمرو بن العاص فشكا ذلك إليه . فقال له : سأ كفيكه . فلقى
 سلمان ، فقال له : هنيئاً لك يا أبا عبد الله ، هذا أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل
 في تزويجك ابنته . فغضب سلمان ، وقال : لا والله لا تزوجت إليه أبداً .

خطبة سلمان
إلى عمر

(١) في بعض الأصول : « أمتة » .

خطبة بلال
لنفسه ولأخيه

وخرج بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخيه إلى قوم من بني ليث ، يخطب إليهم لنفسه ولأخيه ، فقال : أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالين فهدانا الله ، وكنا عبيدين فأعتقنا الله ، وكنا فقيرين فأغنانا الله ، فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن ترؤدونا فالمستعان الله . قالوا : نعم وكرامة . فزوجوها .

زواج نائلة بنت
الفرافصة من
عثمان

٥ قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان : هل لك فى أبنه عمى لى بكر ، جميلة ممتلئة الخلق ، أسيلة الخلد ، أصيلة الرأى ، تزوجها ؟ قال : نعم . فذكرت له نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة ، فتزوجها وهى نصرانية فتحنّفت وحمّلت إليه من بلاد كلب ، فلما دخلت عليه قال لها : لعلك تكريهين ما ترى من شيبى ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين إني من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهل . قال : إني قد جُزت الكهول ، وأنا شيخ ، قالت : أذهبت شبابك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خير ما ذهب فيه الأعمار . قال : أتقومين إلينا أم تقوم إليك ؟ قالت : ما قطعتُ إليك أرضَ السماء وأريد أن أنثى إلى عرض البيت ، وقامت إليه . فقال لها : أنزعى ثيابك ، فنزعته . فقال : حُلّى سرطك . قالت : أنت وذاك .

١٥ قال أبو الحسن : فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قُتل ، فلما دخل إليه وقتته بيدها ، فعُذمت أناملها ، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه : ما ترجو من امرأة جذماء . وقيل : إنها قالت لما قُتل عثمان : إني رأيتُ الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خشيت أن يبلى حُزنُ عثمان من قلبى ، فدعت بفهر فهتمت فها ، وقالت : والله لا قعد أحدٌ منى مقعد عثمان أبدا .

زواج فاطمة بنت
الحسين من عبد
الله بن عمرو بعد
حسن بن حسن

وكانت فاطمة بنت الحسين بن على عند حسن بن حسن بن على ، فلما اجتمعوا قال لبعض أهله : كأنى بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إذا سمع بموتى قد جاء يتهادى فى إزار له مؤرّد قد أسبله ، فيقول : جئتُ أشهد ابن عمى ، وليس يُريد إلا النظر إلى فاطمة ، فإذا جاء فلا يدخلن . قال : فوالله ما هو إلا

أن تَمْتَضُوهُ . فجاء عبدُ الله بن عمرو في تلك الصفة التي وَصَفَهَا ، فَمُنِعَ سَاعَةً ، فقال بعضُ القوم : لا يدخل ، وقال بعضهم : افتحوا له ، فإنَّ مثله لا يُرد . ففتحوا له ودخل . فلما صرنا إلى القبر قامت عليه فاطمةُ تبكي ، ثم اطلعت إلى القبر ، فجعلت تصلِّت وجهها بيديها حاسرة . قال : فدعا عبدُ الله بن عمرو وصيفاً له فقال : انطلق إلى هذه المرأة وقل لها : يُقرئك ابنُ عمك السلام ، ويقول لك : كُنِّي عن وجهك ، فإنَّ لنا به حاجة . فلما بلغها الرسالة أرسلت يديها ، فأدخلتهما في كمِّها حتى أنصرف الناس . فتزوجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك ، فولدت له محمد بن عبد الله ، وكان يُسمى المذهب لجماله . وكانت ولدت من حسن بن حسن عبد الله بن حسن الذي حارب أبو جعفر ولديه إبراهيم ومحمداً ، ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن ، حتى قتلهما .

١٠

وعن مسلمة بن محارب قال : ما رأيتُ قرشيًّا قط كان أكل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذي ولدته فاطمة بنت الحسين ، وكانت له ابنة ولدها محمد ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير^(١) ، كانت أمها خديجة بنت عثمان بن عمرو بن الزبير ، وأم عمرو أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأم محمد فاطمة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم فاطمة بنت الحسين أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله ، وأم عبد الله ابن عمرو بن عثمان سودة بنت عبد الله بن عمرو بن الخطاب .

شيء عن محمد بن
عبد الله بن عمرو

وعن الهيثم بن عدي الطائي قال : حدثنا مجالد عن الشعبي قال : لقيني شريح فقال : يا شعبي ، عليك بنساء بني تميم ، فإني رأيتُ لهن عُقُولاً . قال : وما رأيتُ من عُقُولهن ؟ قال : أقبلتُ من جنازة ظهرا ، فمررت بدورهم ، فإذا أنا بَعَجُوز على باب دار ، وإلى جنبها جارية كأحسن ما رأيتُ من الجوارى ، فعدلتُ فاستسقيتُ ، وما بي عطش . فقالت : أيُّ الشراب أحبُّ إليك ؟ فقلت : ما تيسر ، قالت : ويحك ، يا جارية ، ايتيه بلبن ، فإني أظن الرجل غريباً^(٢) ، قلت :

زواج شريح

٢٠

(١) أي كانت هذه أسماء أولادها . (٢) في بعض الأصول : «عريباً» .

- مَنْ هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب بنت جرير إحدى نساء بني حنظلة ، قلت : فارغة هي أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : زوجينها . قالت : إن كنت لها كفوا ، وهي لغة تميم . فمضيت إلى المنزل ، فذهبت لأقيل . فامتنعت مني القائلة ، فلما صليت الظهر أخذت بأيدي إخواني من القراء الأشراف : علقمة ، والأسود ، والمسيب ، وموسى بن عرقطة ، ومضيت أريد عمها . فأستقبل فقال : يا أبا أمية ، حاجتك ؟ قلت : زينب بنت أخيك ، قال : ما بها رغبة عنك . فأنكحنيها ؟ فلما صارت في حبالي ندمت ، وقلت : أي شيء صنعت بنساء بني تميم ^(١) ؟ وذكرت غِلَظ قلوبهن ، فقلت : أطلقها ، ثم قلت : لا ، ولكن أضمتها إلي ، فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذلك . فلورأيتني يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يهدونها حتى أدخلت علي ، فقلت : إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين ، فيسأل الله من خيرها ويعوذ به من شرها ، فصليت وسلمت ، فإذا هي من خلفي تُصلي بصلاتي ، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريتها ، فأخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صُبغت في عكر المصفر ، فلما خلا البيت دنوت منها ، فمددت يدي إلى ناصيتها فقالت : على رسلك أبا أمية كما أنت ، ثم قالت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلي على محمد وآله ، إني امرأة غريبة لا أعلم بأخلاقك ، فبين لي ما تُحب قَاتِيَه ، وما تكره فأزدجر عنه . وقالت : إنه قد كان لك في قومك منكح ، وفي قومي مثل ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمرا كان ، وقد ملكت فأصنع ما أمرك الله به : (إمسك بمعروف أو تنسريح بإحسان) أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك . قال : فأخرجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع ، فقلت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلي على النبي وآله وسلم . وبعد ، فإنك قد قلت كلاما إن تثبتى عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا ، أكره كذا ، ونحن جميع فلا نفرق ، وما رأيت من

٢٧٨
٣

(١) في بعض الأصول : « صفت نساء بني تميم » .

حسنة فأنشريها وما رأيت من سيئة فاستريها ؛ وقالت شيئاً لم أذكره : كيف محبتك
 لزيارة الأهل ؟ قلت : ما أحب أن يملئني أصهارى . قالت : فمن يحب من جيرانك
 أن يدخل دارك آذن له ، ومن تكلمه أمنعه ^(١) ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون
 وبنو فلان قوم سوء . قال : فبت يا شعبي بأنهم ليلة ، ومكثت معي حولاً لا أرى
 إلا ما أحب . فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بعجوز تأمر
 وتنهى في الدار . فقلت : من هذه ؟ قالوا : فلانة ختنتك ، فسرتني عني ما كنت
 أجد ، فلما جلست أقبلت العجوز ، فقالت : السلام عليك أبا أمية . قلت : وعليك
 السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة ختنتك ، قلت : قرّبك الله ، قالت : كيف
 رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة ، فقالت لي : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ
 حالاً منها في حالين ، إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها ، فإن رابك ريب
 فعليك بالسوط ، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة . قلت :
 أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ، ورُضت فأحسنت الرياضة . قالت : تُحب
 أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شاءوا . قال : فكانت تأتيني في رأس كل حول
 تُصيدني تلك الوصية ، فكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء إلا مرة
 واحدة ، وكنت لها ظالماً ، أخذ المؤذن في الإقامة بعد ما صليت ركعتي الفجر ،
 وكنت إمام الحى ، فإذا بمقرب تدب ، فأخذت الإبناء فأكفأته عليها ، ثم قلت :
 يا زينب ، لا تحرّكى الإبناء ^(٢) حتى آتى . فلو شهدتني يا شعبي ، وقد صليت
 ورجعت فإذا أنا بالمقرب قد ضربتها . فدعوت بالقسط ^(٣) والملح ، فجعلت أمفت ^(٤)
 إصبعها وأقرأ عليها بالحمد والموذنين .

وكان لي جبار من كندة يُقرّع امرأته ويضربها ، فقلت في ذلك :
 رأيت رجالاً يضربون نساءهم فشلت يميني حين أضرب زينبا

(١) في بعض الأصول : « أكرهه » .

(٢) في بعض الأصول : « لا تخرجى » .

(٣) القسط ، بالضم : عود هندي يتدأوى به .

(٤) المفت : المرت وهو أن تلوك الإصبع .

أَضْرِبُهَا فِي غَيْرِ ذَنْبٍ أَنْتَ بِهِ فَمَا الْعَدْلُ مَنِّي ضَرْبٌ مِنْ لَيْسَ مُذْنِبًا
فَزَيْبُ شَمْسٍ وَالْقَسَاءُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ تُبْدُ مِنْهُمْ كَوَكْبًا
وقال أبو عبيدة : نكح الفرزدق أمة له زنجية ، فولدت له بنتا فسماها مكية ،
وكان يُكنى بها ، ويقول : أنا أبو مكية . فكتبت النوار يوما إلى الفرزدق
تشكو مكية ، فكتب إليها :

بين النوار
وابنته وزوجه

كُنْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا ظَلَمَتْكُمْ كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ بَلْ تَظَاهَرْتُمْ
فَإِنْ لَا تَعْدُوا أُمَّتًا مِنْ نِسَائِكُمْ فَإِنَّ أَبَاهَا وَاللَّهُ لَنْ يَشِينَهَا
وَإِنَّ لَهَا أَعْمَامَ صِدْقٍ وَإِخْوَةً وَشَيْخًا إِذَا شِئْتُمْ تَأْتِمُ دُونَهَا
قالت النوار فإنا لا نشاء .

وقال الفرزدق : في أمة الزنجية :

يَا رَبُّ خَوِّدْ مِنْ بَنَاتِ الزَّيْجِ تَنْقُلُ^(١) تَنْوُورًا شَدِيدَ الْوَهْجِ
أَعَسَنَّ مِثْلَ الْقَدَحِ الْخَلْنَجِ^(٢) يَزْدَادُ طَيِّبًا بَعْدَ طَوْلِ الْهَرْجِ

٢٧٩
٣

سلي الهذلي
وحديث زواجه
من ابنة عمه

وعن الهيثم بن عدي : عن ابن عيَّاش قال : حدثنا سُلَيْمُ^(٣) الهذلي قال :
كنت بسجستان مع طلحة الطلحات ، فلم أر أحداً كان أسخى منه ولا أشرفَ
نفساً ، فكتب إلى عمي من البصرة : إني قد كبرت ومالي كثير ، وأكره أن
أؤكله غيرك ، فاقدم أزواجك أبنتي ، وأصنع بك ما أنت أهله . قال : فخرجت علي
بغلة لي تركية ، فأنيت البصرة في ثلاثين يوماً ، ووافيته في صلاة العصر ، فوجدته
قاعداً على دكانه ، فسلمت عليه ، فقال لي : من أنت ؟ قلت له : ابن أخيك
سُلَيْمُ . قال : وأين ثقلك ؟ قلت : تعجبات إليك حين أتاني كتابك وطرت
نحوكم . قال : يا ابن أخي ، أتدري ما قالت العرب ؟ قلت : لا . قال : قالت العرب :

(١) في بعض الأصول : « توقد » .

(٢) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الآنية . وفي بعض الأصول : « أغبر ... الخلنج » .

(٣) هو أبو بكر الهذلي سُلَيْمُ بن عبد الله بن سُلَيْمٍ . وفي بعض الأصول : « يعل » .

(انظر الطبري والقموس) .

- شر الفتيان المفلس الطروب . قال : فقمْتُ إلى بغلتي فأعدتُ سرجي عليها ، فما قال لي . ثم قال لي شيئاً : إلى أين ؟ قلت : إلى سجستان . قال : في كنف الله . قال : فخرجت فبيت في الجسر ، ثم ذكرت أم طلحة ، فأنصرفتُ أسأل عنها ، حتى أتيتُ منزلها ، وكان طلحةُ أبرد الناس بها . فقلت : رسولُ طلحة ، فقالت : ويحك ! كيف أبني ؟ قلتُ : على أحسن حال . قالت : فله الحمد . وإذا بعجوز قد تحذرت ، قالت : فاجاء بك ؟ قلتُ : كيت وكيت . قالت : يا جارية . ايتيني بأربعة آلاف درهم ، ثم قالت : إيت عمك فابتن بابنته ، ولك عندنا ما تُحب . قلت : لا أعود إليه أبداً . قالت : يا جارية ايتيني ببغلة ورحالة ، ثم قالت : راوخ بين هذه وبغلتك حتى تأتى سجستان . قلت : أكتبني بالوصاة بي والحالة التي أستقبلتها . فكتبت بوجعها التي كانت فيه وبعافية الله إياها وبالوصاة بي ، فلم تدع شيئاً . ثم دَفَعَتْ حَتَّى أَتَيْتُ سَجِسْتَانَ ، فَأَتَيْتُ بَابَ طَلْحَةَ ، وَقُلْتُ لِلْحَاجِبِ : رسول صفية بنت الحارث ، وأنا عابس بأسر . فدخل . فخرج طلحة مُتَوَشِّحاً وخلفه وصيف يسمى بكرسى ، فقمْتُ بين يديه ، فقال : ويلك ! وكيف أمي ؟ قلت : بأحسن حال . قال : انظر كيف تقول ؟ قلت : هذا كتابها ، قال : فعرف الشواهد والعلامات ، قلت : اقرأ كتاب وصيتها . قال : ويحك ، ألم تأتني بسلامتها ؟ حسبك . فأمر لي بخمسين ألفَ درهم ، وقال للحاجبه : اكتبه في خاصّة أهلي . قال : فوالله ما أتى على الحول حتى أتم لي مائة ألف . قال ابنُ عِيَّاش : فقلت له : هل لقيت عمك بعد ذلك ؟ قال : لا والله ولا ألقاه أبداً .

حديث زهرى
مع السلاماني

- وعن الهيثم بن عدى عن ابن عيَّاش قال : أخبرني موسى السلاماني ، مولى الحضرمي ، وكان أيسر تاجر بالبصرة ، قال : بينا أنا جالس إذ دخل عليّ غلام ٢٠ لي ، فقال : هذا رجل من أهل أمك يستأذن عليك . وكانت أمه مولاة لعبد الرحمن بن عوف . فقلت : إيذن له ، فدخل شاب حلوا الوجه ، يعرف في هيئته أنه قرشي ، في طمرين ، فقلت : مَنْ أنت يرحمك الله ؟ قال :

أنا عبد الحميد بن سهل^(١) بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : في الرُّحْب والقُرب ، ثم قلت : يا غلام ، برّه وأكرمه وألطفه ، وأدخله الحمام ، واكسه قيصاً رقيقاً ، ومبطناً قوهِياً ، ورداء عُمرِياً ، وحذونا له نعلين حُضرميين ، فلما نظر الشاب في عطفه وأعجبته نفسه . قال : «يا هذا ، أبغني أشرف أَيْمٍ بالبصرة أو أشرف بكر بها . قلت : يا بن أخي ، معك مال ؟ قال : أنا مال كما أنا . قلت : يا بن أخي ، كُفّ عن هذا . قال : أنظر ما أقول لك . قلت : فإن أشرف أَيْمٍ بالبصرة هند بنت أبي صفرة . وأشرف بكر بالبصرة الملاءة بنت زُرارة بن أوفى الحَرَشِيّ ، قاضي البصرة . قال : اخطبها علي . قلت : يا هذا إن أباه قاضي البصرة . قال : انطلق بنا إليه . فانطلقنا إلى المسجد ، فتقدّم فجلس إلى القاضي ، فقال له : من أنت يا بن أخي ؟ قال له : عبد الحميد بن سهل^(١) بن عبد الرحمن بن عوف ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : مرّحبا ، ما حاجتُك ؟ قال : جئتُ خاطباً . قال : ومن ذكرت ؟ قال : الملاءة ابنتك . قال : يا بن أخي ، ما بنا عنك رغبة ، ولكنها امرأة لا يُفتات عليها أمرها ، فاخطبها إلى نفسها . فقام إلى . فقلت : ما صنعت ؟ قال : كذا وكذا . قلت : ارجع بنا ولا تخطبها . قال : اذهب بنا إليها ، فدخلنا دار زُرارة ، فإذا دار فيها مقاصير . فاستأذنا على أمها ، فلقيننا بمثل كلام الشيخ ، ثم قالت : ها هي تلك في تلك الحُجرة . قلت له : لا تأتها . قال : أليست بكرّاً ؟ قلت : بلى . قال : ادخل بنا إليها ، فاستأذنا ، فأذنت لنا ، فوجدناها جالسة وعليها ثوبٌ قوهِى رقيق مُعَصفر ، تحته سراويل يُرى منه بياض جسدها ، ومصرط قد جمعه على فخذيها ، ومُصحف على كرسى بين يديها ، فأُشْرِجت المصحف ثم نَحَّته ، فسألنا ، فردت ، ثم رَحَّبت بنا ، ثم قالت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عبد الحميد بن سهل^(١) بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، خال رسول الله صلى

(١) كذا في بعض الأصول والطبري . والذي في سائر الأصول « عبد الحميد بن

سهل » .

- الله عليه وسلم ومدّ بها صوته ، قالت : يا هذا ، إنما يمد هذا الصوت للساسانيين .
 قال موسى : فدخل بعضى فى بعض . قالت : ما حاجتك ؟ قال : جئتُ خاطباً .
 قالت : ومن ذكرت ؟ قال : ذكرتك . قالت : مرحباً بك يا أخا أهل الحجاز ،
 ما الذى بيدك ؟ قال : لنا سهمان بخير أعطاناهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،
 ومدّ بها صوته ، وعين بمصر ، وعين باليامة ، ومال بالين قالت : يا هذا كل
 هذا عنا غائب ، ولكن ما الذى يحصل بأيدينا منك . فإني أظنك تريد أن
 تجعلنى كشاةٍ عكرمة ؟ أتدرى من عكرمة ؟ قال : لا ، قالت : عكرمة بن
 ربعى ، فإنه كان نشأ بالسواد ثم أنتقل إلى البصرة ، وقد تغدّى باللبن ، فقال
 لزوجته : أشتري لنا شاةً نحلبها وتصنعين لنا من لبنها شرباً وكافحاً ، ففعلت .
 وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت^(١) . فقالت : يا جارية : خذى بأذن
 الشاة وانطلقى بها إلى التّياس ، فأنزى عليها ، ففعلت . فقال التّياس : آخذ منك
 على النّزوة درهما . فأنصرفت إلى سيدتها فأعلمتها ، فقالت : إنما رأينا من يرحم
 ويعطى ، وأما من يرحم ويأخذ فلم نره ، ولكن يا أخا أهل المدينة . أردت
 أن تجعلنى كشاةٍ عكرمة . فلما خرجنا قلت له : ما كان أغناك عن هذا اقال :
 ما كنت أظن أن امرأة تجترئ على مثل هذا الكلام .

١٥

وعن الأصمعى قال : كان عَقِيل بن عُلْفَةَ المُرّى غيوراً فَنَحُوراً ، وكان يُبْصِرُ
 إليه خلفاء بنى أمية ، فخطب إليه عبدُ الملك بن مروان ابنته لبعض ولده ، فقال :
 جئبنى هُجْناء ولدك .

شئ من غيرة
 عقيل بن علفة

- وكان إذا خرج يمتار خرج بأبنته الجرباء معه ، فخرج مرة فنزلوا ديراً
 من أديرة الشام يقال له دير سَعْد ، فلما ارتحلوا قال عَقِيل :

٢٠

قَضَتْ وطراً من دير سَعْد وربما غلا عَرْض ناطحنه بالجماجم
 ثم قال لابنه : أَجِزْ يا عُمَيْس . فقال :

(٢) استحرمت : أرادت الكبش .

فأصبحن بالمواة يحملن فتية نشاوى من الإدلاج ميل القمام
ثم قال لابنته : يا جرباء ، أجيّزى . فقالت :

كأن السكرى أسقام صرخدية عقاراً نمشت في المطا والقوام

فقال لها : وما يدريك أنت ما نعت الحمر ؛ ثم سلّ السيف ونهض إليها ،
فاستغاثت بأخيها عملس^(١) ، فانتزعه بسهم فأصاب فخذه فبرك ، ومضوا وتركوه ،
حتى إذا بلغوا أدنى المياه منهم قالوا لهم : إنا أسقطنا جزوراً لنا فأدركوه ،
وخذوا معكم الماء . ففعلوا ، وإذا عقال برك وهو يقول :

إن بنى زملوني بالدم من يلق أبطال الرجال يكلم^(٢)

ومن يكن دزء به يقوم شنشنة أعرفها من أخزم

الشنشنة : الطبيعة ، وأخزم : فحل كريم ، وهذا مثل للعرب .

زواج بنت
عبد الرحمن من
يحيى ورفضها
الزواج من
عبد الملك

الشيبياني عن عوانة قال : خطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام . فأبت أن تتزوج . وقالت : والله لا تزوجني أبا الذّبان .
فتزوجها يحيى بن الحكم^(٣) . فقال عبد الملك : والله لقد تزوجت أفوه أشوه .
فقال يحيى : أما إنها أحببت مني ما كرهت منك ، وكان عبد الملك ردىء الفم
يدى ، فيقع عليه الذباب ، فسُمى أبا الذّبان .

زواج قريبة بنت
حرب من عقيل

وعن العنبي قال : خطب قريبة بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب ،
أربعة عشر رجلاً من أهل بدر فأبتهم ، وتزوجت عقيل بن أبي طالب ، وقالت :
إن عقيلاً كان مع الأحبة يوم قتلوا ، وإن هؤلاء كانوا عليهم . ولاحتة يوماً
فقال : يا عقيل ، أين أخوالى ؟ أين أعمامى ؟ كأن أعناقهم أباريق النضة ، قال
لها : إذا دخلت النار فخذى على يسارك .

(١) في بعض الأصول : « عميس » و« عميس » و« عملس » ولدا عقيل ، وكان يقال لعقيل

أبا عميس (انظر الطبرى والاشتقاق) .

(٢) في بعض الأصول : « أساد » .

(٣) في بعض الأصول : « يحيى بن عبد الحكم » تحريف . (انظر الطبرى) .

وكتب زياد إلى سعيد بن العاص بخطب إليه ابنته ، وبعث إليه بمال كثير وهدايا ، فلما قرأ الكتاب أمر حاجبه بقبض المال والهدايا ، وأن يُقسمها بين جلسائه . فقال الحاجب : إنها أكبر من ظنك . قال سعيد : أنا أكبر منها ، ثم وقع إلى زياد في أسفل كتابه : (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْمَأْنَنٌ) .

بين سعيد وزياد
حين خطب زياد
إليه ابنته

وقال رجل للحسن : إن لي بُنية ، فمن ترى أن أزوجه ؟ قال : زوجها ممن يتقى الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها .

بين الحسن
ورجل سأله أن
يزوج ابنته

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زوجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة . فقال عمر : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد كفيت المسألة ، وأجزلت في العطية .

بين عبد الملك
بن مروان وعمر
بن عبد العزيز
في تزويجه فاطمة

قيل للحسن : فلان خطب إلينا فلانة ، قال : أهو مؤسر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم ، قال : فزوجوه .

الحسن في كفاية
الزوج

وقال رجل لحيوة بن شريح : إني أريد أن أتزوج ، فماذا ترى ؟ قال : كم المهر ؟ قال مائة . قال : فلا تفعل . تزوج بعشرة وأبق تسعين . فإن وافقتك رحت التسعين ، وإن لم توافقك تزوجت عشرا ، فلا بد في عشر نسوة من واحدة توافقك .

بين حيوة ورجل
يريد الزواج

وقال رجل : أردت النكاح فقلت : لأستشيرن أول من يطلع علي ، ثم أعمل برأيه . فكان أول من طلع هبنقة القيسية ، وتحتة قصبة ، فقلت له : أريد النكاح فما تشير علي ؟ قال البكر لك والثيب عليك ، وذات الولد لا تقربها ، واحذر جوادى لا ينفحك .

بين هبنقة ورجل
في مثله

وعن الأصمعي قال : أخبرني رجل من بني المنبر عن رجل من أصحابه ، وكان مُقلًا ، فخطب إليه مُكثر من مال ، مُقل من عقل ، فشاور فيه رجلاً يقال له أبو يزيد . فقال : لا تفعل ولا تزوج إلا عاقلاً ديناً ، فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها .

بين رجل من
بني المنبر وآخرين
شاورهم في
زواج ابنته

ثم شاور رجلاً آخر يقال له أبو العلاء ، فقال له : زوجة فإن ماله لها وحقه على نفسه . فزوجته قرأى منه ما يكره في نفسه وأبنته ، فقال :

ألهني إذ عصيتُ أبا يزيد ولهني إذ أطعتُ أبا العلاء
وكانت هفوةً من غير ربح وكانت زلفةً من غير ماء

بشر بن كدام
وامرأة خطبها

الفضل بن محمد الضبي قال : أخبرني مسعر بن كدام عن معبد بن خالد

الجلدي قال : خطبتُ امرأةً من بني أسد في زمن زياد ، وكان النساء يجلسن

لخطابهن ، قال : فجتُّ لأنظر إليها ، وكان بيني وبينها رواق ، فدعت بجفنة

عظيمة من الثريد مكللة باللحم ، فأنت على آخرها وألقت العظام نقية ، ثم

دعت بشنٍّ عظيم مملوء لبناً ، فشربته حتى أكفأته على وجهها ، وقالت :

يا جارية ، ارفعي السجف ، فإذا هي جالسة على جلد أسد وإذا امرأة شابة جميلة ،

فقلت : يا عبد الله ، أنا أسدة من بني أسد ، وعلى جلد أسد ، وهذا طعامي

وشرابي ، فعلام ترى ؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر

فتأخر . فقلت : أستخير الله في أمري وانظر . قال : فخرجت ولم أعد .

جارية لأمية
ورجل من
بني سعد

قال : وحدثنا بعض أصحابنا أن جارية لأمية بن عبد الله بن خالد بن

أسيد ذات ظرف وجمال مرتت برجل من بني سعد ، وكان شجاعاً فارساً ، فلما

رآها قال : طوبى لمن كانت له امرأة مثلك ! ثم إنه أتبعها رسول يسألها : ألهما

زوج ؟ ويذكره لها . فقالت للرسول : ما حيرته ؟ فأبلغه الرسول قولها . فقال :

ارجع إليها قل لها :

وسائلة ما حيرتني قلت حيرتني مقارعة الأبطال في كل شارق

إذا عرضت لي الخيل يوماً رأيتني أمام رَعِيل الخيل أحى حقائق

وأصبر نفسي حين لا حرَّ صابر على ألم البيض الرقاق البوارق

فأنشدها الرسول ما قال . فقالت له : ارجع إليه وقُلْ له : أنت أسد فاطلب

لنفسك لبؤه ، فلست من نسائك ، وأنشدت هذه الأبيات :

٢٨٢
٣

١٥

٢٠

إلا إنما أبغى جواداً بماله كريماً مُحْيِيَّاه قَلِيلَ الصَّدَائِقِ
فَتَى هَمَّهُ مَذْكَانَ خَوْدٍ كَرِيمَةٍ يُعَانِقُهَا بِاللَّيْلِ فَوْقَ النَّارِقِ
وَيَشْرِبُهَا صِرْفًا كَمَيْتَا مُدَامَةٍ تَدَامَاهُ فِيهَا كُلُّ خِرْقٍ ^(١) مُوَافِقِ

يُحْيِي بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال : تزوج رجل
امرأةً حديثَةً على امرأةٍ له قَدِيمَةٍ ، فكانت جاريةً الحديثَةُ تمر على باب
القَدِيمَةِ فتقول :

بين زوجين
قَدِيمَةٍ وحديثَةٍ

وما تَسْتَوِي الرَّجُلَانِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتِ
ثُمَّ تَعُودُ فَتَقُولُ :

وما يَسْتَوِي الثَّوْبَانِ ثَوْبٌ بِهِ الْبَلَى وَثَوْبٌ بِأَيْدِي الْبَائِسِينَ جَدِيدُ
فَرَّتْ جَارِيَةُ الْقَدِيمَةِ عَلَى الْحَدِيثَةِ فَأَنشَدَتْ :

١٠

نَقَلَ فُؤَادُكَ حَيْثُ شَدْتُ مِنَ الْهَوَى مَا الْقَلْبُ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

وعن الشعبي قال . سمعتُ المغيرةَ بنَ شُعْبَةَ يقول : ما غلبني أحدٌ قطُّ إلا غلامٌ
من بني الحارث بن كعب ، وذلك أني خطبتُ امرأةً من بني الحارث ، وعندى
شباب منهم ، فأصغى إلي فقال : أيها الأمير ، لا خير لك فيها . قلت . يا بن
أخي ، وما لها ؟ قال : إني رأيتُ رجلاً يُقَبِّلُهَا . قال : فبرئتُ منها . فبلغني أن
الفتى تزوّجها فأرسلتُ إليه فقلت : ألم تُخبرني أنك رأيتَ رجلاً يقبلها ؟ قال :
نعم . رأيتُ أباها يقبلها .

غلام حارثي
يغلب ابن شعبة
على امرأة

١٥

أبو سعيد الشحام قال : صحبتُ أبنَ سيرينَ عشرين سنةً ، فقال لي يوماً :
يا أبا سعيد ، إن تزوّجت فلا تزوّج امرأةً تنظرُ في يدها ولكن تزوّج امرأةً
تنظرُ في يدك . .

نصيحة ابن
سيرين لأبي سعيد
فيمن يتزوج

٢٠

(١) الحرق : الفتى الكريم الخليفة . وفي بعض الأصول : « حر » .

صفات النساء وأخلاقهن

لابن العلاء في
أعلم الناس بالنساء

قال أبو عمرو بن العلاء : أعلم الناس بالنساء عبدة بن الطبيب

حيث يقول :

فإن تسألوني بالنساء فإني عليم^(١) بأدواء النساء طيب

٢٨٣
٣

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب

٥

يُرَدَّن ثراء المال حيث علمته وشرخ الشباب عندهن عجيب

وهذه الأبيات لعلامة بن عبدة المعروف بالفحل ، وأول القصيدة :

* طحا بك قلب في الحسان طروب *

لمعاذ بن جبل
في النساء :

وعن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال : إنكم ابتليتم بفطنة الضراء

فصبرتم ، وإنني أخاف عليكم فتنة السراء ، وهي النساء إذا تملىن الذهب^(٢) ،

ولبسن ريط الشام وعصب الين ، فأتعن الغنى ، وكلفن الفقير مالا يُطاق .

لمعبد الملك في
اختيار الجوارى

وقال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها

بربرية ، ومن أرادها للولد فليتخذها فارسية ، ومن أرادها للخدمة

فليتخذها رومية .

لابن هبيرة في
منه

وعن أبي الحسن الدائني قال : قال يزيد بن عمر بن هبيرة : اشتروا لي

جارية شقاء مقاء رشحاء ، بعيدة ما بين المنكبين ، ممسوحة الفخذين .

قوله : شقاء : يريد كأنها شقة جبل . مقاء : طويلة . رشحاء : صغيرة

العجيزة ؛ وإنما أرادها للولد ، ويقال : إن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة .

وقال : عمر بن هبيرة لرجل : ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيّدا ، ولا بأرسح

٢٠ فتكون فارسا .

للأصمعي في
أنواع النساء

وقال الأصمعي ، وذكر النساء : بنات الم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب

رءوس الأبطال كأبن الأعجمية .

(١) في بعض الأصول : « بصير » .

(٢) وردت تعدية هذا الفعل أيضا في الفضليات (٢ : ٤٥) .

بين عثمان بن
ابراهيم وقرش
في امرأة يتزوجها

- أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس بن مُصعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال : أتاني رجلٌ من قریش يَسْتَشِيرُنِي فِي أَمْرَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَقُلْتُ : يَا بَنَ أَخِي ، أَقْصِيرَةُ النِّسْبِ أَمْ طَوِيلَتُهُ ؟ فَلَمْ يَفْهَمْ عَنِّي . فَقُلْتُ : يَا بَنَ أَخِي ، إِنِّي أَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا عَرَفْتُ وَأُنْكَرُ فِيهَا إِذَا أَنْكَرْتُ ، وَأَعْرِفُ فِيهَا إِذَا لَمْ تَعْرِفْ وَلَمْ تُنْكَرْ .
- أما إذا عرفت فتتجاوز ، وأما إذا أنكرت فتجحف ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتسبحو ، وقد رأيت عينك ساجيةً ، فالقصيرة النسب التي إذا ذكرت أباها اكتفت به ، والطويلة النسب التي لا تعرف حتى تُطِيلَ في نسبها ، فأياك أنت تقع في قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضع نفسك بهم^(١) .

بين الوليد وأربع
عقائل له

- ١٠ وعن العُتبي قال : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل : لبابة بنت عبد الله بن عباس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية ، وزينب بنت سعيد بن العاص ، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث ، فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن . فاجتمعن يوما ، فقالت لبابة : أما والله إنك لتسويني بهن ، وإنك تعرف فضلي عليهن . وقالت بنت سعيد : ما كنت أرى أن للفخر على مجازا ، وأنا ابنة ذى العمامة إذ لا عمامة غيرها . وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ١٥ ما أحب بأبي بدلاً ، ولو شئت لقلت فصدقت وصدقت . وكانت بنت يزيد ابن معاوية جاريةً حديثة السن فلم تتكلم . فتكلم عنها الوليد ، فقال : نطق من احتياج إلى نفسه وسكت من اكتفى بغيره . أما والله لو شئت لقلت : أنا ابنة قادتكم في الجاهلية ، وخلفائكم في الإسلام . فظهر الحديث حتى تحدث به في مجلس ابن عباس ، فقال : (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) .
- ٢٠

الحجاج يصف
نساء

الشَّيبَانِي عَنْ عَوَانَةَ قَالَ : ذَكَرْتُ النِّسَاءَ عِنْدَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ : عِنْدِي أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، هِنْدُ بِنْتُ الْمُهَلَّبِ ، وَهِنْدُ بِنْتُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ ، وَأُمُّ الْجَلَّاسِ بِنْتُ

(١) في بعض الأصول : « فتضيع نفسك فيهم » .

عبد الرحمن بن أسيد ، وأمة الله بنت عبد الرحمن بن جرير بن عبد الله البجلي .
فأما ليلى عند هند بنت المهلب فليلى فتى بين فتيان ، يلعب ويلعبون . وأما
ليلى عند هند بنت أسماء ، فليلى ملك بين الملوك ، وأما ليلى عند أم الجلاس
فليلى أعزاجي مع أعراب في حديثهم وأشعارهم . وأما ليلى عند أمة الله
بنت عبد الرحمن بن جرير ، فليلى عالم بين العلماء والفقهاء .

و عن أعتبي قال : حدثني رجل من أهل المدينة قال : كان بالمدينة مُحَنَّثٌ
يَدُلُّ على النساء يقال له أبو الحر ، وكان مُنْقَطِعاً إلى ، فدلتني على غير ما امرأة أتزوجها ،
فلم أرض عن واحدة منهن ، فاستقصرت يوماً فقال : والله يا مولاي لأدلك
على امرأة لم تر مثلها قط ، فإن لم ترها كما وصفت فاحلق لحيتي . فدلتني على
امرأة ، فتزوجتها . فلما زنت إلى وجدتها أكثر مما وصف . فلما كان في السحر
إذا إنسان يدق الباب ، فقلت : من هذا ؟ قال : أبو الحر ، وهذا الحجام معه .
فقلت : قد وفر الله لحيتك أبا الحر ، الأمر كما قلت .

ابن بكير عن مالك بن هشام بن عروة عن أبيه ، أن مُحَنَّثًا كان عند
أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لعبد الله بن أبي أمية ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمع : أبا عبد الله ، إن فتح الله لكم الطائف غداً فأنا
أدلك على بنت غيلان ، إنها تُقبل بأربع ، وتُدبر بثمان . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : لا يدخلن عليك هذا .

قوله : تُقبل بأربع وتُدبر بثمان ، يريد : عُكَن البطن ، فإنها إذا أقبلت
أربع وإذا أدبرت ثمان .

و ضرب البعث على رجل من أهل الكوفة فخرج إلى أذر بيجان ، فأفاد^(١)
جارية و فرساً ، وكان مُمْلِكاً بأبنة عمه ، فكتب إليها ليغيرها :
ألا أبلغوا أم البنين بأننا غَمِينَا وأَغْنَيْنَا الغطارفة المُرْدُ

(١) في بعض الأصول : « فأناد » .

يَعِيدُ مَنَاطَ الْمَكِينِ إِذَا جَرَى وَ بِيضَاءُ كَالْتَّمِثَالِ زَيْنِهَا الْعِقْدُ
 فَهَذَا لِأَيَّامِ الْعَدُوِّ وَهَذِهِ لِحَاجَةِ نَفْسِي حِينَ يَنْصَرِفُ الْجُنْدُ
 فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهُ قَرَأَتْهُ وَقَالَتْ : يَا غَلَامُ ، هَاتِ الدَّوَاءَ . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ تَجْجِيْبُهُ :
 أَلَا أَقْرَهُ مَنَا السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ غَنِينَا وَأَغْنَتُنَا غَطَارِقَةُ الْمُرْدِ
 بِحَمْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَمَ شَبَابًا وَأَغْزَاكُمُ خَوَالِفَ فِي الْجُنْدِ
 إِذَا شِدْتُ غَنَانِي غَلَامٌ مُرَجَّلٌ وَنَازَعْتُهُ مِنْ مَاءٍ مُعْتَصِرِ الْوَرْدِ
 وَإِنْ شَاءَ مِنْهُمْ نَاشِئٌ مَدَّ كَفَّهُ إِلَى كَبِدِ مَلَسَاءٍ أَوْ كَفَّلَ نَهْدَ
 فَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ مِنْ حَاجِ أَهْلِكُمْ شُهُودًا قَضَيْنَاهَا عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ
 فَمَجَّلْ عَلَيْنَا بِالسَّرَاحِ فَإِنَّهُ مُنَانَا وَلَا نَدْعُو لَكَ اللَّهُ بِالرَّدِ
 فَلَا قَوْلَ الْجُنْدِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَزَادَكَ رَبُّ النَّاسِ بُعْدًا إِلَى بَعْدِ

فَلَمَّا وَرَدَ كِتَابُهَا لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ رَكِبَ فَرَسَهُ وَأَرْدَفَ الْجَارِيَةَ وَلَحَقَ بِهَا ، فَكَانَ
 أَوَّلُ شَيْءٍ بَدَأَهَا بِهِ بَعْدَ السَّلَامِ أَنْ قَالَ : يَا اللَّهُ هَلْ كُنْتُ فَاعِلَةً ؟ قَالَتْ : اللَّهُ أَجَلُ
 فِي قَلْبِي وَأَعْظَمُ ، وَأَنْتَ فِي عَيْنِي أَذِلُّ وَأَحْقَرُ مِنْ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِيكَ ، فَكَيْفَ
 ذُقْتُ طَعْمَ الْغِيْرَةِ ؟ فَوَهَبَ لَهَا الْجَارِيَةَ وَانْصَرَفَ إِلَى بَعْتِهِ .

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لَصَّعْمَةَ بْنِ صُوحَانَ : أَيُّ النِّسَاءِ أَشْهَى إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْمَوَانِيَةُ لَكَ
 فَيَا تَهْوَى . قَالَ : فَأَيُّهُنَّ أَبْغَضُ ؟ قَالَ : أَبْغَضُهُنَّ مِمَّا تَرْضَى ، قَالَ : هَذَا النَّقْدُ
 الْعَاجِلُ . فَقَالَ صَعْمَةُ : بِالْمِيزَانِ الْعَادِلِ ^(١) .

بين معاوية
وصعصعة في
أشهى النساء
وأبغضهن

وَقَالَ صَعْمَةُ لِمَعَاوِيَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ نَنْسِبُكَ إِلَى الْعَقْلِ وَقَدْ غَلَبَ
 عَلَيْكَ نَصْفُ إِنْسَانٍ . يَرِيدُ غَلْبَةَ امْرَأَتِهِ فَاخْتَتِ بِنْتُ قَرْظَةَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :
 إِنَّهُنَّ يَغْلِبْنَ الْكِرَامَ وَيَغْلِبْنَ الْإِثَامَ .

بين صعصعة
ومعاوية في غلبة
فاختة عليه

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَيِينَةَ قَالَ : شَكََا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ إِلَى مُعْتَمِرِ بْنِ
 الْخَطَّابِ مَا يَلْقَى مِنَ النِّسَاءِ ، فَقَالَ : لَا عَلَيْكَ ، فَإِنَّ الَّتِي عِنْدِي رُبَّمَا خَرَجَتْ

جرير البجلي
وعمر بن الخطاب
وابن عيينة في
المرأة

(١) انظر عيون الأخبار ؟ فبين الخبرين بعض خلاف .

من عندها فتقول : إنما تريد أن تتصنع لفتيات بنى عدى . فسمع كلامهما ابن مسعود ، فقال : لا عليكما ، فإن إبراهيم الخليل شكّا إلى ربه رداءة في خلق سارة فأوحى الله إليه : أن ألبسها لباسها ما لم تر في دينها وصماً . فقال عمر : إن بين جوانحك لعلماً .

كتاب الحجاج
إلى ابن القريّة
ليخطب على
عبد الملك

٥ . وكتب الحجاج إلى أيوب بن القريّة : أن أخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة ، جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة في قومها ، ذليلة في نفسها ، موأتية لبعلمها . فكتب إليه : قد أصبتها لولا عظم نديها . فكتب إليه : لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم نديها ، فتدفى الضجيع ، وتروى الرضيع .

السفاح وابن
صفوان في النساء

١٠ . وقال أبو العباس السفاح أمير المؤمنين لخالد بن صفوان : يا خالد ، إن الناس قد أكثروا في النساء ، فأيهن أعجب إليك ؟ قال : أعجبهن يا أمير المؤمنين التي ليست بالضرع الصغيرة ، ولا الفانية الكبيرة . وحسبك من جمالها أن تكون فحمة من بعيد ، مليحة من قريب ، أعلاها قضيب ، وأسفلها كتيب ، كانت في نعمة ثم أصابها فاقة ، فأترفها الغنى وأدبها الفقر .

بين خالد بن
صفوان وامرأة

١٥ . ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : على امرأة تدل على النساء فأتاها فقال لها : أبغني امرأة . قالت : صفها لي . قال : أريدها بكرًا كتيب ، أو ثيبًا كبكر ، حلوة من قريب ، فحمة من بعيد . كانت في نعمة فأصابها فاقة ، فعها أدب النعمة وذُل الحاجة ، فإذا اجتمعنا كُنّا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كُنّا أهل آخرة . قال : قد أصبتها لك قال : وأين هي ؟ قال : في الرفيق الأعلى من الجنة فأعمل لها .

لأعرابي في النساء

٢٠ . وسئل أعرابي عن النساء ، وكان ذا تجربة وعلم بهن ، فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ، التي إذا غضبت حلت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صمعت شيئًا جودت ، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها ، العزيزة في قومها ، الذليلة في نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود .

لغطفاني يصف
لعبد الملك النساء

وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان : صِف لي أحسن النساء ،
فقال ، خُذها يا أمير المؤمنين مَلَساء القدمين ، دَرَماء الكعبين ، مملوءة الساقين ،
تَجاء الركبتين ، لَفاء الفخذين ، مُقرمدة الرُفَفين ، ناصمة الأليتين ، مُنيفة
المأكتين بداء الوركين ، مهضومة الخصرين ، ملساء المتنين ، مشرفة ، فَعمة
العُضدين ، فَخمة الذراعين ، رَخصة الكفين ، ناهدة الثديين حمراء الخدين ،
كحلأ العينين ، زجاء الحاجبين ، لَمياء الشفتين ، بَلجاء الجبين ، شَماء العَرنين ،
شَذباء الثغر ، حالكَة الشعر ، غَيداء العُنق ، عِيناء العينين ، مكسرة البطن ،
ناثئة الرِّكَب . فقال : ويحك ! وأين توجد هذه ؟ قال : تجدها في خالص العرب ،
أو في خالص الفرس .

وقال رجل مخاطب : أبغني امرأة لا تُؤنس جاراً ، ولا تُوهن داراً ، ولا تُثَقِّب
نارا . يريد لا تدخل على الجيران ، ولا يدخل عليها الجيران ، ولا تُغري
بينهم بالشر .

بين رجل
ومخاطب

وفي نحو هذا يقول الشاعر :
من الأوانس مثل الشمس لم يرها في ساحة الدار لا بعل ولا جار
وقال الأعشى :

لبعض الشعراء
في مثله

لم تمش ميلاً ولم تركب على جمل ولا ترى الشمس إلا دونها السِكل
وقال آخر : أبغني امرأة بيضاء ، مديدة فرعاء ، جعدة ، تقوم فلا يُصيب
قيصها منها إلا مُشاشة منكبيها ، وحلقتي ثديها ، ورائفتي أليتيها .
وقال الشاعر :

لبعض الشعراء

أبت الروادفُ والثدى لقمصها مَسَّ البُطون وإن تَمَسَّ ظُهورا
وإذا الرياح مع العشي تنافحت نَبَّهَن حاسدة وهيجن غَيورا
ولآخر :

إذا أنبطحت فوق الأثافي رَفَعْنِها بَشْدِين في نَحْر عَرِيضٍ وَكَعْشَبٍ (١)

٢٨٦
٣

(١) الكعش : الركب الضخم . والبيت للفرزدق كما في الحيوان (٢ : ٢٨) .

بين ابن حطان
وامراته

ونظر عمران بن حِطَّان إلى امرأته . وكانت من أجمل النساء ، وكان من أقبح الرجال ، فقال : إني وإياك في الجنة إن شاء الله . قالت له : كيف ذاك ؟ قال : إني أعطيتُ مثلك فشكرتُ ، وأعطيتُ مثلي فصبرت .

أبو هريرة
وعائشة بنت
طلحة

ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة ، فقال : سبحان الله ! ما أحسن ما غذاك أهلك ! والله ما رأيت وجهاً أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان معاوية من أحسن الناس .

بين أبي ذئب
وعائشة بنت
طلحة

ونظر ابنُ أبي ذئب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت :

١٠ من اللاء لم يَخْجُجْجِنْ يَنْغِينِ حِسْبَةً ولكن لَيَقْتُلُنِ البريء المَغْفَلَا
فقال لها : صان الله ذلك الوجه عن النار . فقبل له : أفتنتك يا عبد الله ؟
قال : لا ، ولكن الحسن مَرحوم .

لابن اسحاق في
بنت طلحة

وقال يونس : أخبرني محمد بن ^(١) اسحاق ، قال : دخلت على عائشة بنت طلحة ، فوجدتها متكئة ، ولو أن بُخْتِيَةَ نَوَّخَتْ خلفها ما ظهرت .

الشعبي ومصعب
وابن الزبير وبنت
طلحة

١٥ السريُّ بن إسماعيل عن الشعبي ، قال : إني لفي المسجد نصفَ النهار ، إذ سمعتُ بابَ القصر يُفتح ، فإذا بمُصعب بن الزبير ومعه جماعة . فقال : يا شعبي ، اتبعني . فاتبعته . فأتى دارَ موسى بن طلحة ، فدخل مقصورةً ثم دخل أخرى ، ثم قال : يا شعبي ، اتبعني ، فاتبعته . فإذا امرأة جالسة ، عليها من الحلى والجواهر ما لم أر مثله ، وهي أحسن من الحلى الذي عليها . فقال : يا شعبي ، هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر :

٢٠ وما زلت في ليلى لَدُنْ طَرَّ شاربِي إلى اليوم أخفى حُبَّها وأداجنُ
وأحمل في كيلى لقوم ضغينةً وتُحْمَلُ في ليلى على الضغائن
هذه عائشة بنت طلحة . فقالت له : أما إذ جلوتني عليه فأحسن إليه .

(١) في بعض الأصول : « أبو » . تحريف . (انظر تهذيب التهذيب ٩ : ٣٩) .

فقال : يا شعبي . رُح العشية ، فرحت . فقال : يا شعبي ، ما ينبغي لمن جُليت عليه عائشة بنت طلحة أن يُنقص عن عشرة آلاف . فأمر لي بكسوة وقارورة غالية . فقبل للشعبي في ذلك اليوم : كيف الحال ؟ قال : وكيف حال من صدر عن الأميرة ببدره وكسوة ، وقارورة غالية ، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة .

قصة زواج عمرو
بن حُجر من
بنت عوف

- وكان عمرو بن حُجر ملك كندة ، وهو جدُّ امرئ القيس ، أراد أن يتزوج
أبنة عوف بن مُحَلَّم الشيباني الذي يقال فيه : لا حُرُّ بوادي عوف ؛ لإفراط عزه .
وهي أم إياس ، وكانت ذات جمال وكال . فوجه إليها امرأة يقال لها عصام ،
[ذات عقل وبيان وأدب] لتنظر إليها ، وتمتحن ما بلغه عنها . فدخلت على أمها
أمامة بنت الحارث ، فأعلمتها ما قدمت له . فأرسلت إلى ابنتها : أي بنية ، هذه
خالتك ، أتت إليك لتنظرُ إلى بعض شأنك ، فلا تستري عنها شيئاً أرادت النظرَ
إليه من وجهه وخلق ، وناطقها فيما استنطقتك فيه . فدخلت عصام عليها ،
فنظرت إلى ما لم ترَ عينها مثله قط ، بهجةً وحسناً وجمالاً . فإذا هي أكملُ الناس
عقلاً ، وأفصحهم لساناً . فخرجت من عندها وهي تقول : « ترك الخداع من كشف
القناع » . فذهبت مثلاً . ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : « ما وراءك يا عصام ؟ » فأرسلها
مثلاً . قالت : « صرَّح الخوض عن الزبدة » . فذهبت مثلاً . قال : أخبريني ، قالت :
أخبرك صدقاً وحقاً ، رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزيناها شعر حالك كأذناب
الخيل المصفورة ، إن أرسلته خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت عناقيد كرم
جلاه الوابل ، ومع ذلك حاجبان كأنهما خطاً بقلم ، أو سوداً بحمم ، قد تقوَّسا
على مثل عين البهرة^(١) التي لم يرُعها قانص ولم يذعرها قسورة ، بينهما أنف
كحد السيف المصقول ، لم يخنس به قصر ، ولم يمعن^(٢) به طول ، حُفَّت به وجنتان
كالأرجوان ، في بياض يحض كالجنان ، شق فيه فم كالخاتم ، لذيد المبتسم^(٣) ،

٢٨٧
٣

٢٠

(١) البهرة : المثلثة الجسم ، عني بها البقرة .

(٢) في بعض الأصول : « لم يخلص به قصر ولم يعن » .

(٣) : في بعض الأصول : « الميسم » .

فيه ثنايا غُر، ذوات أشْر، وأسنان تُعَد كاللُّثْر، وريق تَمَّ إليك منه ريح الخمر، أو
 نُشِر الروض بالسَّحَر، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان، يقلِّبه ^(١) عقل وافر،
 وجواب حاضر، يلتقي دونه شفتان حراوان كالورد، يجلبان ريقاً كالشهد، تحت ذلك
 عُنق كإبريق الفضة، رُكْب في صدر تمثال دُمية، يتصل به عضدان ممثلتان لحا
 ٥ مَكِينزان شحما، وذراعان ليس فيهما عظم يُحس، ولا عرق يُجس، رُكْبَت
 فيهما كِفان رقيقٌ قصبهما كَيْن عَصبهما، تعقد إن شئت منهما الأنامل، وترُكْب
 المفصوص في حُفر المفاصل، وقد ترْبَع في صدرها حُفَّان كأنهما رمانتان. من
 تحت ذلك بطن طوى كطى القباطى المدججة، كُسى عَكْنا كالقراطيس المدرجة.
 تُحيط تلك العكن بسرة كمدَّهن العاج للجلو، خلف ذلك ظهر كالجدول ينتهى
 ١٠ إلى خصر لولا رحمة الله لانخزل، تحته كَفَل يُقعدها إذا نهضت، ويُنهضها إذا
 قعدت، كأنه دِعْص رمل، كَبْدُه سقوط الطل، يحمله فخذان لقوان كأنهما نَضِيدُ
 الجُمَار، تحملهما ساقان خدجنتان كالبردى وشيتا بشعر أسود، كأنه حلق الزرد،
 ويحمل ذلك قدمان كحد السنان تبارك الله في صغرهما كيف تُطيقان حمل
 ما فوقهما، فأما ما سوى ذلك فترك أن أصفه، غير أنه أحسن ما وصفه واصف
 ١٥ بنظم أو نثر. قال: فأرسل إلى أيها يخطبها. فكان من أمرها ما تقدم ذكره في
 صدر هذا الكتاب.

صفة المرأة السوء

١. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم وخضراء الدمن» ^(٢). يريد الجارية
 الحسنة في المنبت السوء.
٢. وفي حكمة داود: المرأة السوء مثل مُشرك الصياد. لا ينجو منها إلا من رضى
 الله عنه.

(١) في بعض الأصول «يزين به».

(٢) في بعض الأصول «لا خير في الخضراء تنبت في الدمن».

لعمر بن الخطاب
في أنواع النساء

الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال عمر بن الخطاب النساء ثلاثة : هينة عفيفة مسلمة ، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ، وثالثة غُلْ قُلْ يُلقِيه الله في عُنُق من يشاء من عباده .

لأعرابي في شر
النساء

وقيل لأعرابي عالم بالنساء : صف لنا شر النساء . قال : شرهن النعيفة^(١) ، الجسم ، القليلة اللحم ، الطويلة السقم ، الحياض^(٢) ، الصفراء ، المشومة العسراء ، السليطة الذفراء ، السريعة الوثبة ، كأن لسانها حرب ، تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها بالحرب . أنف في السماء وأست في الماء . وفي رواية محمد بن عبد السلام الخشني قال : إياك وكل امرأة مذكرة منكورة ، حديدة العرقوب ، بادية الظنوب ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد ؛ تدفن الحسنات ، وتفشي السيئات ؛ تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان ؛ ليس في قلبها له رافة ، ولا عليها منه مخافة ؛ إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكيت ، وإن بكى ضحكت ؛ وإن طلقها كانت حريبتها ، وإن أمسكها كانت مصيبتها ، سفهاء ورهاء ، كثيرة الدعاء ، قليلة الإرعاء ؛ تأكل لئماً ، وتوسع ذماً ؛ صخوب غضوب ، بذية دنية ؛ ليس تطفأ نارها ، ولا يهدأ إعصارها ، ضيقة الباع ، مهتوكة القناع ؛ صبيها مهزول ، ويبتها مزبول ؛ إذا حدثت تشير بالأصابع ، وتبكي في الجوامع ؛ بادية من ججبابها نباحة على بابها ، تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة ؛ قد ذل^(٣) لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور .

فضالة وزوجه
بين يدي سلم
ابن قتيبة

نافرت امرأة فضالة زوجها إلى سلم بن قتيبة ، وهو والي خراسان ، فقالت : ٢٨٨
أبغضه والله لخلال فيه . قال : وما هي ؟ قالت : هو والله قليل الفيرة ، سريع الطيرة ؛ ٢٠
شديد العتاب ، كثير الحساب ؛ قد أقبل بخره ، وأدبر ذفره ؛ وهجمت^(٤) عيناه ،

(١) في بعض الأصول : « النعيفة » .

(٢) في بعض الأصول : « الحياض المراض الصفراء » .

(٣) في بعض الأصول : « دلى » .

(٤) في بعض الأصول : « هجمت » . وهجمت بمعنى فارقت .

واضطربت رجلاه ؛ يُفنيق سريعاً ، وَيَنطق رجيعاً ؛ يُصبح جنبساً ، وَيُبسى رجساً ؛ إن جاع جَزَع ، وإن شَبَع جَشَع .

ومن صفة المرأة السوء يقال : امرأة سَمَعَنَة نظرنَة . وهي التي إذا سمعت أو تبصرت فلم تر شيئاً تظننت تظنناً .

قال أعرابي : ٥

شعر لأعرابي

إن لنا لكنة سَمَعَنَة نظرنَة
مِفَنَة مَعَنَة كالذئب وسط العنَّة (١)
إلا ترّة تظننه

وقال يزيد بن عمر بن هبيرة : لا تنكحن برشاء ولا عشاء ، ولا ورقصاء ، ولا لثواء . فتجيثك بولد ألثغ . فوالله لولد أعمى أحب إلى من ولد ألثغ . ١٠

لابن هبيرة
في مثله

وقالوا : آخر عمر الرجل خير من أوله ، يشوب حلمه ، وتثقل حصاته ، وتحمّد شرارته ، وتكمل تجارته . وآخر عمر المرأة شرّ من أوله ، يذهب جمالها ، وينزرب لسانها ، ويعقم رحمها ، ويسوء خلقها .

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام : إذا قال لك أحد : تزوجت نصفاً ، فاعلم أن شرّ النصفين ما بقي في يده ، وأنشد : ١٥

لجعفر بن محمد
في النصف

وإن أتوك وقالوا إنها نصف فإن أطيب نصفها الذي ذهب
وقال الحطيئة في أمراته :

للحطيئة في
امراته

أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قعيدته لكاع
وقال في أمه :

وله في أمه

٢٠
تَنجّي فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغرباً بالاً إذا استودعت سرّاً وكانونا على التحدّثينا
حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا
وقال زيد بن عمير في أمته :

لزيد بن عمير
في أمته

(١) العنة ، بضم العين : الخطيئة . ويروي : « كالريح حول القنّه » .

أُعَاتِبُهَا حَتَّى إِذَا قُلْتُ أَفْلَعْتُ أَبَى اللَّهُ إِلَّا خِزْيُهَا فَتَعَوَّدُ
فَإِنْ طَمَعْتُ قَادَتْ وَإِنْ طَهَرْتُ زَنْتُ فِيهِ أَبَدًا يُزْنِي بِهَا وَتَقْوَدُ

ويقال إن المرأة إذا كانت مُبغضة لزوجها ، فعلمة ذلك أن تكون عند
قريبه منها مرتدة الطرف عنه ، كأنها تنظر إلى إنسان غيره ؛ وإذا كانت مُحبة له
لا تقلع عن النظر إليه .

علامة المرأة
المبغضة والمحبة

وقال آخر يصف امرأة لثغاء^(١) :

أول ما أسمع منها في السَّحَرِ تَذَكِيرَها الأُنْثَى وتَأْنِيثَ الذَّكَرِ
والسَّوَاءَ السَّوَاءَ فِي ذَكَرِ الْقَمَرِ

لبعض الشعراء
في امرأته
الاثغاء

ولآخر في زوجته :

ولآخر في
زوجته

لَقَدْ كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى مَوْتِ زَوْجَتِي وَلَكِنْ قَرِينُ السُّوءِ بَاقٍ مُعَمَّرٌ
فِيَالَيْتَهَا صَارَتْ إِلَى الْقَبْرِ عَاجِلًا وَعَذْبُهَا فِيهِ نَكِيرٌ وَمُنْكَرٌ

وكان روح بن زنباع أثيراً عند عبد الملك ، فقال له يوما : أَرَأَيْتَ أُمْرَأَتِي
الْعَبْسِيَّةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَمَا شَبَّهْتَهَا ؟ قَالَ بِمِشْجَبٍ بَالٍ ، وَقَدْ أُسَيِّئْتُ صَنْعَتَهُ .
قَالَ : صَدَقْتَ . وَمَا وَضَعْتَ يَدِي عَلَيْهَا قَطُّ إِلَّا كَأَنِّي أَضَعُهَا عَلَى الشَّكَاغَى^(٢) ،
وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ لِابْنَيْهَا الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ . فَقَامَ إِلَيْهِ فَرَعَا ، فَقَبَّلَ يَدَهُ وَرَجَلَهُ ،
وَقَالَ : أَنَشْدُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تُعَرِّضْنِي لَهَا . قَالَ : مَا مِنْ ذَلِكَ بُدٌّ ،
وَبَعَثَ مَنْ يَدْعُوهُمَا . فَاعْتَزَلَ رَوْحٌ ، وَجَلَسَ نَاحِيَةً مِنَ الْبَيْتِ كَأَنَّهُ جَلَسَ ، وَجَاءَ
الْوَلِيدُ وَسُلَيْمَانُ فَقَالَ لَهَا : أَتَدْرِيَانِ لَمْ يَبْعَثْ إِلَيْكُمَا ؟ إِنَّمَا بَعَثْتُ لَتَعْرِفَا لِهَذَا الشَّيْخِ
حَقَّهُ وَحُرْمَتَهُ . ثُمَّ سَكَتَ .

بين عبد الملك
وابن زنباع
في زوج
عبد الملك

٢٨٩
٣

أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ : كَانَ عِنْدَ رَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ هِنْدُ بِنْتُ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، وَكَانَ
شَدِيدَ الْغَيْرَةِ ، نَاشَرَفَتْ يَوْمًا تَنْظُرُ إِلَى وَفْدٍ مِنْ جُدَامٍ ، كَانُوا عِنْدَهُ ، فَزَجَرَهَا .

بين روح
وزوجه

(١) انظر البيان والتبيين (١ : ١٦٥ طبع لجنة التأليف) .

(٢) الشكاغى ، كجبارى وقد تفتح : من دق النبات ، ولدقته يقال للمهزول : كأنه
عود الشكاغى .

فقلت : والله إني لأبغض الحلال من جذام ، فكيف تخافني على الحرام فيهم .
وقالت له يوماً : عجباً منك كيف يسودك قومك ؟ وفيك ثلاث خلال : أنت
من جذام ، وأنت جبان ، وأنت غيور ؟ فقال لها : أما جذام فإني في أرومتها ،
وحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه . وأما الجبن فإني إلى نفسي واحدة ،
فأنا أحوطها ، فلو كانت لي نفس أخرى جُدت بها . وأما الغيرة فأمرٌ لا أريد أن
أشارك فيه ، وحقيق بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من
غيره فتقذف به في حجره . فقلت :

وهل هند^(١) إلا مَهْرٌ عربيّة سليمة أفراس تجلّ لها بعل
فإن أنجبت مَهراً عريقاً فبالحرى وإن يك إقراراً فما أنجب الفحل
١٠ وعن الأصمعي قال : قال أبو موسى : جاءت امرأة إلى رجل تدله على امرأة
يتزوجها فقال :

أقول لها لما أتتني تدلّني على امرأة موصوفة بحمال
أصبت لها والله زوجاً كما أشتيت إن احتملت منه ثلاث خصال
فمنهن تَجَز لا ينادي وليده ورقة إسلام وقلة مال

صفة الحسن

١٥ عن أبي الحسن الدائني قال : الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه الصفرة مع
طول المكث في الكن ، والتضخ بالطيب ، كما تضرب في بيضة الأدهى
واللؤلؤة المكنونة . وقد شبه الله عز وجل بها في كتابه فقال : (كأنهن بيض
مكنون) ، وقال : (كأنهن لؤلؤ مكنون) . وقال الشاعر :

٢٠ كأن بيض نعام في ملاحفها إذا اجتلاهن قيطّ ليله ومد^(٢)
وقال آخر :

مروزي الأديم تغمره الصفة رة حيناً لا يستحق أصفرارا

(١) في بعض الأصول : « وهل أنا » .

(٢) البيت للراعي ، كما في اللسان (ومد) وفي بعضها : « وهل كنت » .

لرجل في امرأة
دلته على زوجة

للدائني في
الحسن

لبعض الشعراء

- وَجَرَى مِنْ دَمِ الطَّبِيعَةِ فِيهِ لَوْنٌ وَرَدٌ كَسَا الْبَيَاضَ أَحْمَرًا
وقالت امرأة خالد بن صفوان له : لقد أصبحت جميلا . فقال لها : وما رأيت
من جمالي ! وما في رداء الحسن ولا عموده ولا بُرنسه ؟ قالت : وكيف ذلك ؟
قال : عمود الحسن الشَّطاط^(١) ، ورداؤه البياض ، وبُرنسه سواد الشعر .
- وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر . وإذا فَرِقَ
يصفر . ومنه قولهم : ديباج الوجه . يُريدون تلوُّنه ، من رفته .
وقال عدى بن زيد يصف لون الوجه :
حُمْرَةٌ خَلَطَ صَفْرَةً فِي بَيَاضٍ مِثْلَ مَا حَاكَ حَائِكٌ دِيْبَاجًا
وقالوا : إن الجارية الحسنة تتلون بلون الشمس ، فهي بالضحي بيضاء ،
وبالعشي صفراء . وقال الشاعر^(٢) :
بِيضَاءُ ضَحْوَتِهَا وَصَفْرَاءُ الْعِشِيِّ كَالْقَرَارِ
وقال ذو الرُّمَّة :
بِيضَاءُ صَفْرَاءُ قَدْ تَنَازَعَا لَوْنَانِ مِنْ فِضَّةٍ وَمِنْ ذَهَبٍ
ومن قولنا في هذا المعنى :
بِيضَاءُ يَحْمَرُ خَدَّاهَا إِذَا خَجِلَتْ كَمَا جَرَى ذَهَبٌ فِي صَفْحَتِي وَرِقٍ
ومن قولنا أيضا :
بِالْوُلُؤِ يَسْبِي الْعُقُولَ أَنْيَقَا وَرَشَا بِتَقْطِيعِ الْقُلُوبِ رَفِيقَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقَا
ومن قولنا :
كَمْ شَادِنٍ لَطْفَ الْحَيَاءِ بَوَّجَهُ^(٣) فَأَصَارُهُ وَرْدًا عَلَى وَجْنَاتِهِ
ومن قولنا :
عَطَائِيلُ كَالْأَرَامِ أَمَّا وَجُوهُهَا فَدُرٌّ وَلَكِنْ أُلْخُدُودَ عَقِيقُ

بين خالد بن
صفوان وامرأته

لبعضهم في
الوجه عند
الخجل والفرق

لعدى بن زيد
في لون الوجه

لون الجارية مع
الضحى والعشي
ولبعض الشعراء
في ذلك

٢٩٠
٣

٢٠

(١) الشطاط ، كسحاب وكتاب : الطول وحسن القوام واعتداله .

(٢) هو الأعشى .

(٣) في بعض الأصول : « كم سوسن لطف الحياء بلونه » .

قولهم في الجارية

ومن قولهم في الجارية

جميلة من بعيد ، مليحة من قريب . فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة على بُعد ، فإذا دنت لم تكن كذلك . والمليحة التي كلما كررت فيها بصرك زادتك حسنا .

وقال بعضهم : السميننة الجميلة ، من الجميل ، وهو الشحم . والمليحة أيضا من الملحة ، وهو البياض . والصبيحة مثل ذلك ، يشبهونها بالصباح في بياضه^(١) .

المنجيات من النساء

قالوا : أنجب النساء الفروك . وذلك أن الرجل يغلبها على الشبق لزهدا في الرجل .

أبو حاتم عن الأصمعي قال : النجبية التي تنزع بالولد إلى أكرم العرقين .
وقال عمر بن الخطاب : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم^(٢) فأنكحوا في النزائع^(٣) .

وقالت العرب : بنات الم أصبر ، والغرائب أنجب .
والعرب تقول : أغتربوا لا نضروا . أي أنكحوا في الغرائب ، فإن القرائب يضيون البنين .

وقالوا : إذا أردت أن يصلب ولد المرأة فأغضبها ثم قع عليها ، وكذلك الفرعة . وقال الشاعر^(٤) :

ممن حمان به وهن عواقد حُبكِ النِّطاق فشبَّ غيرَ مُهَبِّلٍ

(١) في ن بعد هذا : « آخر الجزء الأول من كتاب النساء يتلوه في الآتي بعدة الطلاق والحمد لله وصلاته على محمد وعلى آله وسلم » . ولم يرد في ن هذان الفصلان المنجيات من النساء ومن أخبار النساء .

(٢) أضوى : دق وضعف .
(٣) النزائع : الغرائب . والخبر في اللسان (نزع) . وفي بعض النسخ : « في الغرائب » .
بعد قليل .

(٤) هو أبو كبير الهذلي . والبيتان من أبيات في الحماسة (١ : ١٩)

حملت به في ليلة مزودة كرها وعقد نطاقها لم يُحلل
 قالت أم تابط شرا : والله ما حملته تَضْعَا ولا وُضْعَا ، ولا وضعته يَتْنَا
 ولا أرضعته غيلا ، ولا أُنْمَتْه مَتَقَا .
 حملته وُضْعَا وتَضْعَا ، وهي أن تحمله في مُقْبَل الحيض . ووضعته يَتْنَا ، وضعته
 منكسا تخرج رجلاه قبل رأسه . وأرضعته غيلا ، أرضعته لبنا فاسدا ، وذلك أن
 ترضعه وهي حامل . وأُنْمَتْه مَتَقَا ، أي مُغَضِبَا مُغْتَظَا .
 ومن أمثال العرب قولهم : أنا متق وأنت تتق فلا نتفق . المتق : المغضب
 المغتاظ . والتثق : الذي لا يحتمل شيئا .

من أخبار النساء

- ١٠ لما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الأنصارية ، زوجة المختار
 ابن أبي عبيد ، أنكر الناس ذلك عليه وأعظموه ، لأنه أتى بما نهى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عنه في نساء المشركين ، فقال عمر بن أبي ربيعة :
 ١٥ إن من أعظم الكبائر عندي قتل حَسَنَاء غَادَةٍ عَطْبُولِ
 قُتِلَتْ باطلاً على غير ذنب إن الله درّها من قَتِيلِ
 كُتِبَ القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذُّبُولِ
 ولما خرجت الخوارج بالأهواز ، أخذوا امرأة فهموا بقتلها ، فقالت لهم :
 أقتلون من يُنْشَأُ في الحلية وهو في الخِصام غير مبين ؟ فأمسكوا عنها .

(١) باب الطلاق

٢٩١
٣

- محمد بن الفار قال : حدثني عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الأصمعي قال : سمعت
 عمي يقول : توصلت بالملح ، وأدركت بالغريب .

٢٠

وقال عمي للرشيد ، في بعض حديثه : بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلا من

(١) قبل هذا العنوان في ن : « بسم الله الرحمن الرحيم . رب أعني برحمتك » .

للأصمعي فيها
 وصل به

بين الرشيد
 والأصمعي في
 رجل طلق
 نفسه في يوم

العرب طلق في يوم خمس نسوة . قال : إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة ، فكيف طلق خمسا ؟ قال : كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوما فوجدهن متلاحيات متنازعات ، وكان شنظيرا^(١) . فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك ، يقول ذلك لامرأة منهن ، أذهبي فأنت طالق . فقالت له صاحبتها : عجّلت عليها بالطلاق ، ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقا . فقال لها : وأنت أيضا طالق . فقالت له الثالثة : قبّحك الله ، فوالله لقد كاتنا إليك محسنتين ، وعليك مفضلتين . فقال : وأنت أيتها المعددة أياديها طالق أيضا . فقالت له الرابعة ، وكانت هلالية وفيها أناة شديدة : ضاق صدرك عن أن تؤدّب نساءك إلا بالطلاق . فقال لها : وأنت طالق أيضا . وكان ذلك بمسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه ، فقالت : والله ما شهدت العربُ عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلّوه منكم ووجدوه فيكم ، أبيت إلا طلاق نساءك في ساعة واحدة . قال : وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلمة طالق إن أجاز زوجك . فأجابته من داخل بيته : هيه ، قد أجزتُ ، قد أجزتُ .

ودخل : المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفية ، وهي تتخلّل ، حين أنفتلت من صلاة الغداة ، فقال لها : إن كنت تتخلّلين من طعام اليوم إنك لجشعة ، وإن كنت تتخلّلين من طعام البارحة إنك لبشعة ، كنتِ فبنت . فقالت : والله ما اغتبطنا إذ كنا ولا أسفنا إذ بنّا ، وما هو شيء مما ذكرت ، ولكني استكت فتخلّلت للسواك . فخرج المغيرة نادما على ما كان منه . فلقبه يوسف بن أبي عقيل ، فقال له : إني نزلتُ الآن عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوجها فإنها ستنجب فتزوجها . فولدت له الحجاج .

وقال الحسن بن علي بن الحسن لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرك بيدك . فقالت : قد كان عشرين سنة بيدك فأحسنْتَ حفظه ، فلن أضيعه إذ صار

بين الحسن
ابن علي وعائشة
زوجه

(١) الشنظير : السيء الخلق الفعاش .

بيدي ساعة واحدة ، وقد صرفته إليك . فأعجبه ذلك منها وأمسكها .

وقال أبو عبيدة : طلق رجل امرأته وقال في ذلك :

لقد طلقتُ أخت بني غلاب طلاقاً ما أظن له ارتداداً

ولم أك كالمعدل أو أويس إذا ما طلقاً ندماً فصاداً

قال أبو عبيدة : وطلاق المعدل وأويس يضرب به المثل .

ونكح رجل امرأة من العرب ، فلما أهتداها رأت ريع داره أحسن ريع ،

وشمل عياله أجمع شمل ، فقالت : أما والله لئن بقيتُ لهم لأشتتن أمرهم ، وقالت

في ذلك :

أرى ناراً سأجعلها إريناً^(١) وأترك أهلها شقى عزيزاً

فلما انتهى ذلك إلى زوجها طلقها ، وقال في ذلك :

ألا قالت هدى بنى عدى أرى ناراً سأجعلها إريناً

فبيني قبل أن تلحى عصانا ويصبح أهلنا شقى عزيزاً

وقيل لابن عباس : ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء ؟ فقال :

يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء .

وقيل لأعرابي : هل لك في النكاح ؟ قال : لو قدرتُ أن أطلق

نفسى لطلقتها .

وعن الزهرى قال : قال أبو الدرداء لأمرأته : إذا رأيتني غضبتُ

ترضيني ، وإن رأيتك غضبت ترضيتك ، وإلا لم نصطحب . قال الزهرى :

وهكذا يكون الإخوان .

قال الأصمعي : كنت أختلف إلى أعرابي أقتبس منه الغريب ، فكنتُ

إذا استأذنت عليه يقول : يا أمانة ، ائذني له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه

مراراً ، فلم أسمع يذكُر أمانة ، فقلت : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمانة ؟

قال : فوجم وجهه . فندمتُ على ما كان مني ، ثم أنشأ يقول :

(١) الإارة : النار ، وجعلها إرين ، كعضة وعضيف .

لرجل طلق
امرأته

طلاق أعرابي
امرأته

لابن عباس في
رجل طلق امرأته
عدد نجوم السماء

لأعرابي راغب
عن النكاح

نصيحة أبي
الدرداء لامرأته

الأصمعي
وأعرابي طلق
امرأته أمانة

ظننت أمانة بالطلاق ونجوت من غل^(١) الوثاق

بانت فلم يَألم لها قلبي ولم تبك للمآقي

ودواء مالا تشتهي به النفس تعجيل الفراق

والعيش ليس يطيب من إلفين من غير اتفاق

وعن الشيباني قال : طلق أبو موسى أسرته وقال فيها :

تجهزي للطلاق وأرحلي فذا دواء المجانب الشرس

ما أنت بالحنّة الولود ولا عندك نفع يرجي للتمس^(٢)

لليأتني حين بنت طالقة ألد عندى من ليلة العرس

بت لديها بشر منزلة لا أنا في لذة ولا أنس

تلك على الخسف لا نظير لها وإننى ما يسوغ^(٣) لى نفسى

لأبي موسى
في أسرته حين
طلقها

بين منظور
والزبير وابنه
عبد الله في أسرته

أقبل منظور بن زبّان بن سيار الفزارى إلى الزبير فقال : إنما زوجناك ولم

نزوج عبد الله . قال : مالك ؟ قال : إنها تشكوه . قال : يا عبد الله طلقها .

قال عبد الله : هي طالق . قال منظور : أنا ابن قهزم . قال الزبير : أنا ابن

صفية . أتريد أن يطلق المنذر أختها ؟ قال : لا ، تلك راضية بموضعها .

خديجة بنت
عروة بين محمد بن
عبد الله وإبراهيم
ابن هشام

وتزوج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجة بنت عروة بن

الزبير ، فذكر لها جماله ، وكان يقال له الكدّيب من حسنه ، وكان رجلاً مطلقاً .

فقلت : محمد هو الدنيا لا بدوم نعيمها . فلما طلقها خطبها إبراهيم بن هشام بن

إسماعيل الخزومي فكتب إليها :

أعيدك بالرحمن من عيش شقوة وأن تطمعي يوماً إلى غير مطمع

إذا ما ابن مظهرون تحدر وسقه^(٤) عليك فبؤنى بعد ذلك أو دعى

(١) في بعض الأصول : « ذل » .

(٢) الحنة : الزوجة ، مأخوذة من الحنين .

(٣) في بعض الأصول : « وهذه ما يسوغ » .

(٤) في بعض الأصول : « رشحه » .

فردته ولم تنزوجه .

الحجاج وقصة
زواجه بابنة
عبد الله بن جعفر

وعن العتبي عن أبيه قال : أَمهر الحجاجُ ابنةَ عبد الله بن جعفر تسمين ألف دينار ، فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية ، فأمره عبد الملك ، حتى إذا أطبق الليل دق عليه الباب ، فأذن له عبد الملك . فدخل عليه . فقال له : ما هذا الطروق أبا يزيد ؟ قال : أمرُ والله لم يُنتظره الصبح ، هل علمت أن أحدا كان بينه وبين من عادى ما كان بين آل أبي سفيان وآل الزبير بن العوام ؟ فإني تزوجتُ إليهم ، فسا في الأرض قبيلة من قریش أحب إلي منهم ، فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوج إلى بني هاشم ؟ وقد علمت ما يقال فيهم في آخر الزمان . قال : وصلتك رحم . وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها ولا يُراجعه في ذلك . فطلقها . فأتاه الناس يُعزونه ، وفيهم عمرو بن عتبة ، فجعل الحجاج يقع بخالد وينتقصه ، ويقول : إنه صير الأمر إلى من هو أولى به منه ، وإنه لم يكن لذلك أهلا . فقال له عمرو بن عتبة : إن خالدا أدرك من قبله ، وأتعب من بعده ، وعلم علما فسلم الأمر أهله ، ولو طلب بقديم لم يُغلب عليه ، أو بحديث لم يُسبق إليه . فلما سمعه الحجاج أسيحى ، فقال : يا بن عتبة ، إنا نسترضيكم بأن نعتب^(١) عليكم ، ونستعطفكم بأن نفال منكم ، وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به ، وعلما أنكم تُحبون أن تحملوا فتعرضنا الذي تحبون .

٢٩٣
٣

من طلق امرأته ثم تبعها نفسه

الهيثم بن عدي قال : كانت تحت العريان بن [الهيثم بن الأسود بنت عم له ، فطلقها . فتبعها نفسه ، فكتب إليها يُعرض لها بالرجوع فكتبت إليه] :
إن كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا إن الغزال الذي ضيقت مشغول
فكتب إليها :

بين العريان وبنت
عم له طلقها

من كان ذا شغل فالله يكلؤه وقد كلفنا به والحبل موصول

(١) في عيون الأخبار : « نغضب » .

الوليد وزوجته
سعدى بعد أن
طلقها

وقد قضينا من أستطرافه طرفا وفي الليالي وفي أيامها طول
وطلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى . فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وزد
على ما كان منه . فدخل عليه أشعب ، فقال له : أبلغ سعدى عنى رسالة ، ولك
منى خمسة آلاف درهم . فقال : عجلها . فأمر له بها . فلما قبضها قال : هات
رسالتك ، فأنشدها : ٥

أسعدى ما إليك لنا سبيل ولا حتى القيامة من تلاق
بلى ، ولعل دهر أن يواتى بموت من خليلك أو فراق
فأتاها فاستأذن فدخل عليها . فقالت له : ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب ؟
فقال : يا سيدتى . أرسلنى إليك الوليد برسالة ، وأنشدها الشعر . فقالت لجواريتها :
خذن هذا الخبيث . فقال : يا سيدتى ، إنه جعل لى خمسة آلاف درهم . قالت :
والله لأعاقبك أو لتبلغن إليه ما أقول لك . قال : سيدتى أجعل لى شيئا . قالت
لك بساطى هذا . قال : قولى عنه . فقامت عنه وألقاه على ظهره . وقال : هاتى
رسالتك . فقالت : أنشده : ١٠

أتبكي على سعدى وأنت تركتها فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع
فلما بلغه وأنشده الشعر سقط في يده ، وأخذته كظامة ثم سرى عنه ، فقال :
اختر واحدة من ثلاث : إما أن نقتلك ، وإما أن نطرحك من هذا القصر ،
وإما أن نلقيك إلى هذه السباع . فتحير أشعب وأطرق حيناً ، ثم رفع رأسه
فقال : يا سيدى ، ما كنت لتعذب عينين نظرنا إلى سعدى . فتبسّم
وخلى سبيله . ١٥

عبد الرحمن بن
أبى بكر بعد طلاق
امرأته

ومن طلق امرأته فتبعته نفسه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، أمره أبوه
بطلاقها ثم دخل عليه فسمعه يتمثل : ٢٠

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلاً ولا مثلاً فى غير شىء تطلق
فأمره بمراجعتها .

وممن طلق امرأته فتبعته نفسه : الفرزدق الشاعر . طلق النوار ثم ندم في طلاقها وقال :

الفرزدق بعد
طلاق النوار

ندمتُ ندامةَ الكسعي لما غدتُ مني مُطلقةً نوارُ
وكانت جنتي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجه الضرار
فأصبحت الغداة ألوم نفسي بأمر ليس لي فيه خيار

وكانت النوار بنت عبد الله قد خطبها رجلٌ رضيته ، وكان وليها غائباً ، وكان الفرزدق وليها إلا أنه كان أبعد من الغائب ، فجعلت أمرها إلى الفرزدق ، وأشهدت له بالتفويض إليه . فلما توثق منها بالشهود أشهدهم أنه قد زوجها من نفسه ، فأبى منه ونافرته إلى عبد الله بن الزبير . فنزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله ، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهي بنت منظور بن زبآن . فكان كلما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهراً أفسدته المرأة ليلاً ، حتى غلبت المرأة وقضى ابن الزبير على الفرزدق . فقال :

شيء من خبر
النوار

٢٩٤
٣

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم وشُفعت بنت منظور بن زبآن
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتراً مثل الشفيع الذي يأتيك عرياناً

وقال الفرزدق في مجلس ابن الزبير :

١٥

وما خاصم الأقوام من ذي خصومة كوزها مشنوء^(١) إليها خليلها
فدونكها يا بن الزبير فإنها ملعنة^(٢) يوهي الحجارة قيلها

فقال ابن الزبير : إن هذا شاعر وسيهجونى ، فإن شئت ضربت عنقه ، وإن كرهت ذلك فاختارى نكاحه وقرى . فقررت واختارت نكاحه ، ومكثت عنده زماناً . ثم طلقها وندم في طلاقها .

٢٠

وعن الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن أبي مخزوم عن راوية الفرزدق قال :

خبر آخر في طلاق
الفرزدق للنوار

(١) كذا في بعض الأصول والديوان ، والذي في سائر الأصول : « مدنوا » .

(٢) في الديوان : « مولعة » وفي بعض الأصول : « ملعبة » .

قال لى الفرزدق يوماً : امض بنا إلى حاقّة الحسن ، فإنى أريد أن أطلق النّوار .
فقلت له : إني أخاف أن تتبعها نفسك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه . قال :
انهض بنا . فجئنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال : كيف أصبحت أبا سعيد ؟ قال :
بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ فقال : تعلمن أنى طلقت النّوار ثلاثاً .
قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا . فانطلقنا ، فقال لى الفرزدق : يا هذا ، إن فى
نفسى من النّوار شيئاً . فقلت : قد حذرتك ، فقال :

ندمتُ ندامة الكسعى لما غدتُ منى مُطلقةً قَوارُ
وكانت جَنَّتِي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجهُ الضُّرارُ
ولو أنى ملكْتُ بها يمينى لكان علىّ للقدر الحِيارُ

١٠ ومن طلق امرأته وتبعها نفسه قيسُ بن ذريح . وكان أبوه أمره بطلاقها
فطلقها وندم ، فقال فى ذلك :

فوا كبدى على تسريح لُبى فكان فراقُ لُبى كالخِداع
تكنننى الوشاةُ فأزيجونى فى للناس للواشى المطاع
فأصبحتُ الفداةَ ألوم نفسى على أمرٍ وليس بمُستطاع
كَمَغْبُوتٍ يَعْضُ على يديه تَبَيَّنَ غَبْنُهُ بعد البياع

وطلق رجل امرأته فقالت : أبعدُ حبة خمسين سنة ؟ فقال : مالك عندنا
ذَنبٌ غيره .

٢٠ العتيبي قال : جاء رجل بامرأة كأنها بُرج فضة إلى عبد الرحمن بن أم الحكم ،
وهو على الكوفة ، فقال : إن امرأتى هذه شجّعتنى . فقال لها : أنتِ فعلتِ به ؟
قالت : نعم ، غيرَ مُتعمدة لذلك ، كنتُ أعالج طيباً ، فوقع الفهر من يدي على
رأسه ، وليس عندى عقل ، ولا تقوى يدي على القصاص . فقال عبدُ الرحمن
للرجل : يا هذا ، علام تحبسها وقد فعلت بك ما أرى ؟ قال : أصدقها أربعة
آلاف درهم ، ولا تطيب نفسى بفراقها . قال : فإن أعطيتها لك أتفارقها ؟ قال :

نعم . قال : فهى لك . قال : هى طالق إذا ، فقال عبد الرحمن : احبسى علينا
نفسك . ثم أنشأ يقول :

يا شيخ ويحك من دلاك بالفضل قد كنت يا شيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصماب فلم تحسن رياضتها فاعمد بنفسك نحو الجلة الدال

٥ في مكر النساء وغدرهن

لداود عليه السلام في حكمة داود عليه السلام . وجدت من الرجال واحداً فى ألف ، ولم أجد
واحدة فى النساء جميعا .

الفسانى والحارث الكندى وهند
قال الهيثم بن عدى : غزا ابن هبولة الفسانى الحارث بن عمرو آكل المرار
الكندى فلم يصبه فى منزله ، فأخذ ما وجد له وأستاق امرأته . فلما أصابها أعجبت
به ، فقالت له : انج ، فوالله لكأنى أنظر إليه يتبعك ، فاعزاً فاه كأنه بعير آكل
١٠ سرار . وبلغ الحارث ، فأقبل يتبعه حتى لحقه ، فقتله وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته ،
فقال لها : هل أصابك ؟ قالت : نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط . فأسر بها
فأوثقت بين فرسين ، ثم استحضرهما حتى تقطعت . ثم قال :

كل أتى وإن بدالك منها آية الود حُبها خيتمور
١٥ إن من غره النساء بوْد بعد هِنْد لجاهِل مغرور

للحكماء ثم لشاعر وقالت الحكماء : لا تثق بامرأة ، ولا تغتر بمال وإن كثر . وقالوا : النساء
حبائل الشيطان . وقال الشاعر :

٢٠ تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن جزوعا إذا بانت فسوف تبين
وخنها وإن كانت تفى لك إنها على مدد الأيام سوف تخون
وإن هي أعطتك اللبان فإنها لآخر من طلابها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأى عهداًها فليس لمخضوب البنان يمين
وإن أسبلت يوم الفراق دموعها فليس لعمر الله ذاك يقين

وقالت الحكماء : لم تُنه امرأة قط عن شيء إلا فعلته . وقال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ :
 إن النساء متى يُنْهَيْن عن خلق فإنه واقع لا بُدَّ مفعول
 وعن الهيثم بن عدي عن ابن عباس قال : أرسل عبد الله بن همام السلولي
 شاباً إلى امرأة ليخطبها عليه ، فقالت له : فما يمتنعك أنت ؟ فقال لها : ولي طمع
 فيك ؟ قالت : ما عنك رغبة . فتزوجها ثم انصرف إلى ابن همام ، فقال له :
 ما صنعت ؟ فقال : والله ما تزوجتني إلا بعد شرط . فقال : أو لهذا بعثتك ؟
 فقال ابن همام في ذلك :

رأت غلاماً علا شرب الطلاء به يعيا براقص بردي الخلاخيل
 مُبْطِناً بدخيس اللحم تحسبه مما يُصَوَّر في تلك التماثيل
 أكنى من الكف في عقد الفكاح وما يعيا به حل هيمان السراويل
 تركتها والأيامي غير واحدة فأحبسه عن بيتها يا حابس الفيل
 وعن الهيثم بن عدي عن ابن عباس قال : كان النساء يجلسن لخطابهن ،
 فكانت امرأة من بني سلول تُخطب ، وكان عبد الله بن عاصم السلولي يخطبها ، فإذا
 دخل عليها تقول له : فداك أبي وأُمي ، وتقبل عليه تحذنه ، وكان شاب من بني
 سلول يخطبها . فإذا دخل عليها الشاب وعندها عبد الله بن هند قالت للشاب : قم
 إلى النار ، وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله ، ثم إن الشاب تزوجها ، فلما
 بلغ ذلك عبد الله بن هند قال :

أودى بحُب سُلَيْمِي فَاتِكُ لَقِنٌ^(١) كحبة برزت من بين أحجار
 إذا رأته تُفَدِّني وتجمله في النار يا ليتني المجمعول في النار
 وله فيها :

ماذا تظن سُلَيْمِي إِن أَلَمَ بها مُرَجَّلُ الرَّأْسِ ذُو بُرْدَيْنُ مَزَاح
 حُلُوْهُ فَكَاهْتَهُ خَزْرُ عِمَامَتِهِ فِي كَفِّهِ مِنْ رُقَى الشَّيْطَانِ مِفْتَاح

(١) في بعض الأصول : « طبق » .

في السراري

تسرّر الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر ، فولدت له إسماعيل عليه السلام . وتسرّر النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له إبراهيم . ولما صارت إليه صفية بنت حبي كان أزواجه يعيّننها باليهودية ، فشكت ذلك إليه . فقال لها : أما إنك لو شئت لقلت فصّدت وصدقت : أبي إسحاق ، وجدى إبراهيم ، وعمى إسماعيل ، وأخى يوسف .

إبراهيم والنبي
عليهما السلام
وسراريهما

ودخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك ، فقال له : بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها ، لأنك ابن أمة ، فقال له : أما قولك إنى أحدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله ، وأما قولك إنى ابن أمة ، فإسماعيل ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم . وإسحاق ابن حرة . أخرج الله من صلبه القردة والخنازير .

بين زيد بن علي
وهشام بن
عبد الملك

قال الأصمعي : وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء ، حتى نشأ منهم على ابن الحسين ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، ففاقوا أهل المدينة فقها وعلماء وورعا . فرغب الناس في السراري .

للأصمعي في
رغبة الناس
في السراري

وتزوَّج عليّ بن الحسين جارية له وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إليه يؤنبه . فكتب إليه عليّ : إن الله رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتمّ به النقيصة ، وأكرم به من اللؤم ، فلا عارّ على مسلم . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج أمته وأمرأة عبده . فقال عبد الملك : إن علي بن الحسين يشرف من حيث يتّضع الناس .

رد علي بن الحسين
على عبد الملك
في جارية تزوجها

وقال الشاعر :

لبعض الشعراء

لا تشتمن أمرا من أن تكون له أمّ من الرثوم ، أو سوداء عجاء
فإنما أمهات القنوم أوعيةٌ مستودعات وللأحساب آباء
وقال بعضهم : عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ؟ ولمن أحفى

لبعضهم

شعره كيف أعفاه؟ وعجبنا لمن عَرَفَ الإمام ، كيف يُقدم على الحرائر؟
وقالوا : الأمة تُشترى بالعين وتُرد بالعيب ، والحرة غُل في عُنق من
صارت إليه .

الهجناء

قول العرب
والفرس في
الهجين

٥ العرب تسمى العجمي إذا أسلم : المُفَرَّج ، وهو المُسلماني . ومنه يقال :
مَسَالِمَةُ السَّوَاد . والهجين ، عندهم ؛ الذي أبوه عربي وأمه أعجمية . والمَذَرَع : الذي
أمه عربية وأبوه أعجمي . وقال الفرزدق :

إذا باهلي أنجبت حنظليةً له ولداً منها فذاك المَذَرَعُ^(١)

والعجمي : النصراني ونحوه ، وإن كان نصيحاً . والأعجمي : الأخرس
١٠ اللسان ، وإن كان مسلماً ، ومنه قيل : زياد الأعجم ، وكان في لسانه لُكْنَةٌ .
والفرس تُسمى الهجين : دوشن ، والعبد : واش ونجاش . ومن تزوج أمة :
نغاش ، وهو الذي يكون العهد دونه ، وتُسمى أيضاً : بوركان . والعرب تُسمى
العبد الذي لا يخدم إلا ما دامت عليه عين مولاه : عبد العين . وكانت العرب في
الجاهلية لا تُورث الهجين . وكانت الفُرس تطرح الهجين ولا تَعُدُّه ، ولو وجدوا
أماً أمةً على رأس ثلاثين أمّاً ما أفلح عندهم ، ولا كان آزاد مرّداً ، ولو كان بيده
٢٩٧
٣ مزاد . والآزاد عندهم : الحر ، والمرد : الریحان .

وقال ابن الزبير لعبد الرحمن بن أم الحكم :

تبغلت لما أن أتيت بلادهم وفي أرضنا أنت الهمام القلمسُ
ألست ببغل أمه عَرَبِيَّةٌ أبوه حمار أدبر الظهر يُنَخَسُ
٢٠ وشبه المَذَرَع بالبغل ، إذا قيل له : مَنْ أبوك؟ قال : أمي الفرس .

مما احتجبت به الهجناء

تزوج النبي صلى
الله عليه وسلم
ضباعة وخالدة
واحتجج ابن
جعفر علي الوليد

أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من

(١) في بعض الأصول : « عنده حنظلية » . ويروى : « تحته حنظلية » .

المقداد بن الأسود . وزوج خالدة بنت أبي لهب من عثمان بن أبي العاص الثقفي .
وبذلك احتج عبد الله بن جعفر ، إذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف .
فغيره الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن جعفر : سيف أهلك زوجة . والله
ما فديت بها إلا خيط رقبتى .

وأخرى : أن النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج ضباعة من المقداد ، وخالدة
من عثمان بن أبي العاص ، ففيه قدوة وأسوة .

وزوج أبو سفيان ابنته أم الحكم بالطائف في ثقيف :

وقال لهذم الكاتب في عبد الله بن الأهم ، وسأله فخره :

وما بنو الأهم إلا كالزخم لا شيء إلا أنهم لحم ودم

جاءت به حذلم من أرض العجم أهتم سلاح على ظهر القدم

مقابل في اللوم من خال وعم

وكانت بنو أمية لا تستخلف بنو الإمام . وقالوا : لا تصلح لهم العرب

زياد بن يحيى قال : حدثنا جبلة بن عبد الملك قال : سابق عبد الملك بين

سليمان ومسلمة ، فسبق سليمان مسلمة ، فقال عبد الملك :

ألم أنهم أن تحموا هجناكم على خيلكم يوم الرهان فتدرك

وما يستوى المرآن ، هذا ابن حرة وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

وتضعف عضداه ويقتصر سوطه وتقتصر رجلاه فلا يتحرك

وأدركنه خالاته فتزعنه ألا إن عرق السوء لا بد يدرك

ثم أقبل عبد الملك على مصقلة بن هبيرة الشيباني فقال : أتدرى من يقول هذا ؟

قال : لا أدري . قال : يقوله أخوك الشقي^(١) . قال مسلمة : يا أمير المؤمنين . ما هكذا

قال حاتم الطائي . قال عبد الملك : وماذا قال حاتم ؟ فقال مسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتهم ولكن خطبناها بأسيا فقسرا

فما زادها فينا السباه مذلة ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا

تزوج أبو سفيان
أم الحكم في ثقيف
للهمذ في بن
الأهم

بنو أمية وأولاد
الإمام
عبد الملك ومسلمة
حين سبق سليمان

(١) في الميزباني (٢٤٠) أن الشعر لعمر بن مبردة العبدي .

ولكن خلطناها بخير نساينا
فجاءت بهم بيضا وجوههم زهرا
وكائن ترى فينا من ابن سبينة
إذا لقي الأبطال يطعمهم شزرا
ويأخذ رايات الطمان بكفه
فيوردها بيضا ويصدرها حمرا
أغر إذا غبر اللثام رأيت
إذا سرى ليل الدجى قرأ بدرأ
فقال عبد الملك كالمستحي :

٥

بنو أمية وأولاد
الأمهات

وما شرّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا
قال الأصمعي : كانت بنو أمية لا تباع لبني أمهات الأولاد ، فكان الناس
يرَوْن أن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك ، ولكن لما كانوا يرَوْن أن زوال
ملكهم على يد ابن أم ولد ، فلما ولي الناقص ظنّ الناس أنه الذي يذهب ملك
بني أمية على يديه ، وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى ، فلم يلبث إلا سبعة
أشهر حتى مات ، ووثب مكانه مروان بن محمد ، وأمّه كُرْدِيّة ، فكانت الرواية
عليه . ولم يكن لعبد الملك بن مروان ابن أسد رأيا ، ولا أذكي عقلا ، ولا أشجع
قلبا ، ولا أسمح نفسا ، ولا أسخى كفا من مسلة ، وإنما تركوه لهذا المعنى .

٢٩٨
٣

شيء من يحيى
ابن أبي حفصة

وكان يحيى بن أبي حفصة ، أخو مروان بن أبي حفصة يهوديا ، أسلم على
يد عثمان بن عفان فكثّر ماله ، فتزوج خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم ونقدها
خمسین ألفا . وفيه يقول الفلاح (١) :

رأيتُ مقاتلَ الطلبات حلي
نحور بناته كمر الموالى
فلا تفخر بقيس إن قيسا
خريتم فوق أعظمه البوالى
وله فيه :

نبتت خولة قالت حين أنكحها
لطلما كنت منك العار أنتظر
أنكحت عبيد بن ترجو فضل مالها
في فيك مما رجوت الثرب والحجر
لله درّ جياذ أنت سائسها
برذتها وبها التّحجيل والغرر
فقال مقاتل برّد عليه :

(١) في الكامل (١٧٢) أن الشعر لجري .

وما تركتُ خمسون ألفاً لقائل عليك فلا تحفل بمقالة لأنهم
فإن قلتُم زوجتُمولى ، فقد مضت به سنة قبلى ، وحُبُّ الدرام
ويقال إن غيره قال ذلك^(١) .

باب في الأدعياء

- ٥ أول دعى كان في الإسلام وأشهر : زيادُ بنُ عبيد ، دعى معاوية . وكان
من قصته أنه وجهه بعضُ عمّال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العراق إلى
عمر بفتح كان . فلما قدّم وأخبر عمر بالفتح في أحسن بيان وأفصح لسان ، قال
له عمر : أتقدر على مثل هذا الكلام في جماعة الناس على المنبر ؟ قال : نعم ،
وعلى أحسن منه ، وأنا لك أهيب . فأمر عمر بالصلاة جامعةً ، فاجتمع الناس .
١٠ ثم قال لزياد : قم فاخطب ، وقصّ على الناس ما فتح الله على إخوانهم المسلمين .
ف فعل وأحسن وجوّد . وعند أصل المنبر على بن أبي طالب ، وأبو سفيان بن
حرب . فقال أبو سفيان لعلى : أيُعجبك ما سمعت من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال
أما إنه ابنُ عمّك ! قال : فكيف ذلك ؟ قال : أنا قذفته في رَحِمِ أمه سُميّة .
قال : فما يمنعك أن تدّعيه ؟ قال : أخاف هذا الجالس على المنبر ، يعنى عمر ،
أن يُفسد على إهابى . فلما ولى معاوية استلحقه بهذا الحديث ، وأقام له شهوداً
١٥ عليه . فلما شهد الشهود قام زياد على أعقابهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم
قال : هذا أمر لم أشهد أوله ولا عِلم لى بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ،
وشهد الشهود بما قد سمعتم ، والحمد لله الذى رفع منّا ما وضع الناس ، وحفظ
منّا ما ضيعوا ، فأما عبيد فإنما هو والد مبرور ، أوريب مشكور . ثم جلس .
٢٠ فقال فيه عبدُ الرحمن بن حسان بن ثابت :

ألا أبلغ معاويةَ بنَ حَربٍ فقد ضاقت بما يأتى اليَدان

(١) في الشعر والشعراء (ص ٤٨١) أن هذا الشعر لإبراهيم بن النعمان بن بشير .

أَتَفَضَّبَ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانٌ
وَأَشْهَدُ أَنَّ قُرْبَكَ مِنْ زِيَادٍ كَقُرْبِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْأَتَانِ
وقال زياد : ما هُجيت بيت قط أشدَّ عليَّ من قول يزيد بن مفرغ
الحميري :

• فَكَّرَا فِي ذَاكَ إِنْ فَكَّرْتَ مُعْتَبِرٌ هَلْ نِلْتَ مَكْرُمَةً إِلَّا بِتَأْمِيرِ
عَاشَتْ سُمَيَّةٌ مَا عَاشَتْ وَمَا عَلِمَتْ أَنَّ ابْنَهَا مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِ
سُبْحَانَ مَنْ مَلَكَ عِبَادًا^(١) بِقُدْرَتِهِ لَا يَدْفَعُ النَّاسَ مَحْتَمٍ الْمَقَادِيرِ
وَكَانَ وَلَدَ سُمَيَّةَ ثَلَاثًا : زِيَادًا وَأَبَا بَكْرَةَ وَنَافِعًا . فَكَانَ زِيَادٌ يُنسَبُ فِي
قُرَيْشٍ ، وَأَبُو بَكْرَةَ فِي الْعَرَبِ ، وَنَافِعٌ فِي الْمَوَالِي . فَقَالَ فِيهِمْ يَزِيدُ بْنُ مَفْرَغٍ :
١٠ إِنَّ زِيَادًا وَنَافِعًا وَأَبَا بَكْرَةَ عِنْدِي مِنْ أَحَبِّ الْمَحَبِّ
إِنَّ رَجُلًا ثَلَاثَةً خُلِقُوا مِنْ رِخْمٍ أَنْتِي مُخَالَفِي النَّسَبِ
ذَا قُرَشِيٌّ ، فَمَا يَقُولُ ، وَذَا مَوْلَى وَهَذَا ابْنُ عَمِّهِ عَرَبِيٌّ
وقال بعض العراقيين في أبي مسهر^(٢) الكاتب :

حَمَارٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ
١٥ فَدَعَّ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ غَرَّقْتَ ثَوْبَكَ بِالْمِدَادِ
وقال آخر في دعي :

لَعَيْنٌ يُورِثُ الْأَبْنَاءَ لَعْنًا وَيَلْطَخُ كُلَّ ذِي نَسَبٍ صَحِيحٌ

ولما طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ونصر بن حجاج عند
معاوية في عبد الله بن حجاج ، مولى خالد بن الوليد ، أمر معاوية حاجبه أن
٢٠ يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسه . فجلس معاوية وقد تَلَفَعَ بِطَرْفِ خَزٍّ أَخْضَرَ ،
وأمر بحَجَرٍ فَأَذْنَى مِنْهُ ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ طَرْفَ الْمَطْرِفِ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهَا ، وَقَدْ احْتَفَلَ
الْمَجْلِسُ . فَقَالَ نَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ : أَخِي وَابْنُ أَبِي ، عَهْدٌ إِلَيَّ أَنَّهُ مِنْهُ . وَقَالَ

لبعض العراقيين
في أبي مسهر

لبعض الشعراء
في دعي

ابن خالد ونصر
ابن حجاج بين
يدي معاوية في
شأن عبد الله
ابن حجاج

(١) في بعض الأصول : « ملك الأشياء » .

(٢) في بعض الأصول : « ابن شيرزاد » .

عبد الرحمن : مولاي وابن عبد أبي وأمتي ، وُلد على فراشه . فقال معاوية :
يا حرسى ، خذ هذا الحجر — وكشَفَ عنه — فادفعه إلى نصر بن حجاج .
وَقَالَ : يا نصر ، هذا مالكَ في حُكْم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإنه قال : الولد
للِفراش وللعاشر الحجر . فقال نصر : أفلا أُجريت هذا الحكم في زياد يا أميرَ
المؤمنين ؟ قَالَ : ذاك حُكْم معاوية وهذا حُكْم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وليس في الأرض أحق^(١) من الأدعياء ، لتستحق بذلك العروبية .
قال الشاعر :

حمية الأدعياء
ولبعض الشعراء
فيهم

دعى واحدٌ أجدى عليهم من ألفي عالمٍ مثل ابن دابِ
ككَلَبِ السَّوءِ يحرُس جانبَيْهِ وليس عدُوّه غيرُ الكلابِ
وقال الأصمعي : أستمشى رجل من الأدعياء ، فدخل عليه رجل من أصحابه
فوجد عنده شيخاً وقيصوماً ، فقال له : ما هذا ؟ فقال ، ورفع صوته^(٢) : الطبيعة
تُتوق إليه . يريد أن طبيعته من طباع العرب . فقال فيه الشاعر :

الأصمعي في
دعى

يَشْمُ الشَّيْخَ والْقَيْصُومَ كي يَسْتَوْجِب النَّسَبَا
وليس ضميرُهُ في العَدِّ ر إلا التَّيْنُ والعِنَبَا

وعن إسماعيل بن أحمد قال : رأيتُ عليّ أبي سعيد الشاعر الخزوميّ كُردوانياً
مصبوغاً بتوريد ، فقلت : أبا سعيد ، هذا خَز ؟ قال : لا . ولكنه دعى عليّ
دعى . وكان أبو سعيد دعياً في بني مخزوم . وفيه قال الشاعر :

أبو سعيد
الخرزومي

لم يَتِه قطُّ على النَّاسِ شَرِيفٌ يا أبا سَعْدِ
فَتِه ما شئتَ إذ كَدَّ ت بلا أب ولا جَدِ
وإذ حَظَّكَ في النَّسَبِ بين الحُرِّ والعَبْدِ
وإذ قاذِفُكَ المُفَحِّشُ في أَمْنٍ من العَدِّ

وعن أحمد بن عبد العزيز قال : نزلتُ في دار رجل من بني عبد القيس

لأبي بجير في أحد
ابن عبد العزيز
وكان تزوج
في عبد القيس

(١) في بعض الأصول : « أَسْمَى في العرب » .

(٢) في بعض الأصول : « وَضَعَفَ صَوْتَهُ » .

بالبحرين ، فقال لي : بلغني أنك خاطب ؟ قلت : نعم . قال : فأنا أزواجك .
قلت له : إني مولى . قال : اسكت وأنا أفعل . فقال أبو بجير فيهم :

أمن قلة صرتم إلى أن قبلتم دعاوة زراع وآخر تاجر
وأصهب رومي وأسود فاحم وأبيض جعد من سراة الأحامر
شكولهم شتى وكل نسيكم لقد جئتم في الناس إحدى المناكر
متى قال إني منكم فصدق وإن كان زنجياً غليظ المشافر
أكلهم وأقى النساء جدوده وكلهم أوفى بصدق المآذر
وكلكم قد كان في أولية له نسبة معروفة في العشائر
على علمكم أن سوف ينكح فيكم فجذعا ورغما للأنوف الصواغر
فهلأ أبيتهم عفة وتكرما وهلا وجلتم من مقالة شاعر
تعيبون أمرا ظاهرا في بناتكم وفخركم قد جاز كل الفاخر
متى شاء منكم مفرج كان جده عمارة عبس خير تلك العائر
وحسن بن بدر أو زرارة دارم وزبان زبان الرئيس ابن جابر
فقدصرت لأدري وإن كنت ناسيا لعل نجارا من هلال بن عامر
وعل رجال الترك من آل مذحج وعل تيماء عصبه من يجابر
وعل رمال العجم من رمل عاج وعل البوادي بدلت بالحواسر
زعمتم بأن الهند أولاد خندف وبينكم قربي وبين البرابر
وديلم من نسل ابن ضبة ناسل وبرجان من أولاد عمرو بن عامر
بنو الأصفر الأملاك أكرم منكم وأولى بقرابنا ملوك الأكاسر
أأطع في صهرى دعيا مجاهرا ولم تر شرا من دعى مجاهر
ويشتم لؤما عرضة وعشيره ويمدح جهلا طاهرا وابن طاهر
وقال زرارة بن ثروان ، أحد بني عامر بن ربيعة بن عامر :

لزرارة بن ثروان

قد اختلط الأسافل بالأعلى وماج الناس واختلط النجار
وصار العبد مثل أبي قبيس وسبق مع الملهجة العشار

وإنك لن يضيرك بعد حول
وقال عقيل بن علفة :

لعقيل بن علفة

وكنّا بنى غيظ رجالا فأصبحت بنو مالك غيظاً وصيرنا لملك
لحا الله دهرأ زعزع المال كله وسودّ أستاذ الإماء الفوارك

٣٠١
٣

وذكر جعفر بن سليمان بن عليّ يوماً ولده ، وأنهم ليسوا كما يجب . فقال له
ولده أحمد بن جعفر : عمدت إلى فاسقات المدينة ومكة وإماء الحجاز فأوعيت
فيهم نطفك ، ثم تريد أن يُنَجِّين ، ألا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين
اختار لك عقيلة قومها ؟

بين جعفر بن
سليمان وابنه
أحمد حين شكا
من ولده

ودخل الأشعث بن قيس على عليّ بن أبي طالب ، فوجد بين يديه صبيّة
تدرّج ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين .
قال : زوجنيها يا أمير المؤمنين . قال : اغرُبْ ، بفيك الكُثْكُث ، ولك الأثلب ،
أغرك ابن أبي قحافة حين زوجك أم فروة ؟ إنها لم تكن من القواطم ، ولا العواتك
من سليم . فقال : قد زوجتم أخت منى حسبا ، وأوضع منى نسبا : المقداد بن
عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود . قال عليّ : ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعله ، وهو أعلم بما فعل ، ولئن عدت إلى مثلها لأسوأ منك . وفي هذا المعنى
قال الكميت بن زيد :

بين الأشعث بن
قيس وعليّ بن
أبي طالب حين
طلب زينب

وما وجدت بنات بنى نزار حلائل أسودين وأحرينا^(١)
وما تحلوا الحميم على عتاق مطهمة فيلقوا مُبَغِلينا
بنى الأعمام أنكحنا الأياحي وبالآباء سُمِينا البَنِينا
أراد تزويج أبرهة الحبشي في كندة .

٢٠

عن العتيبي : قال : أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن خدّاش لخالد النجار :

شعر لخالد النجار

(١) في بعض الأصول :

وما ضربت حول بنى نزار فوالج من حول الأحمينا
وما أمبينا من سائر الأصول ومزوج الذهب (٦ : ٤٣) .

اليوم من هاشم بَخْ وأنت غداً مولى وبعد غد حلف من العرب
إن صحَّ هذا ، فأنت الناسُ كلهم يا هاشمي ويا مولى ويا عربي

لبعض الشعراء
في الهيثم بن عدي

قال : وكان الهيثم بن عدي ، فيما زعموا دعياً . فقال فيه الشاعر :

الهيثم بن عدي من تنقله في كل يوم له رَحْلٌ على حَسَبِ (١)
إذا أجتدي معشراً من فضلِ نسبهم فلم يُنيلوه عِدامَ إلى نسب
فما يزال له حِلٌّ ومُرحَل إلى النَّصارى وأحياناً إلى العرب
إذا نسبتَ عدياً في بني مُعل فقدم الدال قبل العين في النسب

لبشار

وقال بشار (٢) العقيلي :

إن عمراً فاعرفوه عربي من زُجاج
مُظلمُ النسبة لا يُعرف إلا بالسُّراج

وقال فيه :

أرفق بنسبة عمرو حين تنسبه فإنه عربي من قوارير
ما زال في كبر حداد يردده حتى بدا عربياً مُظلم الثور
وقال أيضاً في أدياء :

هم قعدوا فانتقوا لهم حَسباً يدخل بعد العشاء في العرب
حتى إذا ما الصُّباح لاح لهم بينَ سَتُّوقهم من الذهب
والناس قد أصبحوا صيارفةً أعلم شيء بزائف الحسب (٣)

لأبي نواس
في أشجع

وقال أبو نواس في أشجع بن عمرو :

قل لمن يدَّعي سُلَيْماً سَفاهاً لست منها ولا قُلاماً ظُفَر
إنما أنت من سُلَيْمٍ كواوٍ ألحقت في الهِجاء ظُلماً بعمرو

(١) في بعض الأصول : « على قتب » .

(٢) في بعض الأصول : « سيار » .

(٣) في بعض الأصول : « الذهب » .

وقال فيه :

أيا متحيراً فيه لمن يتعجب العجب
لأسماء تعلمن أشجع حين ينتسب

ولأحمد بن أبي الحارث الخراز في حبيب^(١) الطائي :للخراز في
حبيب الطائي

لو أنك إذ جعلت أباك أوساً جعلت الجد حارثة بن لام
وسميت التي ولدتك سعدى فكنت مقابلاً بين الكرام

وله فيه :

أنت عندي عرّبي ليس في ذاك كلام
شعر فخذيك وساقيك خزامى وثمام
وضلوع الصدر من جسمك نبغ وبشام
وقدّى عينيك صمغ ونواصيك ثغام
لو تحركت كذا لأنجفت منك نعام
وظباء سانحات ويراييع عظام
وحمام يتغنى حبذا ذاك الحمام
أنا ما ذنبي إن كذّبتني فيك الكرام
القفا يشهد إذ ما عرفت فيك الأنام
كذبوا ما أنت إلا عرّبي والسلام

وقال في المعلى الطائي :

معلّى ، لست من طي فإن قبلتك فارها
وابنك فارم في أجأ فلا ترغب به عنها
كان دماملاً جمعت فصور وجهه منها

ولآخر :

لبعضهم

تعلمها وإخوته فكلهم بها درّب

(١) في بعض الأصول : « نصيب » تحريف .

لقد رَبَّوْا حُجُوزَهُمْ وَلَوْ زَيَّيْتَهَا غَضِبُوا
فِيَالِكَ عَصَبَةٌ إِنْ حَدَّثُوا عَنْ أَصْلِهِمْ كَذَبُوا
لَهُمْ فِي بَيْتِهِمْ نَسَبٌ وَفِي وَسْطِ الْمَلَا نَسَبٌ
كَأَمْ لَمْ تَخَفْ سَافِرَةٌ وَتَخْفَى حَيْثُ تَنْتَقِبُ

لخلف بن خليفة
في الأدعياء

وقال خلف بن خليفة الأقطع في الأدعياء :

قُلْ لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي زِرَارٍ وَعِنْدَ كَرَامِ الْعَرَبِ الشُّفَاءُ
أَخْرَجَ مَرَّتَيْنِ سَبَيْتُمُونَا وَفِي الْإِسْلَامِ مَا كَرِهَ السِّبَاءُ
إِذَا اسْتَحْلَلْتُمْ هَذَا وَهَذَا فَلَيْسَ لَنَا عَلَى ذَاكُمْ بَقَاءُ
فَلَا تَأْمَنْ عَلَى حَالٍ دَعِيًّا فَلَيْسَ لَهُ عَلَى حَالٍ وَقَاءُ
وَكَيْفَ يَنْفِي لِأَبْعَدَ مِنْ أَبِيهِ وَنَسَبَتُهُ إِذَا اتَّصَلَ الدَّعَاءُ

٣٠٣
٣

١٠

في الباء وما قيل فيه

ذكر عند مالك بن أنس الباء ، فقال : هو نور وجهك ، ومُنْخ ساقك ، لابن أنس
فأقل منه أو أكثر .

وقال معاوية : ما رأيتُ نهما في النساء إلا عرفتُ ذلك في وجهه .

وقال الحجاج لابن شماس المكي : ما عندك للنساء ؟ قال : أطيل الظماء ^(١) ،
وأرد فلا أشرب .

وقيل للمدائني : ما عندك يا أبا الجعاف ؟ قال : يمتد ولا يشتد ، ويرد
ولا يشرب . وقيل لآخر : ما عندك لمن ؟ قال : ما يقطع حُجَّتَها ،
ويشقي غُلَّتَها .

وقال كسرى كنتُ أراني أني إذا كبرتُ أنهن لا يُحِبُّنني ، فإذا أنا لا أُحِبُّن .
وأنشد الرياشي لأعرابي من بني أسد :

لكسرى
لأعرابي

(١) الظماء ، كسحاب : الظمأ ، وهو العطش .

- تَمَنَّيْتُ لو عاد شَرَّخُ الشَّبَابِ وَمَنْ ذا على الدَّهْرِ يُعْطَى الْمُنَى
وَكُنْتَ مَكِيناً لَدَى الْغَانِيَاتِ فَلَاشَيْءَ عِنْدِي لَهَا مُمَكِّنَا
فَأَمَّا الْحِسَانُ فَيَأْبِيَنِي وَأَمَّا الْقَبِيحُ فَآبِي أَنَا
ودخل عيسى بن موسى على جارية ، فلم يقدر على شيء ، فقال :
النَّفْسُ تَطْمَعُ وَالْأَسْبَابُ عَاجِزَةٌ وَالنَّفْسُ تَهْلِكُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالطَّمَعِ •
ولابن أشرس
وخلا ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسٍ بِجَارِيَةٍ لَهُ ، فَمَجِزٌ ، فَقَالَ : وَيَحْكُ ، مَا أَوْسَعُ
حِرْكَ ؟ فَقَالَتْ :
أَنْتَ الْفَدَاءُ لِمَنْ قَدْ كَانَ يَمْلُؤُهُ وَيَشْتَكِي الضِّيقَ مِنْهُ حِينَ يَلْقَاهُ
وقال آخر لجاريته :
وَيُعْجِبُنِي مِنْكَ عِنْدَ الْجَمَاعِ حَيَاةُ الْكَلَامِ وَمَوْتُ النَّظَرِ ١٠
وقال آخر :
شَفَاءُ الْحُبِّ تَقْيِيلُ وَلَمْسٌ وَسَبْحُ الْبُطُونِ عَلَى الْبُطُونِ
وَرَهْزُ تَذْرِفِ الْعَيْنَانِ مِنْهُ وَأَخْذُ بِالذَّوَابِ وَالْقُرُونِ
وقالت امرأة كوفية : دخلتُ على عائشة بنت طلحة ، فسألت عنها ، فقيل
ما يحكى عن عائشة بنت طلحة
هِيَ مَعَ زَوْجِهَا فِي الْقَيْطُونِ ، فَسَمِعَتْ زَفِيراً وَنَحِيراً لَمْ يُسْمَعْ قَطُّ مِثْلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَتْ
وَجِبِينَهَا يَتَفَصَّدُ عِرْقًا ، فَقُلْتُ لَهَا : مَا ظَنَنْتُ أَنْ حُرَّةً تَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَتْ :
إِنْ انْخَلِيلَ الْعِتَاقُ تَشْرَبُ بِالصَّغِيرِ .
وقيل لأعرابي : ما عندك للنساء ؟ فأشار إلى مَتَاعِهِ ، وقال :
لأعرابي
وَتَرَاهُ بَعْدَ ثَلَاثِ عَشْرَةِ قَائِماً نَظَرَ الْمُؤَذِّنُ شَكَّ يَوْمَ سَحَابِ
وقال الفرزدق :
للفرزدق
أَنَا شَيْخٌ وَلِي أَمْرَةٌ عَجُوزُ تُرَاوِدُنِي عَلَى مَا لَا يَجُوزُ
وقالت رَقَّةٌ أَيْرُكَ مُذْ كَبَرْنَا فَقُلْتُ لَهَا بَلْ أَتَسَعُ الْقَقِيرُ
وقال الراجز :
لِلرَّاجِزِ
لَا يُعْقَبُ التَّقْيِيلَ إِلَّا زُبِّي - وَلَا يُدَاوَى مِنْ صَمِيمِ الْحُبِّ

إلا احتضانُ الركب الأزب يُنزع منه الأير نزع الضب

ابن حسان
وامراته وقضاء
عمر

روى زياد عن مالك عن محمد بن يحيى بن حبان أن جدته عاتبت جدّه في
قِلة إتيانه إياها ، فقال لها : أنا وأنت على قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
قالت : وما قضاء عمر ؟ قال : قضى أن الرجل إذا أتى امرأته عند كل طهر فقد
أدّى حقها . قالت : أفترك الناس كلهم قضاء عمر ، وأنت أنا وأنت عليه . فقال :

أنا شيخ ولى امرأة عجوز تراودنى على ما لا يجوز

تريد أنيكما فى كل يوم وذلك عند أمثالى عزيز

وقالت رقى أيرك مذكبرنا فقلت لها : بل اتسع القفيز

لأعرابي فى كبره

وقال أعرابى حين كبر وعجز :

عجبت من أيرى وكيف يصنع أدفعه بإصبعى ويرجع

يقوم بعد النشر ثم يضرع

بين مزة وأم
البنين فى بيت
لكثير

ودخلت عزة صاحبة كثير على أم البنين ، زوج عبد الملك بن مروان ،
فقالت لها : أخبرينى عن قول كثير :

قضى كل ذى دين فوقى غريمه وعزة تمطول معنى غريمها

ما هذا الدين الذى طلبك به ؟ قالت : وعدته بقبلة ، فخرجت منها . قالت
أنجز بها وعلى إثمها .

أبو البداء
وامراته

على بن عبد العزيز قال : كان أبو البداء رجلاً عنيماً ، وكان يتجلد ويقول
لقومه : زوجونى امرأتين . فقالوا له : إن فى واحدة كفاية . قال : أمالى فلا .
فقالوا : نزوجك واحدة فإن كفنتك وإلا نزوجك أخرى فزوجوه أعرابية فلما
دخل بها أقام معها أسبوعاً ، فلما كان فى اليوم السابع أتوه فقالوا له : ما كان من
أمرك فى اليوم الأول ؟ قال : عظيم جدا . فقالوا : فى اليوم الثالث ؟ قال :
لا تسلونى . فاستجابت امرأته من وراء الستر فقالت :

كان أبو البداء ينزوى فى الوهق حتى إذا أدخل فى بيت أنق

فيه غزال حسن الدلّ خرق مارسه حتى إذا ارفض العرق

انكسر المفتاح وانسد الغلق

أهديت جاريةً إلى حماد مجرد ، وهو جالس مع أصحابه على لذة ، فتركهم
وقام بها إلى مجلس له فانتضها ، وكتب إليهم :

حماد مجرد
وجارية أهديت
إليه

قد فتحت الحصن بعد امتناع بسيف فأنحر للقلاع
ظفرت كفى بتفريق جمع جاءنا تقرئنا به باجتماع
وإذا شمل وشمل خليلي إنما يلتام بعد أنصداع
آخر :

لبعضهم

لم يوافق طباع هذا طباعي فأنا وهي دهرنا في صراع
وتحرّيت أن أنال رضاها فأبت غير جفوة وامتناع
فتفكرت لم يلبت بهذا فإذا أن ذا لضعف المتاع

١٠ وقع بين رجل وامرأته شر ، فجعل يُحيل عليها بالجماع ، فقالت : فعل الله بك ،
كلما وقع بيننا شيء جئتني بشفيع لا أقدر على رده .

بين رجل
وامرأته

وأقبل رجل إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : إن لي امرأة كلما
غشيتها تقول : قتلتنى قتلتنى . قال : اقلها وعليّ أثمها .

بين علي بن
أبي طالب
ورجل وامرأته

وقال هشام بن عبد الملك للأبرش السكلي : زوجني امرأة من كلب . ففعل
وصارت عنده . فقال له هشام ، ودخل عليه : لقد وجدنا في نساء كلب سعة .
١٥ فقال له الأبرش : إن نساء كلب خلقت لرجال كلب .

بين هشام
والأبرش في
نساء كلب

وقالوا : من ناك لنفسه لم يضعف أبدا ولم ينقطع ، ومن فعل ذلك لغيره
فذاك الذي يُضنى وينقطع . يعنون من فعل ذلك ليبلغ أقصى شهوة المرأة ويطلب
الذكر عندها . وقال الشاعر :

٢٠ من ناك للذكر أضنى قبل مدته لا يقطع النيك إلا كَلْ مَهِوم

في النكاح

وقالوا : من قلّ جماعه فهو أصحّ بدنا وأطول عمرا ، ويعتبرون ذلك بذكور
الحيوان . وذلك أنه ليس في الحيوان أطول عمرا من البغل ، ولا أقصر عمرا من
المصافير ، وهي أكثر سفادا . والله أعلم .

كتاب الجمانة الثانية

في المتنبيين ، والمرورين ، والبخلاء ، والطفيليين

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في النساء والأدعياء ، وما قيل في ذلك من الشعر ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في كتابنا هذا ذكر المتنبيين والمرورين والبخلاء والطفيليين ، فإن أخبارهم حداثت مؤنقة ، ورياض زاهرة ، لما فيها من كل طرفة ونادرة ، فكأنها أنوار مزخرفة ، أو خلل منشرة ، دانية القطوف من جاني ثمرتها ، قريبة المسافة لمن طلبها . فإذا تأملها الناظر ، وأصغى إليها السامع وجدها ملهى للسمع ، ومرتعاً للنظر ، وسكناً للروح ، ولقاحاً للعقل ، وسميراً في الوحدة ، وأنيساً في الوحشة ، وصاحباً في السفر ، وأنيساً في الحضر .

٣٠٥
٣

قال أبو الطيب اليزيدي^(١) : أخذ رجل ادعى النبوة أيام المهدي فأدخل عليه ، فقال له : أنت نبي ؟ قال : نعم . قال : وإلى من بعثت ؟ قال : أوتركتهموني ، أذهب إلى أحد ؟ ساعة بعثت وضممتهموني في الحبس . فضحك منه المهدي ، وخلق سبيله .

ادعى رجل النبوة بالبصرة . فأتى به سليمان بن علي مقيداً ، فقال له : أنت نبي مرسل ؟ قال : أما الساعة ، فإني نبي مقيد . قال : ويحك ، من بعثك ؟ قال : أبهذا يخاطب الأنبياء يا ضعيف ؟ والله لولا أني مقيد لأمرت جبريل يدمدمها عليكم . قال : فالمقيد لا تجاب له دعوة ؟ قال : نعم ، الأنبياء خاصة ، إذا قيدت لم يرتفع دعاؤها . فضحك سليمان . فقال له : أنا أطلقك ، وأمر جبريل فإن أطاعك آمناً بك وصدقناك . قال : صدق الله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم) .

فضحك سليمان وسأل عنه ، فشهد عنده أنه مرور ، فخلق سبيله .

قال ثمامة بن أشرس : شهدت للآمون أتى برجل ادعى النبوة ، وأنه

بين المهدي
ورجل ادعى
النبوة

بين سليمان بن علي
وآخر في مثله

بين الآمون
وآخر في مثله

(١) في بعض الأصول : « الرندي » .

- ابراهيم الخليل . فقال المأمون : ما سمعتُ أجراً على الله من هذا . قلت : أكله ؟
 قال : شأنك به . فقلت له : يا هذا ، إن ابراهيم كانت له براهين . قال : وما
 براهينه ؟ قلت : أضرمت له نار وألقي فيها فصارت برزداً وسلاماً ، فنحن نضرم
 لك نارا ونطرحك فيها ، فإن كانت عليك برداً كما كانت على ابراهيم آمنا بك
 وصدقناك . قال : هات ما هو ألين على من هذا . قال : براهين موسى . قال :
 وما كانت براهين موسى ؟ قال : عصاه التي ألقاها ، فصارت حية تسمى ، تَلْقَفُ
 ما يَأْكُون ، وضرب بها البحرَ فارتدَّتْ ، وبياضُ يده من غير سوء . قال : هذا
 أصعب . هات ما هو ألين من هذا . قلت : براهين عيسى . قال : وما براهين
 عيسى ؟ قلت : كان يُحْيِي الموتي ، ويمشي على الماء ، ويُبْرِئُ الأَكْمَه والأبرص .
 فقال : في براهين عيسى جئت بالطامة الكبرى . قلت : لا بد من برهان . فقال
 ما معي شيء من هذا ، قد قلت لجبريل : إنكم توجهونني إلى شياطين ، فاعطوني
 حُجَّة أذهب بها إليهم ، وأحتج عليهم . فغضب وقال : بدأت أنت بالشر قبل
 كل شيء ، اذهب الآن فانظر ما يقول لك القوم ، وقال : هذا من الأنبياء
 لا يصلح إلا للحُمُر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا حاج به مُرَار وأعلام ذلك
 فيه . قال . صدقت ، دَعْنِي .

١٥

المهدي ومدع
للنبوة

- أدعى رجل النبوة في أيام المهدي ، فأدخل عليه فقال له : أنت نبي ؟ قال :
 نعم . قال : ومتى نُبِّئْتُ ؟ قال . وما تصنع بالتاريخ ؟ قال : فني أي الموضع
 جاءتك النبوة ؟ قال : وقعنا والله في شغل ، ليس هذا من مسائل الأنبياء ، إن
 كان رأيك أن تُصَدِّقني في كل ما قلت لك فاعمل بقولي . وإن كنت عزمتم على
 تكذبي فدعني أذهب عنك . فقال المهدي : هذا ما لا يجوز . إذ كان فيه فساد
 الدين . قال : وأعجباً لك ، تغضب لدينك لفساده ، ولا أغضب أنا لفساد نبوتي ،
 أنت والله ما قويت على إلا بمعن بن زائدة والحسن بن قُحطبة وما أشبههما من
 قوادك . وعلى يمين المهدي شريك القاضي ، قال : ما تقول في هذا النبي يا شريك ؟

٢٠

قال : شاورت هذا في أمري وتركت أن تشاورني . قال : هات ما عندك ؟
قال : أحاكمك فيما جاء به من قبلي من الرُّسُل . قال : رضيت . قال : أكاfer أنا
عندك أم مؤمن ؟ قال : كافر . قال : فإب الله يقول : (ولا تُطع الكافرين
والمنافقين ودع أذاهم) فلا تُطعنني ولا تؤذني ، ودعني أذهب إلى الضعفاء
والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء ، وأدع الملوك والجبابرة فإنهم حطب جهنم .
فضحك المهدي وخلق سبيله .

خالد القسري
ومدع النبوة

قال خلف بن خليفة : أدعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري ،
وعارض القرآن . فأني به خالد ، فقال له : ما تقول ؟ قال : عارضت في القرآن
ما يقول الله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شانئك
هو الأبتر) فقلت أنا ما هو أحسن من هذا : إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك
وجاهر ، ولا تُطع كل ساحر وكافر . فأمر به خالد فصربت عنقه وصلبت على
خشبة . فمر به خاف بن خليفة الشاعر ، وقال : إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك
على عود ، وأناضامن عنك ألا تعود .

عبد الله بن خازم
ومدع النبوة

قال : وإني لتقاعد في مجلس عبد الله بن خازم^(١) وهو على الجسر ببغداد ، فإذا
جماعة قد أحاطت برجل أدعى النبوة ، فقدم إلى عبد الله فقال له : أنت نبي ؟
قال نعم . قال : وإلى من بُعثت ؟ قال : وما عليك ؟ بُعثت إلى الشيطان . فضحك
عبد الله بن خازم وقال : دعوه يذهب إلى الشيطان الرجيم .

ابن أشرس ومدع
للنبوة

وقال ثمامة بن أشرس : كنت في الحبس فأدخل علينا رجل ذو هيئة وبزة
ومنظر ، فقلت له : من أنت ؟ جعلت فداك ، وما ذنبك ؟ وفي يدي كأس دعوت
بها لأشربها . قال : جاء بي هؤلاء السفهاء لأنني جئت بالحق من عند ربي ،
أنا نبي مرسل . قلت : جعلت فداك ، معك دليل ؟ قال : نعم ، معي أكبر الأدلة ،
ادفعوا إلى امرأة أحبها لكم ، فتأتى بمولود يشهد بصديقي . قال ثمامة : فناولته

(١) كنا في بعض الأصول والكامل للبرد والبلاذري وتهذيب التهذيب والإصابة .
والذي في سائر الأصول : « خازم » .

الكأس وقلت له : اشرب صلى الله عليك .

محمد بن عتّاب قال : رأيتُ بالرقّة أيام الرشيد جماعةً أحاطت برجل فأشرفت عليه ، فإذا رجل له جَهارة^(١) وبنية ، قلت : ما قصة هذا ؟ قالوا : أدعى النبوة . قلت : كذبتُم عليه . مثل هذا لا يدعى الباطل . فرفع رأسه إلى فقال : وما علمك أنهم قالوا على الباطل ؟ قلت له : وأنت نبي ؟ قال : نعم . قلت له : ما دليلك ؟ قال : دليلي أنك ولد زنا . قلت : نبيّ يقذف المحصنات ؟ قال : بهذا بُعثت . قلت : أنا كافر بما بُعثت به . قال : ومن كفر فعليه كفره . فإذا حصاة عائرة^(٢) جاءت حتى صكت صاعته ، قال : مارماها إلا ابنُ الزانية ؛ ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال : ما أردتم بي خيرا حيث طرحتُموني في يدي هؤلاء الجهال .

ابن عتّاب ومدع
للنبوة أيام الرشيد

ادعى رجلُ النبوة في أيام المأمون ، فقال ليحيى بن أكرم : امض بنا مُستترين حتى ننظر إلى هذا التنبئ^{١٠} وإلى دعواه . فركبنا مُتَنَكِّرين ، ومعنا خادم حتى صرنا إليه ، وكان مستترا بمذهبه . فخرج آذنه وقال : مَنْ أنتم ؟ قلنا : رجلان يريدان أن يُسلما على يديه . فأذن لهما ودخلا . فجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره . فالتفت إليه المأمون فقال له : إلى مَنْ بُعثت ؟ قال : إلى الناس كافة . قال : فيؤحى إليك ، أم ترى في المنام ، أم يُنفث في قلبك ، أم تُناجى ، أم تُكلم ؟ قال : بل أناجي وأكلم . قال : ومن يأتيك بذلك ؟ قال : جبريل . قال : فمتى كان عندك ؟ قال : قبل أن تأتيني بساعة . قال : فما أوحى إليك ؟ قال : أوحى إلى أنه سيدخل على رجلان فيجلس أحدهما عن يميني والآخر عن يساري ، فالذي عن يساري ألوط خلق الله . قال المأمون : أشهد أن لا إله إلا الله . وأنت رسول الله ، وخرجا يتضحكان .

المأمون ويحيى بن
أكرم مع مدع
للنبوة

تنبأ رجل بالكوفة وأحل الخمر ولقي ابن عياش ، وكان مُغرما بالشراب ، فقال له : أشعرت أنه بُعث نبيّ يحل الخمر ؟ قال : إذا لا يُقبل منه حتى يُبرىء

ابن عياش ومتنبئ
بالكوفة

(١) الجَهارة : حسن المنظر والمهيئة .

(٢) عائرة : لا يدرى من زماها . وفي بعض الأصول : « عائرة » .

الأكمه والأبرص . وأتى به عامل الكوفة فاستنابته . فأبى أن يتوب ويرجع .
فأنته أمه تبكى ، فقال لها : تَفْعَلِي ، ربط الله على قلبك كما ربط على قلب
أم موسى . وأتاه أبوه يطلب إليه أن يرجع . فقال له : تَنَحَّ يا آزر ، فأمر به
العامل فقتل وصلب .

بعض الكوفيين
ومتنبي
بالكوفة

وذكر بعض الكوفيين قال : بينا أنا جالس بالكوفة في منزلي إذ جاءني
صديق لي ، فقال لي : إنه ظهر بالكوفة رجل يدعى النبوة ، فقم بنا إليه نكلمه ،
ونعرف ما عنده . فقمنا معه : فصيرنا إلى باب داره ، فقرعنا الباب ، وسألنا
الدخول عليه . فأخذ علينا العهود والمواثيق إذا دخلنا عليه وكلمناه وسألناه إن
كان على حق أتبعناه ، وإن كان على غير ذلك كتمنا عليه ، ولم نُؤذِهِ . فدخلنا
فإذا شيخ خراساني أخبث من رأيت على وجه الأرض ، وإذا هو أصلع ، فقال
صاحبي وكان أعور : دَعْنِي حتى أسأله . قلت : دونك . قال : جُمِلت فذاك ،
ما أنت ؟ قال : نبي . قلت : ما دليلك ؟ قال : أنت أعور عينك اليمنى ، فاقْلَعْ
عينك اليسرى حتى تصير أعمى ، ثم أدعوا الله فيرد عليك بصرك . فقلت لصاحبي :
أنصفك الرجل ، قال : فاقْلَعْ أنت عينيك جميعاً ، وخرجنا نضحك .

٣٠٧
٣

المأمون ومتنبي

وأتى المأمون بإنسان مُتَنَبِّئٍ فقال له : ألك علامة ؟ قال : نعم ، علامتي أنني
أعلم ما في نفسك . قال : قرّبت على ما في نفسي ؟ قال له : في نفسك أنني كذاب .
قال : صدقت ، وأمر به إلى الحبس . فأقام به أياماً ، ثم أخرجه . فقال : أوجي
إليك بشيء ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : لأن الملائكة لا تدخل الحبس .
فضحك المأمون وأطلقه .

١٥

متنبي سمي نفسه
نوحاً

وتنبأ إنسان وسمى نفسه نوحاً صاحب الفلك ، وذكر أنه سيكون طوفان
على يديه إلا من أتبعه ، ومعه صاحب له قد آمن به وصدّقه ، فأتى به الوالي ، فاستنابته
فلم يتب ، فأمر به فصلب ، واستتاب صاحبه فتاب . فزاداه من الخشبة : يا فلان .
أُتِيتُني الآن في مثل هذه الحالة ؟ ! فقال : يا نوح ، قد علمت أنه لا يصحبك من
السفينة إلا الصاري .

٢٠

المأمون وثمالة
ومتنبئ

قال : وحمل إلى المأمون من أذربيجان رجل قد تنبأ ، فقال : يا ثمالة ،
ناظره . فقال : ما أكثر الأنبياء في دولتك يا أمير المؤمنين . ثم التفت إلى المتنبئ ،
فقال له : ما شاهدك على النبوة ؟ قال : تحضر لي يا ثمالة امرأتك أنكحها بين
يديك فتلد غلاماً ينطق في المهد ويُخبرك أني نبي . فقال ثمالة : أشهد أن لا إله إلا الله
وأنت رسول الله . فقال المأمون : ما أسرع ما آمنت به ؟ قال : وأنت يا أمير
المؤمنين ما أهون عليك أن تتناول امرأتى على فراشك . فضحك المأمون وأطلقه .

أخبار المرورين والمجانين

عليان وماروى
عنه ابن إدريس

قال أبو الحسن : كان بالبصرة مرور يقال له عليان بن أبي مالك ، وكانت
العلماء تستنطقه لتسمع جوابه وكلامه ، وكان راوية للشعر بصيراً بجيده ، فذكر
عن عبد الله بن إدريس صاحب الحديث قال : أخرجه الصبيان مرة حتى هجم
عليان في الدار ، فقال لي الخادم : هذا عليان قد هجم علينا ، والصبيان في طلبه .
فقلت : ادفع الباب في وجوه الصبيان ، وأخرج إليه طعاماً وطبقاً عليه رطب
مُشَّان ومُلَبَّقات^(١) وأرغفة . فلما وضعه بين يديه حمد الله وأثنى عليه ، وقال : هذا
من رحمة الله ، وأشار إلى الطعام ، كما أن أولئك من عذاب الله ، وأشار إلى
الصبيان . ثم جعل يأكل والصبيان يرجون الباب ، وهو يقول : (فضرب بينهم
بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) . قال ابن إدريس : فلما
انقضى طعامه قلت له : يا عليان ، ما لك تروى الشعر ولا تقوله ؟ قال : إني
كألمسن أشحن ولا أقطع . وكان بصيراً بالشعر . فقلت : أي بيت تقوله العرب
أشعر ؟ قال : البيت الذي لا يُحجب عن القلب . قلت : مثل ماذا ؟ قال :
مثل قول جميل :

٢٠

ألا أيها النّوّام ويحكم هبّوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب
قال : فأنشد النصف الأول بصوت ضعيف وأنشد النصف الآخر بصوت رفيع .

(١) المشان ، كغراب وكتاب : نوع من التركبار . والملبق : الشديد التثريد المليين بالدم .

٣٠٨
٣

ثم قال : ألا ترى النصف الأول كيف استأذن على القلب فلم يأذن له ، والنصف الثاني استأذن على القلب فأذن له ؟ قلت : وماذا ؟ قال : مثل قول الشاعر :

ندمتُ على ما كان منِّي فقد تني كما ندم المغبون حين يبيع

ثم قال : أنستطيبُ قوله « فقد تني » بالله يا ابن ادريس ؟ قلت : بلى .

٥ فضرب بيده على فخذي وقال : قم ، شيب الله قرنك . وابن إدريس يومئذ ابن ثمانين سنة .

وحكى عنه عبد الله بن إدريس قال : سررتُ به في مُرَبعة كندة وهو جالس

على رَماد وبيده قطعة من جص ، وهو يخط بها في الرماد ، فقلت له : ما تصنع

ها هنا يا بن أبي مالك ؟ قال : ما كان يصنع صاحبنا . قلت : ومن صاحبك ؟

١٠ قال : مجنون بنى عاصر . قلت : وما كان يصنع ؟ قال : أما سمعته يقول :

عشيةً مالى حيلةٌ غيرَ أننى بلفظ الحمى والخط فى الدار مولى^(١)

قلت : ما سمعته . فرفع رأسه إلى متضحكا ، فقال : أما يقول الله عز وجل

(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً) فأنت سمعته أورايته ؟

هذا كلام من كلام العرب لا علم لك به . قلت : يا بن أبي مالك ، متى تقوم

١٥ القيامة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، غير أنه من مات فقد قامت قيامته .

قلت له : فالصلوب يعذب عذاب القبر ؟ قال : إن حقت عليه كلمة العذاب يعذب ،

وما يدريك لعل جسده في عذاب من عذاب الله لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا ،

فإن لله لطفاً لا يدرك . قلت : ما تقول فى النبيذ ، حلال أم حرام ؟ قال : حلال .

قلت : أنتشربه ؟ قال إن شربته فقد شربه وكيع ، وهو قدوة ، قلت : أتقتدى

٢٠ بـوكيع فى تحليله ولا تقتدى بى فى تحريمه ، وأنا أسئ منه ؟ قال : إن قول

وكيع مع اتفاق أهل البلد عليه أحبُّ إلى من قولك مع اختلاف أهل البلدة

عليك . قلت : فما تقول فى الغناء ؟ قال : قد غنى البراء بن عازب ، وعبدُ الله

ابن رَواحة ، وسمع الغناء عبدُ الله بن عمر ، وكان عبدُ الله بن جعفر . قلت له : أي شيء

(١) الصواب نسبته إلى ذى الرمة ، كما فى الحيوان (١ : ٦٣) وثمار القلوب ٢١٤ .

كان عبد الله بن جعفر ؟ قال : إنما سألتني عن الغناء ولم تسألني عن ضرب العيدان .

مجنون بالبصرة وكان بالبصرة مجنون يأري إلى دكان خياط ، وفي يده قصبة قد جعل في رأسها أكرة^(١) ولف عليها خرقة ، لئلا يؤذى بها الناس ، فكان إذا أحده الصبيان التفت إلى الخياط وقال له : قد حمى الوطيس ، وطاب اللقاء ، فما ترى ؟ فيقول : شأنك بهم ، فيشد عليهم ، ويقول :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالي احتفى كان فيها أم سواها^(٢)

فإذا أدرك منهم صبياً رمى بنفسه إلى الأرض وأبدى له عورته ، فيتركه وينصرف ويقول : عورة المؤمن حمى ، ولولا ذلك لآتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صفين . ثم يقول وينادي :

أنا الرجل الضرب الذي تعرفوني خشاش كراس الحية المتوقد

ثم يرجع إلى دكان الخياط ، ويلقى العصا من يده ويقول :

فألفت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالأياب المسافر

وكان بالبصرة رجل من التجار يكنى أبا سعيد ، وكانت له جارية تدعى خيزران ، وكان بها كلفا ، فر يوماً بعثان ، وقد أحاط به الناس ، فقالوا له : هذا أبو سعيد صاحب خيزران ، فناداه : أبا سعيد . قال : نعم . قال : أتحب خيزران ؟ قال : نعم . قال : وتحبك ؟ قال : نعم . فأنشأ يقول :

نبئتها عشقت حشاً فقلت لهم ما يعشق الحش إلا كل كناس

فضحك الناس من أبي سعيد ومضى .

٣٠٩
٣

وسر ابن أبي الزرقاء صاحب شرطة ابن أبي هبيرة بصباح^(٣) الموسوس فقال له :

يا ابن أبي الزرقاء ، أشمنت برذونك وأهزأت دينك ، أما والله إن أمامك عقبة

ابن أبي الزرقاء
وصباح
الموسوس

(١) اللغة الجيدة « كرة » ، كما في اللسان (أكر) .

(٢) البيت لعباس بن مرداس ، كما في شروح سقط الزند ١٠٩٤ .

(٣) كذا في بعض الأصول ، والبيان (٢ : ٢٣١) . والذي في سائر الأصول : « بصباح » .

لا يجاوزها إلا المخف . فوقف ابن أبي الزرقاء . فقيل له : هو صباح الموسوس ، قال : ما هذا بموسوس .

وقال إبراهيم الشيباني : مررتُ بهلول المجنون وهو يأكل خبيصا ، فقلت : من أخبار بهلول أطعمني . قال : ليس هولي ، إنما هو لعانكة بنت الخليفة بعثته إلى لا كله لها .
٥ وكان بهلول هذا يتشيع . فقيل له : أشتم فاطمة وأعطيك درهما . فقال : بل أشتم عائشة وأعطيني نصف درهم .

وقال ابن عبد الملك : يُعرف مُحَقِّق الرجل في أربع : لحيته ، وشناعة كُنْيَتِهِ ، وإفراط شهوته ، ونقش خاتمه . فدخل عليه شيخ طويل العثون فقال : أمّا هذا فقد أتاكم بواحدة ، فانظروا أين هو من الثلاث . فقيل له : ما كُنْيَتُكَ ؟ قال : أبو الياقوت . قيل : فنقش خاتمك ؟ قال : (وتنفق الطير فقال مالي لا أرى الهدد) . قيل : أي الطعام تشتهي ؟ قال : خلعجيين .

وسمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادي : يا أبا العُمرين ، فقال : لو كان عاقلاً لكفاه أحدهما .

وقيل لداود المصاب في مُصِيبَةٍ نزلت به : لانتهم الله في قضائه . قال : أقول لك شيئاً على الأمانة ؟ قال : قل . قال : والله ما بي غيره .
١٥

ودخل أبو عتاب على عمرو بن هذّاب^(١) وقد كف بصره والناس يعزّونه ، فقال له : أبا يزيد ، لا يسوءك فقدما فإنك لو دريت بثوابهما تمنّيت أن الله قطع يديك ورجليك ودق عنقك . ودخل على قوم يعود مريضاً لهم فبدأ يعزيهم . قالوا : إنه لم يمت . فخرج وهو يقول : يموت إن شاء الله ، يموت إن شاء الله .
٢٠ ووقع بين أبي عتاب وبين أبنه كلام ، قال : لولا أنك أبي وأنتك أسنّ مني لعرفت .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال : كان الغاضري^(٢) من أحق الناس ، فقيل

الغاضري

(١) الخبر في الحيوان (٣ : ٣٥) .

(٢) كذا في بعض الأصول وعيون الأخبار والأغانى . والذي في سائر الأصول :

« الغاضري » . وانظر الحيوان (٥ : ٢٤١) .

له : ما رأيت من حقه ؟ فسكت . فلما أكثر عليه قال : قال لى مرة : البحر من حفره ؟ وأين ترابه الذى خرج منه ؟ وهل يقدر الأمير أن يحفر مثله فى ثلاثة أيام ؟ ودخل رجل من النوكى على الشعبي وهو جالس مع امرأته ، فقال : أربكا الشعبي ؟ فقال : هذه . فقال : ما تقول أصلحك الله فى رجل شتمنى أول يوم من رمضان ، هل يؤجر ؟ قال : إن كان قال لك : يا أحمق ، فانى أرجو له . ٥

الشعبي ورجل
من النوكى

وسأل رجل آخر الشعبي فقال : ما تقول فى رجل أدخل أصبعه فى الصلاة فى أنه فخرج عليها دم ، أترى له أن يحنجم ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذى نقلنا من الذقة إلى الحجة^(١) .

الشعبي ومجنون
آخر

وقال له آخر : كيف كانت تسمى امرأة إبليس ؟ قال : ذاك نكاح ما شهدناه .

- ١٠ العُتبي قال : سمعت أبا عبد الرحمن بشرًا يقول : كان فى زمن المهدي رجل صوفى ، وكان عاقلا عالما ورعا ، فتحقق^(٢) ليجد السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان يركب قسبة فى كل جمعة يومين : الاثنين والخميس ، فإذا ركب فى هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حُكم ولا طاعة . فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلاً وينادى بأعلى صوته : ما فعل النبیون والمرسلون ، أليسوا فى أعلى عليين ؟ فيقولون : نعم . قال : هاتوا أبا بكر الصديق . ١٥ فأخذ غلاماً فأجلس بين يديه ، فيقول : جزاك الله خيراً أبا بكر عن الرعية . فقد عدلت وقت بالقسط وخلفت محمداً عليه الصلاة والسلام فأحسن^(٣) الخلافة ، ووصلت حبل الدين بعد حل^(٤) وتنازع ، ونزعت فيه إلى أوثق عروة وأحسن ثقة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين . ثم ينادى : هاتوا عمر . فأجلس بين يديه غلام . فقال : جزاك الله خيراً أبا حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووسعت ٢٠ الفى ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلت فى الرعية وقسمت بالسوية ، اذهبوا

صوفى فى أيام
المهدي

(١) الخبر برواية أخرى فى الحيوان (٣ : ٨) .

(٢) فى بعض الأصول : « فيجد » .

(٣) فى ن : « بأحسن » .

(٤) فى ن : « خبل » .

به إلى أعلى عليين بحذاء أبي بكر . ثم يقول : هاتوا عثمان . فأُتِيَ بـغلام فأجلس بين يديه . فيقول له : خلطت في تلك الستّ السنين ، ولكن الله تعالى يقول : (خَلِّطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) وعسى من الله موجبة . ثم يقول : اذهبوا به إلى صاحبيه في أعلى عليين . ثم يقول : هاتوا عليّ بن أبي طالب . فأجلس غلام بين يديه . فيقول : جزاك الله عن الأمة خيرا أبا الحسين ، فأنت الوصيّ وولي النبي ، بسطت العدل ، وزهدت في الدنيا ، واعتزلت النفي ، فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذرية المباركة ، وزوج الزكية الطاهرة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين من الفردوس ، ثم يقول : هاتوا معاوية . فأجلس بين يديه صبي . فقال له : أنت القاتل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ٥

١٠ ذا الشهادتين ، وحجر بن الأدبر الكندي الذي أخلقت وجهه العبادة ، وأنت الذي جعل الخلافة ملكا ، واستأثر بالنفي ، وحكم بالهوى ، واستنصر بالظلمة^(١) ، وأنت أول من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقض أحكامه ، وقام بالبغي . اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة ، ثم قال : هاتوا يزيد . فأجلس بين يديه غلام . فقال له : يا قواد ، أنت الذي قتل أهل الحرّة ، وأباحت المدينة ثلاثة ١٥ أيام ، وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآويت الملحدين ، وبؤت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمثلت بشعر الجاهلية :

ليت أشياخي يبدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسبل^(٢)

وقتل حُسَيْنَا ، وحمات بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الإبل ، اذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار . ولا يزال يذكر والياً بعد وال حتى بلغ إلى عمر بن عبدالعزيز فقال : هاتوا عمر . فأُتِيَ بـغلام ، فأجلس بين يديه ، فقال : جزاك الله يا عمر خيرا عن الإسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وألنت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق ، بعد شقاق ونفاق . اذهبوا به

(١) في بعض النسخ : « واستبطر بالنعمة » .

(٢) البيت لعبد الله بن الزهري ، كما في الحيوان (٥ : ٥٦٤) .

فألقوه بالصديقين . ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء إلى أن بلغ دولة بني العباس ، فسكت فقليل له : هذا أبو العباس أمير المؤمنين ، قال : بلغ أمرنا إلى بني هاشم ، ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعا .

من أخبار
عيناوة

ومن مجانين الكوفة : عيناوة وطاق البصل . قيل لعيناوة : من أحسن ، أنت أو طاق البصل ؟ قال : أنا شيء وطاق البصل شيء . وكان طاق البصل يغني هـ
بقيراط ويسكت بدائق . وكان عيناوة جيد القفا ، فرما مرة به من يعبث فيصفعه ، فحشا قفاه خراء ، وقعد على قارعة . فإذا صفعه أحد قال : شم يدك يا فتى ، فلم يصفعه أحد بعد ذلك .

بين رجل
 وآخر من
الحق

ووعد رجل رجلا من الحمقى أن يهدي له نعلا حضرمية ، فطال عليه انتظارها ، فبال في قارورة وأتى الطبيب وقال : انظر في هذا الماء إن كان يهدي ١٠
إلى بعض إخواني نعلا حضرمية .

مجيبة وعيناوة

وكان بالكوفة امرأة حمقاء يقال لها مجيبة ، فقعد^(١) عيناوة فتى كانت أرضعته مجيبة ، فقال له لما وجده : كيف لا تكون أرعن ومجيبة أرضعتك ؟ فوالله لقد زقت لي فرخا فما زلت أرى الرعونة في طيرانه .

هبنقة القيسى

ومن الجانين هبنقة القيسى ، وجرت نفس السدوسى ، واسم هبنقة يزيد بن ١٥
ثروان ، وكُنيت أبو نافع ، وكان يحسن من إبله إلى السماء ويسى إلى المهازيل . فسئل عن ذلك فقال : أما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهان الله !
وشرد بعير له فجعل بعيرين لمن دلّ عليه ، فقليل له : أتجعل بعيرين في ٣١١
بعير ؟ قال : إنكم لا تعرفون فرحة من وجد ضالته .

وافترس الذئب له شاة ، فقال لرجل : خلصها من الذئب وخذها ، فإن ٢٠
فعلت فأبت والذئب واحد .

وسام رجل هبنقة بشاة ، فقال : اشتريتها بستة ، وهى خير من سبعة ،

(١) فقده : صفح قفاه ببطن كفه . والخبر في البيان والتبيين (٢ : ١٩) .

وأعطيت فيها ثمانية وإن أردتها بتسعة وإلا فزن عشرة .

وكان باقل الذي يضرب به المثل في العي اشتري شاة بأحد عشر درهما ،
فسئل : بكم أشتريت الشاة ؟ ففتح يديه جميعا وأشار بأصابعه وأخرج لسانه ، لينم
العدد أحد عشر .

٥ ولما قرب الفرزدق رأس بقلته من الماء قال له الجرنفش : نَحَّ رأس بقلتك
خلق الله شأفتك . قال : لماذا عافاك الله ؟ قال له : لأنك كذوب الحجرة^(١) ، زاني
السكر . فصاح الفرزدق . يا بني سدوس ، فاجتمعوا إليه . فقال : سوّدوا الجرنفش
عليكم ، فما رأيت فيكم أعقل منه .

١٠ قال الأصمى : سُوِّق بين الجرنفش وهبنقة أيهما أجن وأحق . فجاء جرنفش
بمحارة خفاف من حص ، وجاء هبنقة بمحارة ثقال وترس ، فبدأ الجرنفش ،
فقبض على حجر ، ثم قال : درى عقاب ، بلبن وأشخاب . ثم رفع صوته وقال :
الترس . فرمى الترس فأصابه ، فانهزم هبنقة ، فقبل له : لم انهزمت ؟ فقال :
إنه قال : الترس . فرمى الترس فلم يخطئه ، فلو أنه قال العين ورماها ، أما كان
يصيب عيني .

١٥ وتبع داود بن المعتز امرأة ظنها من الفواسد ، فقال لها : لولا ما رأيت عليك
من سيما الخير ما تبعتك . فضحكت المرأة وقالت : إنما يعتصم مثلي من مثلك بسيما
الخير ، فأما إذ صارت سيما الخير من سيما الشر فالله المستعان^(٢) .

بيتة وبن
أخرى ووقع دأرد هذا بجارية فلما أضمن في الفعل قال لها : أثيب أم بكر ؟ فقالت
له : سل المجرب .

٢٠ قالت أم غزوان الرقاشي لابنها ، وهويقرأ في المصحف : يا غزوان ، لعلك
تجد في هذا المصحف حمرا كان أبوك في الجاهلية نقده . فقال : يا أماه . بل أجد
فيه وعدا حسنا ووعيدا شديدا .

(١) في البيان : « المنجرة » ولعل صوابها « المنجرة » .

(٢) الخبر في الحيوان (٣ : ٣٦) وعبون الأخبار (٢ : ٥١) .

ونظر رجل من النوكي إلى شيخ في الحمام وعليه سرّة كأنها مدهن عاج .
فقال له : يا شيخ ، دعني أجعل ذكرى في سرتك . فقال له : يا بن أخي ، وأين
يكون أسرتك حينئذ ؟

بين رجل من
النوكي وشيخ
في حمام

مجانين القصاص

- أبو دحية قال أبودحية القاص : ليس في خير ولا فيكم . فتبلغوا بي حتى تجدوا خيراً مني .
وقال في قصصه يوماً : كان أسم الذئب الذي أكل يوسف هملاج . قالوا : إن
يوسف لم يأكله الذئب . قال : فهذا أسم الذئب الذي لم يأكل يوسف^(١)
وقال ثمامة بن أشرس : سمعت قاصاً ببغداد يقول : اللهم ارزقني الشهادة
أنا وجميع المسلمين . ووقع الذباب على وجهه فقال : مالكم كثر الله بكم القبور .
قاص آخر قال : ورأيت قاصاً يحدث الناس بقتل حمزة فقال : ولما بقرت هند عن
كبد حمزة استخرجتها فعضتها ولا كتبها ولم تزد ردها . فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : لو أزدردتها مامسها النار . ثم رفع القاص يديه إلى السماء وقال : اللهم
أطعمنا من كبد حمزة .

باب نوكي الأشراف

- مالك بن زيد من النوكي المتقدمين : مالك بن زيد مناة بن تميم ، دخل على أمراءته
نأجية مغضباً ، فلما رأت ما به من الجهل والجفاء قالت له : ضع شملتك . قال :
جسدي أحفظ لها . قالت : اخلع نعليك . قال : رجلاي أحق بهما . فلما رأت
ذلك قامت وجلست إليه . فلما شم رائحة الطيب وثب عليها^(٢) .
ومن النوكي عجل بن لجيم . قال أبو عبيدة : أرسل ابن لعجل بن لجيم فرساً

مالك بن زيد
مناة

عجل بن لجيم

في حلبة فجاء سابقاً ، فقال لأبيه : كيف ترى أن أسميه يا أبت ؟ قال : ألقأ إحدى عينيه وسمه الأعور . قال الشاعر :

٣١٢
٣

رمتني بنو عجل بداء أبيهم وأنى عباد الله أنوك من عجل
أليس أبوم عارَ عين جواده فأضحت به الأمثال تضرب في الجهل

ومن بنى عجل دُغَّة^(١) التي يضرب بها المثل في الحق . وقد ذكرنا نسبها
وخبرها في كتاب الأمثال .

ومن نوحي الأشراف : عبيد الله بن مروان ، عم الوليد بن عبد الملك .
بعث إلى الوليد قطيفة حمراء ، وكتب إليه : إني قد بعثت إليك قطيفة حمراء
حمراء ، فكتب إليه قد وصلت القطيفة ، وأنت والله يا عم أحق أحق^(٢) .

١٠ ومنهم معاوية بن مروان^(٣) وقف على باب طحان ، فرأى حماراً يدور بالرحا
في عنقه جلجل ، فقال للطحان : لِمَ جعلت الجلجل في عنق الحمار ؟ قال : ربما
أدركتني سامة أو نعاس ، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه واقف فصحتُ
به ، فانبعث . قال : أفرأيت إن وقف وحرك رأسه بالجلجل وقال هكذا
وهكذا — وحرك رأسه — فقال له : ومن لي بحمار يكون عقله مثل عقل الأذير ؟
١٥ وهو القائل ، وضاع له بازى : أغلقوا أبواب المدينة حتى لا يخرج البازى .

وأقبل إليه قوم من جيرانه فقالوا : مات جارك أبو فلان ، فمر له بكفن .
فقال : ما عندنا اليوم شيء ولكن عودوا إلينا إذا نبش .
وأقبل إليه رجل أحق منه ، فقال له : تعيرنا أصلحك الله ثوباً نكفن فيه
ميتاً ؟ قال : أخشى أنه ينجسه فلا تلبسه إياه حتى يُغسل ويطهر .

٢٠ ومن النوحي الأشراف : عيينة بن حصن ، دخل على عثمان بغير إذن ،
وكانت عنده أبنته ، فقال له عثمان : ألا استأذنت ؟ قال : ما ظننت أن ههنا من

(١) في بعض الأصول هنا : « دعد » تحريف .

(٢) الخبر في البيان (٢ : ٢٣٢) طبع لجنة التأليف .

(٣) كذا في الأصول والبيان (٢ : ١٣٦) والمعارف (١٨٠) والذي في الطبري

٢٥ (٢ : ٤٠٤) : « عبد الله بن معاوية » . وانظر مجانب المخلوقات للزويني (١١١) .

- أحتاج أن أستاذن عليه . قال : أذنُ فتعشَّ . فقال : أنا صائم . قال : تصوم الليل وتفطر النهار . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُسميه السفية المطاع .
- أبان بن عثمان ومن حمق قُربش : أبان بن عثمان بن عفان . قال الشعبي : قدم أبان على معاوية . فقال : أمير المؤمنين ، زوجني ابنتك . قال : يابن أخى هما اثنتان . إحداهما عند ابن عامر والأخرى عند أخيك عمرو . قال : كنت أظن أن لك ٥
- ثالثة . قال : يابن أخى ، تخطب إلى ولا تدري لى بنت أم لا ، رحم الله أباك .
- معاوية بن مروان ومرّ معاوية بن مروان بحقل له فلم ير فيها ما يُعجبه ^(١) ، فقال : ما كذب من قال : كُمل حقل لا ترى أُنثى صاحبها لا تُفلح أبدا . ثم نزل عن دابته وأحدث فيها ثم ركب . وهو الذى يقول لأبى أمراءته : ملأتنى البارحة ابنتك دما . قال : ١٠
- لإنها من نسوة يخبان ذلك لأزواجهن ، فلو كنت خصبيا ما زوجناك ، وعلى الذى غرنا بك لعنة الله .
- أبو العاج وكان أبو العاج واليا بواسط فأتاه صاحبُ شرطته بقوادة ، فقال : ما هذه ؟ قال : قوادة . قال : وما تصنع ؟ قال : تجمع بين الرجال والنساء . قال : إنما ١٥
- جئتني بها لتعمرَ بها بدارى ، خلّ عنها لعنك الله ولعنها .
- الربيع العامري وكان الربيع العامري واليا باليمامة ، فأُتِيَ بكلب قد عقر كلبا فأقاده فقال ٢٠
- فيه الشاعر :
- شهدتُ بأن الله حقاً لقائوه وأن الربيعَ العامريَّ رقيقُ
أقاد لنا كلباً بكَلْب فلم يدع دماءَ كِلاب المسلمين تَضِيع ^(٢)
وقال عوانة : استعمل معاوية رجلاً من كَلْب ، فذكر يوماً للجوس وعنده النار . فقال : لعن الله الجوس ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيتُ مائة ألف درهم ٢٠
- ما نكحتُ أمى .
- وكان بالبصرة ثلاثة إخوة من بنى عَتَّاب بن أسيد ، كان أحدهم يحُج عن

ثلاثة إخوة
من بنى عتاب

(١) الحقل : المزرعة ، لذا أُنثى حملا على معناه .
(٢) الخبر فى البيان (٢ : ٢٥٩) طبع لجنة التأليف .

حمزة ويقول : أستشهد قبل أن يحج . وكان الآخر يضحى عن أبي بكر وعمر ،
ويقول : اخطأ السنة في ترك الأضحية ، وكان الثالث يفطر أيام التشريق عن
عائشة ، ويقول : غلطت رحمها الله في صومها أيام التشريق .

الرشيد ورجل
من النوكي

ولعب رجل من النوكي بين يدي الرشيد بالشطرنج . فلما رآه وقد استجد لعبه
قال له : يا أمير المؤمنين ، ولّني نهر بوق . فقال له : ويحك أوليك نصفه . اكتبوا
عهده على بوق . قال : فولّني أرمينية . قال : إذا يبطى على أمير المؤمنين خبرك .

أهل المي والجهل المشبهون بالمجانين

وكيع بن أبي
سود

خطب وكيع بن أبي سود^(١) وهو والي خراسان فقال في خطبته : إن الله
خلق السموات والأرض في ستة أشهر . فقالوا له : بل في ستة أيام . فقال : والله
لقد قلنها وأنا أستقلها .

علي بن زياد

وخطب علي بن زياد الإيادي فقال في خطبته : أقول لكم ما قال العبد
الصالح لقومه : (ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) . فقالوا له : إن
هذا ليس من قول العبد الصالح إنما هو من قول فرعون . فقال : من قاله فقد أجسن .

عتاب بن ورقاء

وخطب عتاب بن ورقاء الرياحي فقال : أقول لكم كما قال الله في كتابه :
كُتِبَ الْقِتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وعلى الغانيات جَزَّ الذُّبُولُ

وال باليمامة

وخطب وال باليمامة فقال في خطبته : إن الله تبارك وتعالى لا يعاون^(٢) عباده
على المعاصي . وقد أهلك أمة عظيمة على ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم ، فسُمِّيَ
مَقْوَمُ النّاقَةِ .

ابن سنان

وبكى حول ابن سنان أولاده وأهله حين ودّعه وهو يريد مكة حاجا ،

٢٠ فقال : لا تبكوا فإني أرجو أن أضحى عندكم .

(١) في بعض الأصول هنا : « الأسود » تحريف .

(٢) في البيان : « لا يقار » .

- كردم السدوسي ودخل قوم دار كزدم السدوسي^(١) فقالوا له : أين القبلة في دارك هذه ؟ فقال : إنما سكنناها منذ ستة أشهر .
- كردم السدوسي ودخل كزدم السدوسي^(١) على رجل فدعاه إلى الغذاء فقال : قد أكلت . قال : وما أكلت ؟ قال : قليل أرز فأكثرته منه .
- أبو عبيد الملك و قيل لأبي عبد الملك عناق : بأي شيء تزعمون أن أبا علي الأسواري أفضل من سلام بن سليمان أبي المنذر ؟ قال : لأنه لما مات سلام بن سليمان أبو المنذر مشى أبو علي في جنازته ، فلما مات أبو علي لم يمض سلام في جنازته .
- كردم ومرض كردم فقال له عمه : أي شيء تشتهي ؟ فقال : رأس كبشين . قال : لا يكون . قال : فرأسي كبش قال : لا يكون . فقال : لست أشتهي شيئاً .
- مسعدة بن طارق وقال مسعدة بن طارق الذراع : إنا لوقوف على حدود دار نقسمها إذ أقبل عيص ، سيد بني تميم والمصلى على جنازتهم . ونحن في خصومة لنصلح بينهم ، فقال : خبروني عن هذه الدار ، هل ضم بعضها إلى بعض أحد ؟ فأنا منذ ستين سنة أفكر في كلامه فما أدرك له معنى ولا مجازاً^(٢) .
- كردم بالذراع وأقبل كردم الذراع إلى قوم ليكسر لهم دوراً ، فوجد داراً منها فيه زنة^(٣) . فقال : ليست هذه الدار لكم فقالوا : بلى والله ما نازعنا أحد قط فيها . قال : فليست الزنة لكم . قالوا : فكسر ما صح عندك أنه لنا ودع الزنة . فكسر مئتين الدار . فقال : عشرون في عشرين مائتان . قالوا : من هذا المعنى لم تكن الزنة عندك لنا ؛ إذ عشرون في عشرين مائتان .
- (١) كذا في بعض الأصول والبيان (٢ : ١٢٧) . والذي في سائر الأصول : « السدوسي » .
- (٢) الخبر في ملحويان (٣ : ٣٣) .
- (٣) الزنة ، بالتحريك : السكة الضيقة فيها التواء . ذكرت في اللسان وليست في القاموس . والخبر في البيان (٢ : ٢٤٥) طبع لجنة التأليف .

- وسئل آخر كان ينظر في الفرائض عن فريضة لم يعرفها ، فالتمسها في كتابه فلم يجدها . فقال : لم يمت هذا الرجل بعد ، ولو مات لوجدت فريضته في كتابي . وعزى قوماً فقال : أجركم الله وأعظم أجوركم وأجركم . فقيل له في ذلك ، فقال : مثل قول مروان بن الحكم : بارك الله فيكم وبارك لكم وبارك عليكم^(١) .
- وكان أبو إدريس السمان يكتب : فلا أصحبك الله إلا بالعافية ، ولا حياً وجهك إلا بالكرامة .
- العتبي قال : بعث رجل وكيلاً إلى رجل من الوجوه يقتضيه ما عليه ، فرجع إليه مضروباً فقال : مالك ويالك ؟ قال : سبكت فسببته فضررتني . قال : وبأى شيء سببتني ؟ قال : هن الحمار في حرام الذي أرسلك . قال له : دعني من أفترائه علي . أخبرني أنت كيف جعلت لأير الحمار من الحرمة ما لم تجعل لحرامي ؟ هلا قلت : أير الحمار في هن أم من أرسلك ؟
- وقال أبو نواس : قلت لأحد الوراقين الذين يكتبون بباب البطونى : أيما أسن أنت أم أخوك ؟ قال : إذا جاء رمضان أستويننا .
- قال ثمامة بن أشرس للعامون : سررت في غيب مطر والأرض ندية والسماء مغمية والريح شمال ، وإذا بشخص أصفر كأنه جرادة ، وقد قعد على قارعة الطريق ، وحجام يحجمه على كاهله وأخذه به بمحاجم كأنها قعاب ، وقد مص دمه حتى كاد يستفرغه ، فقلت : يا شيخ ، لم تحتجم في هذا البرد ؟ قال : لهذا الصفار الذى بي .
- وقيل لأبى عتاب : كيف يرك بأملك ؟ قال : والله ما قرعتها بسوط قط .

النوكى من نساء الأشراف

دُعَاة العِجْلِيَّة ، وَجَهِيْزَة^(٢) ، وشوْلة ، ودِراعة^(٣) ، وسارية الليل ، وريطة بنت

ذكر بعضهم

(١) الخبر في البيان (٢ : ٢٣٤ لجنة التأليف) .

(٢) في بعض النسخ : « ودميرة » .

(٣) في البيان (٢ : ٢٢٦ طبع لجنة التأليف) : « دراعة القديد الممدية » .

كعب^(١)، وهي التي نقضت غزلها أنكاثاً . وفيها يقال في المثل : « خرقاء وجدت صوفة » .
وقال عمرو بن عثمان^(٢) : شيعت القاضي عبد العزيز بن المطلب^(٣) الخزومي
قاضي مكة إلى منزله وبياب المسجد حمقاء تصفق بيديها وتقول :
أزق عيني ضراط القاضي^(٤) .

قاضي مكة
وحمقاء

فقال لي : يا أبا حفص ، أتراها تعني قاضي مكة ؟
وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلامٌ نادر محكم لا يُسمع بمثله ، كما قالوا : رُب رمية
من غير رام .

من حكم
المجانين

فيل لدغة : أي بنيك أحب إليك ؟ قالت : الصغير حتى يكبر ، والمريض
حتى يُفريق ، والغائب حتى يرجع .

ومن أخبار أهل العو المشبهين بالمجانين^(٥) : دخل أبو طالب صاحب الطعام
على هاشمية جارية سمودنة بنت الرشيد ليشتري طعاماً من طعامهم ، فقال لها : قد
رأيت متاعك وقلبتك . قالت له : هلاً قلت طعامك يا أبا طالب ؟ قال : وقد
أدخلت يدي فيه فوجدته قد حُمى وصار مثل الجيفة . قالت : يا أبا طالب ، ألسنت
قد قلبت الشعير ، فأعطينا به ما شئت وإن كان فاسداً .

أبو طالب
وهاشمية

قال الأصمعي : كان بين رجلين من النوكي عبدٌ فقام أحدهما بضربه ، فقال
له شريكه : ما تصنع ؟ قال : أنا أضرب نصيبي منه . قال : وأنا أضرب حصتي
فيه ، وقام فضربه . فكان من رأى العبد أن سلح عليهما ، وقال : أقتسما هذه
على قدر الحصص .

رجلان من
النوكي وعبد لهما

ومر بعضهم بأمرأة قاعدة على قبر وهي تبكي ، فقال لها : ما هذا الميت منك ؟

بين بعضهم
وبأكية على قبر

- ٢٠ (١) في بعض الأصول : « رائطة بنت كعب » صوابه في البيان والتبيين .
وفي أنوار التنزيل (١ : ٥٢٥) : « ربيعة بنت سعد بن تميم القرشية » .
(٢) في البيان (٢ : ٢٣٠) طبع لجنة التأليف . « عمر بن عثمان » .
(٣) هو عبد العزيز بن مطلب بن عبد الله الخزومي القاضي (انظر تهذيب التهذيب) .
وفي النسخ « بن عبد المطلب » .
(٤) بعده في البيان : « هذا المقيم ليس ذاك الماضي » .
(٥) الخبر في البيان (٢ : ٢٣٢) طبع لجنة التأليف .

قالت : زوجي . قال : وما كان عمله ؟ قالت : كان يحفر القبور ، قال : أبعد الله ،
بين ثمامة ورجل
من النوكي
أما علم أنه من حفر حفرة وقع فيها .

وطلب رجل من النوكي من ثمامة بن أشرس أن يسلفه مالا ويؤخره به .
فقال : هاتان حاجتان وأنا أقضى لك إحداهما . قال : رضيت . قال : أنا أوخرك
ما شئت ولا أسلفك .

وكان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم -- وآل أبي رافع من فضلاء
أهل المدينة وخيارهم ، مع بـلـه فيهم وعى شديد -- فمن ذلك أن امرأة أبي رافع
رأته في نومها بعد موته ، فقال لها : أتعرفين فلانا الصيرفي ؟ قالت له : نعم . قال :
فإن لي عليه مائتي دينار . فلما أنتهت من نومها غدت إلى الصيرفي فأخبرته الخبر
وسألته عن المائتي دينار . فقال : رحم الله أبا رافع ، والله ما جرت بيني وبينه معاملة
قط . فأقبلت إلى مسجد المدينة ، فوجدت مشايخ من آل أبي رافع كلهم مقبول
القول ، جازز الشهادة ، فقضت عليهم الرؤيا ، وأخبرتهم خبرها مع الصيرفي وإنكاره
لما أدعاه أبو رافع . قالوا : ما كان أبو رافع ليكذب في نوم ولا يقظة ، قومي
بصاحبك إلى السلطان ونحن نشهد لك عليه . فلما رأى الصيرفي غزم القوم على
الشهادة لها وعلم أنهم إن شهدوا عليه لم يبرح حتى يؤدّيها ، قال لهم : إن رأيتم أن
تصلحوا بيني وبين هذه المرأة على ماترونها فأفعلوا . قالوا : نعم والصلح خير ، ونعم
الصلح الشطر ، فأدّ إليها مائة دينار من المائتين . فقال لهم : أفعل ، ولكن اكتبوا
بيننا كتابا يكون وثيقة لي . قالوا : وكيف تكون هذه الوثيقة ؟ قال :

تكتبون لي عليها أنها قبضت مني مائة دينار صلحا على المائتي دينار التي أدعاهما
أبو رافع عليّ في نومها ، وأنها قد أبرأتني منها وشرطت على نفسها ألا ترى أبا رافع
في نومها مرة أخرى ، فيدعى عليّ بغير هذه المائتين ، فتجىء بفلان وفلان
يشهدان عليّ لها . فلما سمعوا الوثيقة فطن القوم لأنفسهم ، وقالوا : قبّحك الله
وقبّح ما جئت به .

ومنهم عامر بن عبد الله بن الزبير ، أتى بـعطائه وهو في المسجد ، فقام ونسيه
في موضعه ، فلما صار إلى بيته ذكره ، فقال : يا غلام ، أثنتي بـعطائي الذي نسيت
عامر بن عبد
الله بن الزبير

في المسجد . قال : وأين يُوجد ، وقد دخل المسجد بعدك جماعة ؟ قال : وبقي أحد يأخذ ما ليس له ؟

وسُرقت نعلُه مرة فلم يلبس نعلا بعدها حتى مات ، وقال : أكره أن أتخذ نعلا فيجىء من يسرقها فيأثم . وفي هذا الضرب يقول أبو أيوب السخستاني^(١) : في أصحابي من أرجو بركته ودُعاه ، ولا أقبل شهادته^(٢) .

٥

قال الأصمعي : كان الشعبي يحدث أنه كان في بني إسرائيل عابد جاهل قد ترهب في صومعته ، وله حمار يرعى حول الصومعة ، فاطلع عليه من الصومعة فرآه يرعى فرفع يديه إلى السماء ، فقال : يارب ، لو كان لك حمار كنت أرعيه مع حماري ، وما كان يشق علي . فهم به نبي كان فيهم في ذلك الزمان ، فأوحى الله إليه دَعَه ، فإنما أثيب كل إنسان على قدر عقله .

١٠

هشام بن حسان قال : أقبل رجل إلى محمد بن سيرين فقال : ما تقول في رؤيا رأيتها ؟ قال : وما رأيت ؟ قال : كنت أرى أن لي غنما ، فكنت أعطى بها ثمانية دراهم ، فأبيت من البيع ، ففتحت عيني فلم أر شيئا ، فأغلقتهما ومددت يدي ، وقلت : هاتوا أربعة ، فلم أعط شيئا . فقال له ابن سيرين : لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكروهوها . قال : يمكن الذي ذكرت .

١٥

شعراء المجانين

منهم أبو ياسين الحاسب ، وجعيفران ، وجرتفش^(٣) ، وأبو حية النيرى ، ورسييموس^(٤) ، وصالح بن شيرزاذ الكاتب .

بعضهم

وكان أبو حية أجنّ الناس^(٥) وأشعر الناس ، وهو القائل :

من شعر
أبي حية

ألا حتى أطلال الرسوم البواليا لبسن البلى مما لبسن اللياليا

٢٠

(١) في بعض الأصول : « السجستاني » . تحريف .

(٢) انظر الخبر في البيان (٩ : ١٨٦) .

(٣) في بعض الأصول : « حرنفش » وما أثبتنا من سائر الأصول والبيان (٢ : ١١٦) .

(٤) في البيان والبغلاء : « رسييموس اليوناني » .

(٥) في البيان : « أجنّ من من جعيفران » .

إذا ما تقاضى المرء يومٌ وليلةٌ تقاضاه أمرٌ لا يَمَلُّ التقاضيا
وهو القائل أيضا (١) :

فلأبعثن مع الرياح قصيدةً متى مُغلغلةً إلى القعقاع
ترد للمناهل لا تزال غريبةً في القوم بين تمتعٍ وسماع (٢)
وهو القائل أيضا :

فأبدت قناعاً دونه الشمسُ وأتقت بأحسن موصولين كفى ومعصم
وأما جعفران الموسوس الشاعر ، وهو من مجانين الكوفة ، فإنه لقي رجلاً
فأعطاه درهما وقال له : قل شعراً على الجيم . فقال :

عاذني الهمُّ فأعتلج كلُّ همٍّ إلى فرجٍ
سلَّ عنك الهموم بالسكاس والراح تنفرج
وهو القائل :

ما جعفرٌ لأبيه ولا له بشبيه
أضحى لقومٍ كثيرٍ فكلُّهم يدعيه
هذا يقول بُنيّ وذا يُخاصم فيه
والأم تضحك منهم لعلها بأبيه

قال أبو الحسن : أستاذن جعفران على بعض الملوك فأذن له ، وحضر غداؤه ،
فتغذى معه ، فلما كان من الغد أستاذن فحجبه ، ثم أتاه في الثالثة فحججه .
فنادى بأعلى صوته :

عليك إذن فإننا قد تغدينا لسنا نعود وإن عدنا تغدينا
يا أكلة ذهبٍ أبقت حرارتها داء بقلبك ما صمنا وصلينا

العتبي قال : قال أبو وائل لأبي : إن في حماقة ، ولكن إن طلبت الشعر
وجدت عندي منه علماً . قال : وهل تقول منه شيئاً ؟ قال : نعم ، أقول أجود من
قولك ، وأنا الذي أقول :

(١) الحق أن البيتين من قصيدة للسبب بن علس في المفضليات (١ : ٥٨) .

(٢) في بعض النسخ : « بعد تمتع » . وفي المفضليات : « بين تمتل » .

لو أن جُومِلَ كَلَّمَتْنِي بعدما نَسِيتُ نَوَائِحِي البكاء وأَقْبِرُ
لَحَسْبَتْ مَيِّتَ أعْظَمَى سُبُجِيهَا أو أن بَالِيهَا الرَّمِيمَ سَيُنْشَرُ
قال له أبي : أمّا الشَّعرُ فحَسَنٌ إلّا أن اسم المرأة قَبِيحٌ . قال : ألا إن اسم
المرأة جَمَلٌ ، وَلَكِنِّي مَنَعْتَهُ بِجُومِلَ . فقال له : إن هذا من الحماقة التي يرى
إليها منها .

٥

قال العتبي : قال أبي : وأنشدني أبو وائل :
ما أَوْجَعَ البينَ من غَرِيبٍ فَكَيْفَ إن كانَ من حَبِيبٍ
يَكَادُ من شَوْقِهِ فُؤَادِي إذا تَذَكَّرْتَهُ يَمُوتُ
فقال له أبي : إن هذا باءٌ وهذا تاء . قال : لا تَنْقُطُ أنت شيئاً . قلت :
يا هذا ، إن البيت الأول مخفوضٌ وهذا مرفوع . قال : أنا أقول لا تَنْقُطُ
وهو يشكل .

ولما تُوِفِّيت أم سليمان بن وهب الكاتب ، أخى الحسن بن وهب ، دخل
عليه رجلٌ من نوَكي الكتاب يُسمى صالح بن شيرزاذ ، بشعر يرثيها
فيه ، فأنشده :

من شعر صالح
ابن شهر يار

لأم سليمان علينا مصيبةٌ مُغْلَغَلَةٌ مثل الحُسامِ البَوَاتِرِ
رَكَنْتِ سِرَاجَ البيتِ يا أم سالمٍ فَأَمْسَى سِرَاجُ البيتِ وَسَطَ المقابرِ
فقال سليمان : ما نزل بأحد من خلق الله ما نزل بي ، ماتت أمي ورُئِيتُ بمثل
هذا الشعر ، ونقل اسمي من سليمان إلى سالم .
ومن قول صالح بن شيرزاذ هذا :

لا تَمْدِلْنِ دَوَاءَ بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ كَانَ الضُّرَّاطُ فَذَاكَ الْآذِرِيطُوسُ^(١)
ودخل بعضُ شعراء المَجَانِينِ على أبي الواسع ، وحوله بنوه ، فَأَسْتَأْذَنَهُ في الإنشادِ
فَأَسْتَعْفَى . فلم يزل به حتى أذن له . فأنشده شعراً ، فلما أنتهى فيه إلى قوله :

أبو الواسع
ومجنون أنشده
شعراً

(١) الآذِرِيطُوس : دواء ، ولنظهِ يوناني معرب ، يقال « إذرِيطُوس » و « إذرِيطُوس »

كما في اللسان والقاموس والعرب للجواليقي ٢٢٢ ومعجم استينجاس ٣١ . وفي

النسخ : « التاذِرِيطُوس » .

وكيف تُنفَى وأنت اليوم رأسهم وحولك الغر من أبنائك الصيِّد^(١)
قال له : ليتك ، تركتنا رأساً برأس^(٢) .

وقيل : وفد أعرابي من شعراء المجانين إلى نصر بن سيار بشعر تغزل فيه
بمائة بيت ومدحه ببيتين ، فقال له : والله ما تركت قافية لطيفة ولا معنى إلا
شغلت به نسبيك دون مدحك . قال : سأقول غير هذا . فغدا عليه بشعر يقول فيه :
هل تعرف الدارَ لأم الغمر دع ذا وحبر مدحة في نصر
فقال له نصر : لا ذا ولا ذاك .

وقال بعض العلماء : ما شَبَّهَتْ تأويل الرافضة في قبح مذهبهم إلا بتأويل
رجل من المجانين مجانين أهل مكة في الشعر ، فإنه قال : ما سمعت بأكذب من
بنى تميم ، زعموا أن قول القائل :

بيت زُرارة مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٍ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشِلُ
فَزَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ مِنْهُمْ . قال بعض أهل الأدب : قلت له :
وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيت بيت الله ، والزُرارة الحجر زُرَّرت حول البيت ،
وَمُجَاشِعٌ زَمَزَمَ تَجَشَّعَتْ بِالماء ، وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة . قلت له :
فنهشل ؟ قال : نهشل ؟ وفكر فيه ساعة ، ثم قال : قد أصبته ، هو مصباح الكعبة
طويل أسود ، فذاك النهشل .

قال الأبرد محمد بن يزيد النحوي : خرجنا من بغداد نريد واسطا ، فلما إلى
دير هزقل^(٣) نظر إلى المجانين ، فإذا بالمجانين كلهم قد رأونا ، ونظرنا إلى فتى منهم
قد غسل ثوبه ونظفه ، وجلس ناحية عنهم ، فقلنا : إن كان فهذا ، فوقفنا به ،
فسلمنا عليه فلم يرد السلام ، فقلنا له : ما نجد ؟ فقال :

الله يعلم أنني كَمَدٌ لا أستطيع أبث ما أجِدُ
نفسان لي نفس تضمنها بلد وأخرى حازها بلد

(١) في النسخ « وكيف تبقى » صوابه في الحيوان (١٦٨ : ٥) .

(٢) في بعض النسخ : « ليك تركنا » ، صوابه في الحيوان . وفيه : « ليتك تركتهم » .

(٣) هزقل ، بكسر الهاء وسكون الزاي كما في معجم البلدان (دير هزقل) .

وأرى القيمة ليس ينفعها صبر وليس يفوقها جلد^(١)

وأظن غائبتى كشاهدتى بمكانها تجد الذى أجد

فقلت له : أحسنت والله . فأومأ بيده إلى شيء ليرميناه به . وقال : أمثلى يقال له

أحسنت . قال : فولينا عنه هار بين . فقال : أسألكم بالله إلا ما رجعتم حتى

أنشدكم ، فإن أحسنت قلت لى : أحسنت ، وإن أسأت قلت لى : أسأت . قال : ٥

فرجعنا ووقفنا ، وقلنا له : قل ، فأنشأ يقول :

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم ورحلوا وسارت بالدمى الإبل

وقلبت من خلال السجف ناظرها تنو إلى ودمع العين ينهل

وودعت بيتان عقده غم ناديت : لا حملت رجلاك يا جل

١٠ وبلى من البين ما ذا حل بي وبها من نازل البين حل البين وأرتحلوا

يا راحل العيس عرج كى نودعهم يا راحل العيس فى ترحالك الأجل

إنى على العهد لم أنقض مودتهم يا ليت شعرى لطول العهد ما فعلوا

قال : فقلنا له^(٢) : ماتوا . فصاح وقال : وأنا والله أموت ، وترجع وتمدد ، فمات .

فما برحنا حتى دفناه .

وقال محمد بن يزيد المبرد : دخلنا دير هز قل^(٣) ، فإذا بمجنون بيده حَجَر ، وقد

تفرق الداس عنه وهو يقول : يا معشر إخوانى اسمعوا منى . ثم أنشأ يقول :

وذى نفس صاعد يئن بلا عائد

يكره على جحفل ويضعف عن واحد

من شعر ماني وأنشد أبو العباس لماني الموسوس :

٢٠ له وجنات فى بياض وحرة فحافئها بيض وأوساطها مخمر

رقاق يجول الماء فيها كأنها زجاج أجملت فى جوانبها الخمر

(١) ق بعض النسخ : « وأرى القيامة » ، صوابه فى معجم البلدان .

(٢) فى معجم البلدان : « فقال له فى من الجبان كان معنا » .

(٣) فى الأصل : « هرقل » وانظر ما سبق من التحقيق .

وقال محمد بن يزيد : أصابتنا سحابة جود ، ثم أقلمت سريعا ، فمر بي ماني الموسوس فقال :

لا تظن الذي جرى مطراً كان مُمطِرا
إنما ذاك كُله : دمع عيني تحذرا
وتوالت غيومها من هومي تفكرا
هكذا حال من يرى من حبيب تغيرا

وقف ماني الموسوس على أبي دلف ، فأنشده :

كرات عيّنك في العدا تُغنّيك عن سلّ الشيوف

فقال أبو دلف : والله ما مدحت قط بمثل هذا البيت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبضها وقال : نقنع من هذا بنصف درهم في هريسة .

ولماني الموسوس :

من الأطباء ظباء همها السحب ترعى القلوب وفي قاي لها عشب
أفدى الأطباء اللواتي لا قرون لها وحلها الدّر والياقوت والذهب
ياحسن ما سرقت عيني وما انتهيت والعين تُسرق أحيانا وتنتهب
فتلك من حسن عينيها وهبت لها قلبي لو قبلت مني الذي أهب
وما أريدُها إلا لرؤيتها فإب تأبّت فمالي فيها أرب
إذا يدّ سرت فالحذّ يقطعها والحذّ في سرقي العينين لا يجب

ومرّ عليّ بن الجهم بمبرسم ، قد أجمع الناس عليه ، وتحلقوا حوله ، فلما رآه المبرسم قصد نحوه ، وأخذ بعنانه ، ثم أنشأ يقول :

لا تحفلن بمعشر الهمج الذين أراهم

فوحقّ من ألبى بهم نفسي ومن عافهم

لو قيس موتاهم بهم كانوا هم موتاهم

ثم نظر حوله فرأى غلاما جميل الهيئة حسن الوجه ، فشق ثيابه وقال :

هذا السعيدُ لديهمُ قد صار بي أشقاهم
قال أبو البختري الشاعر : كان يبلغني أن ببغداد مجنوناً يكنى أبا فحمة ، له
بديهة حسنة ، فتعرضت له ، فأتيت لي لقاءه في بعض سبيلك ببغداد ، فقلت له :
كيف أصبحت أبا فحمة ؟ فأنشأ يقول :

من شعر أبي
فحمة

أصبحتُ منك على شفا جُرفٍ متعرضاً لِمَوارد التَّلفِ
وأراك نحوى غير مُلتفتٍ متحرِّفاً عن غير مُنحرفِ
يا من أطل بهجره كلُّي أسنى عليك أشدُّ من كلِّي
قال أبو البختري : فأخرجت له قبضةً ترجس كانت في كفي ، فخيته بها ،
فجعل يسمُّها ملِّياً ، ثم أنشأ يقول :

لما تزوجت الجنوب بهاطل جَوْنُ هَتُونِ زَبْرَجٍ ^(١) دَلَّاحِ
أضحي يلقحها بوسمي الصبا فاستثقلت حملاً بغير نكاح
حتى إذا حان المَخاضُ تفجرت فأتت بولدان بلا أرواح
حالك الربيعُ لها ثياباً وشَّتت بيد الندى وأنامل الأرواح
من أصفر في أزهر قد زانه تَبَرَّ على ورق من الأوضاح
رُكِبَ في عمد الزبرجد فاغتنى نحو الغزالة ناظراً بملاح

١٥
٣١٩
٣

قال الحسن بن هاني : لقيت ماني الموسوس ، فأنشدني :

من شعر ماني

شِعْرٌ حَيٌّ أَنَاكَ مِنْ لَفْظِ مَيِّتٍ صار بين الحياة ولوت وَقَفًا
قد بَرَّتْ جِسْمَهُ الْحَوَادِثُ حَتَّى كَادَ عَنْ أَعْيُنِ الْبَرِيَّةِ يَخْفَى
لو تَأَمَّلْتَنِي لَتُبْصِرَ شَخْصِي لم تَبَيَّنْ مِنَ الْحَاسِنِ حَرْفًا

ثم مضيت ، فأتيت جعيفران الموسوس ، وهو شيخ من بني هاشم أرت^٢
اللسان ، وعليه قيد من فضة ، وفي عنقه غُلٌّ من ذهب ، فقال لي : من أين
دَبَّنت يا حسن ؟ قلت : من بيت مانويه . فقال : في حِرٍّ أمَّ ما نويه ! فدعا بدواة
وقرطاس ، وقال لي اكتب :

من شعر
جعيفران

(١) الزبرج : السحاب الرقيق فيه حمرة .

ما غرّد الديك ليلاً في دُجنته إلا حثتُ إليك السيرَ مجهوداً
ولا هدت كُلى عينٍ لذراقتها بنومة في لذيذ العيش مجهوداً
إلا أمتطيتُ الدجى شوقاً إليك ولو أصبحتُ في حلق الأقياد مصفوداً
أسعى مُخاطرةً بالنفس يا أُملى والليل مدرع أثوابه السوداً
فلم ترق ولم ترث لمكتب زودته حركات القلب تزويداً
هيهات لا غدر في جن ولا بشر إلا يُخال مُعدداً فيك موجوداً

ثم قال : خرّ رقعة مانويه . فخرقتها ثم مضيت ، فلقيت عدد المصاب ، من شعر عدد
وحوله الصبيان ، وهو ياطم وجهه ويبكى ، وينادى : أيها الناس ، الفراق مُصر
المذاق . فقلت له : أبا محمد ، من أين أقيمت ؟ قال : شيعت الحاج . قلت : وما الذى
حملك على تشييعهم ؟ فقال : لى فيهم سكن^(١) . قلت : فهل قلت فيهم شيئاً ؟
قال : نعم ، وأنشدنى :

هم رحلوا يوم الخميس غديّة فودعهم لما استقّلوا وودعوا
فلمّا تولّوا ولّت النفس معهم فقلت أرجى قالت إلى ابن أرجع
إلى جسد ما فيه لحم ولا دم وما هو إلا أعظم تتفعقع
وعيمان قد أعماها الحزن والبكا وأذن عصت عذالها ليس تسمع

أبو بكر الورّاق قال : حدّثنى صديق لى ، قال : رأيت رجلاً من أهل الأدب
قد ذهب عقله بالحمية ، وخلفه دابة له تدور معه ، فاستوقفته وقلت له : يا فلان ،
ما حالك وأين النعمة ؟ قال : تغير قلبى فتغيرت النعمة . قلت : بيم تغير ؟ قال :
بالحب ، ثم بكى وأنشأ يقول :

أرى التحمل شيئاً لست أحسنه وكيف أخفى الهوى والدمعُ يعلنه
أم كيف صبرُ محب قلبه دَنِف الهجرُ يُنحله والشوقُ يحزّنه ؟
وإنه حين لا وصل يُساعفه يهوى السلو ولكن ليس يُمكنه

(١) السكن ، بالفتح : أهل الدار .

شعر لرجل من
أهل الأدب ذهب
عقله

وكيف ينسى الهوى من أنت همته وفترة اللحظ من عينيك تفتنه
 فقلت : أحسنت والله . فقال : رَفِّ قليلا ، فوالله لأطرحن في أذنيك أثقل
 من الرصاص ، وأخف على الفؤاد من ريش الحواصل ، وأنشد :
 للحب نارٌ على قلبي مضرمة لم تبلغ النار منها عُشرَ معشار
 الماء ينبع منها من يحاجرها يا لرجال لماء فاض من نار
 ثم وقف وأنشد :

٣٢٠
 ٣

أعاد الصدود فأحيا الغليلا وأبدى الجفاء فصبرا جميلا
 ورد الكتاب ولم يقره لئلا أردد إليه الرسولا
 وأحسب نفسي على ما ترى ستلقى من الهم هجرا طويلا
 وأحسب قلبي على ما أرى سيذهب متى قليلا قليلا
 ثم ترك يدي ومضى .

وحكى أبو العباس المبرد قال : دخل عمرو بن مسعدة على المأمون ، وبين يديه
 جام زجاج فيه سكر طبرزد وملح جريش . قال : فسلمت . فردّ ، وعرض على
 الأكل . فقلت : ما أريد شيئا ، هنالك الله يا أمير المؤمنين ، فلقد باكرت بالغداء ،
 فإني بتّ جائعا . ثم أطرق ورفع رأسه وهو يقول :

١٥

أعرض طعامك وابذله لمن دخلا وأحلف على من أبي واشكر لمن أكل
 فلا تكن سابري العرض مُحْتَشما من القليل فليست الدهر محتفلا^(١)
 ودعا برطل ، ودخل رجل من أجلة الفقهاء ، فمدّ يده إليه ، فقال : والله
 يا أمير المؤمنين ما شربتها ناشئا فلا تسقيها شيخا . فردّ يده إلى عمرو بن مسعدة ،
 فأخذها منه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، الله الله ، إني عاهدت الله في الكعبة
 ألا أشربها أبدا . ففكر طويلا ، والكأس في يد عمرو بن مسعدة ، حتى لقد
 ظن أنه سيأسر فيها . ثم قال :

المأمون وابن
 مسعدة وفيه

(١) السابري : الرقيق من الثياب الذي ليس بمحقق .

رُدا على الكأس إنكما لا تعلمان الكأس ما تُجدي
لو ذُقتما ما ذُقت ما أمتزجت إلا بدمعكما من الوجـد
خوِّفتماني الله ربكما وكيفتيه رجاؤه عندي
إن كفتما لا تشربان معي خوف العقاب شربتها وحدي

٥ محمد بن يزيد الأسدي قال : حدثني حبيب بن أوس قال : كنت في غُرفة
لي على شاطئ دجلة في وقت السحر أيام الخريف ، فإذا بـغلام كنت أعرفه
بجمال ، قد تجرد من ثيابه وألقى نفسه في الدجلة يسبح فيها ، وقد احمر جلده من
برد الماء ، وإذا ماني الموسوس يرمقه ببصره ، فلما خرج من الماء قال :

خَشِ الماء جلده الرطب حتى خِلْتُهُ لا بساً غِلالة خمر

١٠ قلت له : لعنك الله ياماني ، أبعـد الجهاد والغزو تخـش غلاما قد بات مؤاجرا
في الحمامات ؟ فقال لي : ليس مثلك يخاطب يا أحق ، وإنما يخاطب هذا ، وأشار
إلى السماء ، وقال :

يكفيك تقليبُ القلوب وإنتي لني ترح مما ألقى فما ذنبي
خلقت وجوها كالمصابيح فتنةً وقلت اهجروها عز ذلك من خطاب
فأما أبحت الصب ما قد خلقتـه وإما زجرت القلب عن لوعة الحب ١٥

أخذ هذا المعنى يزيد بن عثمان فقال :

أيارب تخلق ما تخلق وتنهي عبادك أن يعشقوا
إذا هكذا صغت حسن الوجوه فأئ البرية لا يفسق
خلقت الملاح لنا فتنةً وقلت اعبدوا ربكم واتقوا

٢٠ وقال أبو بكر الموسوس في نصراني :

أبصرت شخصك في نومي تعانقني كما تعانق لأم السكاتب الألفا
يا من إذا درس الإنجيل ظل له قلب الحنيف عن القرآن مُنصرفا

لأبي بكر
الموسوس في
نصراني

وله فيه :

زُنَّارُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ كَأَنَّهُ مِنْ كَبْدِي مَقْدُودٌ

أخبار البخلاء

أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى بَخْلِ أَهْلِ مَرْوَ ثُمَّ أَهْلِ خُرَاسَانَ .

من بخل أهل
مرو وشيء لثامة
في ذلك

- ٥ قال ثُمَامَةُ^(١) بن أَشْرَسَ : مَا رَأَيْتُ الْدِيكَ قَطُّ فِي بَلَدَةٍ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو الدُّجَاجَ ،
وَيُشِيرُ الْحَبَّ إِلَيْهَا ، وَيُلَطِّفُ بِهَا ، إِلَّا فِي مَرْوَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ وَحْدَهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ
لَوْثَهُمْ فِي الْمَأْكَلِ . وَرَأَيْتُ فِي مَرْوَ طِفْلاً صَغِيراً فِي يَدِهِ بَيْضَةٌ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَعْطِنِي
هَذِهِ الْبَيْضَةَ . فَقَالَ : لَيْسَ تَسَعُ يَدُكَ . فَعَلِمْتُ أَنَّ الْلَوْثَ وَالْمَنَعَ فِيهِمْ بِالطَّبِيعِ الْمَرْكَبِ ،
وَالْجَمِيلَةِ الْمَفْطُورَةِ .

- ١٠ وَاشْتَكَى رَجُلٌ مَرْوَزِيٌّ ضَرْباً مِنْ سَعَالٍ^(٢) ، فَذَكَوَهُ عَلَى سَوِيقِ اللُّوزِ ، فَاسْتَثْقَلَ
النَّفَقَةُ ، وَرَأَى الصَّبْرَ عَلَى الْوَجْعِ أَخْفَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَمَاطِلُ الْأَيَّامَ وَيُدَافِعُ الْأَلَمَ
حَتَّى أَتَمَّحَ لَهُ بَعْضُ الْمُوَفِّقِينَ ، فَذَكَاهُ عَلَى مَاءِ النَّخَالَةِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ يَجْلُو الصَّدْرَ .
فَأَمَرَ بِالنَّخَالَةِ ، فَطَبَخَتْ لَهُ وَشَرَبَ مَاءَهَا ، فَجَلَا صَدْرُهُ وَوَجَدَهُ بَعْضُهُمْ ، فَلَمَّا
حَضَرَ غَدَاؤُهُ أَمَرَ بِهِ فَرُمِعَ إِلَى الْعِشَاءِ ، وَقَالَ لَأُمِّ عِيَالِهِ : اطْبِخِي لِأَهْلِ بَيْتِنَا
النَّخَالَةَ ، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَاءَهَا يَعْصِمُ وَيَجْلِي الصَّدْرَ^(٣) . فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ : قَدْ جَمَعَ اللَّهُ
فِي هَذَا الدَّوَاءِ دَوَاءً وَغَدَاءً .

مروزي اشتكى
سعالاً

- ٢٠ وَقَالَ خَاقَانُ بْنُ صُبَيْحٍ : دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ لَيْلاً مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، فَإِذَا هُوَ
قَدْ أَتَى بِمَسْرُجَةٍ فِيهَا فَتِيلٌ دَقِيقٌ ، وَقَدْ أَلْقَى فِي دَهْنِ الْمَسْرُجَةِ شَيْئاً مِنْ مِلْحٍ ، وَقَدْ
عَلَّقَ فِيهَا عُوداً بِخَيْطٍ مَعْقُودٍ إِلَى الْمَسْرُجَةِ ، فَإِذَا عَشِيَ الْمَصْبَاحُ أَخْرَجَ بِهِ رَأْسَ
الْفَتِيلِ ، فَقُلْتُ : مَا بِأَلِ هَذَا الْعُودِ مَرْبُوطاً ؟ فَقَالَ : هَذَا عُودٌ قَدْ شَرِبَ الدَّهْنَ ،

لابن صبيح في
أهل مرو

(١) الخبر في البخلاء للجاحظ ١٥ . (٢) الخبر في البخلاء ٢٦ — ٢٧ .

(٣) في البخلاء : « فَإِنْ مَاءَهَا جَلَا لِلصَّدْرِ ، وَقَوَّتْهَا عِذَاءٌ وَعَصِيَّةٌ » .

فإذا لم تحفظه وضاع احتجنا إلى غيره فلا نجد إلا عطشان ، فإذا كان هذا دأبنا
ضاع من دهننا في الشهر بقدر كفايتنا ليلة . قال : فبينما أنا أتعجب واسأل الله
العافية إذ دخل علينا شيخ من أهل مرو ، ونظر إلى العود ، فقال : أبا فلان ،
فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه ، أما علمت أن الشمس والريح تأخذان
من سائر الأشياء ، أو ليس كان البارحة هذا العود عند إطفاء السراج أروى ،
وهو عند إسراجك الليلة أعطش ؟ قد كنت أنا جاهلا مثلك زمانا ، حتى وفقني الله
إلى ما هو أرشد ، اربط عافاك الله مكان العود إبرة كبيرة ، أو مسلة صغيرة ، فإن
الحديد أبقى ، وهو مع ذلك غير نشاف ، والعود والقصبه ربما تعلقت بهما الشعرة
من قطن الفتيلة فتشخص لها ، وربما كان ذلك سببا لإطفائها . قال الخراساني :
١٠ ألا وإنك لا تعلم أنك من المسرفين حتى تعمل بأعمال المصلحين .

قال الأصمعي : قال لي أبو محمد الحزامي ، واسمه عبد الله بن كاسب ، ونحن
في العسكر ، إن الشيب سَهَك^(١) ، وبياض الشعر الأسود هو موته كما أن سواده
حياته ، ألا ترى أن موضع دبرة الحمار الأسود لا ينبت فيها إلا شعر أبيض ؟ والناس
لا يرضون منا في هذا العسكر إلا بالعناق والمسامة ، والطيب غال ممتنع الجانب ،
فلست أرى شيئا هو أحسن بنا من اتخاذ مُشط صندل ، فإن ريحه طيبة
والشعر سريع القبول ، وأقل ما يصنع أن ينفي سَهَك الشيب حتى تكون
حالُه لا لنا ولا علينا .

وكان ثمامة بن أشرس يقول : إياكم وأعداء الخبز أن تأتدموا بها ، واعلموا
أن أعدى عدو له المملوح ، فلو أن الله أعان عليه بالماء لأهلك الحرث والنسل .
٢٠ وكان يقول : كلوا الباقلاء بقشرها ، فإن الباقلاء ، تقول : من أكلني بقشري فقد
أكلني ، ومن أكلني بغير قشري فقد أكلته .

ومن البخلاء هشام بن عبد الملك . قال خالد بن صفوان : دخلت على
من بخل هشام بن
عبد الملك

هشام . فأطرفته وحدثته . فقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تزيد في عطائي عشرة دنانير . فأطرق حيناً ، وقال : فيم ؟ ولم ؟ وبم ؟ العبادة أحدثتها ؟ أم لبلاء حسن أبليته في أمير المؤمنين ؟ ألا لا يابن صفوان ، ولو كان لكثرة السؤال ، ولم يحتمله بيت المال . فقلت : وفقك الله يا أمير المؤمنين وسددك . فأنت والله كما قال أخو خزاعة^(١) :

إذا المال لم يُوجب عليك عطاءه صنيعه قُربى أو صديق توافقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يفتلتك المال إلا حقائقه
قيل لخالد بن صفوان : ما حملك على تزوين البخل له ؟ قلت : أحببت أن يمنع غيري فيكثر من يلومه .

١٠ وخرج هشام بن عبد الملك متنزهاً ، ومعه الأبرش الكلبي ، فمرّ براهب في دير ، فعدل إليه ، فأدخله الراهب بستاناً له ، وجعل يجتنى له أطيب الفاكهة . فقال له هشام : يا راهب ، يعني بستانك ، فسكت عنه الراهب . ثم أعاد عليه ، فسكت عنه . فقال له : مالك لا تُجيبني ؟ فقال : وودت أن الناس كلهم ماتوا غيرك . قال : لماذا ويحك ؟ قال : لملك أن تشبع . فالتفت هشام إلى الأبرش ، فقال : ماسمت ما قال هذا ؟ قال : والله إن لقيك حرّ غيره .

ومن البخلاء : عبد الله بن الزبير ، وكانت تكفيه أكلة لأيام ، ويقول : إنما بطني شبر في شبر ، فما عسى أن يكفيه .

من بخل ابن الزبير

وقال فيه أبو وجرة مولى آل الزبير :

لو كان بطنك شبراً قد شبعته وقد أبقيت خبزاً كثيراً للمساكين
فإن تُصَبِّك من الأيام جائحة لم نَبِّك منك على دنيا ولا دين
مازلت في سورة الأعراف تدرسها حتى قوادك مثل الخز في اللين

(١) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ، صاحب عزة . انظر الحيوان (٣ : ٤٦٥) وزهر الآداب (٣ : ٢٤٧) .

إنَّ امرأ كنت مولا فضيعة يرجو الفلاح لعندي حق مغبون
وابن الزبير هو الذي قال : أكلتم تمرى وعصيتم أمرى . فقال فيه الشاعر :
رأيت أبا بكر وربك غالب على أمره ، ينبغي الخلافة بالتمر^(١)
وأقبل إليه أعرابي فقال : أعطني وأقاتل عنك أهل الشام . فقال له :
٥ اذهب فقاتل ، فإن أغنيت أعطيناك . قال : أراك تجعل روحى نقداً
ودراهمك نسيئة .

وأناه أعرابي يسأله حملاً ، ويذكر أن ناقته نقت . فقال : انعلما من النعال
السبتية ، واخصفا بهاب . قال له الأعرابي : إنما أتيتك مستوصلاً ولم آتِكَ
مستوصفا ، فلا حملت ناقه حملتى إليك . قال : إنَّ وصاحبها^(٢) .

١٠ ومن رؤساء أهل البخل : محمد بن الجهم ، وهو الذي قال : وددت أن عشرة
من الفقهاء وعشرة من الشعراء ، وعشرة من الخطباء ، وعشرة من الأدباء تواطؤوا
على ذمى ، واستهلوا بشتمى حتى يُنشر ذلك عنهم فى الآفاق ، حتى لا يمتد إلى
أمل آمل ، ولا ينبسط نحوى رجاء راج .

وقال له أصحابه : إنما نخشى أن نتمد عندك فوق مقدار شهوتك ، فلو جعلت
١٥ لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا ؟ قال : علامة ذلك أن أقول :
يا غلام ، هات الغداء .

وذكر ثمانية بن أشرس محمد بن الجهم فقال : لم يُطعم أحداً قط فى ماله إلا ليشغله
عن الطمع فى غيره ، ولا شفع فى صديق ولا تكلم فى حاجة محترم إلا ليلقن المسئول
حجة المنع ، ويفتح على السائل باب الحرمان .

٣٢٣
٣ ومن البخلاء اللثام مروان بن أبى حفصة الشاعر . قال أبو عبيدة عن
من بخل ابن
أبى حفصة

(١) انظر عيون الأخبار (٢ : ٣١) .

(٢) انظر الإصابة ٨٤٤٥ والخزائن (٢ : ١٠٠) وزهر الآداب (٢ : ١٦٤) —

(١٦٥) حيث تختلف هذه المصادر فى نسبة هذا القول .

جهم^(١) قال : أتيت اليمامة فنزلت على مروان بن أبي حفصة ، فقدم إلى تمر ، وأرسل غلامه بفلس وسكرجة يشتري زيتا . فأتى الغلام بالزيت . فقال له : خنتني وسرقتني . قال : وفيم كنت أخونك وأسرقتك في فلس ؟ قال : أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت .

- ومن البخلاء : زبيدة بن حميد الصيرفي . استلف من بقال على بابہ درهمين وقيراطا ، فمطله بهما ستة أشهر ، ثم قضاہ درهمين وثلاث حبات . فاغناظ البقال وقال : سبحان الله ! أنت صاحب مائة ألف دينار ، وأنا بقال لا أملك مائة فلس ، وإنما أعيش بكدي ، واستقضى الحبة على بابك والحببتين^(٢) ، صاح على بابك حمال ، ولا يحضر تلك الساعة وكيلك ، فأعنتك وأسلفتك درهمين وأربع شعيرات ، فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات . فقال زبيدة : يا مجنون ، أسلفتنني في الصيف وقضيتك في الشتاء ، وثلاث شعيرات شتوية أوزن من أربعة صيفية ، لأن هذه ندية وتلك يابسة ، وما أشك أن معك بعد هذا كله فضلا .

- قال الأصمعي : كنت عند رجل من الأم الناس وأبخلهم ، وكان عنده لبن كثير ، فسمع به رجل ظريف ، فقال : لا أموت أو أشرب من لبنه . فأقبل مع صاحب له حتى إذا كان بباب صاحب اللبن ، تغاشى وتماوت ، فقام صاحب له عند رأسه يسترجع ، فخرج إليه صاحب اللبن ، فقال : ما باله يا سيدي ؟ قال : هذا سيد بني تميم ، أتاه أمر الله هاهنا ، وكان قال لي : اسقني لبنا . قال صاحب اللبن : هذا هين موجود ، اثنتي يا غلام بعلمة من لبن . فأتاه بها . فأسندته صاحبه إلى صدره وسقاه ، حتى أتى عليها ، ثم تجشأ . فقال صاحبه لصاحب اللبن : أترى هذه الجشأة راحة الموت ؟ قال : أمانك الله وإياه وفطن بأنه خدعة .

للأصمعي في
بخیل

- ومن أمثال العرب في البخل قولهم : ما هو إلا أبنه عصا أو عقدة رشا . لأن عقدة الرشا المبلول لا تكاد تنحل .

مثل في البخل

(١) السند في الأغانى (٩ : ٣٨) : « أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف » .

(٢) في البخلاء ٢٩ : « باستفضال الحبة والحببتين » .

قيل لبختي المدنيه : ما الجرح الذي لا يندمل ؟ قالت : حاجه الكريم الى اللثيم
ثم برده . قيل لها : فما الذل ؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنيا ثم لا يؤذن
له . قيل لها : فما الشرف ؟ قالت : اتخاذ المين في رقاب الرجال .

والعرب تقول لمن لم يظفر بحاجته وجاء خائباً : « جاء فلان على غبيراء
الظهر » . و « جاء على حاجبه صوفه » . و « جاء بخفي حنين » .

وقال أبو عطاء السندي ، في يزيد بن عمر بن هبيرة :
ثلاث حُكمتن لقوم قيس طلبتُ بها الأخوة والثناء

رجمن على حواجبهن صوفٌ وعند الله نَحْسب الجزاء

طعام البخلاء

قال الأصمعي : كان يقول المروزي لزواره إذا أتوه : هل تغدّيتم اليوم ؟ فإن
قالوا : نعم ، قال : والله لولا أنكم تغدّيتم لأطعمتكم لونا ما أكلتم مثله ، ولكن
ذهب أول الطعام بشهوتكم . وإن قالوا : لا ، قال : والله لولا أنكم لم
تغدّوا لسقيتكم أقداحاً من نبيذ الزبيب ما شربتم مثله ، فلا يصبر في أيديهم
منه شيء .

وكان ثمامة بن أشرس إذا دخل عليه أصحابه وقد تعشّوا عنده قال لهم : كيف
كان مبيتكم ومنامكم ؟ فإن قال أحدهم إنه نام ليلته في هدوء وسكون ، قال : النفس
إذا أخذت قوتها اطمأنت . وإذا قال أحدهم إنه لم ينام ليلته قال : إنه من إفراط
الكِظّة والإسراف من البطنه . ثم يقول : كيف كان شربكم للماء ؟ فإن قال
أحدهم : كثيراً قال : التراب الكثير لا يبيله إلا الماء الكثير . وإن قالوا قليلاً .
قال : ما تركت للماء مدخلا .

وكان إذا أطمع أصحابه استلقى على قفاه ، ثم يتلو قوله تعالى : (إنما نُطْعِمُكُمْ
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) . ودخل عليه رجل ، وبين يديه

طبق فراريج ، فغطى الطبق بِذِيْلِهِ ، وأدخل رأسه في جَيْبِهِ ، وقال للرجل
الداخل : أدخل في البيت الآخر حتى أفرغ من بخوري .

من بخل أبي جعفر الهاشمي
وشوى لأبي جعفر الهاشمي ^(١) دُجَاج ، فَقَدَّ نَحْذاً من دُجَاجَةٍ ، فأمر فتودي في
منزله : من هذا الذي تعاطى فمقر ؟ والله لا أخبز في التنور شهراً أو تُرد . فقال
ابنه الأكبر : يا أبت ، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

من بخل سهل ابن هارون
وقال دِعْبِلُ الشاعر : كُنَّا يوماً عند سهل بن هارون ، فأطلنا الحديث ، حتى
أضرَّ به الجوع ، فدعا بغدائه ، فإذا بصَفْحَةٍ عُدْمَلِيَّةٍ ^(٢) فيها عَرَقَ لحم ديك قد هَرَمَ ،
لا تحزَّ فيه السكَّين ، ولا يؤثِّرَ فيه الضرس ، فأخذ قطعة خبز فقلب بها جميع
ما في الصَّفْحَةِ ، فَقَدَّ الرأس ، فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه إلى الغلام وقال :
أين الرأس ؟ قال : رميتُ به . قال : لم ؟ قال : لم أظنَّك تأكله ولا تسأل عنه .
قال : ولأى شيء ظننت ذلك ؟ فوالله إني لأبغض مَنْ يرمى برجله فضلاً عن رأسه ،
والرأس رئيس الأعضاء ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، وفيه العين
التي يضرب بها المثل في الصفاء ، فيقال : شرابٌ مثل عين الديك . ودماغه
عجيب لوجع الكُلْيَةِ ، ولم يُرَ قط عظم أهشَّ من عظم رأسه ، فإن كان بلغ من
جهلك ألا تأكله فعندنا من يأكله ، انظر أين هو ؟ قال : والله ما أدرى أين
رميته . قال : لكني والله أدرى أنك رميت به في بطنك .

من بخل زياد بن عبيد الله
وأهدى رجلٌ من قريش لزياد بن عبيد الله ، وهو على المدينة ، طعاماً ، فثقل
عليه ذلك . فقال : اجمعوا المساكين وأطعموهم إياه ، فجمعوا ، وكُشِفَ عن الطعام ،
فإذا طعام له بالٌ ، فندم على الإرسال للمساكين ، وقال للغلام : انطلق إلى هؤلاء
المساكين ، وقل لهم : إنكم تجتمعون في المسجد فتفسون فيه فتؤذون الناس ،
لا أعلم أنه اجتمع فيه منكم اثنان .

(١) انظر ميون الأخبار (٣ : ٢٤٧) .

(٢) العدملی : القديم .

وقال : دخلت على يحيى بن عبد الله بن خالد بن أمية ، وقوم يأكلون عنده ،
فمدَّ يده إلى رغيف من الخوان فرفعه ، وجعل يرطُّله^(١) بيده ويقول : يزعمون أن
خُبْزى صغير ، فمن هذا الزانى ابن الزانية الذى يأكل نصف رغيف منه ؟
قال : ودخلت عليه يوماً والمائدة موضوعة ، والقوم يأكلون ، وقد رفع بعضهم يده ،
فمدتُ يدي لآكل ، فقال أجهز على الجرحى ، ولا تتعرض للأصحاء . يقول :
تعرض للدجاجة التى قد نيل منها ، والفرخ المزروع الفخذ ، فأما الصحيح فلا تتعرض
له . فهذا معناه فى الجرحى .

وسأل يحيى بن خالد^(٢) أبا الحارث جُجَّين عن طعام رجل ، فقال : أما مائدته
فثَقْبَةٌ ، وأما صحافه فخروطة من حَب الخردل ، وبين الرغيف والرغيف
فترة نبي . قال : فمن يحضرها ؟ قال : الكرام الكانبون . قال : فمن يأكل
معه ؟ قال : الذباب . قال له يحيى : وأرى ثوبك مخزقاً فلا يكسوك ثوباً وأنت
فى صحبته ؟ قال : جُملت فذاك ، والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى الكوفة مملوماً إبراً
وفى كل إبرة منه خيط ، وجاءه يعقوب يسأله إبرة منها ليخيط بها قميص يوسف
أبنه الذى قُذِّ من دُبُر ، ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده لم يفعل .
أخذ هذا المعنى محمد بن مسلمة فقال : يهجو ابن الأغلب :

لو أن قصرِكَ يا ابنَ أغلب كُلهُ
إبرٌ يضيقُ بهنَّ رَحْبَ المنزلِ
وأُتاكُ يوسفُ يستعيرُكَ إبرةً
ليخيطَ قدَّ قميصه لم تفعل

وقيل لُحصين : أتغديت عند فلان ؟ قال : لا ، ولكنى مررتُ به يتغدى .
قيل : فكيف علمت أنه يتغدى ؟ قال رأيت غلمانه يبابه فى أيديهم قسي البندق
يرمون الذباب به فى الهواء .

وقال أبو الحارث جُجَّين^(٣) : دخلتُ على فلان ، فوضع بين أيدينا مائدةً كنَّا
أشوق إلى الطعام إذا رُفعت مِنَّا إليه إذا وُضعت .

(١) رطل القىء : رازه ليعلم وزنه .

(٢) فى بعض الأصول : « حصين » .

(٣) فى عيون الأخبار (٣ : ٢٦٩) : « أبو الحارث جيز » .

من بخل عبد الله
ابن يحيى

ليحيى بن خالد
فى بخل

لحصين فى بخل

وحضر أعرابيٌ مفرقة هشام بن عبد الملك ، فبينما هو يأكل إذ تعلقت شعرة
في لُقمة الأعرابي ، فقال له هشام : عندك شعرة في لُقمتك يا أعرابي . قال : وإنك
لَتلاحظني ملاحظة مَنْ يرى الشعرة في لُقمتي ! والله لا أكلتُ عندك أبدا .
وخرج وهو يقول :

أعرابي على مائدة
هشام

- والموتُ خيرٌ من زيارة باخل يُلاحظ أطراف الأكيل على عمْدٍ
وقال آخر :

لبعض الشعراء

ولو عليك أنكالي في الغداء إذا لَسكتُ أولَ مقتول من الجوع
يقول عند دُماء الضيف مُبتدئا صوتٌ ضعيف وداعٍ غير مسموع
قال المدائني : كان للغيرة بن أبي عبد الله الثقفي ، وهو والي الكوفة ، جَدِي .

من بخل المغيرة
الثقفي

- يوضع على مائدته بعد الطعام ، لا يَمْسُه هو ولا أحد ممن يحضر . فحضر مائدته
أعرابي ، فَبَسَطَ يده وأسرع في الأكل . فقال : يا أعرابي ، إنك لتأكل
الجدى بحَرْدٍ ^(١) كأن أمه نطحتك . فقال له الأعرابي : أصلحك الله ، وأنت تشفق
عليه كأن أمه أرضعتك . ثم بَسَطَ الأعرابي يده إلى بَيْضَةِ بين يديه ، فقال :
خُذْهَا فَإِنَّهَا بَيْضَةُ الْعَقْرِ . فلم يحضر طعامه بعد ذلك .

- ودخل أشعب على والي المدينة ، فحضر طعامه ، وكان له جدى على مائدته
يتحاماها كُلٌّ من حضر ، فبدر إليه أشعب فزقه ، فقال له : يا أشعب ، إن أهل
السِّجْن ليس لهم إمام يصلِّي بهم فإن رأيت أن تكون لهم إماما تصلِّي بهم ، فإن
في ذلك أجراً . فقال : والله ما أحب هذا الأجر ولكن زوجتي طالق إن
أكلت لحم جدى عندك حتى ألقى الله .

أشعب ووالي
المدينة

- قال عمرو بن ميمون : تغذيت يوماً عند الكِنْدِي ، فدخل عليه رجل
كان جاراً وصديقاً لي ، فلم يَعرِضْ عليه الطعام ، ونحن نأكل ، فاستحييت أنا منه
فقلت : سبحان الله ، لو دنوت فأصبت معنا . قال : قد والله فعلت . قال الكِنْدِي :
ما بعد الله شيء . قال : فكُتِفَ والله كُتافاً لو بَسَطَ يده إلى أكل بعده لكان كافراً .

من بخل الكِنْدِي

- ٥ قال : ومررت ببعض طرق الكوفة ، فإذا أنا برجل يُخاصم جاراً له . فقلت : ما بالكما ؟ فقال أحدهما : إن صديقاً لي زارني وأشتمني على رأسا ، فاشتريته له وتقدّينا ، فأخذت عظامه ، فوضعتها عند باب دارى أتجمل بها عند جيرانى ، فجاء هذا وأخذها ، ووضعها على باب داره ، يؤم الناس أنه هو الذى أكل الرأس .
- ١٠ قال رجل من البخلاء لولده^(١) : اشتروا لي لحماً فاشتروا له ، وأمر بطبخه حتى تهرأ ، فأكل منه حتى أتته نفسه ، وشرعت إليه عيون ولده ، فقال : ما أنا مُطعمه أحداً منكم إلا من أحسن صفة أكله . فقال الأكبر : أتعرقه يا أبت حتى لا أدع للذرة فيه مقيلاً ؟ قال : لست بصاحبه . فقال الأوسط : أتعرقه يا أبت حتى لا يُذرى العايه هو أم لعام أول ؟ قال : لست بصاحبه . فقال الأصغر : أتعرقه يا أبت ثم أدقه دقاً ، وأسفه سفا ؟ قال : أنت صاحبه ، وهو لك دونهم .

- ١٥ وقال عمرو بن بحر الجاحظ : كان أبو عبد الرحمن الثورى يعجبه الروس ويصفها ، ويسمى العرس ، لما فيها من الألوان الطيبة ، وربما سماء الكامل ، والجامع ، ويقول : الرأس شئ واحد ، وهو ذو ألوان عجيبه وطعوم مختلفة ، والرأس فيه الدماغ ، وطعمه مفرد ، وفيه العينان ، وطعمهما مفرد ، والشحمة التى بين أصل الأذن ومؤخر العين ، وطعمها مفرد ، على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المنخ وأرطب من الزبد ، وأدسم من السلاء . وفى الرس اللسان ، وطعمه مفرد ، والخيشوم ، والغضروف ، ولحم الخدين ، وكل شئ من هذه طعمه مفرد . والرأس سيّد البدن ، والدماغ هو معدن العقل ، وخاصة الحواس ، وبه قوام البدن ، وفيه يقول الشاعر^(٢) :

إذا نزعوا رأسى وفى الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سائرى
وقيل لأعرابى : اتحسن أن تأكل الرأس ؟ قال : نعم أبخّص عينيه ، وأفكّ
لحميه ، وأشعّى خديه ، وأرمى بالدماغ إلى من هو أحقّ به منى .

لأعرابى سئل عن
أكل الرأس

(١) انظر البخلاء ١٨٢ .

(٢) البيت للشنفرى الأزدي من مقطوعة فى حاسة أى تمام .

وكانوا يكرهون أكل الدماغ ، ولذا يقول قائلهم :

* ولا أبتغى المخ الذى فى الجماجم ^(١) *

- وكان أبو عبد الرحمن يجلس مع أبنه يوم الرأس ويقول له : إياك ونهم الصبيان ،
وبغى السباع ^(٢) ، وأخلاق النواج ، ونهش الأعراب ، وكل ما بين يديك ، فإنما
حظك منه ما قابلك . وأعلم أنه إذا كان فى الطعام شيء طريف ، من لقمة كريمة
أو مضغة شهية ، فإنما ذلك للشيخ المعظم ، والصبي المدلل ، ولست بواحد منهما .
وقد قالوا مَدْمِنُ اللحم كَمَدْمِنِ الخمر . أى بنى ، لا تخضم خضم البراذين ، ولا تدمن
الأكل إدمان النعاج ، ولا تلقم لقم الجمال ، ولا تنهش نهش السباع ، وعود نفسك
الأثرة ، ومجاهدة الهوى والشهوة ، فإن الله جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة ،
واحذر صرعة الكظة وسرف البطنة ، فقد قال بعض الحكماء : إذا كنتَ نهماً
فعد نفسك من الزمنى . واعلم أن الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم ،
والسقم داعية الموت ، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة ، لأنه قاتل نفسه ،
وقاتل نفسه الأم من غيره . أى بنى ، والله ما أدنى حق الركوع والسجود
ذو كظة ، ولا خشع لله ذو بطنة ، والصوم مَصَحَّةٌ ، والوجبات عيش الصالحين . أى
بنى ، لأمر ما طالت أعمار الرهبان ، وصحت أبدان الأعراب ، والله در الحارث
ابن كَلْدَةَ حيث زعم أن الدواء هو الأزم ^(٣) ، وأن الداء كله هو من فضول الطعام ،
فكيف لا يرغب فى شيء يجمع لك صحة البدن ، وذكاء الذهن ، وصلاح الدين
والدنيا ، والقرب من عيش الملائكة ؟ أى بنى ، ما صار الضب أطول شيء عمراً
إلا أنه يبْلَغُ بالنسيم ، وما زعم الرسول أن الصوم وجاء إلا أنه جعله حِجَازاً دون
الشهوات ، فأفهم تأديب الله ، وتأديب الرسول . أى بنى ، قد بلغت تسمين عاماً
ما نقص لى سن ، ولا أنتشر لى عصب ، ولا عرفت وكف أنف ، ولا سِيلان

نصيحة أبى
عبد الرحمن لابنه

(١) عجز بيت للنجاشى . والبيت كاملاً كما فى البيان (٣ : ٥٧) :

ولا يأكل الكلب السروق نعالهم ولا تفتنى المخ الذى فى الجماجم

(٢) بقر ، كفرح ومنع : شرب فلم يرو فأخذه داء من الشرب .

(٣) الأزم : ترك الأكل وألا تدخل طعاماً على طعام .

عين ، ولا سَلَس بول ، وما لذلك علة إلا التخفف من الزاد . فإن كنت تُحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تُحب الموت ، فلا أبعد الله غيرك .

من بخل أبي
الأسود

ومن البخلاء أبو الأسود الدؤلي ، وقفت عليه امرأة وهو في فسطاط ، وبين يديه طبق تمر ، فقالت : السلام عليك . قال أبو الأسود : كلمة مقبولة .

ووقف عليه أعرابي ، وهو يأكل ، فقال الأعرابي : أدخل ؟ قال : وراءك أوسع لك . قال : الرّمضاء أحرقت رجلي . قال : بلّ عليهما يبردان . قال :

أتأذن لي أن آكل معك ؟ قال : سيأتيك ما قدراك . قال : تالله مارأيت رجلاً ألام منك . قال : بلى قد رأيت إلا أنك نسيت . ثم أقبل أبو الأسود يأكل

حتى إذا لم يبق في الطبق إلا تمرات يسيرة نبذها له ، فوقعت ثمرة منها فأخذها الأعرابي ومسحها بكسائه . فقال أبو الأسود : يا هذا إن الذي تمسحها به أقدر

من الذي تمسحها منه . قال : كرهت أن أدها للشيطان . قال : لا والله ولا لجبريل وميكائيل ما كنت لتدعها .

الأصمعي قال : قال سمر رجل بأبي الأسود الدؤلي ، وهو يقول : من يُعشى الجائع ؟ فقال أبو الأسود : على به ، فأتاه بعشاء كثير . وقال : كُل حتى تشبع ، فلما

أكل ذهب ليخرج ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أهلي . قال : لا أدعك تؤذي المسلمين الليلة بسؤالك ، اطرحوه في الأدم ، فبات عنده مكبولا ، حتى أصبح .

ابن أبي حفصة
وضيف

قال الهيثم بن عدي : نزل بابن أبي حفصة ضيفاً باليمامة ، فأخلى له المنزل ، ثم هرب عنه مخافة أن يلزمه قراه تلك الليلة ، فخرج الضيف ، فاشترى ما يحتاجه ،

ثم رجع وكتب إليه :

يا أيها الخارج من بيته وهارباً من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له فارجع تكن ضيفاً على الضيف

وقال آخر :

بت ضيفاً لهشام في شرابي وطعامي
وسراجي الكوكب الذي في داجي الظلام .

لا حراماً أجد الخبز ولا غير الحرام

وله :

بت ضيفاً لهشام فشكا الجوع عدمته

وبكى لا صنع الله له حتى رحته

- ابن المقفع وبخيل
دعاه
- وكان شيخ من البخلاء يأتي ابن المقفع ، فألح عليه أن يتغدى عنده في منزله ، فيمطله ابن المقفع ، فيقول : أتراني أتكلف لك شيئاً ؟ لا والله لا أقدم لك إلا ما عندي ، فلا تتأقل عليّ . فلم يزل به حتى أجابه ، وأتى به إلى منزله ، فإذا ليس عنده إلا كسر يابسة وملح جريش ، فقدمه له . ووقف سائل بالباب ، فقال له : بُورك فيك ، فألح في السؤال ، فقال : والله لئن خرجت إليك لأدقن ساقيك . فقال ابن المقفع ، للسائل : أرح نفسك وانج ، والله لو علمت من صدق وعيده ما علمت أنا من صدق وعده ما وقفت ساعة ولا راجعته كلمة^(١) .

- بخيل وسائلون
- وانتقل رجل من البخلاء إلى دار ابتاعها ، فلما حلها وقف سائل ، فقال له : صنع الله لك ، ثم وقف ثان ، فقال له مثل ذلك ، ثم وقف ثالث ، فقال له مثل ذلك . فقال لابنته : ما أكثر السؤال في هذا المكان . فقالت له : يا أبت . ما تمسكت لهم بهذا القول ، فما تبالي أكثر وأم قلوا ؟

- العرب
- الأصمعي قال : تقول العرب : ما علمتك إلا برّ ما قرونا .
البرم : الذي يأكل مع أصحابه ، ولا يجعل شيئاً ، والقرون : الذي يأكل تمرتين تمرتين .

- من يخل حميد
الأرقط
- والأم اللثام كلهم وأبخل البخلاء حميد الأرقط الذي يقال له : هجاء الأضياف ، وهو القائل في ضيف نزل به وآكله :

- ما بين لقمته الأولى إذا انحدرت وبين أخرى تليها قيد أظفور

وله :

تُجهز كَفَاه ويحدر حلقه إلى الزورِ ما ضمت عليه الأنامل
أَتَانَا وما ساواه سبحانه وائل بياناً وعلماً بالذي هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العمى لما أن تكلم باقل

وله في الأضياف :

لامرحباً بوجوه القوم إذ دخلوا دُسمَ العائم تحكها الشياطينُ
ألفيت جُلَّتْنَا الشَّهْرِيْزَ بينهم كَانَ أَيْدِيهِمْ فِيهَا السَّكَاكِينُ^(١)
فأصبحوا والنوى على مُعرَّسهم وليس كل النوى تلقى المساكين

ما قالت الشعراء في طعام البخلاء

لجرير في بني تغلب

١٠ فمن أهبى ما قيل في طعام البخلاء قول جرير في بني تغلب :
والتغلبى إذا تفتحح للقرى حاك أسننه وتمثل الأمثالا
وقوله فيهم :

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم إذا نبسح الأضياف كلامهم قالوا لأهمم بولي على النار

لراعي

١٥ وقال الراعي :

اللاقطين النوى تحت الثياب كما تجت كوادن^(٢) دُهم في تخالها

فأين هؤلاء من الذين يقول فيهم الشاعر :

أبلج بين حاجبيه نوره إذا تغذى رُفعت ستوره

لبعضهم

ولآخر :

٢٠ أبو نوح أتيت إليه يوماً فقداني برائحة الطعام
وقدم بيننا لحماً مميذاً أكلناه على طبق الكلام

(١) الدهريز والسهريز : ضرب من التمر .

(٢) الكوادن : جمع كودن ، وهو الفرس من الهجين .

فلما أن رفعتُ يدي سَقَانِي كَثُوسًا حَشَوْهَا رِيحَ الْمَدَامِ
فَسَكَانَ كَمَنْ سَقَى ظِلَّانَ آلَا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي الْمَنَامِ
وَلَا خَر :

لحماد مجرد ولحماد مجرد :
تَرَامَ خَشْيَةَ الْأَضْيَافِ خُرْسًا يَصَلُّونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانِ

بعضهم وَلَا خَر :
حُرَيْثُ أَبُو الصَّلَاتِ ذُو خُبْرَةٍ بِمَا يُصْلِحُ الْمَعْدَةَ الْفَاسِدَةَ (١)
تَخْشَوْفُ تَخْمَةَ إِخْوَانِهِ فَمَوَدِّمُ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ

أَتَانَا بِخُبْزٍ لَهُ جَامِضٌ كَمَثَلِ الدَّرَامِ فِي رَقَّتِهِ
إِذَا مَا تَنَفَّسَ حَوْلَ الْخَوَانِ تَطَايَرُ فِي الْبَيْتِ مِنْ خِفَّتِهِ
فَنَحْنُ كَغَطُومٍ لَهُ كُفْلْنَا يَرِدُ التَّنَفَّسُ مِنْ خَشْيَتِهِ
فَيَكْلِمُهُ اللَّحْظُ مِنْ رَقَّةٍ وَيَأْكُلُهُ الْوَنَمُ مِنْ قَلَّتِهِ

لعرابي في رجل نَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِبَخِيلٍ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ جَرَادًا فَعَاَفَهُ ، وَأَمَرَ بِرَفْعِهِ وَقَالَ :

لَحَا اللَّهُ بَيْتًا ضَمَنِي بَعْدَ هَبْجَةٍ إِلَيْهِ دَجُوجِيٍّ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمٍ
فَأَبْصَرْتُ شَيْخًا قَاعِدًا بِفَنَائِهِ هُوَ الْقَيْرُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ
أَتَانَا بِبُرْقَانِ الدَّبِي فِي إِنَائِهِ وَلَمْ يَكْ بُرْقَانُ الدَّبِي لِي مَطْعَمٍ
فَقُلْتُ لَهُ غَيِّبْ إِنْ أَوَّكَ وَاعْتَزَلْ فَمَا ذَاقَ هَذَا لَا أَبَالِكَ مَسْلَمٍ

القطامي في عجوز ضَافَ الْقُطَامِيُّ الشَّاعِرُ فِي لَيْلَةِ رِيحٍ مُمَطَّرَةٍ إِلَى عَجُوزٍ مِنْ مُحَارِبٍ ، فَلَمْ تَقْرَأْ شَيْئًا
فَرَحَلَ عَنْهَا وَقَالَ :

تَضَيِّفْتُ (٢) فِي بُرْدٍ وَرِيحٍ تَلْفَنِي وَفِي طَرْمِيسَاءَ غَيْرِ ذَاتِ كَوَاكِبِ
إِلَى حَيْرِ بُونٍ تُوقِدُ النَّارَ بَعْدَمَا تَلْفَعَتِ الظُّلُمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

(١) البيتان في عيون الأخبار (٣ : ٢٤٤) والأغاني (١٣ : ٧٨) .

(٢) في الديوان (٥١) : « تلفعت » . وفي ط. قبل هذا البيت :

سَأَخْبِرُ بِالْأَنْبَاءِ عَنْ أَمِّ مَنْزِلٍ تَضَيِّفُهَا بَيْنَ الْمَذْيَبِ فِرَاسِبِ

تَصَلَّى بِهَا بَرْدَ الْعِشَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
فَمَا رَأَاهَا إِلَّا بُغَامَ مَطْلَيْتِي
فَجُنْتُ جُنُونًا مِنْ دِلَالِ مَنَاخَةٍ (١)
سَرَى فِي جَلِيدِ اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا
تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتَ كُورِي وَنَاقَتِي
فَسَلَّمْتَ وَالتَّسْلِيمُ لَيْسَ يَصْرُهَا
فَرَدَّتْ سَلَامًا كَارَهَا ثُمَّ أَعْرَضَتْ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُهَا
مِنَ الْمُشْتَوِينَ الْقِدِّ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ
فَلَمَّا بَدَأَ حَرَمَانُهَا الضَّعِيفَ لَمْ يَكُنْ
وَقَتَّ إِلَى مَهْرِيَّةٍ قَدْ تَمَوَّدَتْ
إِلَّا إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا شَقُوا
وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ :

٣٢٩
٣

٥

١٠

كَذَّاهُ لَمْ تُخْلَقْ لِلنَّفْسِ دِي
فَكَفَّ عَنْ الْخَيْرِ مَقْبُوضَةٌ
وَكَفَّ ثَلَاثَةَ آلَافِهَا
وَلَمْ يَكْ بِخُلُومَا (٢) بِذَعِهِ
كَأَنَّ قَصَصَ مَائَةِ سَبْعَةٍ (٣)
وَتَسَعُ مِثْلَهَا لَهَا شِرْعُهُ

١٥

وقال غيره :

وَجِيرَةٌ لَا تَرَى فِي النَّاسِ مِثْلَهُمْ إِذَا يَكُونُ لَهُمْ عِيدٌ وَإِفْطَارٌ

(١) تريح بمحسور ، أى تخرج نفسها . والمحسور : الضعيف .

(٢) الدلائل : الناقة الماضية .

(٣) تنحزم بالأطراف ، أى أدخل فيها .

(٤) الجانب : الغريب .

(٥) الرواية في الديوان :

من المشتوين القيد مما تراهم جياها وريف الناس ليس بناضب

(٦) الأبيات في عيون الأخبار (٢ : ٣٥) .

(٧) في عيون الأخبار : « تسعة » . وفي اللسان والتاج : (شرح) : « كما حط عن

مائة سبعة » . وانظر بلوغ الأرب (٣ : ٣٩٦ — ٣٩٩) .

الخليل بن أ

ليضمهم

٢٠

٢٥

إن يوقدوا يُسمعونا من دُخانهمُ وليس يبلغنا ما تُنضج النار

وقال أحمد بن نعيم السلي في بني حسان :

لابن نعيم في بني
حسان

إذا احتفلوا للضيف لهوجٍ قدّرم جراديم أشباه النخامة تُبلع^(١)

تبل خِتان الضيف حتى تريبه ويُصبح من عين أسته يتطلع

ويقر بك مَنْ أكرهته من سوادهم قري الجنّ أو أدنى لجوعٍ وأبشع^(٢)

عظاماً وأرواثاً وبعراً وإن يكن لدى القوم نارٌ يشتوى لك ضفدع

ولآخر :

لبعضهم

فبتنا كأننا بينهم أهلٌ ماتم على مَيّت مُستودع بطن ملحد

يحدث بعضٌ بعضنا بمُصابه ويأمر بعضٌ بعضنا بالتجلّد

ولآخر :

١٠

ذهب الكرام فلا كرام وبقي المضاريط اللثام

من لا يُقيل ولا يُنيل ولا يُشم له طعام

ولآخر :

صدّق أليته إن قال مجتهدا : لا والرغيف ، فذاك البرّ من قسمه

١٥

فإن هممت به ، فانيك بخبرته فإبّ موقمها من لجه ودمه

قد كان يُعجبني لو أن غيرته على جرادقه كانت على حرمة

ولآخر :

إن هذا الفتى يصون رغيفاً ما إليه لناظر من سبيل

هو في سُقرتين من آدم الطا ثف في سلّتين في منديل

في جراب في جوف تابوت موسى والمفاتيح عند ميكائيل

وقال أبو نواس في فضل الرقاشي :

لأبي نواس في
الرقاشي

رأيت قدور الناس سوداً من الصلّى وقدّر الرقاشيين زهراء كالبدر

يضيق بحيزوم البعوضة صدرها ويخرج ما فيها على طرف الظفر

٣٣٠
٣

(١) كذا . وفي ن : « حلازيم » .

(٢) انظر الكلام على طام الجن في الحيوان (٤ : ٦ / ٢٥٧ : ٢١٠) .

إذا ما تنادوا للرَّحِيل سَمَى بِهَا أَمَامَهُمُ الْحَوْلَى مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ
وقال في إسماعيل الكاتب :

وفي إسماعيل
الكاتب

خُبِرَ إسماعيل كالوُدِّ عِى إِذَا مَا انشَقَّ يُرْفَا
عَجَبًا مِنْ أَثَرِ الصَّنِيعَةِ فِيهِ كَيْفَ يَخْفَى
إِنْ رَفَاكَ هَذَا أَلْطَفَ الْأُمَّةِ كَفَا
فَإِذَا قَابِلٌ بِالنَّصْفِ مِنَ الْجَرْدِ نِصْفَا
أَحْكَمَ الصَّنِيعَةِ حَتَّى مَا يَرَى مَغْرَزَ إِشْنَى

٥

ولآخر :

لبعضهم

ارْفَعْ يَمِينَكَ مِنْ طَعَامِهِ إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي كَلَامِهِ
سَيَّانٍ كَثُرَ رَغِيْبُهُ أَوْ كَثُرَ عَظْمٌ مِنْ عَظَامِهِ
ولآخر (١) :

١٠

رَأَيْتُ الْخُبْرَ عَنِّي لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الْخُبْرَ فِي جَوْ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحَتَنَا لِنُذَبِّ عَنْهَا وَلَكِنْ خَفْتُ مَرَزَّةَ الذَّبَابِ
ولآخر :

زَرْتُ أَسْرَأَ فِي بَيْتِهِ مَرَّةً لَهُ حِبَاءٌ وَلَهُ خَيْرٌ
يَحْذَرُ أَنْ يَتَخَمَّ إِخْوَانَهُ إِنْ أَذَى الثُّخْمَةَ مُحْذُورٌ
وَيَشْتَهَى أَنْ يُؤْجَرُوا عِنْدَهُ بِالصَّوْمِ وَالصَّائِمِ مَأْجُورٌ

١٥

ومن قولنا في نحوه :

لابن مبدربه

طَعَامٌ مِنْ لَسْتُ لَهُ ذَاكِرًا دَقٌّ كَمَا دَقَّ بَأْنُ يَذْكُرَا
لَا يُفْطِرُ الصَّائِمُ مِنْ أَكْلِهِ لَكِنَّ صَوْمٌ لِمَنْ أَفْطَرَا
فِي وَجْهِهِ مِنْ لُؤْمِهِ شَاهِدٌ يَكْفِي بِهِ الشَّاهِدُ أَنْ يُخْبَرَا
لَمْ تَعْرِفِ الْمَعْرُوفَ أَعْمَالَهُ قَطًّا كَمَا لَمْ يُنْكَرِ الْمُنْكَرَا

٢٠

(١) هو أبو الشقيق كما في البخلاء ٥٩ . وانظر حواشي الحيوان (٣ : ٣١٧) .

وقال آخر^(١) :

لبعضهم

خليلى من كعب أعينا أذا كما على دهره إن الكريم معين
ولا تبغلا بخل ابن قزعة^(٢) إنه مخافة أن يرجى نداء حزين
كان عبيد الله لم يلق ما جدا ولم يدر أن المكرمات تكون
فقل لأبى يحيى متى تدرك الملا وفى كل معروف عليك يمين
إذا جئته فى حاجة سد بابها فلم تلقه إلا وأنت كمين

باب من أخبار البخلاء

الرياشى قال : صاحب رجل رجلا من البخلاء ، فقال له : أحملنى . فقال :
ما كنت لأنزل وأحملك . قال : ما أنت بحاتم حيث يقول :

بين بخيلين

أنحها فأردفه فإن حملتكما فذاك وإن كان العقاب فعاقب^(٣)
قال : ما فيها عمل ، ولا بى طاقة على المشى . وقد قال شاعرهم حاتم :
أماوى إماما مانع فبين وإماما عطاء لا ينهيه الزجر
وقال كثير عزة :

لكثير عزة

مُهين تلاد المال فيما ينوبه ممنوع إذا مانعته كان أحزما
سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت من بعض الولاة حاجة ، فلم يقضها ،
فتشفع إليه برجل فقضاها ، فقال :

ذمت ولم تحمد وأدركت حاجتى تولى سواكم أجرها وأصطناعها
أبى لك كسب المجد رأى مقصر ونفس أضاق الله بالخسير باعها
إذا هى حشته على الخير مرّة عصاها ، وإن همت بشر أطاعها

احتجاج أبو الأسود الدؤلى مرة ، فبعث إلى جاره له مؤسرا يستألفه ، وكان
حسن الظن به ، فاعتل عليه وردة ، فقال :

أبو الأسود
وجار له

(١) هو بشار بن برد . انظر السكامل (٢٢٤) .

(٢) هو عبد الله بن قزعة أبو الغيرة وفى حيون الأخبار (١ : ٨٨) : « ابن قزعة » .

(٣) العقاب : أن يركب كل منهما عقب الآخر . والبيت فى ديوان حاتم ١٨ .

لا تُشعرن النفس يأساً فإنما يعيش بجَدِّ حازمٍ وبليدٍ
ولا تَطْمَعَنَّ في مالٍ جارٍ لقربه فكلُّ قريب لا يُنال بعيد

وكتب إلى آخر يستسلمه ، فكتب إليه : المؤونة كثيرة ، والفائدة قليلة ،
والمال مكذوب عليه . فكتب إليه أبو الأسود : إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ،
وإن كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً .

وقال بعض الشعراء^(١) في بخيل :
لبعض الشعراء في
بخيل

ميت مات ، وهو في كنف العيش مُقيم في ظل عيش ظليل
في عداد الموتى وفي عامر الدنيا أبو جعفر أخى وخليلى^(٢)
لم يمت ميتة الحياة ولكن مات عن كل صالح وجيل
ولآخر :

لبعضهم

فأما قرأه كله فلنفسه ومالٌ يزيد كله ليزيد
ولآخر :

له يومان يوم ندَّى ويوم يسلّ السيف فيه من القراب
فأما جوده فعلى النصارى وأما بأسه فعلى الكلاب
ولآخر :

كدحت بأظفاري وأعملت مغولي فصادفت جلوداً من الصخر أملسا^(٣)
تجهّم لما جئت في وجه حاجتي وأطرق حتى قلت قد مات أوعسى
فأجمعت أن أنعاه لما رأيته يفوق فواق الموت حتى تنفّسا
وأنشد أبو جعفر البغدادي للجلودى :

للجلودى

جاء بدينارين لي صالح أصلحه الله وأخزاهما
أدناهما تحمّله ذرة وتلعب الريح بأوقاهما

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، كما في البيان والتبيين (١ : ٦٥ طبع لجنة التأليف) .

(٢) أبو جعفر : كنية أحمد بن يوسف الذي قيل فيه هذا الشعر .

(٣) الكدح : الحدش . وفي الأصل : « قدحت » ولا وجه له .

بل لو وزننا لك ظليهما ثم عمدنا فوزناهما
 لكان لا كانا ولا أفلحا عليهما يَرْجِع ظلالهما
 ولحماد مجرد :

لحماد مجرد

أورق بخير تؤمل للجزيل فما تُرجى الثمار إذا لم يُورق العودُ
 إنَّ الكريم ترى في الناس عِفَّة حتى يُقال غني^(١) وهو مجبور
 وللبخيل على أمواله عِلَل زُرُق العيون عليها أوجهٌ سود
 وأنشد :

٣٣٢
 ٣

جاد ابن موسى من دنائره لنا بدينارين أسراراً
 كلاهما في الكفة من خِفَّة لو نَفَخَا من قَرْسَخ طاراً
 قلت وقلبي لهما مُنْكَر أريهما للحين قَسْطَاراً^(٢)
 فكان هذا عنده بهرجا وكان هذا عنده باراً
 ثم وزننا واحداً منهما كان له القسطار مختاراً
 فكان في كِفَّة ميزانه ينقص قسراطا وديناراً

باب ما قيل في البخلاء

سمع رجل أبا العتاهية^(٣) ينشد :
 فارى بطرفك حيث شئتَ فلن ترى إلا بخيلاً
 فقال له : بخلت الناس كلهم . قال : فأرني واحداً سمحاً
 وقال ابن أبي حازم :

بين أبي العتاهية
وبعضهم

لابن أبي حازم

وقالوا لو مدحت فتى كريماً فقلت وأين لي بفتى كريم ؟
 بلوتُ ومرتُ بي خمسون عاماً وحسبك بالجُرْب من عليم
 فلا أحدٌ يُعد ليوم خير ولا أحد يعود على عديم
 ولاحر :

لبعضهم

لما رأنا فرَّ بوابه وأنشد من غير يد بابه

(١) في ن : « حتى يقال غنيا » . (٢) القسطار ، بفتح القاف : متقد الدرام .

(٣) كذا في بعض الأصول وديوان أبي العتاهية . والذي في سائر الأصول : « ابن المناذر » . ٢٥

كلب له من بعضه حاجب يحجبه إن غاب حجابه
ومن قولنا :
لابن عبدربه

جعل الله رزق كل عدو لي بكف لبعض من لا أتمنى
كف من لا يهز عطفه يوماً
يتلقى الرجاء منه بوجه
جثته زائراً فما زال يشكو
ألف اللوم فيه من كل طرف
قد نهاني النصيح عنه مراراً
ومن قولنا :

١٠ براعة غرني منها وميض سقى
حتى مدت إليه الكف مقتبسا^(١)
فصادفت حجراً لو كنت تضربه
من لومه بعضاً موسى لما أنبجسا
كأنما صيغ من بخل ومن كذب
فكان ذاك له روحاً وذا نفساً
كلب يهر إذا ما جاء زائره
حتى إذا جاء مهدي تحفة نبسا
ومن قولنا :

١٥ صحيفة طابعها الأوم
عنوانها بالبخل مخنوم
أهداكها وأخلف في طيها
والطل والتسويق واللوم
من وجهه خمس ومن قربه
رجس ومن عرفانه شوم
لا تهتمهم إن كنت ضيقاً له
فخبزه في الجوف هاضوم
تكلمه الأخطا من رقة
فهو بلحظ العين مكلوم
لا تأندم شيئاً على أكله
فانه بالجوع مأدوم

احتجاج البخلاء

الأصمى : قال أبو الأسود الدؤلي : لو أطعمنا المساكين أموالنا لكنا أسوأ
حالا منهم .
لأبي الأسود

(١) البراع : ذباب يطير بالليل كأنه نار ، الواحدة براعة .

وقال ابنه : لا تُطيعوا المساكين في أموالكم ، فإنهم لا يقنعون منكم حتى يروكم مثلهم .

ما وصى أبو
الأسود به بنه

وقال لهم أيضاً : لا تُجاودوا الله ، فإنه لو شاء أن يُغنى الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوماً لا يصلحهم الفنى ولا يصلح لهم إلا الفقر ، وقوماً لا يصلحهم الفقر ولا يصلح لهم إلا الفنى .

٥

وقال سهل بن هارون : لو قسمت في الناس مائة ألف لكان الأكثر لأمي . ونحوه قول ابن الجهم : مَنع الجميع أرضي للجميع .

لابن هارون

لابن الجهم

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلاً من رندة أسأله ، فقال : يا أخا بني تغلب ، إني لن أصالك حتى أحرم من هو أقرب إلي منك ، وإني والله لو مكنت من دارى لنقضوها طوبة طوبة . والله يا أخا بني تغلب ، ما بقي بيدي ١٠ من مالى وأهلى وعرضي إلا ما منعه من الناس .

بين كندى
وتغلب

وهذا نظير قول الآخر : مَن أعطى في الفضول قصر عن الحقوق .

لبعضهم

وقال رجل لسهل بن هارون : هبني ما لا مرزئة عليك فيه . قال : وما ذاك يا ابن أخي ؟ قال : درهما واحداً . قال : يا ابن أخي . لقد هوت الدرهم ، وهو طابع الله في أرضه الذي لا يعصى ، والدرهم ويحك عشر العشرة ، والعشرة عُشر المائة ، ١٥ والمائة عُشر الألف ، والألف دية المسلم . ألا ترى يا ابن أخي إلى أين انتهاء الدرهم الذي هوتته ؟ وهل يبوت المال إلا درهم على درهم .

بين سهل بن
هارون وسائل

وروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بني ، أوصيك بأثنين ما تزال بخير ما تمسكت بهما : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .

ما أوصى لقمان
به ابنه

وقال أبو الأسود : إمساكك ما بيدك خيرٌ من طلبك ما بيد غيرك . ٢٠ وأنشد في المعنى :

لأبي الأسود

يلومونني في البخل جهلاً وضلةً وللبخل خيرٌ من سؤال بخيل

ونظيره قول المتلمس :

للمتلّمس

وحبس المال خيرٌ من بُغاه وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد
وقيل لخالد بن صفوان : ما لك لا تنفق فإن مالك عريض ؟ قال : الدهر
أعرضُ منه . قيل له : كأنك تؤمل أن تعيش الدهر كله ؟ قال : لا ، ولكن
أخاف ألا أموتَ في أوله . ٥

وقال الجاحظ للحزامي : أترضى أن يُقال لك بخيل ؟ قال : لا أعدمني الله
هذا الأسم ، لا يُقال لي بخيل إلا وأنا ذو مال ، فسلم لي المال وسمني بأى أسم
شئت . قلت : ولا يقال لك سخي ؟ إلا وأنت ذو مال ، فقد جمع الله لأسم السخاء
المال والحمد ، وجمع لأسم البخل المال والذم . قال : بينهما فرقٌ عجيب وبون بعيد ،
إن في قولهم بخيل سبباً لمكث المال في ملكي ، وفي قولهم سخي سبباً لخروج
المال عن ملكي ، واسم البخيل فيه حزم ، واسم السخي فيه تضييع وحسد ، والمال
ناض نافع ومكرم لأهله ، والحمد ربح وسُخريه وسُمة وطرمذة^(١) ، وما أقل
غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه ، وعرى ظهره ، وضاع عياله ، وشمت به عدوه . ١٠

وقال محمد بن الجهم : من شأن من أستغنى عنك ألا يُقيم عليك ، ومن أحتاج
إليك ألا يزول عنك ، فمن حُبك لصديقك وضنك بمودته ألا تبذل له ما يُغنيه
عنك ، وأن تقلب له فيما يُحوجه إليك . وقد قيل في مثل هذا : أجمع كلبك
يتبعك وسمنه يأكلك . فمن أغنى صديقه فقد أعانه على الغدر ، وقطع أسبابه من
الشكر ، والمعين على الغدر شريك الغادر ، كما أن مُزِين الفجور شريك الفاجر . ٣٣٤
٣

وقال يزيد بن عمر الأسدي لبنيه : يا بني ، تعلموا الرد فإنه أسدٌ من العطاء ،
ولأن تعلم بنو تميم أن عند أحدكم مائة ألف درهم أعظمُ له في أعينهم من أن يقسمها
عليهم ، ولأن يُقال لأحدكم بخيل وهو غني ، خيرٌ له من أن يقال له سخي وهو فقير . ٢٠

(١) الطرمذة : المفاخرة والصلف .

وقال الجذامى : يقولون : ثوبك على صاحبك أحسنُ منه عليك ، فما ظنك إن كان أقصر منى ؟ أليس يتخيل فى قبصى ؟! وإن كان أطول منى ، أليس يصير آيةً للسائلين ؟! فَمَنْ أسوأ أثراً على صديقه ممن جعله ضحكة ، فما ينبغي لى أن أكسوه حتى أعلم أنه فيه مثلى ، ففى يتفق هذا ؟

للجذامى

- وقال أبو نواس : كان معنا فى السفينة ، ونحن نريد بغداد ، رجل من أهل نهر اسان ، وكان من فقهاءهم وعقلائهم ، وكان يأكل وحده ، فقلت له : لم تأكل وحده ؟ فقال : ليس علىّ فى هذا مسألة . إنما المسألة على مَنْ أكل مع الجماعة لأنه يتكلف ، وأكلى وحدى هو الأصل ، وأكلى مع الجماعة تكلف ما ليس علىّ .
- ووقع درهم بيد سليمان بن مزاحم ، فجعل يقلبه ويقول : فى شقّ : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفى شق آخر : قل هو الله أحد ، ما ينبغي لهذا أن يكون إلا تعويذاً ورقية . ورمى به فى الصندوق .

بين أبي نواس
وفقيهلابن مزاحم
فى درهم

وكان أبو عيسى بخيلاً ، وكان إذا وقع الدرهم بيده طنّه بظفره ، وقال : يا درهم ، كم من مدينة دخلتها ، وأيد دوختها ، فالآن استقرّ بك القرار ، واطمأنت بك الدار . ثم رمى به فى الصندوق .

لابن عيسى
فى مثله

- وقال رجل لثأمة بن أشرس : إن لى إليك حاجة . قال : وأنا لى إليك حاجة . قال : وما حاجتك لى ؟ قال : لا أذكرها حتى تضمن قضاءها . قال : قد فعلت . قال : فإن حاجتى لك ألا تسألنى حاجة . فأصرف الرجل عنه .

بين ابن أشرس
وسائل

- وكان ثأمة يقول : ما بال أحدكم إذا قال له الرجل : اسقنى ، أتى بإناء على قدر الرى أو أصغر ؟ وإذا قال : أطعمنى ، أتاه من الخبز بما يفضل عن الجماعة ، والطعام والشراب أخوان ؟ أما إنه لولا رخص الماء وغلاء الخبز ما كلبوا على الخبز وزهدوا فى الماء . الناس أرغب شىء فى الماء كقول إذا كثرت منه أو كانت قليلاً فى منبته ، ألا ترى الباقلاء الأخضر أطيبُ من الكمثرى ، والباذنجان أطيب من الكأّة ، ولكن أهل التحصيل والنظر قليل ، وإنما يشتهون على قدر الثمن .

وله فى الحرص

وكان يقول : إيتاكم وأعداء الخبز أن تأتدموا بها ، وأعدى عدو له المالح ،
فلولا أن الله أعان عليه بالماء لهلك الحُرث والنَّسل . وكان يقول : كلوا الباقلاء
بقشره ؛ فإن الباقلاء يقول : من أكلني بقشري فقد أكلني ، ومن أكلني بغير
قشري فقد أكلته ، فما حاجتكم أن تصيروا طعاماً إلى طعامكم ؟

بين أبي هبيرة
ورجل من بني
عقيل

٥ الأصمعي قال : جاء رجل من بني عقيل إلى عمر بن هبيرة فَمَتَّ إليه بقرابة
وسأله أن يُعطيه ، فلم يُعطه شيئاً ، ثم عاد إليه بعد أيام ، فقال : أنا العُقيلي الذي
سألتك منذ أيام فقال له ابنُ هبيرة : وأنا الفزاري الذي منعتك منذ أيام . فقال :
معذرة إليك ، إني سألتك وأنا أظنك يزيد بن هبيرة المحاربي . قال : ذلك ألام
لك عندي ، وأهون بشأنك عليّ . نشأ في قومك مثلي فلم تعرفه ، ومات مثل
يزيد ولم تعلم به ، يا حرسى ، أسفع بيده ^(١) .

من أشعار
بعضهم في البخل

ومن أشعار البُخلاء الذين يتمثلون بها :
وزهدني في كُلِّ خَيْرٍ صَنَعْتُهُ إلى الناس ما جرتُ من قلة الشُّكر
ولآخر :

لابن هرمة

ارقعَ قَيْصَكَ ما أَهْتَدَيْتَ لِحَيْبِهِ فإذا أَضَلَّكَ حَيْبُهُ فَاسْتَبْدِلْ
ولابن هرمة :

٣٣٥
٣

قد يُدرك الشرفَ الفتي ورداؤه خَلَقَ وَجَيْبٌ قَيْصَهُ مَرَقوعُ
ومن أمثالهم في البُخل وخُلْفَ الوعد قولهم : تَخْتَلِفُ الأقوالُ إذا اختلفت
الأحوال . وقولهم :

من أمثالهم

* كلامُ الليل يَمْحوهُ النهار *

٢٠ وقولهم :

* بُروق الصيف كاذبة الرُّعود *

(١) سفع بيده : قبض عليها فاجتذبه وجره . وفي ن : « أسفع قفاه » .

رسالة سهل بن هارون في البخل

بسم الله الرحمن الرحيم . أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله .

- قال الأحنف بن قيس : يا معشر بني تميم ، لا تُسرِعُوا إلى الفتنة فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياء من الفرار ، وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيوباً ، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب ، ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب ، وقبيح أن تنهى مُرشداً وأن تُغري بمُشفق ، وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم وإصلاح فاسدكم وإبقاء النعمة عليكم ، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل حُسن النية فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ولأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم . ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت) . فما كان أحقكم في كريم حُرمتنا بكم أن ترعوا حق قصداً بذلك إليكم على ما رعيناه من واجب حقكم ، فلا العذر البسوط بلبقتم ، ولا بواجب الحرمة قُتم . ولو كان ذِكرُ العيوب يراد به خيراً لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلاً .

- عِبتُموني بقولي لخادمي : أجيدي العجين ، فهو أطيب لطعمه ، وأزيد في ريعه . وقد قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : أملكوا العجين^(١) ، فإنه أحد الرّيعين . وعِبتُموني حين ختمت على سدِّ عظيم^(٢) وفيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نفيسة ، ومن رطبة غريبة على عبديّهم ، وصبيّ جشع ، وأمة لكفاء ، وزوجة مُضيعة ، وليس من أصل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ، ولا في تدبير السادة أن يستوى في نفيس المأكول ، وغريب المشروب ،

(١) يقال : ملك العجين ، وأملكه ، وملكه بالتشديد : أنعم عنه .

(٢) السد ، بالفتح : سلة تتخذ من قضبان ، لها أطباق .

وثمين الملبوس ، وخطير المركوب ، التابع والمتبوع ، والسيد والمسود ، كما لا تستوى مواضعهم في المجالس ، ومواقع أسمائهم في العنوان ، ومن شاء أطمع كلبه الدجاج السمين ، وعلف حماره السمسم المقشر .

٥ وعبتموني بأنختم ، وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق وعلى كيس فارغ وقال : طينة خير من طنة . فأمسكتم عن ختم على لاشيء ، وعبتم من ختم على شيء . وعبتموني أن قلت للغلام : إذا زدت في الرق فزد في الانضاج ليجتمع مع التأدم باللحم طيب الرق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا طبخ أحدكم لحماً فليزد من الماء ، فمن لم يصب لحماً أصاب مرقاً .

١٠ وعبتموني بخصف النعل وبتصدير القميص ، حين زعمت أن الخصونة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنسك ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفريق من التضبيع ، والاجتماع من الحفظ . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويلطع أصابعه ، ويقول : لو أهدى إلى ذراع لقبلت ، ولو دُعيت إلى كراع لأجبت . وقال عليه الصلاة والسلام : من لم يشبع من الحلال خفت مؤنته ، وقل كبره .

١٥ وقال الحكماء : لا جديد لمن لا يلبس الخلق .
٣٣٦
٣

٢٠ وبعث زياد رجلاً يرتاد له محدثاً ، واشترط عليه أن يكون عاقلاً . فأتاه به موافقاً ، فقال له : أكنت به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكن رأيت في يوم قانظ يلبس خلقاً ، ويلبس الناس جديداً ، فتفرست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخلق في موضعه مثل الجديد في موضعه . وقد جعل الله لكل شيء قدراً ، وسمي له موضعاً ، كما جعل لكل زمان رجالاً ، ولكل مقام مقالاً . وقد أحيا الله بالسَّم ، وأمات بالدواء ، وأغص بالماء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسبين ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز ، وأمر مالك بن أنس بفرك البعر . وقال عمر بن الخطاب : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة . ولبس سالم بن عبد الله جلد أضيحة . وقال رجل لبعض الحكماء :

أريد أن أهدى إليك دجاجة . فقال : إن كان لابد فاجعلها بيوضا .

وعبتموني حين قلت : مَنْ لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي . ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية ، فلما صرت إلى تقرييق أجزائه على الأعضاء وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء^(١) وجدت في الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمتُ أن لو كنت سلكت الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكن نصيب الأول كنصيب الآخر ، فعبتموني بذلك وشنعتم على . وقد قال الحسن ، وذكر السرف : أما إنه ليكون في الماء والكلأ . فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلأ .

وعبتموني أن قلت : لا يفترن أحدكم بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ١٠ ورقة عظمه ، ووهن قوته ، وأن يرى نجوه أكثر من رزقه فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله أن يكون معمرًا ، وهو لا يدري ، وممدودا له في السن وهو لا يشعر ، ولعله أن يُرزق الولد على اليأس ، ويحدث عليه من آفات الدهر مالا يخطر على باله ولا يُدركه عقله ، فيستردّه ممن لا يرده ، ويُظهر الشكوى إلى ١٥ مَنْ لا يرحمه ، أصعب ما كان عليه الطلب^(٢) ، وأقبح ما كان له أن يطلب . فعبتموني بذلك ، وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وعبتموني بأن قلت : إن السرف والتبذير إلى مال المواريث وأموال الملوك ، وإن الحفظ إلى المال المكتسب ، والغنى المجتلب ، وإلى ما يعرض فيه ٢٠ بذهاب الدين ، وأهتضام العرض ، ونصب البدن ، وأهتمام القلب أسرع ، ومَنْ لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخْل فقد أضاع الأصل ، ومن لم

(١) الوظيفة : ما يقدر لك في اليوم من طعام أو رزق أو نحوه .

(٢) ن : « أضعب ما كان عن الطلب » .

يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر ، وطاب نفساً بالتل .

وعبتموني أن قلت : إن كسب الحلال مضمن بالإتفاق في الحلال ،
وإن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وإن الطيب يدعو إلى الطيب ، وأن الإتفاق
في الهوى حجاب دون الهوى ، فعبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أر
تبذيراً قط إلا وإلى جنبه حق مضيع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من
أين أصاب الرجل ماله ، فانظروا فيما إذا يُنفقه ، فإن الخبيث إنما ينفق في السرف .
وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر مني لكم ، وأنتم في دار الآفات ، والجوائح
غير مأمونات ، فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلى نفسه ، فأحذروا النعم
واختلاف الأمكنة ، فإن البلية لا تجرى في الجميع إلا بموت الجميع . وقال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه في العبد والأمة والشاة والبعير : فرقوا بين المنايا ، واجعلوا
الرأس رأسين . وقال ابن سيرين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرقها في
السفن ، فإن عطب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا في
البحر . قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهي صنّاع .

وعبتموني أن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى لسكراً ، وللمال
لثروة ، فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف
الفقر فقد أهمله ، فعبتموني بذلك ، وقد قال زيد بن جبهة : ليس أحد أقصر
عقلاً من غنى أمن الفقر ، وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر . وقال الشاعر ،
في يحيى بن خالد بن برمك .

وهوب يتلاد المال فيما ينوبه مَنوع إذا ما منعه كان أحزماً
وعبتموني حين زعمتم أني أقدم المال على العلم ، لأنّ المال به يُفاد العلم ، وبه
تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل والأصل أحق بالتفضيل من
الفرع . فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟
قال العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء
أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم .

فقلت : حالهما هي القاضية بينهما ، وكيف يستوى شيء حاجة العامة إليه ، وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إني لأبغض أهل البيت يُنفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فأبسط ، وإذا قبض فاقبض . ٥

وعبتموني حين قلت : فضلُ الغنى على ألقوت إنما هو كفضل الآله تكون في البيت أن احتيج إليها استعملت ، وإن استغنى عنها كانت عُدّة . وقد قال الحصين بن المنذر : وددت أن لي مثلَ أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء . قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمني عليه ، لأنّ المال مخدوم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى ، فلو لم يكن فيه إلا أنه عزٌّ في قلبك ، ١٠ وذُلٌّ في قلب عدوك ، لكان الحظ فيه جسيماً ، والنفع فيه عظيماً . ولستنا ندع سيرة الأنبياء ، وتعليم الخلفاء ، وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو ، واستم على تردون ، ولا رأي تفندون ، فقدموا النظر قبل العزم ، وأدركوا ما عليكم قبل أن تدركوا ما لكم ، والسلام عليكم .

التفيل ومن اللوم التفيل ، وهو التعرض للطعام من غير أن يدعى إليه . ١٥

أخبار الطفيليين

طفيل المرائس أولهم طفيل المرائس ، وإليه نسب الطفيليون ، وقال لأصحابه : إذا دخل أحدكم عرساً فلا يلتفت تلفت المريب ، ويتخير المجالس ، وإن كان العرس كثير الزحام فليمض ، ولا ينظر في عيون الناس ، ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة ، فإن كان البواب غليظاً وقاحاً فتبدأ به ٢٠ وتأمره وتنهاه ، من غير أن تعنف عليه ، ولكن بين النصيحة والإدلال .

القحذي قال : يقول الطفيليون : ليس في الأرض عود أكرم من ثلاثة

أعواد : عصا موسى ، وخشب منبر الخليفة ، وخوان الطعام .

وكان أبو العرقين الطفيلي قد نقش في خاتمه : اللّوم شؤم . فقيل له : هذا رأس التطيفل .

أحمد بن علي الحاسب قال : مرّ طفيلي بسكة النّخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة ، فاقعجم عليهم وأخذ مجلسه مع من دُعي ، فأنكره صاحب المجلس . فقالوا له : لو تأنيت أو وقفت حتى يؤذن لك أو يُبعث إليك ؟ قال : إنما اتّخذت البيوت ليدخل فيها ، ووُضعت الموائد ليؤكل عليها ، وما وَجّهتُ بهدية ، فأَنوقع الدعوة ، والحشمة قطيعة ، واطّراحها صلة ، وقد جاء في الأثر : « صل من قطعك ، وأعط من حرمك » . وأنشد :

٥
٣٣٨
٣

١٠ كلّ يوم أدور في عرصة الدار ر أشمّ القنار شمّ الذّباب
فاذا ما رأيتُ آثار عُرُس أو دُخاناً أو دعوة الأصحاب
لم أعرج دون التّفجّم لا أرهب طمعاً أو لكزة البوّاب^(١)
مُسْتَهيناً بمن دخلتُ عليهم غير مستأذن ولا هتياب
فتراني ألف بالغم منهم كلّ ما قدّموه لفّ العقاب

١٥ ومنهم أشعب الطّماع ، قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : لم أنظر إلى أثنين يتساران إلا ظننتهما يأمران لي بشيء . وفيه يقال : أطمع من أشعب .

وقف أشعب إلى رجل يعمل طباقاً ، فقال له : أسألك بالله إلا ما زدت في سعته طوقاً أو طوقين . فقال له : وما معنالك في ذلك ؟ قال : لعلّه يوماً أن يُهدي إليّ فيه شيء .

ساوم أشعب رجلاً في قوس عربية ، فسأله ديناراً ، فقال له : والله لو أنها إذا رُمي بها طائر في جوّ السماء وقع مشوّياً بين رغيفين ما أعطيتك بها ديناراً .

٢٠ وبينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيثاناً إذا استأذن عليهم أشعب ، فقال أحدهم : إن من شأن أشعب البسط إلى أجلّ الطعام ، فاجعلوا كبار هذه الحيتان في قصعة بناحية ، ويأكل معنا الصغار ، ففعلوا . وأذن له ،

(١) ن : « لا أرهب شتاً » .

فقالوا له : كيف رأيك في الحيتان ؟ فقال : والله إن لي عليها حرماً شديداً وحزناً ، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان . قالوا له : فدونك خذُ بشارَ أبيك . فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير ، ثم وضعه عند أذنه ، وقد نظر إلى القصعة التي فيها الحيتان في زاوية المجلس ، فقال : أتدرون ما يقول لي هذا الحوت ؟ قالوا : لا ندري . قال : إنه يقول : إنه لم يحضر موت أبي ولم يدركه لأن سنه يصغر عن ذلك ، ولكن قال لي : عليك بقلك الكبار التي في زاوية البيت ، فهي أدركت أباك وأكلته .

أمير وطفيل
وكان رجل من الأمراء يستظرف طفيلًا يحضر طعامه وشرابه ، وكان الطفيل أكلًا شروبًا ، فلما رأى الأمير كثرة أكله وشربه أطرحه وجفاه ، فكتب إليه الطفيل :

١٠ قد قلّ أكلى وقلّ شربى وصرتُ من بابية الأمير^(١)
فليدع بي وهو في أمان أن أشرب الراح بالكبير
وأقبل طفيلي إلى صنيع^(٢) فوجد باباً قد أرتج ، ولا سبيل إلى الوصول ، فسأل
عن صاحب الصنيع : إن كان له ولد غائب أو شريك في سفر ؟ فأخبر عنه أن
له ولداً يبلى كذا . فأخذ رقاً أبيض وطواه وطبع عليه ، ثم أقبل متدلاً ، فقنع
١٥ الباب قنعة شديدة ، واسمفتح ، وذكر أنه رسول من عند ولد الرجل .
ففتح له الباب ، وتلقاه الرجل فرحاً ، وقال : كيف فارقت ولدى ؟ قال له :
بأحسن حال ، وما أقدر أن أكلك من الجوع . فأمر بالطعام فقدم إليه ، وجعل
يأكل ، ثم قال له الرجل : ما كتب كتاباً معك ؟ قال : نعم ، ودفع إليه الكتاب .
فوجد الطين طرياً . فقال له : أرى الطين طرياً . قال : نعم . وأزيدك أنه من
٢٠ السكد ما كتب فيه شيئاً . فقال : أطفيلي أنت ؟ قال : نعم أصلحك الله . قال :
كُل : لا هناك الله .

طفيل وصنيع
احتال في
الوصول إليه

أشعب وثريدة
وقيل لأشعب : ما تقول في ثريدة مغمورة بالزبدة ، مشققة باللحم ؟ قال :

(١) من بابته ، أى ممن يصلح له . (٢) الصنيع : الطعام .

- ٣٣٩
٣ فأضرب كم؟ قيل له : بل تأكلها من غير ضرب . قال : هذا ما لا يكون ، ولكن كم الضرب ، فأتقدّم على بصيرة ؟
- مزيد المدنى وقيل لمزيد المدنى ، وقد أكل طعاما كظّه : قئ . قال : أقيء خبز نقيّ ولحم جدى ؟ أسرأتى طالق : لو وجدتهما قيثا لأكلتهما .
- ٥ وقيل لطفيلي : ما أبغض الطعام إليك ؟ قال : القريض^(١) . قيل له : ولم ذا ؟ قال : لأنه يؤخر إلى يوم آخر .
- طفيل وقوم من الكتبة وقالوا له : أعرفت ممّا أحدا ؟ قال : نعم ، عرفت هذا ، وأشار إلى الطعام . فقالوا : قولوا بنا فيه شعرا . فقال الأول :
- ١٠ لم أر مثل سرطه ومطه
وقال الثانى :
- ولقه دجاجة يبطه
وقال الثالث :
- كأن جالينوس تحت إبطه
- ١٥ فقال الاثنان للثالث : أما الذى وصفناه من فعله ففهم ، فما يصنع جالينوس تحت إبطه ؟ قال : يُلقمه الجوارشن كلما خاف عليه التخمّة يهضم بها طعامه .
- الجاز وطفيلي ومر طفيلي على الجاز ، فقال له : ماتأكل ؟ قال : كلب فى قحف خنزير . ودخل طفيلي على قوم يأكلون فقال : ماتأكلون ؟ فقالوا من بُغضه : سما . فأدخل يده وقال : الحياة حرام بعدكم .
- ٢٠ ومر طفيلي على قوم كانوا يأكلون ، وقد أغلقوا الباب دونه ، فتسوّر عليهم من الجدار ، وقال : منعيمونى من الأرض فجتكم من السماء .
- وقيل لطفيلي : كم اثنان فى اثنين ؟ قال أربعة أرغفة .
- طفيل

(١) القريض : ضرب من الأدم .

لآخر

وقيل لآخر : كم كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال : كانوا
ثلاثمائة وثلاثة عشر درهما .

طفيلي رأى
زنادقة حلوا
للمأمون

- قال محمد بن أحمد الكوفي حدثنا الحسين بن عبد الرحمن ^(١) عن أبيه قال : أمر
المأمون أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة سُموا له بالبصرة ، فجمعوا وأبصرهم طفيلي ،
فقال : ما أجمع هؤلاء إلا لصنيع ، فأُسل فدخل وسطهم ، ومضى بهم المتوكلون ٥
حتى انتهوا بهم إلى زورق قد أُعد لهم ، فدخل الزورق ، فقال الطفيلي : هي
نزهة . فدخل معهم ، فلم يكن بأمرع من أن قيدوا وقيد معهم الطفيلي ، ثم سير
بهم إلى بغداد ، فأدخلوا على المأمون ، فجعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا ، فيأمر
بضرب رقابهم ، حتى وصل إلى الطفيلي ، وقد استوفى العدة ، فقال للموكلين :
ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندري ، غير أنا وجدناه مع القوم ، فجئنا به . فقال له ١٠
المأمون : ما قصتك ؟ ويلك ! قال : يا أمير المؤمنين . أمراته طالق إن كان يعرف
من أحوالهم شيئا ، ولا مما يدينون الله به ، إنما أنا رجل طفيلي رأيتهم مجتمعين
فظننتهم ذاهبين لدعوة . فضحك المأمون ، وقال : يؤذّب . وكان إبراهيم بن المهدي
قائما على رأس المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي ذنبه ، وأحدثك عن
حديث عجيب عن نفسي . قال : قل يا إبراهيم . قال : خرجت يا أمير المؤمنين ١٥
من عندك يوما ، فطُفْتُ في سلكك بغداد متطربا ، فأتهيت إلى موضع ، فشمت
روائح أبازير قدور قد فاح طيبها ، فتاقت نفسي إليها وإلى طيب ريحها ، فوقفت
على خياط ، فقلت : لمن هذه الدار ؟ قال : لرجل من التجار من البزازين ،
قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فنظرت إلى الدار ، فإذا بشباك فيها مُطل ،
فنظرت إلى كف قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومعصم ، فشغلني يا أمير ٢٠
المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور ، وبقيت باهتا ساعة ، ثم أدركني
ذهني ، فقلت للخياط : أهو من يشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عنده

(١) في كتاب التطفيل (٤١) : « الحسين بن عبد الرحمن الحلبي » .

اليوم دعوة ، وليس ينادم إلا تجاراً مثله مستورين ، فبينما أنا كذلك إذا أقبل
رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال الخياط : هؤلاء منادموه .
فقلت : ما اسمهما وما كنههما ؟ قال : فلان وفلان . فحركت دابتي وداخلتهما ،
وقلت : جعلت فداكما . قد استبطأ كما أبو فلان أعزّه الله ، وسأيرتهما حتى بلغا
الباب ، فأجلاّني وقدّمانى ، فدخلنا . فلما رآنى صاحبُ المنزل لم يشكّ أنى منهما
بسبيل ، أو قادم قدمت عليهما من موضع ، فرحّب بى وأجلست فى أفضل المواضع ،
فجىء بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأتينا بتلك الألوان ، فكان طعمها أطيب من
ريحها ، فقلت فى نفسى : هذه الألوان قد أكلتها وبقي الكفّ والمعصم ، كيف
أصل إلى صاحبتهما ، ثم رُفع الطعام وجاءونا بوضوء ، فتوضأنا وصرنا إلى بيت
المُفادمة ، فإذا أشكلُ بيت يأمر المؤمنين ، وجعل صاحب المنزل يُلطف بى ويميل
علىّ بالحديث ، وجعلوا لا يشكّون أن ذلك منه على معرفة متقدمة ، حتى إذا
شربنا أقداً خرجت علينا جارية كأنها جانّ ثنّى كالخيزران ، فأقبلت فسلمت
غير خجلة ، وتُذيت لها وسادة فجلست ، وأنى بالعود ، فوضع فى حجرها ، فجسّته ،
فاستبنت فى جسّها حذقها ، ثم اندفعت تغنى :

توهمها طرفى فأصبح خدّها وفيه مكان الوم من نظرى أثرُ
وصانحها كفى فآلم كفّها فمن مسّ كفى فى أناملها عقر

فهتجت يا أمير المؤمنين بلابلى ، وظهرت لحسن شعرها ، ثم اندفعت تغنى :
أشرتُ إليها هل عرفت مودتى فردّت بطرف العين إني على العهد
فحدّت عن الإظهار عمداً لسرها وحادت عن الإظهار أيضاً على عمد
فصيحّت : يا أمير المؤمنين : السّلاح ، وجاءنى من الطرب مالم أملك نفسى ،

ثم اندفعت فغنت الصوت الثالث :

أليس عجيباً أن يتنا يضمّنى وإياك لا نخلو ولا تتكلّم
سوى أعين تشكو الهوى بمقنونها وتقطع أنفاس على النار تضرم

إشارة أفواه وغمز حواجب وتكسير أجفان وكف تسلم
 فحسدها يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء ، وإصابتها لمعنى الشعر ،
 وأنها لم تخرج من الفن الذى ابتدأت به ، فقلت : بقى عليك يا جارية . فضربت
 بعودها الأرض وقالت : متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء ؟ فقدمت على
 ما كان منى ، ورأيت القوم كأنهم تغيروا لي ، فقلت : أما عندكم عود غير هذا ؟
 قالوا : بلى . فأثيت بعود ، فأصلحت من شأنه ؛ ثم غنيت :

ما للمنازل لا يُجبن حزيناً أصممن أم قدّم المدى فبلينا

راحوا العشيّة روحةً مذكورة إن مثنٍ مثنى أو حيين حيينا

فما أنعمت حتى قامت الجارية فأكبت على رجلى تُقبلها ، وقالت : معذرة

إليك ، فوالله ما سمعت أحداً يغنى هذا الصوت غناءك ، وقام مولاهما وأهل المجلس
 ففعلوا كفعالها ، وطرب القوم والله ، وأستهجثوا الشراب ، فشربوا بالكاسات
 والطاسات ، ثم اندفعت أغنى :

أفى الحق أن تمسى ولا تذكرينى وقد سفحت عيناى من ذكرك الدما

فردى مصاب القلب أنت قتلتيه ولا تتركه ذاهل العقل مفرما

إلى الله أشكو بُخلها وسماحتي لها غسل منى وتبذل علقما

إلى الله أشكو أنها مادية^(١) وأنى لها بالود ما عشت مكرما

فطرب القوم حتى خرجوا من عقولهم ، فأمسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا ،

ثم اندفعت أغنى الثالث :

هذا مُحِبك مطوى على كمده حررى مدامعه^(٢) تجرى على جسده

له يدٌ تسأل الرحمن راحته مما جنى ويدٌ أخرى على كبده

فجملت الجارية تصيح : هذا الغناء والله يا سيدي لا ما كنا فيه ، وسكر

القوم . وكان صاحب المنزل حسن الشرب صحيح العقل ، فأمر غلمانَه أن يخرجوهم

ويحفظوهم إلى منازلهم وخلوت معه ، فلما شربنا أقداحاً قال : يا هذا ، ذهب

(١) فى بعض الأصول : « أجنبية » . (٢) ن : « عبرى مدامعه » .

ما مضى من أيام ضياعا إذ كنت لا أعرفك ، فمن أنت يا مولاي ؟ ولم يزل يلح حتى أخبرته الخبر ، فقام وقبّل رأسى ، وقال : وأنا أعجب ياسيدى أن يكون هذا الأدب إلا لمثلك ، وأنى لجالس مع الخلافة ولا أشعر ؟ ثم سألتى عن قصتى فأخبرته حتى بلغت خبر السكف والمعصم ، فقال للجارية : قولى لفلانة تنزل ، ثم لم يزل يُنزل جواريه واحدة بعد أخرى وانظر إلى كفها ومعصمها ، وأقول : ليست هى ، حتى قال : والله ما بقى غير زوجتى وأختى ، والله لأنزلنهما إليك ، فمعبت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : جُعلت فداءك ، ابداً بالأخت قبل الزوجة ، فمساها هى ، فبرزت ، فلما رأيت كفها ومعصمها قلت : هى هذه ، فأمر غلمانها فمضوا إلى عشرة مشايخ من جلة جيرانه ، فأقبلوا بهم ، وأمر ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ، فقال للمشايخ : هذه أختى فلانة ، أشهدكم أبى قد زوجتها من سيدى إبراهيم بن المهدي ، وأمرتها عنه عشرين ألفا ، فرضيت النكاح . فدفع إليها البسدة وفرق الأخرى على المشايخ ، وقال لهم : أنصرفوا . ثم قال : يا سيدى ، أمهد لك بعض البيوت ، فتنام مع أهلك . فأحشمتى ما رأيت من كرمه^(١) ، فقلت : بل أحضر عمارية وأحملها إلى منزلى . قال : ماشئت ، فأحضرت عمارية وحملتها إلى منزلى ، فوالله يا أمير المؤمنين لقد أتبعها من الجهاز ماضاق عنه بعض بيوتنا ، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين . فمعب المأمون من كرم الرجل ، وأطلق الطفيلي وأجازه وألحق الرجل فى أهل خاصته .

طفيلي وقوم
يتغدون

ومر طفيلي بقوم يتغدون فقال : سلام عليكم معشر الاثام . فقالوا : لا والله ، بل كرام . فتثنى رجله وجلس ، وقال : اللهم اجعلهم من الصادقين ، واجعلنى من الكاذبين .

الفضل بن يحيى
وطفيلي

ودخل طفيلي من أهل المدينة على الفضل بن يحيى ، وبيده تَفَاحَة ، فألقاها إليه ، وقال : حياك الله يا مدنى ، فلزمها وأكلها . فقال له : شؤم عليك يا مدنى ، أتأكل التحيات ؟ قال : إى والله ، والزواكيات الطيبات كنت آكلها .

(١) أحشمة : أخجله .

لإبراهيم الموصلي
في طفيلي

وقال إبراهيم الموصلي في طفيلي كان يصحبه :
نعم النديم نديم لا يكلفني ذبح الدجاج ولا ذبح الفراريج
يكنيه لوان من كَشك ومن عَدس ولو يشاء فزيتون بطشوج^(١)

لطفيل في نفسه

وقال طفيلي في نفسه :

• نحن قوم إذا دُعينا أجبنا ومتى كنس يدعنا التطفيل
ونقل علنا دُعينا فجبنا وأتانا فلم يجدنا الرسول

لطفيل في صليح
لم يدع إليه

وقال آخر ، وأتى طعاماً لم يدع إليه ، فقيل له : مَنْ دعاك ؟ فأنشأ :
دعوت نفسي حين لم تدعني فالحد لي لالك في الدعوه
وكان ذا أحسن من موعد مخلفه يدعو إلى الجفوه

لطفيل في صليح
ببطي

ودخل طفيلي في صنيع رجل من القبط ، فقال له : مَنْ أرسل
إليك ؟ فأنشأ :
٣٤٢
٣

أزوركُم لا أكانكم بجهوتكم إن المحب إذا ما لم يُزر زارا

فقال له القبطي : زر زارا ، ليس ندرى ، مَنْ هو ؟ أخرج من بيتي .

لطفيل وصاحب
شرطة

ونظر رجل من الطفيليين إلى قوم من الزنادقة يسار بهم إلى القتل ، فرأى لهم
هيئة حسنة وثياباً نقيّة ، فظنهم يدعون إلى وليمة ، فتلطف حتى دخل في لفيفهم ١٥
وصار واحداً منهم ، فلما بلغ صاحب الشرطة قال : أصلحك الله ، لست والله
منهم ، وإنما أنا طفيلي ظننتهم يدعون إلى صنيع فدخلت في جهلتهم . فقال :
ليس هذا مما يُنجيك مني ، اضربوا عنقه . فقال : أصلحك الله ، إن كنت
ولا بد فاعلا فأمر السياف أن يضرب بطني بالسيف ، فإنه هو الذي ورطني هذه
الورطة . فضحك صاحب الشرطة وكشف عنه ، فأخبروه أنه طفيلي معروف ، ٢٠
نفخلى سبيله .

(١) الطشوج : ربع الدائق ، فارسي معرب .

شعر الطفيل

وقال طفيلي :

ألا ليت لي خُبزا تَسْرِبُ راتِبًا وخيلًا من البرني فُرسانها الزُّبد
فأطلبَ فيما بينهم شهادةً بموت كريم لا يُشَقُّ له لحد

أشعب وبنه

وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة يطارحها الغناء ، فلما أراد الخروج إلى مكة قال لها : ناوليني هذا الخاتم الذي في إصبعك لأذكرك به . قالت : إنه ذهب وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود .

شيخ وحدث

أصطعيب شيخ وحدث من الأعراب ، فكان لها قرص في كل يوم ، وكان الشيخ متخلف الأضراس بطي الأكل ، فكان الحدث يبش بالقرص ، ثم يقعد يشتهي العشق ، ويتصور الشيخ جوعا . وكان أسم الحدث جعفر . فقال الشيخ فيه :

لقد رابني من جعفر أن جعفرًا يطيش بقرصي ثم يهكي على جُحل
فقلت له لو مَسَّك الحُب لم تَب ممينًا وأنساك الهوى شدة الأكل

وقال الحدث :

إذا كان في بطني طعامٌ ذكرتها وإن جُعت يوما لم تكن لي على ذكر
ويزداد حُبِّي إن شَبعت تجددًا وإن جُعت غابت عن نوادي وعن فكري

أشعب وجارية في المدينة

وكان أشعب يختلف إلى جارية في المدينة ، ويظهر لها التعاشق ، إلى أن سأله سلفة نصف درهم ، فانقطع عنها ، وكان إذا لقيها في طريق سلك طريقا أخرى ، فصنعت له نشوقا وأقبلت به إليه ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : نشوق عملته لك لهذا الفرع الذي بك . فقال : أشربيه أنت للطمع ، فلو أنقطع طامعك انقطع فرعي ، وأنشأ يقول :

أخلفني ما شئت وعدى وأمنحيني كُلَّ صَدِّ

قد سلا بعدك قلبي فأعشقي من شئت بعدى

إنني آليتُ لا أعشق من يعشق نقدي

لأشعب في أحسن
النساء

وقيل لأشعب : ما أحسن الغناء ؟ قال : نشيش المِثْلَى . قيل له : فما أطيّب
الزمان ؟ قال : إذا كان عندك ما تُنفق . وكان أشعب ينفق :

ألا أخبرت أخباراً أتت في زمن الشدة
وكان الحب في القلب فصار الحب في المعدة

لبعضهم في طفيلي

وقال آخر في طفيلي من أهل الكوفة :

زرعنا فلما تَمَّ الله زرعنا وأوفى عليه منجل بمحصاد
بُلينا بكوفي حليف كجاعة أضرت بزراع من دُبي وجراد

لهشام في مسافر

وقال هشام أخو ذى الرُّمة لرجل أراد سفراً : إن لكل رُفقة كلباً يشركهم
في فضلة الزاد ، فإن استطعت أن تكون كلب الرفاق فافعل .

أبو نواس وجمع
من أصحابه وطفيلي

١٠ وخرج أبو نواس متنزها مع شُطَّار من أصحابه ، فنزلوا رَوْضة ووضعوا شراباً ،
فرَّ بهم طفيلي ، فتطارح عليهم ، فقال له أبو نواس : ما اسمك ؟ قال : أبو الخير .
فرحب به وقعد معهم . ثم سرَّ بهم جارية فسلمت ، فردَّ عليها ، وقال لها :
ما اسمك ؟ قالت : زانة . قال أبو نواس لأصحابه : اسرقوا الياء من أبي الخير ،
فأعطوها زانة ، فتكون زانية ، ويكون أبو الخير أبا الخراء ، كما هو . ففعلوا .

الجاحظ
والواسطي
الفلوسكي
في صليح

١٥ الجاحظ قال : دُعي أبو عبد الله الواسطي إلى صنيع ، فدعاني فدعوت
أبا الفلوسكي . فلما كان من الغد صبح الفلوسكي الجاحظ ، فقال له : أما تذهب
بنا هناك يا أبا عثمان ؟ قال : نعم . قال : فذهبنا حتى أتينا دار صاحب الصنيع ،
فلم يكن علينا كُسوة رائحة ولا تحتنا دواب ، فتدخل تجاهنا ، فوجدنا البواب ذا
غلاظ وجفاء ، فمنعنا فأنحدرنا في جانب الإيوان ننتظر أحداً يُعلم أبا عبد الله الواسطي
بحالنا . فمكثنا حيناً حتى أتى من نعرفه ، فسألناه أن يُعلم أبا عبد الله الواسطي
٢٠ بنا ، فلما أخبر خرج إلينا يتلقانا ، فتقدمني الفلوسكي وتقدمه حتى أتى صدر المجلس ،
فقعد فيه ، ثم قال لي : ها هنا عندنا يا أبا عثمان . فلما خلونا ثلاثنا قلت للفلوسكي :
كيف تُسمى العرب من أمالت إلى أنفسها ؟ قال الفلوسكي : تُسميه ضيفاً ، فقال

له الجاحظ : وكيف تُسمى من أماله الضيف ؟ قال : تُسميه ضيفاً . قال الجاحظ : وكيف تُسمى من أماله الضيفن ؟ قال : ما لثل هذا عند العرب تسمية ، قال الجاحظ : فقلت : قد رضيت أن تكون في منزلة من التطفيل لم تجد لها العرب اسماً ، ثم تتحكم تحكم صاحب البيت ؟

باب من أخبار المحارفين الظرفاء

منهم أبو الشَّمقمق الشاعر ، وكان أديباً طريقاً محارفاً^(١) ، وكان صُعلوكاً متبرّماً بالناس ، وقد لزم بيته في أطمار مَسحوقة ، وكان إذا أَسْتَفْتَح عليه أحد بابه خرج ، فينظر من فُروج الباب ، فإن أعجبه الواقف فَمَح له وإلا مكث عنه . فأقبل إليه يوماً بعض إخوانه المُلطفين له ، فدخل عليه ، فلما رأى سوء حاله ، قال له : أبشر أبا الشَّمقمق ، فإننا رَوينا في بعض الحديث : إن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة . فقال : إن صَحَّ والله هذا الحديث كنت أنا في ذلك اليوم برّازاً ، ثم أنشأ يقول :

أنا في حالٍ تعالى الله ربّي أيّ حال
ليس لي شيء إذا قيل لمن ذا قلتُ ذالِي
ولقد أفلستُ حتى نَحْت الشمس خيالِي
ولقد أفلستُ حتى حلّ أكلِي لعيالِي

وله :

أُتراني أرى من الدهر يوماً لي فيه مطيّة غير رجلى
كلما كنتُ في جميع فقالوا قَرَّبوا للرحيل قَرَّبْتُ نعلِي
حينما كنتُ لا أخاف رحيلاً من رَأَى فقد رَأَى ورَحلي

وقال أبو الشَّمقمق أيضاً :

لو قد رأيت سريري كنتُ ترحمني الله يعلم مالي فيه تَلَّيس

٣٤٤
٣

(١) المحارف ، بفتح الراء : المحروم المحدود ، الذي إذا طلب لا يرزق .

والله يعلم مالى فيه شاذكة
وقال أيضا :

برزتُ من المنازل والقياب
فمنزلى القضاء وسقف بيتي
فأنت إذا أردت دخلت بيتي
لأنى لم أجد مصراع باب
ولا أنشق الثرى عن غود تحت
ولا خفت الإباق على عبيدى
ولا حاسبت يوماً قهرمانى
وفى ذا راحة وفراغ بال
وقال أيضا :

لوركبتُ البحار صارت فجاجاً
ولو أنى وضعتُ يا قوته حمراء
ولو أنى وردتُ عذبا نراتا
فإلى الله أشتكى وإلى الفضل فقد أصبحتُ بزاتى دجاجا
وقال عمرو بن المدير :

وقفت فلا أدري إلى أين أذهبُ
عجبتُ لأقدارٍ على تتابعت
ولما التمت الرزق فأنجداً حبله
خطبتُ إلى الإعدام إحدى بناته
فزوجنيها ثم جاء جهـازها
فأولدتها الحُرف الفقى فما له
وأى أمورى بالعزيمة أركب
بنحس ، فأفنى طول عمري التعجب
ولم يصف لي من بخره العذب مشرب
لرفع الغنى إياى إذ جئت أخطب
وفيه من الحرمان تحت ومشعب
على الأرض غيرى والد حين ينسب

فلو تَهَت في البِيداء والليل مُسبل
ولو خِفَت شراً فاستترت بِظلمة
ولو جاد إنسان على بدرم
ولو يُمطر الناسُ الدنانيرَ لم يكن
• ولو لمست كَفائَ عقداً مُنظماً
وإن يقترب ذنباً بِبرقة مُذنب
وإن أرَ خيراً في المنام فَنازح
ولم أغدُ في أمرٍ أريد نِجاحه
أمامي من الحِرمان جيشٌ عَرمرم
وقال آخر :

١٠

٣٤٥
٣

ليس إغلاقي لبابي أن لي
إنما أغلقته كيلا يرى
منزل أوطنه الفقَرُ فلو
فيه ما أخشى عليه السَّرقا
سوء حالي مَن يمر الطُّرقا
يدخل السارقُ فيه سُرقا^(١)

لبعضهم

لأبي نواس

وقال الحسن بن هاني في هذا المعنى :

الحمدُ لله ليس لي نَسب
مَن نظرت عينه إليّ فقد
جَهري في البيت كامنٌ وعلى
وقال بعضُ المحارفين^(٢) :

١٥

لزمَتني حِرقةٌ ما تنقضي
كلزوم الطُّوق إلا أنها
أبدأ حتى أراي في الجَدث
تستجدُّ الدهرَ والطُّوقُ يَرث^(٣)

لبعض المحارفين

٢٠

(١) يقال أوطنت السكان ، أي أقمت فيه واتخذته وطناً .

(٢) المحارف ، بفتح الراء : الحدود المحروم .

(٣) رث يرت : يلي .

فرش كتاب الزبرجدة الثانية

في بيان طبائع الإنسان ، وسائر الحيوان ، وتفاضل البلدان

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا في المُتَبَثِّين
والمرورين ، والبخلاء والطفيلين ، والمحدودين .

- ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في طبائع الإنسان وسائر الحيوان ، وتفاضل
البلدان ، والنعمة والسرور ، إذ لم يكن مدار الدنيا إلا عليها ، ولا قوام الأبدان
إلا بها ، وإذ هي ثمر الفراسة ، وتركيب الغريزة ، واختلاف الهيم ، وطيب الشيم ،
وتفاضل الطعموم . وقد تكلم الناس في النعمة والسرور على تباين أحوالهم ،
واختلاف همهم ، وتفاوت عقولهم ، وما يُجَانِسُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي طَبْعِهِ ،
ويؤالغ في نفسه ، ويميل إليه في وهمه . وإنما اختلف الناس في هذا المذهب ١٠
لأختلاف أنفسهم ، فمنهم من نفسه غشبية ، فإنما هم منافسة الأكفاء ، ومُغَالَبَةُ
الأقران ، ومكاثرة العشيرة . ومنهم من نفسه ملكية فإنما هم التَّنَفُّسُ في العلوم ،
وإدراك الحقائق ، والنظر في العواقب . ومنهم من نفسه بهيمية ، فإنما هم طلب
الراحة ، وإهمال النفس على الشهوة^(١) من الطعام والشراب والنكاح ، وعلى
هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفُرس دهرها كله ، فقالوا : يوم المطر للشرب ، ويوم
الريح للنوم ، ويوم الدجن للصيد ، ويوم الصبحو للجلوس . وهي أغلب الطبائع
على الإنسان ، لأخذها بمجامع هواه ، وإيثار الراحة ، وقلة العمل ، فنه قولهم :
الرأي نائم والهوى يقطان . وقولهم : الهوى إله معبود . وقولهم : ربيع القلب
ما أشتهى . وقولهم : لا عيشَ كطيب نفس .

(١) إهمال النفس : إرسالها وتركها .

النفس الملكية

- ٥ قيل لضرار بن عمرو : ما السرور ؟ قال : إقامة الحجّة ، وإيضاح الشبهة . لضرار بن عمرو
وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : إحياء السنة ، وإماتة البدعة . لبعضهم
وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : إدراك الحقيقة ، وأستنباط الدّقيقة .
وقال الحجاج بن يوسف مُحرّم الناعم : ما النّعمة ؟ قال : الأمن ، فإنّي
رأيت الخائف لا يَنْتَفِع بعيش . قال له : زدني . قال : فالصّحة ، فإنّي رأيت
المريض لا يَنْتَفِع بعيش . قال له : زدني . قال له : الغنى ، فإنّي رأيت الفقير
لا يَنْتَفِع بعيش . قال له : زدني . قال : فالشباب ، فإنّي رأيت الشيخ لا يَنْتَفِع
بعيش . قال له : زدني . قال : ما أجد مزيدا .
١٠ وقيل لأعرابي : ما السرور ؟ قال : الأمن والعافية . لأعرابي

النفس الغضبية

٣٤٦
٣

- قيل لخصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وأجلوس على
السريّر ، والسلام عليك أيها الأمير .
وقيل للحسن بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيع جائز ، وأمر نافذ . للحسن بن سهل
١٥ وقيل لعبد الله بن الأهم . ما السرور ؟ قال : رفع الأولياء ، ووضع
الأعداء ، وطول البقاء ، مع الصحة والنماء .
وقيل لزياد : ما السرور ؟ قال : مَنْ طال عمره ، ورأى في عدوه ما يسهره . لزياد
وقيل لأبي مسلم صاحب الدعوة : ما السرور ؟ قال : ركوب المهالبة^(١) ،
وأبى مسلم
وقتل الجبابرة .
٢٠ وقيل له : ما اللذة ؟ قال : إقبال الزمان ، وعز السلطان .

(١) المهالبة : جمع هلاج ، وهو الدابة الحسنة السّير في سرعة وبخبرة .

النفس البهيمية

لامرى القيس قيل لأمرى القيس : ما السرور ؟ قال : بيضاء رُعبوبة ، بالطيب مشبوبة ،
باللحم مكروبة^(١) . وكان مفتونا بالنساء .

لأعشى بكر وقيل لأعشى بكر : ما السرور ؟ قال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من
صوب غادية . وكان مغرماً بالشراب .

لطرفه وقيل لطرفة : ما السرور ؟ فقال : مطعم هنيء ، ومشرب روى ، وملبس دفيء ،
ومركب وطىء . وكان يؤثر الخفض والدعة .

وقال طرفة :

فلولا ثلاث هُنَّ من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العاذلات بشربة كُفيت متى ما تُعلَّ بالماء تُزبد
وكرمى إذا نادى المضام مُحنباً كسيد الفضا في الطخية المتورد
وتقصير يوم الدجن ، والدجن مُعجب بهيكنة تحت الخباء الممدد
وسمع بهذه الأبيات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فقال : وأنا والله لولا
ثلاث لم أحفل متى قام عودى : لولا أن أعدل في الرعية ، وأقسم بالسوية ، وأنفر
في السرية .

لأمر بن
عبد العزيز

وقال عبد الله بن نهيك على مذهب طرفة : لابن نهيك

فلولا ثلاث هُنَّ من عيشة الفتى وربك لم أحفل متى قام رامس
فمنهن سبق العاذلات بشربة كان أخاها مطلع الشمس ناعس
ومنهن تقريط الجواد عنانه إذا ابتدر الشخص الكمى الفوارس^(٢)
ومنهن تجريد الكواكب كالشمى إذا ابتز عن أكفاهن الملابس
وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟ قال : قُبلة على غفلة . وكان
صاحب وصائف .

لابن مزيد

(١) مكروبة : مشدودة .

(٢) تقريط الفرس للجامة ، أو جعل عنانه وراء أذنه عند طرح الاجام .

وقيل لحرقة بنت النعمان : ما كانت لذة أيبك ؟ قالت : شرب العجريال ، لحرقة بنت النعمان ومحادثة الرجال .

وقيل لخصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : دار قوراء^(١) ، وجارية لخصين بن المنذر حوراء ، وفرس مرتبط بالفناء .

وقيل للاحسن بن هاني : ما السرور ؟ قال : مجالسة الفتيان ، في بيوت لابن هاني القيان ، ومنادمة الإخوان ، على قُضْب الرِّيحان وأنشأ يقول :

قلت بالقُصص لموسى وندامى نيام^(٢)

يا رَضِيْعَى تَدِي أُمِّ ليس لي عنه فِطام

إنما العيشُ سَماع ومُـدَام ونِدام

فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

وقال معاوية لعبد الله بن جعفر : ما أطيب العيش ؟ قال : ليس هذا من مسائلك يا أمير المؤمنين . قال : عزمت عليك لتقولن . قال : هتاك الحيا ، وأتباع الهوى .

وقال معاوية لعمر بن العاصي : ما العيش ؟ قال : ليخرج من هاهنا من لعمر بن العاصي الأحداث ، نخرجوا . فقال : العيش كله في إسقاط المروءة . ٣٤٧
٣

وقال هشام بن عبد الملك : ألد الأشياء كلها جليس مُساعد ، يُسقط عني هشام بن عبد الملك مؤونة التحفظ .

وقيل لأعرابي : ما السرور ؟ قال : لبس البالي في الصيف ، والجديد لأعرابي في الشتاء .

وقيل لآخر : ما النعيم ؟ قال : الماء الحار في الشتاء ، والبارد في الصيف . ٢٠

البنيات

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من بنى بنيانا فليُتقنه .

وقالت الحكماء : لذة الطعام والشراب ساعة ، ولذة الثوب يوم ، ولذة

(١) قوراء : واسعة . (٢) القفس ، بالضم : قرية بين بغداد وعباء .

المرأة شهر ، ولذة البنيان دهر . كلما نظرت إليه تجددت لذته في قلبك ، وحسنه في عينك .

وقالوا : دار الرجل جنّته في الدنيا .

لبعضهم

وقالوا : ينبغي للدار أن تكون أول ما تُبتاع وآخر ما يُباع .

وقال يحيى بن خالد لأبيه جعفر بن يحيى ، حين أخطأ داره ليبيها : هي قيصك ، إن شئت فضيّق ، وإن شئت فوسّع .

وصاة يحيى لابنه جعفر

وقال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : كيف منزلك بمنّيج ؟ قال : دون منازل أهلي ، وفوق منازل أهلها . قال : وكيف ذلك ، وقدرك فوق أقدارهم ؟ قال : ذلك خلق أمير المؤمنين أحتذى مثاله .

بين الرشيد وعبد الملك بن صالح

ولما دخل هارون منّيجاً قال لعبد الملك بن صالح : هذا منزلك ؟ قال : هو لأمر المؤمنين ، ولي به . قال : كيف ماؤه ؟ قال : أطيب ماء . قال : كيف هواؤه ؟ قال : أفسح هواء .

لرجل عند جعفر ابن يحيى

وذُكر عند جعفر بن يحيى الدار الفسيحة الجو ، الطيبة النسيم ، فقال رجل عنده : لقد دخلت الطائف فكأنني كمت أبشر ، وكأن قلبي ينضج بالسرور ، ولا أجد لذلك علة إلا طيب نسيمها ، وانفساح هوائها .

١٥

وقيل للحسن بن سهل : كيف نزلت الأطراف ؟ قال : لأنها منازل الأشراف ، ينالون فيها ما أرادوا بالقُدرة ، وينالهم فيها من أرادهم بالحاجة .

للحسن بن سهل

قولهم في الدار الضيقة

ما هي إلا قوارة حافر^(١) ، وما هي إلا وِجار ضيّع ، وما هي إلا قُترة قانص ، وما هي إلا متفحص قطاة .

من أمثالهم

٢٠

وقالوا : ما هي إلا محلة يعسوب برأس سنان^(٢) .

ومن مات في دار ضيقة قيل فيه : خرج من قبر إلى قبر .

(١) القوارة ، كزجاجة : ما استدار من باطن الحافر .

(٢) العسوب : رئيس القوم وسيدهم . وكان الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان .

من كره البنيان

- كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في بناء بيته ،
فقال : أبن ما يُسكنك عن المواجه ، وأذى الطر .
لا بن الخطاب إلى
ابن أبي وقاص
- وكتب عامل لعمر بن عبد العزيز يستأذنه في بناء مدينة ، فكتب إليه :
أبناها بالعدل ، ونقّ طرقها من الظلم .
من عمر بن
عبد العزيز إلى
عامل له
- وسر عمر بن الخطاب يبنّا بيني بأجر وجص ، فقال : لمن هذا ؟ فقيل :
لعامل من عمّالك . فقال : أبت الدراهم إلا أن تُخرج أعناقها . وأرسل إليه من
يُشاطره ماله (١) .
عمر بن الخطاب
وعامل سر يبنّا
- وقيل ليزيد بن المهلب : مالك لا تبني ؟ قال : منزلي دار الإمارة أو الحبس .
وسر رجل من الخوارج بدار تبني فقال : من هذا الذي يُقيم كفيلا ؟
والخوارج تقول : كل مالٍ لا يخرج بخروجك ويرجع برجوعك ، فإنما هو
كفيل بك .
يزيد بن المهلب
لخارجي في دار
تبني
- ولما بنى أبو جعفر داره بالأنبار دخلها مع عبد الله بن الحسن ، فجعل يُريه بنيانه
فيها ، وما شئد من المصانع والقصور ، فتمثل عبد الله بن الحسن بهذه الأبيات :
ألم ترَ حَوْشَبَا أضْحَى يَبْنِي (٢) قُصُورًا نَفَعَهَا لِبْنِي بُقَيْلَهُ
يُؤَمِّلُ أَنْ يُعَمَّرَ عَمْرَ نُوْحٍ وَأَمْرَ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلِهِ
ابن الحسن
وأبو جعفر في
دار بناها
- وقالوا في الحجاج بن يوسف ، إذ بنى مدينة واسط : بناها في غير بلده ،
وأورشها غير ولده .
لبعضهم في الحجاج
حين بنى واسطا

اللباس

- إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت النبي صلى الله عليه
وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداء و عمامة .
لباس النبي صلى
الله عليه وسلم

(١) ن : « وأرسل إليه فشاطره ماله » .

(٢) ن : « قد صار يبنّي » . وانظر الحيوان (٣ : ١١٣) .

- محمد بن الحنفية
 علي بن عاصم عن أبي إسحاق الشيباني قال : مررت بمحمد بن الحنفية واقفا
 بعرفات ، وعليه برد ومطرف خز أصفر .
 ابن عباس
 الشيباني عن ابن جريج ، أن ابن عباس كان يرتدي رداء بألف .
 ابن عون
 أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى بُرنسا ، فمرت عليه معاذة العدوية ،
 فقالت : مثلك يلبس هذا ؟ قال : فذكرت ذلك لابن سيرين ، فقال : ألا أخبرتها
 أن تميا الداري اشترى حلة بألف يصلي فيها .
 بين معمر وأيوب
 السخثياني
 وقال معمر : رأيت قيص أيوب السخثياني كاد يمس الأرض ، فسألته عن
 ذلك ، فقال : إن الشهرة كانت فيما مضى في تذييل القميص ، وإنها اليوم
 في تشميره (١) .
 النبي صلى الله عليه
 وسلم ورجل في
 ثوبين خلفين
 وفي موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه ، أن جابر بن عبد الله قال : خرجت
 مع رسول الله عليه وسلم في غزوة بني أنمار ، فبينما أنا نازل تحت شجرة إذا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فقلت : هلم يارسول الله إلى الظل . فنزل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . قال جابر : وعندنا صاحب له تجهزه يذهب يرعى ظهرا . قال :
 تجهزته ، ثم أدبر يذهب في الظهر ، وعليه ثوبان . قد أخلقا ، فنظر إليه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ماله ثوبان غير هذين (٢) ؟ قلت : بلي يارسول الله ، له
 ثوبان في العيبة كسوته إياهما . قال : فادعه ، فمره يلبسهما . قال : فدعوته فلبسهما
 ثم ولى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماله ، ضرب الله عنقه ، أليس
 هذا خيرا له ؟ فسمعه الرجل فقال : في سبيل الله يارسول الله ، قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : في سبيل الله . فقتل الرجل في سبيل الله .
 بين علي بن أبي
 طالب والربيع بن
 زياد
 العتيبي قال : أصابت الربيع بن زياد الحارثي نشابة على جبينه (٣) ، فكانت
 تنتفض عليه في كل عام ، فأتاه علي بن أبي طالب عائدا ، فقال : كيف تجدك
 يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أجذني لو كان لا يُذهب ما بي إلا ذهب بصرى لتمنيت

(١) انظر صفة الصفوة (٣ : ٢١٤) .

(٢) الكلام هنا استفهامي .

(٣) النشابة : واحدة النشاب ، وهي السهام .

- ذهابه قال له : وما قيمة بصرك عندك ؟ قال : لو كانت لي الدنيا فديته بها .
- قال : لا جرم ليعطيك الله على قدر ذلك إن شاء الله ، إن الله يعطي على قدر الألم والمصيبة ، وعنده تعالى تضعيف كثير . قال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألا أشكو إليك عاصم بن زياد ؟ قال : وماله ؟ قال : كِبِسَ العباء ، وترك الملاء ، وغم أهله ، وأحزن ولده . فقال : على عاصم فلما أتاه عبس في وجهه ، وقال : ويلك يا عاصم ، أتري الله أباح لي اللذات وهو يكره أخذك منها ؟ لأنك أهون على الله من ذلك ، أو ما سمعته يقول : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِizan . بينهما بَرَزَخ لا يبغيان) ، ثم قال : (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللؤلؤ والمرجان) وقوله : (ومن كل ثأكلون لهما طريقاً وتستخرجون حلية تلبسونها) . أما والله إن ابتذال نعم الله بالفعال أحب إلي من ابتذالها بالمقال .
- ١٠ وقد سمعته عز وجل يقول : (وأما بنعمة ربك فحدث) ويقول : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) . وإن الله عز وجل خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) وقال : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) . فقال عاصم : فعلام اقتصرت أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : على لبس الخشن وأكل الخشن . قال : إن الله افترض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بالعوام لئلا يتسع على الفقير فقره . قال : فما برح حتى لبس الملاء ونبتذ العباء .

لباس الصوف

- قدم حماد بن سلمة البصرة فجاء فرقد السبخی وعليه ثياب صوف ، فقال له حماد : ضَعَّ عنك نصرانيتك هذه ، فلقد رأيتنا ننتظر إبراهيم ، نخرج علينا وعليه معصفرة ، ونحن نرى أن الميتة قد حلت له .
- ٢٠ قال أبو الحسن المدائني : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم ، وإلى خراسان ، وعليه مدرعة صوف^(١) ، فقال له قتيبة : ما يدهوك إلى لباس هذه ؟ فسكت عنه

بين ابن واسع وقتيبة

(١) المدرعة بكسر الميم : ضرب من الثياب لا يكون إلا من الصوف .

فقال له قتيبة : أكلك فلا تجيبني ؟ قال : أكره أن أقول زهداً فأزكي نفسي ،
أو أقول فقراً فأشكوري .

وقال ابن السماك لأصحاب الصوف : والله لئن كان لباسكم وفقاً لسرايركم لقد
أحببتهم أن يطلع الناس عليها ، ولئن كان مخالفاً لها لقد هلكتم .

وكان القاسم بن محمد يلبس الخنز ، وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ، ومقعدهما
واحد في مسجد المدينة ، فلا يُنكر بعضهما على بعض شيئاً .

وقال محمود الوراق في أصحاب الصوف :

تَصَوَّفَ كَيْ يَقَالَ لَهُ أَمِينٌ وَمَا يَعْنِي التَّصَوُّفُ وَالْأَمَانَةُ
وَلَمْ يُرَدِّ إِلَهٌ بِهِ وَلَكِنْ أَرَادَ بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الْخِيَانَةِ

١٠ التزين والتطيب

دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين والتطيب ، فوجده قاعداً
على فرش حشايا مصبغة ، وجارية تُغلفه بالغالية ، فقال له : يرحمك الله ، جئت
أسألك عن شيء فوجدتك فيه . قال : على هذا أدركت الناس .

وفي حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إياكم والشعث ، حتى لو لم
يجد أحدكم إلا زيتونة فليعصرها وليدهن بها .

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة : مالي أراك شعشاء ، مرهء ، سلتاء ؟
قالت : يا رسول الله ، أولسنا من العرب ؟ قال : بلى ، وربما أنسيت العرب الكلمة
فيعلمنيها جبريل .

الشعشاء : التي لا تدَّهن . والمرهء : التي لا تكحل . والسلتاء : التي
لا تختضب .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما نلت من دنياكم إلا النساء والطيب .
وروى مالك عن يحيى بن سعيد أن أبا قتادة الأنصاري قال : يا رسول
الله . إن لي حجة أفأرجلها يا رسول الله ؟ قال : نعم وأكرمها . قال : فكان

ابن السماك في
أصحاب الصوف

القاسم وسالم

الوراق في أصحاب
الصوف

ابن المنكدر
ورجل يسأله عن
التزين

لنبي صلى الله عليه
وسلم

النبي صلى الله عليه
وعائشة

له صلى الله عليه
وسلم

بيت الرسول صلى
الله عليه وسلم
وقتادة

أبو قتادة ربما دهنها في اليوم مرتين .

الرسول صلى الله عليه وسلم ورجل أشعث

وروى مالك عن زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية ، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اخرج فأصلح رأسك ولحيتك . ففعل ثم رجع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ؟

الناطقة في حسن الهيئة

وقد تمادحت العرب بحسن الهيئة وطيب الرائحة ، فقال النابغة :

رَقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجَزَاتِهِمْ يُحَيِّوْنَ بِالنَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ^(١)
يُحَيِّوْنَ بِيضُ الْوَلَانِدِ بَيْنَهُمْ وَأَكْسِيَةِ الْإِضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ^(٢)
يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمًا نَعِيمًا بِخَالِصَةِ الْأُرْدَانِ خُضْرُ الْمَنَافِكِ

للفرزدق

وقال الفرزدق :

بَنُو دَارِمٍ قَوْمِي تَرَى حُجَزَاتِهِمْ عَتَاقًا حَوَاشِيهَا رَقَاقًا نَعَالَهَا
يَجْرُونَ هُدَابَ الْيَمَانِي كَأَنَّهُمْ سُيُوفٌ جَلَا الْأَطْبَاعَ عَنْهَا صِقَالَهَا

لطرفه

وقال طرفه :

أَسَدٌ غِيْلٌ فَإِذَا مَا فَزَعُوا غَيْرَ أَنْكَاسٍ وَلَا هُوجٍ هُذُرٌ^(٣)
فَإِذَا مَا شَرَبُوا وَانْتَشَرُوا وَهَبُوا كُلُّ أَمُونٍ وَطِيمِرٌ
ثُمَّ رَاحُوا عَبَقُ الْمَسْكِ بِهِمْ يُلْحِفُونَ الْأَرْضَ هُدَابَ الْأَزُرِّ

لكثير

وقال كثير عزة :

أَشْمٌ مِنَ الْفَاسَادِ فِي كُلِّ حَلَّةٍ يَمِيسُونَ فِي صَبِغٍ مِنَ الْعَصَبِ مُتَّقِنٌ
لَهُمْ أَزُرٌ مُحَرُّ الْحَوَاشِي يَطْوُونَهَا بِأَقْدَامِهِمْ فِي الْحَضَرِ الْمَلَّسَنِ

لبعضهم

وقال آخر : ٣٥٠
٣

مِنَ النَّفَرِ الشَّمُّ الَّذِينَ إِذَا اعْتَزَوْا وَهَابَ الرِّجَالُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا

(١) يوم السباسب : يوم السعائين . وهو يوم عيد عند النصارى .

(٢) الإضريح : الحز الأحر . (٣) الهوج : الحمي .

- جلا الأذفر الأحمى من المسك قرقه وطيب الدهان رأسه فهو أنزع
إذا النقر السود اليمانون حاولوا له حوك برديه أرقوا وأوسعوا
وقال آخر (١) :
يُسَبِّهون ملوكاً في مجلتهم وطول أنضية الأعناق واللهم (٢)
إذا غدا المسك يجرى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم
وقال آخر في علي بن داود الهاشمي :
أما أبوك فذاك الجود تعرفه وأنت أشبه خلق الله بالجود
كان ديباجتي خديبه من ذهب إذا تعصب في أثوابه السود

لآخر

لبعضهم في علي
ابن داود

الرجلة والركوب

- سمع عمرو بن العاص رجلاً يقول : الرجلة قطعة من العذاب . فقال له : لم
تحسن ، بل العذاب قطعة من الرجلة .
ولما مشى هارون إلى مكة ومشى معه زبيدة كانت تبسط الدرانك (٣)
أمامهم وتطوى خلفهم ، فلما أعبا دعا بخادم له ، فألقى ذراعه عليه وتأوته ، وقال :
والله لو كوب حمار شمس خير من المشى على الدرانك .
قال الشاعر :
وما عن رضا صار الحمار مطيقي ولكن من يمشى سيرضى بما ركب
وقال أعرابي :
يا ليت لي نعلين من جلد الضبع كل الحذاء يحتمذي الخافي الوقع

بين عمرو بن
العاص ورجلالرشيد وزبيدة
في رحلة إلى مكة

لبعض الشعراء

لبعض الأعراب

الخيـل

- قد مضى من قولنا في وصف الخيل وفصائلها في كتاب الحروب ما كفى
عن إعادتها هنا .

(١) هو الشمر دل اليربوعى ، كما في الحيوان (٣ : ٩١) .

(٢) المجلة : الجلال . والأنضية : جمع نضى ، وهو السهم الذى لم يرش . يعنى أن
أعناقهم طوال مستوية .

(٣) الدرانك : أنواع من البسط : الواحد درنوك .

البغال

- قال مسعدة بن عبد الملك : ما ركب الناس مثل بغلة طويلة العنان ، قصيرة العذار ، سفواء^(١) العرف ، حصاء الذنب ، سوطها عفاها ، وهما أمامها .
- وعاتب الفضل بن الربيع بعض الهاشميين في ركوب بغلة فقال : هذا مركب تطامن عن خيلاء الفرس ، وارتفع عن ذلة الحمار ، وخير الأمور أوسطها .

لبعض الهاشميين
في البغال حين
عاتب الفضل

الحمير

- قيل للفضل الرقاشي : إنك لتؤثر الحمير على سائر الدواب . قال : لأنها أرفق وأرق . قيل : ولم ذلك ؟ قال : لا تسبيل بالمكان على طول الزمان ، ثم هي أقل داء ، وأيسر دواء ، وأخفص مهوى ، وأسلم صريعا ، وأقل جاحا ، وأشهر فارها ، وأقل نظيرا ، يزهي راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويمد مقتصدا وقد أسرف في ثمنه .
- وقال جرير بن عبد الله : لا تركب حمارا ، إن كان حديدا أتعب يديك ، وإن كان بليدا أتعب رجليك .

لجرير في ذم
الحمير

طبائع الإنسان وسائر الحيوان

- زعم علماء الطب أن في الجسد من الطبائع الأربع أثنى عشر رطلا : فللدم منها ستة أرطال ، وللمرة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال . فإن غلب الدم الثلاث الطبائع تغير منه الوجه وورم ، ويخرج ذلك إلى الجذام . وإن غلبت الثلاث الطبائع الدم أحدث المدة ، فإذا خاف الإنسان غلبة هذه الطبائع بعضها على بعض فليعدل جسده بالاعتصاف ، وينقيه بالمشي ، فإن لم يفعل اعتراه ما وصفنا : إما جذام وإما ممد .
- أسأل الله العافية ولا بأس بعلاج الجسد في جميع الأزمان إلا من النصف من

لعلماء الطب

(١) سفواء العرف : خفيفة شعر العنق .

٣٥١
٣ ثَمَّوزَ إِلَى النِّصْفِ مِنْ آبٍ ، فَذَلِكَ ثَلَاثُونَ يَوْمًا لَا يَصْلَحُ فِيهَا عِلَاجٌ ، إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ
مَرَضٌ لَا يَبْدُ مِنْ مَدَاوَاتِهِ .

جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم قال : الغلام يَنْبُتُ
كُلَّ سَنَةٍ مَقْدَارَ أَرْبَعِ أَصَابِعَ مِنْ أَصَابِعِهِ .

لجعفر بن محمد
في نمو الغلام

- ٥ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْمَنَعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ ، أَنَّهُ قَرَأَ فِي
التَّوْرَةِ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ خَلَقَ آدَمَ رَكَّبَ جَسَدَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ ، ثُمَّ
جَعَلَهَا وَرِاثَةً فِي وَلَدِهِ تَنْمُو فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَيَنْمُونُ عَلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : رَطْبٌ ،
وَيَابِسٌ ، وَسُخْنٌ ، وَبَارِدٌ . قَالَ : وَذَلِكَ أَنِّي خَلَقْتُهُ مِنْ تَرَابٍ وَمَاءٍ ، وَجَعَلْتُ
فِيهِ يَبَسًا ، فَيُبْوسَةُ كُلِّ جَسَدٍ مِنْ قَبْلِ التَّرَابِ ، وَرُطُوبَةٌ مِنْ قَبْلِ الْمَاءِ ، وَحَرَارَتُهُ
مِنْ قَبْلِ النَّفْسِ ، وَبُرُودَتُهُ مِنْ قَبْلِ الرُّوحِ . ثُمَّ خَلَقْتُ لِلْجَسَدِ بَعْدَ هَذَا الْخَلْقِ
الْأَوَّلِ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ أُخْرَى ، وَهِيَ مِلَاكُ الْجَسَدِ وَقِيَامُهُ ، لَا يَقُومُ الْجَسَدُ إِلَّا بِهِنَ ،
وَلَا يَقُومُ وَاحِدَةٌ إِلَّا بِالْأُخْرَى : الْمِرَّةُ السُّودَاءُ ، وَالْمِرَّةُ الصُّفْرَاءُ ، وَالْدَّمُ الرُّطْبُ
الْحَارُّ ، وَالْبَلْغَمُ الْبَارِدُ . ثُمَّ أَسْكَنْتُ بَعْضَ هَذَا الْخَلْقِ فِي بَعْضٍ ، فَجَعَلْتُ مَسْكَنَ
الْيُبُوسَةِ فِي الْمِرَّةِ السُّودَاءِ ، وَمَسْكَنَ الرُّطُوبَةِ فِي الدَّمِ ، وَمَسْكَنَ الْبُرُودَةِ فِي الْبَلْغَمِ ،
وَمَسْكَنَ الْحَرَارَةِ فِي الْمِرَّةِ الصُّفْرَاءِ ، فَأَيُّمَا جَسَدٍ اعْتَدَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْفِطْرُ الْأَرْبَعُ
وَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ فِيهِ وَفَقًا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ كَمَلَتْ صِحَّتُهُ ، وَاعْتَدَلَ نَبَاتُهُ .
وَإِنْ زَادَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ غَلَبَتْهُنَّ وَقَهَرَتْهُنَّ وَمَالَتْ بِهِنَ ، وَدَخَلَ عَلَى أَخَوَاتِهَا
السَّيِّئُ مِنْ نَاحِيَّتِهَا بِقَدَرِ مَا زَادَتْ . وَإِنْ كَانَتْ نَاقِصَةً عَنْهُنَّ مِلَّنَ بِهَا وَعَلَوْنَهَا
وَأَدْخَلَ عَلَيْهَا السَّيِّئَ مِنْ نَوَاحِيهِنَّ لَقَلَّتْهُنَّ عَنْهُنَّ ، حَتَّى تَضْعِفَ عَنْ طَاقَتِهِنَّ ، وَتَعْجِزَ
عَنْ مَقَارَنَتِهِنَّ .

مما في التوراة

٢٠

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهِ : وَجَعَلَ عَقْلَهُ فِي دِمَاغِهِ ، وَشَرَّهَ فِي كُلِّيَّتِهِ ، وَغَضَبِهِ فِي
كَبِدِهِ ، وَصِرَامَتِهِ فِي قَلْبِهِ ، وَرُعْبَهُ فِي رِئْتِهِ ، وَضَحَكَهُ فِي طِحَالِهِ ، وَحُزْنَهُ وَفَرْحَهُ
فِي وَجْهِهِ ^(١) ، وَجَعَلَ فِيهِ ثَلَاثِينَ وَسْتِينَ مَفْصَلًا .

(١) ن : « فِي رُوحِهِ » .

- الأصمى : من لم يخف شعره قبل الثلاثين لم يصلح أبداً ، ومن لم يحمل اللحم قبل الثلاثين لم يحمله أبداً .
- حدث زيد بن أنحزم قال : حدثني بشر بن عمر عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب .
- وقالت الحكماء : الخنث يستري الأعراب والأكراد والزنج والمجانين وكل صنف ، إلا الخصيان ، فإنه لا يكون خصي مخشاً .
- وقالوا : كل ذي ريح مُنننة وذفر كالتيس وما أشبهه ، إذا خصي نقص ريحه وذهب صناعته ، غير الإنسان ، فإنه إذا خصي زاد ثقته واشتد صنانه ، وخبث عرقه وريحه . وقالوا : وكل شيء من الحيوان يُخصي فإن عظمه يرق ، وإذا رق عظمه أسترخى لحمه ، إلا الإنسان ، فإنه إذا خصي طال عظمه وعرض .
- وقالوا : الخصي والمرأة لا يصلحان أبداً ، والخصي تطول قدمه وتعظم . وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم برذون رقيق الحافر ، فخصاه فجاد حافره وحسن . قالوا : والخصي تلين معاتده حصبه وتسترخى ، ويعتريه الاعوجاج والقدح في أصابعه^(١) ، وتسرع دمعته ، ويجود جلده ، ويسرع غضبه ورضاه ، ويضيق صدره عن كتمان السر .
- وزعم قوم أن أعمارهم تطول لترك الجماع ، كما تطول أعمار البغال . وقالوا : إن علة قصر أعمار العصافير من كثرة الجماع .
- وقالوا : في الغلمان من لا يمتم أبداً ، وفي النساء من لا تحيض أبداً ، وذلك عيب . ومن الناس من لا يسقط شعره ولا يتبدل سنه ، فمنهم عبد الصمد بن علي ، ذكروا أنه دخل قبره برواضه^(٢) .
- وقالوا : الضب والخنزير لا يلقيان شيئاً من أسنانهما أبداً .

(١) القدح ، بالتعريك : الاعوجاج .

(٢) الرواضع : ما نبت من أسنان الصبي ثم سقط في عهد الرضاع . وانظر الحيوان

- ٣٥٢
٣
- الحكام في النظر إلى السماء
- وقالت الحكماء : إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء غير الإنسان ، كرمه الله بذلك .
- ولهم في الجنين
- وقالوا : إن الجنين يقتذى بدم الحيض يُقبل إليه من قبل السرّة ، ولذلك لا تحيض الحوامل إلا القليل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض . وذلك لكثرة الدم .
- وتقول العرب : حملت المرأة سهواً ، إذا حاضت عليه . وقال الهذلي (١) :
- ومُبراً من كل غُبر حَيْضَة وفساد مُرضعة وداء مُغِيل
- يعنى أنها لم تر عليه دم حَيْض في حملها به .
- قالوا : فإذا خرج الولد من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدم الذي كان الجنين يقتذيه إلى الثديين ، وهما عُضوان باردان عصبيان يغيّرانه لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .
- وقالوا : يعيش الإنسان حيث تعيش النار ويتلف حيث لا تبقى النار .
- وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على فتق في بطن الأرض أو مغارة قدموا شمعة في طرف قناة ، فإن عاشت بالنار وثبتت دخلوا في طلبها ، وإلا أمسكوا .
- والعرب تشاءم ببكر وله الرجل إذا كان ذكراً .
- وكان قيس بن زهير أزرق بكرةً ، ابن بكرين (٢) .
- وحدث محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن حارث بن نوفل
- قال : بكر البكرين شيطان مخلد لا يموت إلى يوم القيامة . يعنى من الشياطين .
- قالوا : وابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أمه . والعرب تذكر أن الغَيْرَى لا تُنْجَب .
- وقال عمرو بن معديكرب :
- أَلَسْتَ تَصِيرُ إِذَا مَا نُسِبَ مَتَ بَيْنَ الْمُغَارَةِ وَالْأَحَقِّ
- ٢٠
- قالت الحكماء : كل امرأة أودابة تُبْطَى عن الحمل إن واقعها الفحل في الأيام التي يجري فيها الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله .
- في الحمل

(١) هو أبو كبير الهذلي ، كما في اللسان (غير) .

(٢) ن : « بكرا ابن بكر ابن بكر ابن بكر » .

- وقالت الحكماء : الزنج شرار الخلق وأردؤهم تركيباً ، لأن بلادهم سخنت
جدا فأحرقتهم في الأرحام . وكذلك من بردت بلاده لم تُفضجه الرحم . وإنما فضل
أهل بابل لعله الاعتدال . وقالوا : الشمس هي التي شَيَّطت شعر الزنج وقبضته ،
والشعر إن أدنيت من النار تقبّض ، فإذا زدته شيئاً تغفل ، فإن زدته احترق .
وقالوا : أطيب الأم أفواها الزنج وإن لم تستن^(١) ، وذلك لرطوبة أفواهاها
وكثرة الريق فيها ، وكذلك الكلاب من سائر الحيوان أطيبها أفواها ، لكثرة
الماء فيها ، وخُلو فم الصائم يكون لقلة الريق ، وكذلك الخُلو في آخر الليل .
وقالت الحكماء أيضا : كل الحيوان إذا أُلقي في الماء سَبَح . إلا الإنسان والقرد
والفرس الأعسر ، فإن هذه تفرق ولا تسبح .
قالوا : وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحُضْر إلا إذا
أخذ على يساره ، ولذلك قالوا : فقال على وحشيته ، وأنحى على شؤمى يديه .
وقالوا : كُل ذى عين من ذوات الأربع : السباع والبهائم الوحشية والإنسية ،
فإنما الأشفار منها بجفنها الأعلى ، إلا الإنسان ، فإن الأشفار ، يعنى الهدب ، بجفنيه
معاً ، الأعلى والأسفل .
وقالوا : كُل جلد ينسلخ إلا الإنسان ، فإن جلده لا ينسلخ .
وحدث أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختصم رجلان إلى عمر رضى الله عنه
في غلام ، كلاهما يدعيه ، فسأل عمر أمه فقالت : غشيتني أحدهما ثم أهرقت دما ،
ثم غشيتني الآخر . فدعا عمر بالرجلين فسألها ، فقال أحدهما : أعلن أم أمير ؟ قال :
أمير . قال : اشتركناه فيه . فضر به عمر حتى اضطجع . ثم سأل الآخر ، فقال
مثل ذلك . فقال عمر : ما كنت أرى مثل هذا يكون ، ولقد علمت أن الكلبة
يسفدها الكلاب ، فتؤدى إلى كل كلب فجلة .
ورُكِب الناس في أرجلهم ، وركب ذات الأربع في أيديها ، وكل طائر كفه رجله .
الليث بن سعد عن ابن هجلان أن امرأة حملت ، فأقامت حاملا خمس سنين
في الحمل

(١) تستن : تستعمل السواك .

ثم ولدت ، وحملت مرة أخرى فأقامت حاملاً ثلاث سنين ثم ولدت .
مولد الضحاك مولد الضحاك بن مزاحم ، وهو ابن ثلاثة عشر شهراً . وقال جرير : ولد
الضحاك لسنيتين ، وشعبة لسنيتين .

ما نقص من خلقه الحيوان

- ٥ حدث أبو حاتم عن أبي عبيدة ، والأصمعي ، وأبو زيد قالوا : الفرس لا طحال له . والبعير لا سرة له ، والظليم لا منح له . وقال زهير :
- * مِنَ الظَّالِمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ ^(١) *
- وكذلك طير الماء . والحيتان لا أسنة لها ولا أدمغة لها ، وصَفَنَ البعير لا بيضة فيه ، والسمة لا رئة لها ولا تنفّس ، وكل ذي رئة يتنفس .

١٠ المشتركة من الحيوان

- الراعي بين الورشان والحمامة . والجوامز من الإبل ، بين العراب والفواالج .
والحمير الأخدرية ، من الأخدر ، فرس كان لأردشير كسرى . توحش وحى عانات
حمير فضرِبَ فيها . وأعمارها كأعمار الخيل . والزرافة بين الناقة من نوق الحبش وبين
البقرة الوحشية وبين الضبعان ، واسمها « اشتركاو بلنك » ^(٢) ؛ وذلك أن الضبعان
١٥ يبلدان الحبشة يسفد الناقة فتجىء بولد خلقه بين خلق الناقة والضبعان ، فإن كان
ولد تلك الناقة ذكراً عرضَ لهما فألقهما زرافة . وسميت زرافة لأنها جماعة
وهي واحدة ، كأنها جمل وبقرة وضبع . والزرافة في كلام العرب : الجماعة .

وقال صاحب المنطق : الكلاب تسفدها الذئاب في أرض سلوقية ، فتكون
منها الكلاب السلوقية .

(١) صدره كما في الديوان ٦٣ : * كأن الرجل منها فوق مصل *

(٢) هذا بالفارسية . اشتر : بعير . كاو : بقرة . بلنك : غر . أما الضبع فهو بالفارسية
« كفتار » . انظر الحيوان (١ : ١٤٣ / ٧ : ٢٤١) .

الأنعام

حدث يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلي عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلق الله دابة أكرم من النعجة وذلك أنه ستر حياها دون حيا غيرها .

وحدث أبو حاتم عن الأصمعي عن إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يعرف فسج الحامل ، قبل أن يشتمها^(١) .

وقيل لابنة الخس : ما تقولين في مائه من المعز ؟ قالت : قتي . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غني . قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مئى . والعرب تضرب المثل في العرد بالمعز فتقول : أمرد من عنز جرباء .

سئل دغفل العلامة عن بني مخزوم ، فقال : معزى مطيرة ، عليها قشعريرة ، إلا بني المغيرة ، فإن فيهم تشادق الكلام ، ومصاهرة الكرام .

ومما تقوله الأعراب على السنة البهائم ، تقول المعزى : الاست جهوى ، والذنب ألوى ، والجلد زقاق ، والشعر رفاق^(٢) .

والضأن تضع مرة في السنة وتفرّد ولا تتئم ، والمعز قد تلد مرتين في السنة وتضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنماء والعدد والبركة في الضأن . ونحو هذا الخنازير ربما تضع الأثنى عشرين خنزيراً ، لا نماء فيها ولا بركة .

ويقال : الجواميس ضأن البقر ، والبخت ضأن الإبل ، والبراذين ضأن الخيل ، والجردان ضأن الفأر ، والتأدل ضأن القنأذ ، والممل ضأن النمر .

وتقول الأطباء : في لحم المعز : إنه يورث الهمة ، ويحرك السوداء ، ويورث النسيان ، ويحبّل الأولاد ، ويفسد الدم . ولحم الضأن يضر بمن يصرع من المرة إضراراً شديداً ، حتى يصرعهم في غير أوان الصرع : الأهلة وأنصاف

(١) فسجت الناقة : حملت فزمت بأنفها واستكبرت .

(٢) جهوى : مكشوفة . ألوى : ملئ . رفاق : جمع زق ، وهو السقاء . والرفاق : حبل يشد في عنق البعير إلى رسته .

أجوبة لابنة
الحس

قول دغفل في
بني مخزوم

مما يقول الأعراب
على السنة البهائم

ولادة الضأن
والمعز والخنازير

تشبيه بعض
الحيوان ببعض

أثر بعض اللحوم
في الإنسان

الشهور . وهذان الوقتان هما وقت مد البحر وزيادة الماء ، ولزيادة القمر إلى أن يصير بدرًا أثر بين في زيادة الدماغ والدم وجميع الرطوبات . قال الشاعر^(١) :

٣٥٤
٣

كَانَ الْقَوْمُ عُشُّوا لَحْمَ ضَائِنٍ فَهُمْ نَعِيجُونَ قَدْ مَالَتْ طُلَاهِمُ^(٢)

وفي الماعز أيضاً أنها ترضع من خِلْفِهَا وهي مَحْمَلَةٌ حتى تأتي على كل ما في

من خصائص
الماعر

ضرعها . وقال ابن أحر :

إِنِّي وَجَدْتُ بَنِي أَعْيَا وَجَامِلِهِمْ كَالْعَزَّازِ تَعَطَّفَ رَوْقِيهَا فَتَحْتَفِلُ

وإذا رعت الماعزة في فضل نبت ما تأكله الضائنة ولم ينبت ما تأكله الماعزة ،

لأن الضائنة تقرض بأسنانها والماعزة تقلعه وتجذبه من أصله . وإذا حملت الماعزة

أنزلت اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولادة ،

ولذلك تقول العرب : رَمَدَتْ^(٣) المعزى فَرَبَّقُ رَبَّقُ ، ورمدت الضأن فربق ربقي .

وذكر كل شيء أحسن من إنائه إلا التيوس ، فإن الصفايا أحسن منها ،

وأصوات ذكور كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر ، فإنها أجهر أصواتاً

من ذكورها .

أصوات الإناث
والذكور

وقرأت في كتاب للروم : إذا أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة ، فانظر

إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه .

١٥

وقرأت فيه : إن الإبل تتحامي أمهاتها فلا تسفدها .

وقالوا : كل ثور أفطس ، وكل بعير أعلم ، وكل ذباب أقرح^(٤) . وقالوا :

البعير إذا صعب وخافوه استعانوا عليه حتى يبرك ويعقل ثم يكومه فخل آخر

فيذلل ، وقد يفعل ذلك بالثور .

٢٠

وقال بعض القصاص : مما فضل الله به الكباش أن جعله مستور العورة من

فضل الكباش
وهوان التيس

(١) هو ذو الرمة ، كما في اللسان (نسج) . وانظر الحيوان (٤ : ٣٠١ / ٤٧٩٠٠) .

(٢) النعج : الذي أكل لحم الضأن ثقيل على قلبه . والطي : الأعناق .

(٣) رمدت ترميداً : استبان حملها وعظم ضرعها . التريق : تهيشة الأرباق ، وهي الحبال .

(٤) الأعلم : المشقوق الشفة العليا . والأقرح : الذي في وجهه قرحة . انظر الحيوان

(٣ : ٣١٠) .

قبل ومن دُبر، ومما أهان به التيس أن جعله مهتوك الستر، مكشوف القبل والدير .
وفي مناجاة عزيز : اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائفة ، ومن الطير الحمامة ،
ومن النبات الحبة ، ومن البيوت مكة وإيلياء ، ومن إيلياء بيت المقدس .
وفي الحديث « إن الغنم إذا أقيمت أقيمت وإذا أدبرت أقيمت ، والإبل إذا
أدبرت أدبرت وإذا أقيمت أدبرت ، ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم ^(١) » .

والأنط قد يكون من المعزى . قال امرؤ القيس :

لما غَنِمَ نسوةً غَزَارَ كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتْهَا عَصَى
فَتَمَلَأَ بَيْتُنَا أَقِطًا وَسَمْنًا وَحَسَبَكَ مِنْ غَنَى شَبَعٍ وَرَى

النعام

١٠ قالوا في الظليم : إن الصيف إذا أقبل وابتدأ البسر بالحرارة ابتدأ لون وظيفيه
بالحرارة فلا يزالان يتلوّنان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهى حمرة البسرة . لذلك قيل
له خاضب ، وللنعام خواضب . وفي الظليم أن كل ذى رجاين إذا انكسرت
إحدى رجليه نهض على الأخرى ، والظليم إذا انكسرت إحدى رجليه جثم ،
ولذا قال الشاعر في نفسه وأخيه :

١٥ إذا انكسرت رجلُ النعامة لم تجدد على أختها نهضا ولا دونها صبرا
قالوا : وعلة ذلك أنه لا مخ في عظمه .

وكل عظم كسر يجبر إلا عظما لا مخ فيه .

والظليم يفتدى اللدر والصخر : فتذيبه قانصته بطبعها حتى يصير كالماء .
وفي النعامة أنها أخذت من البعير النسيم ، والوظيف والعنق والخدمة ^(٢) ، ومن

٢٠ (١) الأشأم ، أى الشمال . وذلك أنها تحلب وتركب من هذا الجانب للذى دين
العرب أن يتشاءموا به . انظر الحيوان (٥ : ٥٠٩ - ٥١٠) .
(٢) ن « الحرامه » صوابها « الحرمة » وهى موضع الحرم من الأتف . انظر الحيوان
(٤ : ٣٢١) .

الطير الريش والجناحين والمناقير ، فهي لا بعير ولا طائر .

وقال الأحيمر السعدي : كنت ممن خلعتني قومي وأطلَّ السلطان دمي ،
وهربت وترددت في البوادي حتى ظننت أنني قد جرت نخل وبارٍ أو قريباً من
ذلك ، وإني كنت أرى النوى في جميع الذئاب ، وكنت أغشى الذئاب وغيرها
من بهائم الوحش ، ولا تنفر مني لأنها لم تر أحداً قبلي ، وكنت أمشي إلى الغابي
السمين فأأخذه ، إلا النمام فإني لم أره قط إلا نافرأ فزعاً^(١) .

الأحيمر السعدي
ولقاؤه الوحش

٣٥٥
٣

الطير

بلغني عن مكحول أنه قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق
النعاب في عشه .

دعاء داود

وذلك أن الغراب إذا نفس عن فراخه خرجت بيضاء فإذا رآها كذلك
نفر عنها ، وتفتح أفواهها فيرسل الله ذباباً يدخل في أفواهها فيكون ذلك غذاءها
حتى تسود ، فإذا اسودَّت عاد الغراب إليها فغذاها ودفع الله الذباب عنها .
قال الرياشي : ليس شيء تغيب أذناه من جميع الحيوان إلا وهو يبيض ،
وليس شيء تظهر أذناه إلا وهو يلد .

البيض والولادة

قال : هذا يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

١٥

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الطير : الصرد
والهدهد ، والذرة ، والنحلة .

ما نهى من قتله
من الطير

وقالوا : الطير ثلاثة أضرب : بهائم الطير وهو ما لقط الحبوب والبزور ،
وسباع الطير وهي التي تتغذى باللحم ، ومشارك وهو مثل العصفور يشارك بهائم
الطير ، فإنه ليس بذئ مخلب ولا منسر . وإذا سقط الطير على عود قدم أصابعه
الثلاثة وآخر الدابة . وسباع الطير تقدم إصبعين وتؤخر إصبعين . ويشارك سباع

ضروب الطير

(١) الخبر في الحيوان (٣ : ٤٢١) ، وحيون الأخبار (٢ : ٨٨) .

- الطير فإنه يلزم فراخه ولا يرقها ، وإنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والبلبل^(١) .
وقالوا : المصفور شديد الوطء والفيل خفيف الوطء^(٢) .
- وقال صاحب الفلاحة : العقاب والحدأة يتبدلان فيصير العقاب حدأة
والحدأة عقابا ، والأرانب تتبدل فتصير الأنثى ذكرا والذكر أنثى .
- وذكر الغربان لا يبيضن ، وكذلك ذكر الأوز و ذكر الدجاج .
- وقال كعب الأحبار : ما ذهب طائر في السماء قط أكثر من اثني عشر ميلا .
- ومن حديث سفيان الثوري عن أنس بن مالك قال : عمر الذباب أربعون
يوما ، والبعوضة ثلاثة أيام ، والبرغوث خمسة أيام .
- قال : والحمام تعجب بالكثون وتألف للوضع الذي يكون فيه ، وكذلك
العدس ولا سيما إذا نقع في عصير حلو . وما يصلح عليه ويكثر أن تدخن
بيوتهم بالعلك .
- وأيمن مواضعها وأصلحها أن يبنى لها بيت على أساطين خشب ويجعل فيه
ثلاث كوى : كوة في شمالك البيت^(٣) ، وكوة من قبل المغرب ، وباب من
قبل الجنوب .
- قال : والسذاب إذا ألقى في اللبن تحامته السناير البرية .
- هشام بن محمد قال : حدثني ابن الكلبي قال : أسماء نساء بنى نوح صلى
الله عليه وسلم ، إذا كتبت في زوايا بيت البرج سلمت الفراخ ونمت وسلمت من
الآفات . قال هشام : فجرته أنا وغيرى فوجدناه كما قال ، واسم امرأة سام بن
نوح محلت محم ، واسم امرأة حام نف نسا ، واسم امرأة يافث قار .
- والطير الذي يخرج من وكره بالليل البومة ، والصدى ، والحامة ، والضووع ،
والوطواط ، والخفاش ، وغراب الليل .
- قالوا : وإذا خرج فرخ الحامة نفخ أبواه في حلقه لتتسع الحوصلة بعد التحامها

(١) الحيوان (١ : ٢٩) (٢) الحيوان (٢ : ٣٣٠ : ١٠٠)

(٣) سمك البيت : سقفه .

وقع قدم
المصفور والفيل
تبدل بعض
الحيوان

ما لا يبيضن من
الذكور

مدى طير الطائر

عمر الذباب
والبعوض
والبرغوث

ما يعجب به الحمام

ما يكره السذاب

طريقة لحفظ ما
في الأبراج

ما يخرج من
وكره بالليل

وتنفث ، فإذا اتسعت زقاقه عند ذلك اللعاب ثم زقاه بعد ذلك الحب .

شبه الحمام
بالإنسان

قال المثنى بن زهير^(١) : لم أر شيئاً قط في رجل أو امرأة إلا رأيت في الحمام ، رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ، وذكرها لا يريد إلا أنثاء إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكور ، ورأيت حمامة لا تقمط إلا بعد شدة الطلب ، ورأيت حمامة تزيف للذكر ساعة يريد لها ، ورأيت حمامة تقمط الذكر ، ورأيت ذكراً يقمط كل ما لقي ولا يزواج ، ورأيت ذكراً له أنثيان يحضن مع هذه وهذه .

خصائص الخفاف

قالوا : ومن عجائب الخفاف أنه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة ، وتجهل وتلد ، وتحيض ، وتضع ، وتطير بلا ريش ، وتحمل ولدها تحت جناحها ، وربما قبضت عليه بفيها ، وربما ولدت وهي تطير ، ولها أذنان وأسنان ، وجناحان متصلان برجليها .

١٠
٣٥٦
٣

قالوا : والخفاف يتبع الربيع حيث كان ، وتقلع إحدى عينيه وترجع^(٢) .

البيض

قالوا : والبيض يكون من أربعة أشياء : منه ما يتكون من السفاد ، ومنه ما يتكون من التراب ، ومنه ما يتكون من نسيم ريح يصل إلى أرحامها ، وهو شيء يعتري الحجل وما شاكلها في الطبيعة ، وربما كانت الأثى على قبالة الريح التي تهب في بعض الزمان فتحتشى لذلك بيضاً^(٣) .

وكذلك النخلة التي تكون تحت الفُحَّال وتحت ريحه فتلقح بتلك الريح وتكتفى بذلك^(٤) .

(١) انظر الحيوان (٣ : ١٦٥) .

(٢) الحيوان (٤ : ١١٢) .

(٣) الحيوان (٣ : ١٧٣) .

(٤) الحيوان (٣ : ١٧٣) . والفُحَّال : ذكر النخل .

والدجاجة إذا هرمت لم يكن لبيضها مخ ، وإذا لم يكن لها مخ لم يكن لبيضها
فرخ ، لأن الفرخ ينخلق من بياض البيض وغذاؤه الصفرة .

السباع

يقال : إنه ليس في السباع أطيب أفواها من الكلاب ، ولا في الوحش
أطيب أفواها من الظباء . ويقال : ليس أشد بخرأ من الأسد والصقر ، ولا في
السباع أسبح من كلب .

وليس في الأرض فخل من سائر الحيوان لذكره حجم إلا الإنسان والكلب .
والأسد لا يأكل الحار ولا الحامض ولا يدنو من النار ، وكذلك أكثر السباع .
وتقول الروم : الأسد بدعمر لصوت الذئب ولا يدنو من المرأة الطامث .
والأسد إذا بال شفر كما يشفر الكلب ، وهو قليل الشرب ، ونجوه كنجو الكلب ،
ودواء عضته كدواء عضه الكلب .

قالوا : والعيون التي تضيء بالليل : عيون الأسد والنمور والأفاعي والسنانير .
وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع في قيئها : الأسد والكلب والسنور .
وقالوا : أيام حمل الكلبة ستون يوما ، فإن وضعت قبل ذلك لم تكد
أولادها تعيش . وأنثى الكلاب تحيض كل سبعة أيام يوما ، وعلامة ذلك أن يرم
ثر الكلبة ، ولا تريد السفاد في ذلك الوقت ^(١) .

وذكر السلوقية تعيش عشرين سنة وتعيش أنثاها اثنتي عشرة سنة .
وليس يلقى الكلب من أسنانه إلا الفايين . والذئب تسفد الكلاب في
أرض سلوقية فتكون منها الكلاب السلوقية .

والكلب من الحيوان يحتمل كما يحتمل الإنسان .
وقالوا : في طبع الذئب محبة الدم ، ويبلغ بطبعه أن يرى ذئبا مثله قد دمي ،
ولوع الذئب بالدم

(١) الحيوان (٢ : ٢٢٠) .

فيثب عليه فيمزقه . قال الشاعر^(١) :

وَكُنَّا كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأَى دِمًا بصاحبه يوماً أحال على الدِّمِ
ويقولون : ربما ينام الذئب بإحدى عينيه ويفتح الأخرى ، قال حميد
ابن ثور :

ينام بإحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى الأعادي فهو يَقْظَانُ نَامٌ
من طباع الذئب قالوا : والذئب أشدَّ السباع مُطالبةً ، وإذا هجز عوى عواء أستهفائة فتسامعت
به الذئاب ، فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان أو غيره فتأكله ، وليس في السباع
مَنْ يفعل ذلك غيرها .

وقضيب الذكر من الأرانب من عَظْم ، وكذلك قضيب الثعلب .
والأرانب تنام مفتوحة العين ، وتحيض .
وليس لشيء من ذكور الحيوان ثدى في صدره إلا الإنسان والفيل .
ولسان الفيل مقلوب على طرفه داخل .
وزعمت الهند أن نابي الفيل قرناه ، يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنك .
ويخرجان مُنكسين .

وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سنة .
وحدثني شيخ لنا عن الزيادي قال : رأيت فيلاً أيام أبي جعفر قيل إنه
سجد لسابور ذي الأكتاف ، ولأبي جعفر .
والفيلة تضع في سبع سنين .

الحيوان الذي لا يصلح إلا بأمير

الناس ، والفأر ، والغرائيق ، والسكرانكي ، والفحل ، والحشرات .
قيادة عن ابن عمر قال : الفأرة يهودية ، ولو سقيتها ألبان الإبل ما شربته .

والفأر أصناف : منها الزباب ، وهو أصم لا يسمع ، والخلد وهو أعمى . وتقول
العرب : هو أسود من زبابة . وفأرة البيش ، والبيش سم قاتل يقال : هو قرون
السنبيل ، وله فأرة تقتذبه لا تأكل غيره . وفأرة المسك من غير هذا . وفأرة
الإبل : أرواحها إذا عرقت .

٥ قالوا : والأفعى إذا نفثت في فيها حمض الأترج وأطبقت لحيةها الأعلى
على الأسفل لم تقتل بعضها أياماً .
خصائص الأفعى
والحية

قالوا : الثوم والملح وبعير الغنم نافع جداً إذا وُضع على موضع لسعة الحية ،
والحيات تقتل بريح السذاب والشيخ ، وتمجَّبُ باللفَّاح^(١) والبسباس ، والبيطيخ
والخردل والحرث^(٢) ، واللبن والحر .

١٠ وليس في الأرض حيوان أصبر على الجوع من الحية ، ثم الضب بعدها .
وإذا هرمت الحية صغر بدننها ، وقنعت بالنسيم .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرك فكّه الأسفل ، ما عدا التماسح فإنه
يحرك فكّه الأعلى .
التمساح

وبعير سمكة يقال لها الرعادة ، من أصطادها لم تزل يده تُرعد ما دامت
١٥ في شبكته .

والجمل إذا دفنته في الورد سكنت حركته حتى تحسبه ميتاً ، فإذا أدنيتَه
من الروث تحرك ورجعت نفسه .
الجمل

والبعير إذا أبلع في عافه خنفساء قتلتَه إذا وصلت إلى جوفه حية .
البعير والخنفساء

والضب يذبح ثم يمكث ليلة ، ثم يقرب من النار فيتحرك .
طول ذماء الضب

٢٠ والأفعى تذب فتبقى أياماً تتحرك وإذا وطئها أحد نهشته ، ويقطع ثلثها
الأسفل فتعيش ، وينبت ذلك المقطوع .
طول ذماء الأفعى

(١) اللفاح ، كرمان : نبت له ثمر في حجب التفاح .

(٢) الحرث ، بالضم : حب الرشاد . وانظر الحيوان (٤ : ١١٠) .

الف

سَامُ أَرْضِ

المكروب
والذباب

خرطوم الذباب

تداوی ضرر
من الحيوان

سے اسپرواں

سے اسپرواں

سے اسپرواں

سے اسپرواں

سے اسپرواں

سے اسپرواں

انتقاء أذى الحيوان

انتقاء أذى الحيوان

انتقاء أذى الحيوان

انتقاء أذى الحيوان

انتقاء أذى الحيوان

انتقاء أذى الحيوان

تقع لحوم بعض
الحيوان

تقع لحوم بعض
الحيوان

تقع لحوم بعض
الحيوان

تقع لحوم بعض
الحيوان

تقع لحوم بعض
الحيوان

الجذام والسل والشنج ووجع الكلى ، يحفف ويشوى ويطعمه العليل مطبوخاً ومشوياً ويضمده الشنج .

وعين الأفعى وعين الجراد لا تدوران .
 وليس ينسج من العناكب إلا الأنثى ، وهي الخدرنق . وولد العنكب نسج العنكبوت
 ينسج ساعة تولد . ٥

والقمل يتخاق في الرأس على لون الشعر ، إن كان أسوداً أو أبيضاً أو مخضوباً . لون القمل
 وأم حبين لا تقيم بمكان تكون فيه السُرقة ، وهي دويبة يضرب بها النمل أم حبين والسُرقة
 في الصنعة ، فيقال : أصنع من سُرقة . ٣٥٨
 ٣

أبو حاتم : عن الأصمعي ، قال : قال أبو بكر المهجري : ما من شيء يضرب
 إلا وفيه منفعة . ١٠

وقيل لبعض الأطباء . إن فلاناً يقول إنما أنا مثل العقرب أضرب ولا أنفع .
 فقال : ما أقل علمه بها ، إنها لتنفع إذا شق بطنها ووضعت على مكان السعة ،
 وقد تجعل في جوف فخار مسدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار في
 تنور . فإذا صارت العقرب رماداً سُقي من ذلك الرماد مثل نصف دانق من به
 حصاة من غير أن يضرب سائر الأعضاء . وقد تلسع من به شحى عتيقة فتتلع عنه ،
 وقد تلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج . وقد تلقى العقرب في الدهن وتترك فيه حتى
 يأخذ الدهن منها ، ويحتمدب قواها فيكون ذلك الدهن مُفرقاً للأورام الغليظة . ١٥

وقال المأمون : قلت لبختيشوع وسامويه وابن ماسويه : إن الذباب إذا
 دُلك على موضع لسعة الزنبور سكن ألمها ، فليسمي زنبور ، فحككت على موضع
 لسعته عشرين ذبابة ، فما سكن إلا في قدر الحين الذي يسكن فيه من غير
 علاج ، فلم يبق في يدي منهم ، إلا أن قالوا : كان هذا الزنبور حتماً قاضياً ،
 ولولا هذا العلاج له لقتلك . ٢٠

وقال محمد بن الجهم^(١) : لا تنهائونا بكثير مما ترون من علاج العجائز ، علاج العجائز

فإن كثيراً منه وقع إليهن من قدماء الأطباء ، كالذباب يلقى في الإمد فيسحق معه ، ليزيد ذلك في نور البصر ، ويشدّ مرا كز شعر الأجفان ، في حافات الجفون . قالوا : واللسع الأفاعي والحيتات ينفع ورق الآس الرطب ، يُعصر ويُسقى من مائه قدر نصف رطل .

علام السمع

مصايد الطير

٥

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يحتمل للطير والدجاج حتى يتحيرن ويفشى عليهن فيصيدهن عمد إلى الحلتيت ، فدافه بالماء ثم جعل في ذلك شيئاً من عسل ، ثم نَقَعَ فيه برّاً يوماً وليلة ، ثم ألقى ذلك البرّ إلى الطير فإذا لقطه تحير وغشى عليه ، فلا يقدر على الطيران إلا أن يُسقى لبناً خالطه سمن .

قال : وإن عمد إلى طحين برّ غير منخول فعبجن بجير ثم طرّح للطير والحجل فأكل منه ، تحيرت وأخذت .

ومما يُصَاد به الكراكي وغيرها من الطير أن يوضع لهن في مواقعهن إناء فيه خر ويحمل فيه خربق أسود^(١) ويُنقع فيه شعير ، ثم يلقى لهن ، فإذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء .

صيد الكراكي

وقال غيره : تُصَاد العصافير بأيسر حيلة ، تؤخذ سلّة في صورة المحبرة المنكوسة ، ويحمل في جوفها عُصفور ، فتنقض عليه العصافير وتدخل عليه ، فما دخل لم يقدر على الخروج ، فيصيد الرجل منها من يومه ما شاء وهو وادع^(٢) .

صيد العصافير

وقال : ويُصَاد طير الماء الساكن بالقرعة^(٣) ، وذلك أن تأخذ قرعة يابسة صحيحة فبرمى بها في الماء فإنها تتحرك بتحرك الماء فإذا أبصرها الطير تحرك وفزع ، فإذا كثر ذلك عليه أنس حتى ربما سقط عليها ، ثم تأخذ قرعة مثلها فتقطع رأسها ، ويُفتق فيها موضع عيقين ثم يدخل الصائد رأسه فيها ، ويدخل الماء

صيد طير الماء

(١) الخربق ، كجعفر : نبت ورقه كلسان الحمل أبيض ، والإفراط في تناوله مهلك .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ٤٤٤) .

(٣) الحيوان (٥ : ٥٣٩ — ٥٤٠) .

٢٠

ويمشي رويداً ، وكلما دنا من الطائر مد يده تحت الماء حتى يقبض على رجله
ويغمس يده به تحت الماء ويكسر جناحيه ، ويخليه فيبقى طافياً على الماء يسبح
برجليه ولا يُطيق الطيران ، وسائر الطير لا تفكر انغماسه في الماء ، فإذا فرغ من
صيد ما أراد بالقرعة لقطها وحملها .

مصايد السباع

السباع العادية تصاد بالزُّبِّي والمَغَوَّيات^(١) ، وهي آبار تُحفر في أنشاز
الأرض ، ولذلك يقال : قد بلغ السيل الزُّبِّي .

قال صاحب الفلاحة : ومما تُصاد به السباع العادية أن يُؤخذ سمك من
سمك البحر الكبير السمان فيقطع قطعاً ، ثم تشدخ وتكتل كتلاً ، ثم تؤجج نار
في غائط من الأرض تقرب منه السباع ، ثم تُقذف تلك الكتل فيها واحدة بعد
أخرى حتى ينتشر دخان تلك النار ، وقتئذ تلك الكتل فيها واحدة بعد
يُطرح حول تلك النار قطع من لحم قد جُعل فيه الخربق الأسود والأفيون ،
وتكون تلك النار في موضع لا ترى فيه حتى تقبل السباع لريح القُتار وهي
آمنة ، فتأكل من قطع ذلك اللحم ، ويخرج عليها فيصيدها الكامنون لها
كيف شاءوا .

٣٥١
٣

١٥

تفاضل البلدان

الأصمعي يرفعه إلى قتادة قال :

الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ ، فبلد السودان منها اثنا عشر ألف
فرسخ ، وبلد الروم ثمانية آلاف فرسخ ، وبلد الفرس ثلاثة آلاف فرسخ ، وبلد
العرب ألف .

٢٠

الأصمعي قال : جزيرة العرب ما بين نجران إلى العُذيب ، وقال غيره :
أرض العرب ما بين بحر القلزم وبحر الهند .

جزيرة العرب

(١) المغواة : حفرة كالزبية تحتفر للذئب ويجعل فيها جدي إذا نظر الذئب إليه سقط
عليه يريده فيصاد .

- سواد البصرة والكوفة
قالوا : وسواد البصرة : الأهواز ، وفارس . وسواد الكوفة : كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى القادسية ، وهذه كلها من عمل العراق .
- عمل العراق
وعمل العراق من هيت إلى الصين ، والهند ، والسند ، ثم كذلك إلى الري ، وخراسان كلها إلى بلد الديلم ، والجهال . وأصفهان^(١) سرّة العراق ، وافقتحتها أبو موسى الأشعري . والجزيرة ليست من عمل العراق . وهي ما بين الدجلة والفرات والموصل من الجزيرة . ومكة والمدينة ومصر ليست من عمل العراق .
- مذاهب أهل الأمصار
الأصمعي قال : البصرة كلها عثمانية ، والكوفة كلها علوية ، والشام كلها أموية ، والجزيرة خارجية ، والحجاز سنّية . وإنما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل ، إذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير فقتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
- وقيل لرجل من أهل البصرة : أتحب عليا ؟ قال : كيف أحب رجلا قتل من قومي من لدن كانت الشمس هكذا إلى أن صارت هكذا ثلاثين ألفا .
- والكوفة علوية ؛ لأنها وطن علي رضي الله عنه وداره . والشام أموية ؛ لأنها مركز ملك بني أمية وبيضتهم . والجزيرة خارجية ؛ لأنها مسكن ربيعة . وهي رأس كل فتنة ، وأكثرها نصارى وخوارج ، ومنازلهم الخابور وهو واد بالجزيرة .
- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لبني تغلب : يا خنازير العرب . والله ١٥
لئن صار هذا الأمر إلى لأضعفنّ عليكم الجزيرة .
- وقال هارون الرشيد ليزيد بن يزيد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة . قال : ٢٠
بلى ، ولكن منابرهم الجدوع .
- الأعمش عن سليم : قال : ذكر عُمر بن الخطاب الكوفة ، فقال : بُججمة العرب ، وكنز الإيمان ، ورمح الله في الأرض ، ومادة الأمصار .
- ٢٠
علي بن محمد الديني قال : الكوفة جارية حسناء تصنعُ لزوجها ، فكلمها رآها سرّته .

(١) ن : « اصفهان » .

الكوفة
وبصرة

وقال محمد بن عمير بن عطار: الكوفة سفلت عن الشام ورُبَاهَا. وارتفعت
عن البصرة وعمقها، فهي مَرِيَّةٌ مَرِيعةٌ عَذِيَّةٌ^(١) بَرِّيَّةٌ، وإذا أتت الشمال هبت
على مسيرة شهر على مثل رضاء الكافور، وإذا هبت الجنوب جاءت بها بريح
السواد وورده وياسمينته وأترجه، فهاؤها عذب، وعيشها خصب.

قال ابن عيَّاش الهمداني لأبي بكر الهذلي عن أبي العباس، وذَكَرَتْ عنده
الكوفة والبصرة، فقال: إنما مثل الكوفة مثل اللهاة من البدن يأتيها الماء
يبرده وعذوبته، ومثل البصرة مثل المثانة يأتيها الماء بعد تغير وفساد.
وقال الحجاج: الكوفة بكر حسناء، والبصرة عجوز بجراء، أُوتيت من
كل حلى وزينة.

وقال جعفر بن سليمان: العراق عَيْنُ الدُّنْيَا، والبصرة عَيْنُ الْعِرَاق، والمِرْبَدُ
عَيْنُ الْبَصْرَةِ، وداري عَيْنُ الْمِرْبَدِ.
وقال الأصمعي: تذاكروا عند زياد الكوفة والبصرة. فقال زياد: لو أضللت
البصرة لجملت الكوفة لمن دلّني عليها.

وقال حذيفة: أهل البصرة لا يفتحون باب هُدًى، ولا يُغلقون باب ضلالة،
وقد رفع الطاعون عن جميع أهل الأرض إلا عن أهل البصرة.

ومما نَقِمَ على أهل الكوفة أنهم أغدروا الناس. طَعَنُوا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَهْلَ الْكُوفَةِ
وَأَتَهَبُوا عَسْكَرَهُ، وَخَذَلُوا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بَعْدَ أَنْ اسْتَدْعَوْهُ حَتَّى قُتِلَ.
وَشَكَّوْا سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ أَنْ
يُصَلِّيَ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُرْضِيَهُمُ اللَّهُ عَنْ وَالٍ، وَلَا يَرْضَى وَالِيًا عَنْهُمْ.
وقد دعا عليهم علي بن أبي طالب فقال: اللَّهُمَّ أَرْزُقْهُمْ بِالْعِلَامِ الثَّقَفِيِّ. يعني
الحجاج بن يوسف.

وَشَكَّوْا عُمَارَ بْنَ يَاسِرٍ وَالْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، وَطَرَدُوا سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَخَذَلُوا
زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ. وَأَدْعَى النُّبُوَّةَ مِنْهُمْ غَيْرُ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ. وَكَتَبَ

(١) عَذِيَّةٌ، بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ: سَهْلَةٌ مَرِيَّةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الْأَحْسَاءِ وَالنُّزُوزِ وَالرِّيفِ.

إلى الأحنف : بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رسلي ، وقد كذبت الأنبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم .

وقيل لعبد الله بن عمر : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه . قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

٥ ولما أرادت سكينه بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم الرحيل من الكوفة إلى المدينة بعد قتل زوجها المصعب حف بها أهل الكوفة ، وقالوا : أحسن الله صحابتك يا أبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : لا جزا لكم الله خيراً من قوم ، ولا أحسن الخلافة عليكم ، قتاتم أبي وجدى وأخى وعمى وزوجى ، أيتمتونى صغيرة وأيتمتونى^(١) كبيرة .

١٠ ولما دخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل المصعب ، أقبل إليه جماعة من هؤلاء ، قالوا : أسراؤك أهل الكوفة . قال : قتلة عثمان ؟ قالوا : نعم وقتلة علي ! قال : هذه بهذه .

قدم عبد الله بن الكواء على معاوية ، فقال : أخبرنى عن أهل البصرة ، قال : يقبلون معاً ويذبرون شئى . قال : فأخبرنى عن أهل الكوفة . قال : أنظرُ الناس فى صغيرة وأوقفهم فى كبيرة . قال : فأخبرنى عن أهل المدينة . قال : أحرصُ الناس على الفتنه وأعجزهم عنها . قال : فأخبرنى عن أهل مصر . قال : لقمة آكل . قال : فأخبرنى عن أهل الجزيرة . قال : كناسة بين حُشين . قال : فأخبرنى عن أهل الشام ، قال : جُند أمير المؤمنين ، ولا أقول فيهم شيئاً . قال : لتقولن . قال : أطوع خلق الله لخلق وأعصام للخالق ، ولا يخشون فى السماء ساكناً .

٢٠

فَقَادَةَ قال : قيسَت البصرة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى ، فوجدوا طولها فرسخين وعرضها فرسخين .

(١) أيها : جعلها أيتماً ، وهى التى مات عنها زوجها .

الأصمعيّ قال : قال ابن شهاب الزهري : من قدم أرضاً فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عوفي من وبائها .

الأصمعيّ قال : دخلت الطائف فكأنني كنت أبشر ، وكان قلبي ينضج بالسرور ، وما أجيد لذلك علّة إلا انفساح جوفها ، وطيب نسيمها .

ودخل سليمان بن عبد الملك الطائف ، فنظر إلى بيادر الزيب فقال : ما تلك

الجرار السود ؟ قيل له : ليست بجرار يا أمير المؤمنين ، ولكنها بيادر الزيب . فقال : لله درّ قسيّ ، في أي عشٍ أودعَ أفرخه ؟

يريد بقسيّ ثقيفاً^(١) . كذلك كان اسمه .

الأصمعيّ قال : من أمثال العامة يقولون : حمى خير ، وطحال البحرين ،

ودماميل الجزيرة ، وطواعين الشام . ١٠

الأصمعيّ قال : ذكروا أن في باب سمرقند مكتوباً : بين هذه المدينة وبين صنعاء ألف فرسخ .

قال الأصمعيّ : وبين بغداد وأفريقية ألف فرسخ ، وبين الكوفة والبصرة ثمانون فرسخاً ، وواسط بينهما متوسطة ، ولذلك سميت واسطاً .

الشامات

١٥

أول حدّ الشام من طريق مصر أمّج ، ثم يليها غزّة ، ثم الرملة رملة فلسطين ، ومدينتها العظمى فلسطين وعسقلان ، وبها بيت المقدس . وفلسطين هي الشام الأولى .

ثم الشام الثانية ، هي الأردن ، ومدينتها العظمى طبرية ، وهي التي على شاطئ البحيرة ، والغور واليرموك . ويسان فيما بين فلسطين والأردن .

٣٦١
٣

(١) قسي : اسم لثقيف ، سمي بذلك لأنه مرّ على أبي رغال ، وكان مصدقاً فقتله ،

نسب قسبا لقسوته . قال راجزهم :

* نحن قسيّ وقسا أبرنا *

ثم الشام الثالثة القوطة ، ومدينتها العظمى دمشق ، ومن سواحلها طرابلس .

ثم الشام الرابعة وهي أرض حمص .

ثم الشام الخامسة وهي قنسرين ، ومدينتها العظمى — حيث السلطان —

حلب . وبين قنسرين وحلب أربعة فراسخ ، وساحلها انطاكية مدينة عظيمة على

شاطئ البحر ، في داخلها البساتين والأنهار والمزارع ، وهي مدينة حبيب النجار ،
الذي جاء من أقصى المدينة يسمى . وبها مسجد يُنسب إلى حبيب النجار .

ومن ثغور الشام الخامسة : المصيصة وطرسوس ونهرا جيمحان وسيحان .

الجزيرة

ثم الجزيرة ، وهي ما بين دجلة والفرات ، وبهما نهران يقال لهما الخابور

والبليخ ، ومخرجهما من رأس العين ، مدينة عظيمة بالجزيرة في داخلها عين هي عنصر

الخابور والبليخ . وعلى الخابور منازل ربيعة أكثرها نصارى ، وخوارج . ونصيبين

من الجزيرة ، وهي مدينة عظيمة مطلة على جبل الجودي . والموصل من الجزيرة

أيضا . والرقّة وحرّان من الجزيرة أيضا . ومن ثغور الجزيرة في جهة عمورية من

أرض الروم بطرة وملطية . وفي جوف الفرات جزائر فيها مدن يقال لها عانة

وعانات . وعلى شط الفرات مما يلي الجزيرة قرقيسيا ، ومما يلي الشام الرحبة رحبة

مالك بن طوق .

العراقان

العراقان : هما البصرة والكوفة ، وقد تقدّم ذكرهما واختلاف الناس فيهما .

ومما أحدث الخلفاء بالعراق خلفاء بني هاشم من المدن الأنبار ، وهي مدينة

أبي العباس ، أول من ولي الخلافة من بني هاشم ابتناها واتخذها دار خلافته . ثم ولي

أخوه أبو جعفر المنصور ، فانتقل إلى بغداد وابتنى بها الكرخ ، وهي مدينة السلام

في جوف بغداد ، وهي دار خلافة بني هاشم . حتى قام المعتصم محمد بن هارون

فانتقل منها إلى سَامَرَّا . وتفسير سامرا أن سام بن نوح عليه السلام بقاها . وإنما هو بالسريانية ، وهي دار الخلافة إلى الآن .

فارسي

- ٥ منها الأهواز مدينة عظيمة وبلدها واسع جدا ، وهي من سواد البصرة .
وتُسَمَّى مدينة يعمل فيها النستري من الملاحف . ومدينة يقال لها جُور تستر — جور
وإليها ينسب ماء الورد الجوري . ومدينة يقال لها إصطخر بها تعمل الأكسية إصطخر
الإصطخرية الجياد السود . ومدينة يقال لها السُّوس بها تعمل الثياب السوسية من السوس
الخز وغيره . ومدينة يقال لها العسكر وإليها تنسب الثياب العسكرية . ومدينة يقال العسكر
لها الأفساسار وبها تعمل الأكسية الأفساسارية الجياد . ومدينة يقال لها دَسْتُوَا ، الأفساسار —
دستوا
١٠ وبها تعمل الثياب الدستوائية . ومدينة يقال لها مَيْسَان ، وبها يعمل الوطاء ميسان
الميسانى . ومدينة يقال لها الدسكرة دسكرة الملك ، كانت لكسرى . ومدينة الدسكرة
يقال لها حلوان ، وهي أول الجبال من خراسان وآخر العراق . حلوان

خراسان

- ١٥ أول مدنها الري ، وهي آخر الجبال من خراسان ، وإليها ينسب من الري
الرجال الرازي ، ومن خراسان مَرَو ، وهي دار خلافة المأمون ، ومنها خرج مرو
أبو مسلم صاحب الدعوة . ومن ينسب إليها من الرجال يقال له مَرَوَزِي ، ومن
الثياب مَرَوِي . ومدينة يقال لها قَوْمَس ، وإليها تنسب الطِّيَّان ^(١) القومسية . قومس
ومدينة يقال لها سابور بها مُلْك بنى طاهر . ومدينة يقال لها هَرَاة وإليها ينسب سابور — هراة
المروى من الرجال والمتاع . ومدينة يقال لها بلخ وإليها ينسب البلخي ، وبها معادن بلخ
٢٠ البجادي العتيق ^(٢) ، وهو جنس من الفصوص تُسميه العامة البزادي . ومدينة
يقال لها خَوَارِزْم وإليها ينسب الخوارزمي ، وهي على شط البحر المحيط . وبلخ خوارزم
على شط النهر العظيم ، الذي يقال له جيحان بخراسان . ثم جرجان ، وهي مدينة جرجان

(١) جمع طاق ، وهو ضرب من الثياب ، أو الطيلسان ، أو الأخضر منه .

(٢) البجادي ، بكسر الباء : حجر يشبه الياقوت . نخب القنائر ١٧ .

قوهى	عظيمة على شط البحر المحيط ، وإليها يُنسب الوثنى الجرجاني والمتاع . ثم قوهى
كابل	وهى مدينة عظيمة إليها يُنسب القوهى من الثياب . ثم كابل ، وهى مدينة يؤتى
سمرقند	منها بالإهليلج الكابلى . ثم سمرقند ، وهى مدينة عظيمة إليها يُنسب السمرقندى
كرمان	من الثياب . وبين بغداد وبينها مسيرة ستة أشهر ومما يليها كَرْمَان ، وهى على
تبت	بطامخ السند وبلاد السند من آخر خراسان ، ما بين المغرب والمشرق من جهة
فرغانة	القبلة ^(١) . وآخر مدن خراسان مدينة يقال لها تَبَّت ، وهى من أرض الترك
	وبها جمع المسك وإليها ينسب المسك التبتى . ومدينة يقال لها فرغانة وأهلها جنس من
	العجم يقال لهم الصُّغْد ، وهم الذين يقطعون آذانهم من الحزن ، إذا مات لهم كبير .
قره يسين	ومن المدن التى فى صدر خراسان مع الجبال مدينة يقال لها قره يسين . ثم
الدينور	الدَّيْنَوْر ، وإليها ينسب الدينورى . ومدينة تَمْدَان مدينة عظيمة ، وطبرستان
قم	مدينة عظيمة فيها تعمل الأكسية الطبرية ، ثم قَم وهى مدينة عظيمة منها يؤتى
أصبهان — طوس	بالزعفران . ثم أصبهان وهى مدينة عظيمة ، ثم طوس وهى من ثغور الجبال .

مصر

الفسطاط	من ناحية الشام الفسطاط ، وهى مدينة بها منبران ومسجدان يجمع فيهما
عين شمس	العسكر حيث السلطان . وعين شمس ، بها منبر ، وهى كانت مدينة فرعون ، وفيها
الفرما — العريش	بنيانه قائم . والفرما لها منبر ، والعريش الذى يقال له عريش مصر له منبر ، وهى
بوصير — تنيس	آخر مصر وأول الشام . ومن أسفل الأرض بوصير ، لها منبر . وتنيس لها منبر ،
شطا	وإليها تنسب الثياب التنيسية ، وبها طراز للخليفة . وشطا لها منبر وإليها ينسب
ديق الاسكندرية	الشطوى . ودبيق ، لها منبر وإليها ينسب الدبيقى من الثياب . والإسكندرية
القلزم — أيلة	لها منبر . من ناحية الحجاز . القلزم لها منبر . وأيلة لها منبر . ومن ناحية الصعيد
القس — الصفن	القس ، وإليها ينسب القسى من الثياب . والصفن ، وإليها تنسب الأكسية
دلاس — الفيوم	الصيفية الحمر . ودلاس لها منبر ، وهى مجمع سحرة مصر . والفيوم مدينة لها منبر

(١) ن : « وهى على بطامخ السند من خراسان ما بين الغرب والشرق في جهة القبلة » .

تؤدَّى كل يوم ألف دينار ، وخلف ذلك بوق ، وبها تكون معادن الذهب والجواهر والزبرجد .

صفة المسجد الحرام

- ٥ صحنه كبير واسع ، ذرعه طولاً من باب بني جُمَحَ إلى باب بني هاشم الذي يقابل دار العباس بن عبد المطلب أربعمائة ذراع وأربع أذرع . وذرعه عرضاً من باب الصفا إلى دار الندوة لاصقاً بوجه الكعبة الشرقي ثلثمائة ذراع وأربع أذرع . وله ثلاث بلاطات مُحَدَّقة به من جهاته كلها ، مُنْتَظَم بعضها ببعض . وهي داخلة في الذرع الذي ذكرت ، فوقها سماوتها مذهبة ، وحافاتها على عمود رُخَام بيض عددها في طوله من الشرق إلى الغرب مع وجه الصحن خمسون عموداً ، وفي عرضها ثلاثون عموداً ، بين كل عمودين مثل عشر أذرع . وجُملة عمد المسجد أربعمائة وأربعة وثلاثون عموداً ، طول كل عمود منها عشر أذرع ودَوْرُه ثلاث أذرع . والمذهبة من رموس العمدة ثلثمائة وعشرون رأساً . وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء . وأبوابه على عمود رخام ما بين الأربعة إلى الثلاثة إلى الاثنين ، وهي ثلاثة وعشرون باباً لا غَلَقَ عليها ، يصعد عليها في عدة ١٥ من درج .

صفة الكعبة

- ٣٦٣ بيت الله الحرام بوسَط المسجد ، كان ارتفاعه في عهد إبراهيم عليه السلام ٣ فيما يقال والله أعلم تسع أذرع ، وطوله في الأرض ثلاثون ذراعاً ، وعرضه اثنتان وعشرون ذراعاً . وكان له ثلاثة سُقُوف ثم بَنَتْهُ قُرَيْش في الجاهلية فاقتصرت على ٢٥ قواعد إبراهيم ورفعتهم ثمان عشرة ذراعاً ، ونقصت من طوله في الأرض ست أذرع وشبراً تركته في الحجر ، فلما هدمه ابن الزبير رَدَّه على قواعد إبراهيم ورفعه سبعة وعشرين ذراعاً ، وفتح له بابين : باباً إلى الشرق وباباً إلى الغرب يدخل

من الشرق ويخرج من الغربى . فكان كذلك حتى قتل . فلما تغلب الحجاج على مكة أستاذن عبد الملك بن مروان فى هدم ما كان ابن الزبير زاده من الحجر فى الكعبة . فأذن له فردّه على قواعد قريش وسد الباب الغربى ولم ينقص من ارتفاعه شيئاً .

- ذراع البيت ٥ فذرع وجهه القبلى اليوم من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرون ذراعا ، ووجهه الجنوبى من الركن العراقى إلى الركن الشامى ، وهو الذى يلى الحجر إحدى وعشرون ذراعا . ووجهه الشرقى من الركن الأسود إلى الركن العراقى خمس وعشرون ذراعا . ووجهه الغربى من الركن اليمانى إلى الركن الشامى خمس وعشرون ذراعا .

- الدرجة المخصصة ١٠ وحول البيت كله إلا موضع الركن الأسود درجة مخصصة ، يكون ارتفاعها عظم الذراع فى عرض مثله ، وقاية للبيت من السيل .

- باب البيت ١٥ وباب البيت فى وجهه الشرقى على قدر القامة من الأرض ، طوله ست أذرع وعشر أصابع ، وعرضه ثلاث أذرع وثمان عشرة إصبعا . والبابان من ساج ، غلظ كل باب ثلاث أصابع ، ظاهرهما ملبس بالذهب وباطنهما بالفضة ، فى كل باب ست عوارض ، ولها عروستان يضرب فيهما قفل من ذهب وحواجبه كلها مذهبة ماعدا الحاجب الأيمن ، فإن العلوى الثائر لما تغلب على مكة قلع ذهبه فترك على حاله . وتحت العتبة العليا عتبة مذهبة والبابان من ورائهما ، والعتبة السفلى مستورة بالديباج إلى الأرض .

- الملتزم ٢٠ وبين الركن الأسود والباب خمس أذرع أو نحوها ، وهو الملتزم فيما يذكر عن ابن عباس .

الحجر الأسود ٢٠ والحجر الأسود على رأس صخرتين من وجه الأرض قد نحت من الصخر مقدار ما أدخل فيه الحجر وشقت الصخرة الثالثة عليهما مثل إصبعين . والحجر أملس مجزّع حالك السواد فى قدر الكف الحنية ، قد لُز من جوانبه بمسامير

- الفضة . وفيه صدوع^(١) ، وفي جانب منه صفيحة فضة تحسبها شظية منه شظيت فجبرت بها . وصخر الرُّكن الأسود أحرش أكبر من صخرنا قليلا .
- وللبيت سقنان سقف دون سقف ، وفيهما أربع روازن^(٢) ينفذ بعضها إلى بعض للضوء ، والسقف الأسفل ثلاث جوائز من ساج منقشة مذهبة . وفي داخل البيت في الحائط الغربي قبالة الباب الجزعة ، على ست أذرع من قاع البيت وهي سوداء مخططة ببياض ، طولها اثنتا عشرة إصبعا في مثل ذلك ، وحولها طروق من ذهب عرضه ثلاث أصابع . ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم جعلها على حاجبه الأيمن حين صلى في البيت .
- والحجر بحوفي البيت محجور من الركن العراقي إلى الركن الشامي تحجيرا محنيا غير مرتفع . قد أنقطع طرفاه دون الركنين اللذين يليانه بمثل ذراعين للدخول والخروج ، يكون ما بين مُوسطة جنبي التحجير والبيت كما بين الرُّكنين ، وأرتفاع التحجير مثل نصف قامة . وهو ملبس بالرخام من داخله وخارجه وأعله ، وجعل بين كل رخامتين عمود من رصاص لزاواهما ، وقاع الحجر كله مفروش بالرخام ، ومصبت الميزاب فيه ، وقبلتنا إليه .
- والميزاب مُوسطة أعلى جدار الكعبة خارجا عنه مثل أربع أذرع في سعته ، وأرتفاع حيطانه ثمان أصابع ، ملبس ظاهره وباطنه بصفائح الذهب . والصفائح مسترة بمسامير مرسوسة من ذهب .
- والبيت كله مستور إلا الركن الأسود ، فإن الأسطار تُخرج عنه مثل القامة ونصف ، وإذا دنا وقت الموسم كسى القباطي ، وهو ديباج أبيض خراساني ، فيكون بتلك الكسوة ما كان الناس مُحرمين . فإذا حلَّ الناس وذلك يوم النحر ، حلَّ البيت ، فكسى الديباج الأحمر الخراساني . وفيه دارات مكتوب فيها حمد الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه ، فيكون كذلك إلى العام القابل . ثم يُكسى

(١) ن : « صدع » .

(٢) الروازن : جمع روزنة ، بالفتح ، وهي الكوة والنافذة .

أيضا على حال ما وصفتُ . فإذا كثرت الكسوة فحشى على البيت من ثقلها خفف منها ، فأخذ ذلك سدنة البيت ، وهم بنو شيبه .
وذكر بعض المصريين أنه حضر كشف البيت سنة خمس وستين فرأى بلاطه الزعفران واللوان .

وذكر أيضا عن بعض المكيين حديثا يرفعونه إلى مشايخهم ، أنهم نظروا ٥ إلى الحجر الأسود إذ هدم ابن الزبير البيت وزاد فيه ، فقدروا طوله ثلاث أذرع ، وهو ناصع البياض فيما ذكروا إلا وجهه الظاهر . وأسوداده فيما ذكروا ، والله أعلم ، لأستلام أهل الجاهلية إياه ، ولطخه بالدم .

والمقام بشرق البيت على سبع وعشرين ذراعا منه ، وجهه المصلى خلفه المقام
الركن الأسود مستقبل البيت إلى الغرب ، والركن العراقي على يمينه ، والباب والركن الأسود على يساره ، وهو فيما ذكر من رآه حجر غير مرفوع يكون ذراعا في ذراع ، وفيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام ، وطول القدم مثل عظم الذراع . والحجر موضوع على منبر لثلاثين يمتد به السيل ، فإذا كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقب لثلاثين الأيدي . وحول البيت كله سوار ست غلاظ مربعة من حديد
مذهبة ورءوسها مذهبة أيضا ، يوقد عليها بالليل للطائفين ، بين كل عمود منها ١٥ والبيت نحو ما بين المقام والبيت . وزمزم بشرق الركن الأسود بينهما مثل الثلاثين ذراعا ، وهي بئر واسعة تنورها من حجر^(٢) مطوق أعلاه بالخشب ، وسقفها قبو مزخرف بالفسيفساء على أربعة أركان ، تحت كل ركن منها عمود رخام متلاصقان ، قد سُدَّ ما بين كل ركنين منها بشرجب خشب ، ورَدَّ إلى باب من جهة المشرق . وحول القبو كله رف مثل البرطلة^(٣) ، وبشرق زمزم بيت مقدر ٢٠ سقفه قبو مزخرف بالفسيفساء أيضا مقفل عليه ، وشرقي هذا البيت بيت كبير مربع له ثلاثة أقباء ، وفي كل وجه منه باب .

(١) ن : « عكست » .

(٢) في اللسان : « وكل مفجر ماء تنور » . ن : « من صخر » .

(٣) البرطلة : المظلة ، ولأمة مخففة وقد تشدد .

- وَحَمَامُ الْمَسْجِدِ كَثِيرٌ أُنَيْسٌ ، يَكَادُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَطَّأَهُ بِقَدَمِهِ لِأَنَّهُ بِالْقَاسِ ،
وَهُوَ فِي لَوْنِ حَمَامِ الْأَبْرَجَةِ عِنْدَنَا إِلَّا أَنَّهُ أَقْدَرُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ مِنْهَا حَمَامَةٌ تَجْلِسُ عَلَى
الْبَيْتِ وَلَا تَطِيرُ عَلَيْهِ . وَلَقَدْ هَمَّنِي ذَلِكَ فَرَأَيْتُهَا حِينَ تَكَادُ أَنْ تُحَازِيَ الْبَيْتَ ، وَهِيَ
مُسْتَعْلِيَةٌ فِي طَيْرَانِهَا ذَلِكَ ، عَكَسَتْ ^(١) حَتَّى تَصِيرَ دُونَهُ ، وَأَخَذَتْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ بَسَارِهِ ،
وَذَرَقَتْ ظَاهِرَ بَارِزٍ عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ فَإِنَّهُ نَقَى لَيْسَ
فِيهِ وَلَا عَلَيْهِ مِنْهُ أَثَرٌ ، فَسَبَّحَانَ مَعْظَمَهُ وَمُقَدَّسَهُ وَمُطَهَّرَهُ وَتَعَالَى عُلُوًّا كَبِيرًا .
- وَبَيْنَ بَابِ الصَّفَا — وَهُوَ بِقِبْلَةِ الْبَيْتِ — وَالصَّفَا الشَّارِعَ وَهُوَ بَطْنُ الْوَادِي ،
وَبَعْدَ الشَّارِعِ فَنَاءٌ غَيْرُ كَبِيرٍ فِيهِ الْبَاعَةُ ، ثُمَّ الصَّفَا فِي أَصْلِ جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ قَدْ أَحْدَقَ
بِهَا الْبِنَاءُ إِلَّا مِنْ الْوَجْهِ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهَا مِنْهُ ، وَالرَّقَى إِلَيْهَا عَلَى ثَلَاثِ دَرَجٍ مَبْنِيَةٍ
بِالصَّخْرِ . وَالْوَاقِفُ عَلَى الصَّفَا مُسْتَقْبِلُ الْجُوفِ يَنْظُرُ إِلَى الْبَيْتِ مِنْ بَابِ الصَّفَا .
- وَالْمُرُوءَةُ بِشَرْقِ الْمَسْجِدِ وَهِيَ أَمِنْ الصَّفَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، قَدْ أَحْدَقَ بِهَا الْبِنَاءُ أَيْضًا
إِلَّا مِنْ وَجْهِ الْمُصْعَدِ إِلَيْهَا ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَى الْقُصُورِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الزَّقَاقِ
الضَيِّقِ ، فَالْوَاقِفُ عَلَى الْمُرُوءَةِ مُسْتَقْبِلُ الْبَيْتِ تُجَاهَ الْفَرْجَةِ يَرَى الْمِيزَابَ وَمَا أُنْصَلُ
بِهِ مِنَ الْبَيْتِ ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمُرُوءَةِ شَبِيهٌ بِمَا بَيْنَ السَّقَايَةِ وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ . وَالسَّاعِي
بَيْنَهُمَا إِذَا هَبَّطَ مِنَ الصَّفَا يَرِيدُ الْمُرُوءَةَ سَلَكَ فِي الشَّارِعِ وَهُوَ بَطْنُ الْوَادِي ، عَنْ
يَمِينِهِ الْقُصُورُ ، وَعَنْ يَسَارِهِ الْمَسْجِدُ ، ثُمَّ يَعْتَرِضُهُ بَطْنُ وَادٍ إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِيهِ
أَرْقَلَ حَتَّى يَخْرُجَ عَنْ آخِرِهِ ^(٢) ، وَلَهُ عَلَمَانِ أَخْضِرَانِ فِي جَانِبِي الْوَادِي ، أَحَدُهُمَا
وَهُوَ الْأَوَّلُ خَلْفَ بَابِ الصَّفَا لاصْطِقَا بِالسُّورِ ، وَالثَّانِي أَمَامَهُ بَاطِنُ عَنِ السُّورِ ، جَمَلًا
لِيَفْهَمَ بِهِمَا حَدَّ الْوَادِي الَّذِي يَرْمَلُ فِيهِ .
- وَمِنْ قَرْيَةٍ بِشَرْقِ مَكَّةَ تَنْحَوُ إِلَى الْقِبْلَةِ قَلِيلًا ، خَارِجَةٌ عَنِ الْحَرَمِ عَلَى نَحْوِ
الْفَرَسِخِ مِنْهَا ، وَفِيهَا بَنِيَانٌ وَسَقَايَاتٌ ، وَأَوَّلُ مَا يَلْقَى مِنْهَا الْخَارِجُ مِنْ مَكَّةَ إِلَيْهَا
جَمْرَةُ الْعَقْبَةِ ثُمَّ الْجُرْتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَرْمِيَانِ مَعَ جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ أَيَّامَ النَّشْرِيقِ .

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « غَطَسَتْ » .

(٢) أَرْقَلَ : أَسْرَعَ . ن « حَتَّى يَخْرُجَ عَنْهُ » .

وبها مسجد أكبر من جامع قرطبة ، وهو مسجد الخيف ، له مما يلي الحراب أربع بلاطات معترضة ، سقفها من جرائد النخل ، وعمدها محصصة ، والمنبر عن يسار الحراب ، والباب الذي يخرج منه الإمام عن يمينه ، وفي مُوسطة صحن المسجد منارة ، وفي كل جانب منها سقيفة .

- المزدلفة وهي الشعر الحرام بين منى وعرفة ، وهي من منى على نحو الميادين ، ٥ ولها مسجد مُصَحَّر لا بناء فيه إلا الحائط الذي فيه الحراب ، وليس بها ساكن . وعرفة بشرقي منى على نحو الفرسخين منها ، ليس بها ساكن ولا بناء إلا سقايات وقنوات يجري فيها الماء ، وليس بمسجدها ببيان إلا الحائط الذي فيه الحراب ، وموقف الناس يوم عرفة بعرفة في الجبل وما يليه مما تحته ، والجبل بين المشرق والجوف من مسجدها ، وفي الموضع الذي يقف فيه الإمام ماء جارٍ . وحراب ١٠ منى وعرفة والمزدلفة إلى نحو المغرب .

صفة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم

- بلاطاته في قبلته معترضة من المشرق إلى المغرب ، في كل صف من صفوف ١٥ عمدها سبعة عشر عمودا ، ما بين كل عمودين منها فجوة كبيرة واسعة ، والعمد التي في البلاطات القبليّة بيض محصّصة شاطّة جدا^(١) ، وسائر عمد المسجد رُخام ، والعمد المحصّصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤسها مذهب عليها نجف منقشة مذهب ، ثم السموات على النجف وهي أيضاً منقشة مذهب . وقبالة الحراب مُوسطة البلاطات^(٢) ، بلاط مذهب كله شقت^(٣) به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالحراب ولا يشقه ، وفي البلاط الذي يلي الحراب تذهيب كثير ، وفي مُوسطته سماء كالترس المقدّر مجوف كالتمحار ، مذهب ، وقد أخذ وجهه ٢٠ السور القبلي من داخل المسجد بإزار رُخام من أساسه إلى قدر القامة منه ، وكفّ

(١) شاطّة : عالية مرتفعة .

(٢) موسطة الشيء ، بضم الميم وفتح السين : ما كان في وسطه .

(٣) ن : « صب » بدون إجماع .

- على الإزار بطوق رخام في غلظ الأصبع ، ثم من فوقه إزار دونه في العرض مخلّق بالخلق ، ثم فوقه إزار مثل الأول فيه أربعة عشر باباً في صف من الشرق إلى الغرب في تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة منقشة مذهبة ، ثم فوقه إزار رخام أيضاً فيه صنيعة سماوية فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين ، غلظه قدر أصبع ، من سور قصار الفضل ، ثم فوقه إزار رخام مثل الأول الأسفل ، فيه ترسة من ذهب منقشة وبين كل ترسين منها عمود أخضر في حافته قضبان من ذهب ، ثم فوقه إزار رخام فيه صنيعة منقشة عرضها مثل عظم الذراع ، لها قضبان وأوراق من ذهب ثم فوقه إزار فيفساء عريض ، ثم السماوات عليه .
 ٣٦٦
 ٣
- والحراب في مُوسطة السور القبلي ، على قوسه قصّة من ذهب ناتئة غليظة ، في وسطها امرأة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنها . ١٠

قبو المحراب

- مقدر جدا ، وفيه دارات بعضها مذهبة وبعضها مُهرّ وسود ، وتحت القبو صنيعة ذهب منقشة ، تحتها صفائح ذهب مشمعة ، فيها جزعة في مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة ، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلّق بالخلق ، فيه الوتد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المحراب الأول ، عند قيامه من السجود فيما ذكر . والله أعلم . وعن يمين المحراب باب يدخل منه الإمام ويخرج ، وعن يساره باب صغير شطرنجيّ قد سد بعوارض من حديد ، وبين هذين البابين والمحراب تمشّى مسطح لطيف . ١٥

المقصورة

- والمقصورة من السور الغربي لاصقة بالباب إلى الفصيل اللاصق بالسور الشرقي ، ومن هذا الفصيل يصعد إلى ظهر المسجد ، وهي قديمة مختصرة العمل ، لها شرفات وأربعة أبواب ، وخارج المقصورة قريباً منها عن يسار المحراب سرب في الأرض يهبط فيه على درج فيفضى منها إلى دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ٢٠

المنبر

والمنبر عن يمين المحراب في أول البلاط الثالث من المحراب في روضة مفروشة بالرخام محجور حولها به . وله درج ، وصمر في أعلاه لوح لثلاثين مجلس أحد على الدرجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليها ، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زماننا الآن ، والجذع أمام المنبر ، وبشرقي المنبر تابوت يستريح به مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قبر الرسول صلى الله عليه وسلم

وقبره صلوات الله عليه وسلامه بشرقي المسجد في آخر مسقفه القبلي مما يلي الصحن بيده وبين السور الشرقي مثل عشر أذرع ، قد حفر حوله بحائط بينه وبين السقف مثل ثلاث أذرع ، وله ستة أركان ، ولُبَّسَ بإزار رخام أكثر من قامة ، وما فوق الرخام مخلَّق بالخلق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على ترعة من ترع الجنة » .

المسجد الحرام

وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حَجَرٌ محجور لثلاثين مشى عليه ، والبلاطات الجوفية خمسة والغربية أربعة ، منتظم بعضها ببعض في طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف ثمانية عشر عموداً ، وحنايا المسجد كلها مما يلي الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمود من داخله ، مزخرفة بنخشب منقش ، والمسجد ثلاث منارات اثنتان في الجوف وواحدة في الشرق ، وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها ، وله ثمانية عشر باباً عتبتها مذهبة ، وهي أبواب عظيمة لا غلق عليها ، أربعة منها في الجوف ، وسبعة في الشرق وسبعة في الغرب . وقاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر ، ووجه سور المسجد كله من خارج منقش بالكُذَّان^(١) ، وكذلك الشرفات .

آداب من يدخل المسجد

فيذهب للداخل في المسجد أن يأتي الروضة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنها روضة من رياض الجنة » فيصلي فيها ركعتين ، ثم يأتي قبر النبي

(١) الكذان : الحجارة الرخوة النخرة .

صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فيستدبر القبلة ويستقبل القبر ، ويسلم عليه
صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبي بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، ولا يلصق بالقبر
فإنه من فعل الجاهل ، وقد كره ذلك ، فإذا فعل ما ذكر استقبل القبلة ودعا
بما أمكنه بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرفنا به ، ورزقنا شفاعته
برحمته ، آمين .

صفة مسجد بيت المقدس

وما فيه من آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

طول المسجد سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعا ، وعرضه أربعمائة ذراع
وخمسون ذراعا بذراع الإمام ، ويسرج في المسجد ألف قنديل وخمسمائة
قنديل ، وعدة ما فيه من الخشب ستة آلاف خشبة وتسعمائة خشبة ، وعدد ما فيه
من الأبواب خمسون بابا ، وعدد ما فيه من العمد ستمائة وأربعة وثمانون عمودا ،
والعمد التي داخل الصخرة ثلاثون عمودا ، والعمد التي خارج الصخرة ثمانية
عشر عمودا ، وفيه الصخرة الملبسة صفائح الرصاص عليها ثلاثة آلاف صفيحة
وثلاثمائة واثنان وتسعون صفيحة ، ومن فوق ذلك صفائح النحاس مطلية بالذهب
يكون عليها عشرة آلاف صفيحة ، ومائتان وعشر صفائح ، وجميع ما يسرج
في الصخرة من القناديل أربعمائة قنديل وأربعة وستون قنديلا بمعاليق النحاس
وسلاسل النحاس ، وكان طول صخرة بيت المقدس في السماء اثني عشر ميلا ،
وكان أهل أريحا يستظلون بظلها ، وأهل عمّواس مثل ذلك . وكان عليها ياقوتة
هراء تضيء لأهل البلقاء ، وكان ينزل في ضوئها نساء أهل البلقاء . وفي المسجد
ثلاث مقاصير للنساء ، طول كل مقصورة ثمانون ذراعا في عرض خمسين ذراعا ، وفيه
من السلاسل لتعليق القناديل ستمائة سلسلة ، طول كل سلسلة ثمان عشرة ذراعا ،
وفيه من غرابيل النحاس سبعون غرابلا ، وفيه من الصنوبر التي للقناديل سبع
صنوبرات ، وفيه من المصاحف الجامعة سبعون مصحفا ، وفيه من الكبار التي

في الورقة منها جلد ستة مصاحف على كراسي تجعل فيها ، وفيه من المحاريب عشرة ، ومن القباب خمس عشرة قبة ، وفيه أربعة وعشرون جُيًّا للماء ، وفيه أربعة مناور للمؤذنين ، وجميع سطوح المسجد والقباب والمنارات ملبسة صفائح مذهبة ، وله من الخدم بعيالاتهم مائتا مملوك وثلاثون مملوكا ، يقبضون الرزق من بيت مال المسلمين ، ووظيفته في كل شهر من الزيت سبعمائة قِسط بالإنجيزي ، ووزن القسط رطل ونصف بالكبير ، ووظيفته في كل عام من الحصر ثمانية آلاف ووظيفته في كل عام من الشراقة لفتائل القناديل اثنا عشر دينارا ولزجاج القناديل ثلاثة وثلاثون دينارا ، ولصناع يعملون في سطوح المسجد في كل عام خمسة عشر دينارا .

١٠ آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

بيت المقدس

- مَرْبَطُ الْبَرَقِ الَّذِي رَكِبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ رُكْنِ الْمَسْجِدِ ، مَرْبَطُ الْبَرَقِ
- وَفِي الْمَسْجِدِ بَابُ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَبَابُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ أَبْوَابُ الْمَسْجِدِ
- وَالسَّلَامُ ، وَبَابُ حِطَّةٍ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَقُولُوا حِطَّةً) وَهِيَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالُوا : حَنْطَةٌ ، وَهُمْ يَسْخَرُونَ فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ، وَبَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَابُ التَّوْبَةِ الَّذِي تَابَ اللَّهُ فِيهِ عَلَى دَاوُدَ ، وَبَابُ الرَّحْمَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ (لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ) يَعْنِي وَادِي جَهَنَّمَ الَّذِي بَشَرَقِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَأَبْوَابُ الْأَسْبَاطِ أَسْبَاطُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهِيَ سِتَّةُ أَبْوَابٍ ، وَبَابُ الْوَلِيدِ ، وَبَابُ الْهَاشِمِيِّ وَبَابُ الْخَضِرِ ، وَبَابُ السَّكِينَةِ .
- وَفِيهِ مَحْرَابُ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَأْتِيهَا فِيهِ بِفَاكِهَةِ الْحَلِيبِ وَفَاكِهَةِ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، وَمَحْرَابُ زَكَرِيَّا الَّذِي بَشَرَتْهُ فِيهِ

محاريبه

(١) القسط : الكوز بلفة أهل الأمصار ، أو هو مكيال قدر نصف صاع .

الملائكة يبعثي وهو قائم يصلي في المحراب ، ومحراب يعقوب ، وكرسى سليمان
صلوات الله عليه الذي كان يدعو الله عليه ، ومغارة إبراهيم خليل الرحمن عليه
الصلوة والسلام الذي كان يتخلى فيها للعبادة ، والقبة التي عرج النبي صلى الله
عليه وسلم منها إلى السماء ، والقبة التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالنبیین ،
والقبة التي كانت السلسلة تهبط فيها زمان بنى اسرائيل للقضاء بينهم ، ومصلی
جبريل عليه السلام ، ومصلی الخضر عليه السلام . فإذا دخلت الصخرة فصل في
أركانها وصل على البلاطة التي تسمى الصخرة ، فإنها على باب من أبواب الجنة .
ومولد عيسى بن مريم على ثلاثة أميال من المسجد . ومسجد إبراهيم عليه السلام
وقبره على ثمانية عشر ميلا من المدينة . ومحراب المسجد بغريبه .

فضائل بيت المقدس

ينصب الهراط بيت المقدس ، ويؤتى بهم — نعوذ بالله منها — إلى بيت
المقدس ، وتزف الجنة يوم القيامة زفاً مثل العروس إلى بيت المقدس ، وتزف
الكعبة بحاجتها إلى بيت المقدس ، ويقال لها : مرحباً بالزائرة والمزورة . وتزف
الحجر الأسود إلى بيت المقدس ، والحجر يومئذ أعظم من جبل أبي قبيس .

ومن فضائل بيت المقدس ، أن الله رفع نبيه صلى الله عليه وسلم إلى السماء
من بيت المقدس ، ورفع عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء من بيت المقدس ،
ويغلب المسيح الدجال على الأرض كلها إلا بيت المقدس ، وحرم الله على يأجوج
ومأجوج أن يدخلوا بيت المقدس ، والأنبياء كلهم من بيت المقدس ، والأبدال
كلهم من بيت المقدس^(١) . وأوصى آدم وموسى ويوسف وجميع أنبياء بنى
إسرائيل صلوات الله عليهم أن يدفنوا ببيت المقدس .

(١) في القاموس (بدل) : الأبدال : قوم بهم يقيم الله عز وجل الأرض ، وهم سبعون ،
أربعون بالشام وثلاثون في غيرها ، لا يموت أحدهم إلا قام مقامه آخر .

نتف من الأخبار

- فرج بن سلام قال : حدثني سليمان بن المغيرة قال : كنت أجد من أبي
أيوب المازني رائحة طيبة ليست برائحة شراب ولا رائحة طيب ، فقلت له :
أخبرني عن هذه الرائحة ، فقال : عنص أمر به ، فيدق وينخل ، فألته بقطران
شامي ، ثم أخذ منه كل غداة على إصبعي ، فأدلك به أسناني وعمورها ، فتطيب
نكهتها ، وتشتد لثتها وعمورها ^(١) .
- الرياشي قال : كانوا إذا أرادوا جارية مضغت نصف جوزة وأكلتها . فلا
تزال طيبة النكهة سائر ليلتها .
- عبد الصمد بن همام قال : كتب عامل عُمان إلى عمر بن عبد العزيز : إنا أتينا
بساحرة فألقيناها في الماء ، فطفت على الماء . فكتب إليه : لسنا من الماء في شيء ،
إن قامت عليها بيئة وإلا خلت عنها .
- وقال رجل للحسن : أبا سعيد ، الملائكة خير أم الأنبياء ؟ فقال : قال الله
جل ثناؤه : (قُلْ لَا أَقُولُ ، لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ
إِنِّي مَلَائِكَةٌ) . وقال : (لَنْ يَسْتَنفِكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبُونَ) . وقال : (مَا نَهَاكَ رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَلَائِكَةً
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْخَالِدِينَ) .
- العُتبي قال : حدثني أبو النصر عن جويبر عن الضحَّاك ، قال : مَنْ سَمِعَ
الْأَذَانَ فِي بَيْتِهِ فَقَامَ بِصَلَاةٍ فَقَدْ أَجَابَ .
- أبو حاتم : عن العُتبي قال : سُمِّيَ الْمُحَرَّمُ لِأَنَّهُ جَعَلَ حَرَامًا . وصفر لإصفر
مكة من أهلها . والربيعان للخصب فيهما . والجناديان لجود الماء فيهما من شدة
البرد . ورجب لترجييب العرب أسنتها ^(٢) . وشعبان لأنه شعب بين رجب

ما يجلب طيب
الرائحة

ساحرة تطفو

الملائكة
والأنبياءالاستجابة
للأذانهل تسمية
الشهور

(١) عمور الأستان : اللحم الذي بين مغارسها أو اللثة ، الواحد عمر ، بالفتح .

(٢) الترجيب : التعظيم .

- ورمضان^(١) . ورمضان لإرماض الأرض من الحر . وشوال لأن الأبل شالت بأذنابها فيه لجلها . وذو القعدة لتعودم فيه عن الغزو من أجل الحج . وذو الحجة للحج .
- ٥ الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس النحوي ، قال : قال لي رؤبة وأنا أسأله عن الغريب : حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل ، وأزوتها لك ؟ أما ترى الشيب قد أخذ في عارضيك ولحيتك ؟
- ٣٦٩
٣ وقال الخليل بن أحمد : إنك لا تعرف خطأ ما لمك حتى تجلس عند غيره . للخليل بن أحمد
- الرياشي عن الأصمعي ، قال : لا تكون حطمة^(٢) ، حتى يكون قبلها بريق للأصمعي
- تأني فتحطم .
- ١٠ ومن حديث أبي رافع ، عن أبي ذر : قال قلت : يا رسول الله : صلى الله عليك ، كم عدد النبيين ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . عدد النبيين
- أبو بكر بن عيَّاش : عن المعجلي ، عن قتادة . قال : طول الدنيا مائة ألف طول الدنيا وأربعة وعشرون ألف فرسخ .
- ومن حديث عبد الله بن عمرو ، قال : العرش مطوق بحية ، والوحى ينزل العرش والوحى
- ١٥ في السلاسل .
- ومن حديث ابن أبي شَيْبَةَ ، أن العباس بن عبد المطلب ، كان أقرب طول العباس بن عبد المطلب
- شحمية أذنٍ إلى السماء ، وكان إذا طاف بالبيت يُشَبِّهه بالقسطاط العظيم ، وإذا مشى بين قوم تحسبه راكباً .
- ومن حديث عروة بن الزبير عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خلق الملائكة والجن والناس
- ٢٠ خلق الله الملائكة من نور ، والجان من نار ، وآدم من تراب .
- وسأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم : متى القيامة ؟ فقال له : القيامة

(١) شعب : فرق وفصل . (٢) الحطمة ، بالفتح والضم : السنة الشديدة .

وما أعددت لها ؟ قال : لا شيء والله غير أني أحب الله ورسوله . قال : المرء مع من أحب .

العرك الأصغر زياد عن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : « إياكم والشرك الأصغر » . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرياء » .

مالك زياد عن مالك ، قال : إذا لم يكن في الرجل خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره ، وإذا رأيت الرجل يستحل مال عدوه فلا تأمنه على مال صديقه .

الحذيفة وقال بعضهم : سمعت حذيفة يحلف لعثمان في شيء بلغه عنه ما قاله ، ولقد سمعته يقوله فسألته عن ذلك ، فقال : يا بن أخي ، اشترى ديني ببعضه ببعض لثلا يذهب كله .

أخذه الشاعر^(١) فقال :

نُرَقَّعُ دُنْيَانَا بِقَمَزِيْقٍ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقَّعُ
زياد عن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « الغيرة من الإيمان ، والمراء من النفاق » .
الرسول صلى الله عليه وسلم

للحسن الأصمعي قال : سأل علي بن أبي طالب الحسن ابنه رضوان الله عليهم : كم بين الإيمان واليقين ؟ قال : أربع أصابع . قال ، وكيف ذلك ؟ قال : الإيمان ١٥ كُلُّ مَا سَمِعْتَهُ أَذْنَاكَ وَصَدَقَهُ قَلْبُكَ ، واليقين ما رأيته عَيْنَاكَ فَأَيَقَنَ بِهِ قَلْبُكَ ، وليس بين العين والأذنين إلا أربع أصابع .

في الزنى الرياشي قال : ضرب علي كرم الله وجهه بيده زانياً ، فأوجعه إيجاعاً شديداً . فقال له عم المضراب : بعض هذا الضرب ، فقد قتلته . فقال علي رضي الله عنه : إنه وَتَرَ مَنْ وَلَدَهَا مِنْ قَبْلِ أَبِيهَا وَأَمَّا مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ إِلَى آدَمَ . ٢٠

في الحد قال الرياشي : فكنت أعجب من شُفْعَةِ حَدِّ الرَّجْمِ ، فلما سمعت شُفْعَةَ الذَّنْبِ هَان عَلَى الْحَدِّ .

(١) هو إبراهيم بن آدم . انظر حواشي الحيوان (٦ : ٥٠٦) .

- الأصمعي عن أبي عمرو قال : دم الحيض غذاء المولود .
دم الحيض
- أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينشد ضالّة له ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا وجدتها لا وجدتها ، إنما المساجد لما بنيت له » .
الرسول وأعرابي
- الأصمعي عن أبي عمرو قال : أعرق الناس في الخلافة عائكة بنت يزيد ابن معاوية ، أبوها خليفة ، وجدّها خليفة ، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة ، وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة ، وولدها يزيد بن عبد الملك خليفة ، وأربابها الوليد وسليمان وهشام خلفاء .
أعرق الناس في الخلافة
- قتادة عن أنس بن مالك قال : أمتن النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم فتح مكة إلا أربعة ، فإنه قال : اقتلوم وإن وجدتموم معلقين بأستار الكعبة : وهم عبد العزى بن يزيد بن خطل ، ومقيس بن صُبابه^(١) الكندي ، وعبد الله بن أبي سرح ، وأم سارة . فأما عبد العزى فإنه قتل وهو معلق بأستار الكعبة . وأما عبد الله بن أبي سرح فإنه كان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة ، فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه وشفع له عنده . وأما مقيس ، فإنه كان له أخ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل خطأ ، فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني فهر ، ليأخذ له عقله من الأنصار ، فلما اجتمع له العقل أخذه وأنصرف مع الفهري ، فنام الفهري في بعض الطريق فوثب عليه مقيس فقتله ، ثم أقبل وهو يقول :
إهدار دم أربعة يوم فتح مكة
- شنى النفس من قد بات بالقاع مُسنداً يضرج نوبيه دماء الأخادع
قتلت به فهرًا ، وأغرمت عقله سراً بني النجار أرباب فارع^(٢)
حلت به نذرى وأدركت ثورنى وكنت إلى الأوتار أول راجع^(٣)

(١) في بعض النسخ « بن صباب » صوابه في ن والسيرة ٢٨٧ ، ٨١٩ جوتجن .

ومقيس ، بوزن منبر . ورمته أخته فقالت :

لعمري لقد أخزى نيلة رهطه ونجح أضياف الشتاء بمقيس

(٢) فارع : يُحصن بالمدينة . (٣) الثورة : النار .

وأما سارة : فإنها كانت مولاة لقريش ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشتكت إليه الحاجة ، فأعطاه شيئاً ، ثم أتاه رجل فبعث معها كتاباً إلى أهل مكة يتقرب به إليهم ليحفظ في عياله ، وكان عياله بمكة ، فأخبر جبريلُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في إثرها عمر بن الخطاب وعلى بن طالب فلحقهما ، ففتشاهما فلم يقدرا على شيء ، فأقبلا راجعين ، ثم قال أحدهما لصاحبه : والله ما كُذِّبنا ولا كُذِّبنا ، ارجع بنا إليها . فرجعا إليها ، فسلاً سيفيهما ، ثم قالوا : لتدفعن إلينا الكتاب أو لنذيقنك الموت . فأنكرته ، ثم قالت : أدفعه إليكما على أن لا تؤدِّياني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقبلا منها ذلك ، فحلت عِقاص رأسها ، وأخرجت الكتاب من قرن من قرونها ، فرجعا بالكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدفعاه إليه ، فدعا الرجل وقال له : ٥ ما هذا الكتاب ؟ فقال له : أخبرك يا رسول الله ، إنه ليس بمن معك أحد إلا وله بمكة من يحفظه في عياله غيري ، فكُتبت بهذا الكتاب ليكافئوني في عيالي ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوِّي وعدوكم أولياء تلْقون إليهم بالموَدَّة) .

١٥ أمر المصعب بن الزبير رجلاً من بني أسد بن خزيمة بقتل مرة بن مخكان مرة بن مخكان وقد هدد بالقتل السعدي ، فقال مرة :

بني أسد ، إن تقتلوني تُحاربوا تميماً إذا الحربُ العوانُ أشمعلت^(١)
ولستُ وإن كانت إلى حبيبة بياك على الدنيا إذا ما تولت

وكان ابن سعد الأسدي قد تولى صدقات الأعراب لعمر بن عبد العزيز جرير وعمر بن عبد العزيز وأعطياتهم ، فقال فيه جرير يشكو عمر :

حُرمت عيالا لا فواكه عندهم وعند ابن سعد سُكَّرٌ وزبيبٌ
وقد كان ظني بابن سعد سعادة وما الظن إلا مُخْطِئٌ ومُصِيبٌ
فإن ترجعوا رزقي إلى فاته متاع ليالٍ والأداء قريب

(١) العوان : التي حورب فيها مرة بعد مرة . اشمعلت : تفرقت وانتشرت .

تُحَيَّا العظام الراجفات من البلى وليس للداء الرُّكبتين طيب
لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك كان أبو خَيْثَمَة فيمن
تخلف عنه ، فأقبل ، وكانت له امرأتان ، وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب
تمر بُسْتَانِهَا ، ومهدت له في ظل حائط . فقال : أظن ممدود ، وثمرة رطبة طيبة ، وماء
بارد ، وامرأة حسناء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الضَّح والريح ، ما هذا
ببخير . ثم ركب ناقته ومضى في أثره . فقالوا : يا رسول الله ، نرى رجلاً يرفعه
الآل ، فقال : كُنْ أبا خَيْثَمَة . فكانه .
الضَّح : الشمس ، تقول العرب في أمثالها : « جاء فلان بالضَّح والريح » ،
إذا أقبل بخير كثير .

نتف من الطب

- ١٠ قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : « لا تزالون أصحاء ما تزعم وتزعم » .
الرياضة ٣٧١
٣ يريد ما تزعم عن القسى ، وتزعم على ظهور الخيل ، وإنما أراد الحركة والله أعلم ،
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سافروا تصحوا » .
١٥ وقال بعض الحكماء : لا ينبغي للماقل أن يخلى نفسه من ثلاث في غير
الاعتقاد في أمور ثلاثة إفراط : الأكل ، والمشى ، والجماع . فأما الأكل فإب الأعماء تضيق لتركه .
وأما المشى فإن من لم يتعاهده أوشك أن يطلبه فلا يجده . وأما الجماع فإنه كالبئر ،
إن تُزحمت جمت ، وإن تُركت تخثر ماؤها^(١) ، وحق هذا كله القصد فيه .
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من استقل برأيه فلا يتداوى . فرب دواء
يورث الداء » .
٢٠ وقال الحكماء : إياك وشرب الدواء ما حملتك الصحة .
النهى عن الدواء وقالوا : مثل الدواء في البدن مثل الصابون في الثوب ، ينقيه ويخلقه .
الأصمى عن رجل عن عمه قال : لقيتُ طبيباً كسرى شيخاً كبيراً قد

(١) جت : كثر ماؤها . والخثرة : تقيض الرقة .

شدّ حاجبيه بنخرقة ، فسأله عن دواء المشى^(١) ، فقال : سهم يُرمى به في جوفك أصاب أم أخطأ .

وفي كتاب التفصيل للهند : الدواء من فوق والدواء من تحت ، والدواء لا من فوق ولا من تحت .

تفسير عبارة
هندية

- تفسيره : من كان داؤه فوق سرته سقى الدواء ، ومن كان داؤه تحت سرته حقن بالدواء ، ومن لم يكن له داء لا من فوق ولا من تحت لم يسق الدواء ولم يحقن به .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس : « بم كفت تستمشين في الجاهلية ؟ قالت : بالشبرم . قال : حار بار ، ثم قالت : استمشيت بالسنا . قال : لو أن شيئاً يرد القدر لرد السنا .

لأسماء بنت عميس

١٠

ومن حديث أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ، وهم يتذاكرون الحكاة ، ويقولون فيها : جُدرى الأرض ، فقال : إن الحكاة من الكنّ ، وماؤها شفاء لأمين ، وهي شفاء من السم .

ما قيل في المن

وأهدى تميم الداري إلى النبي صلى الله عليه وسلم زيباً ، فلما وضعه بين يديه قال لأصحابه : « كلوا فتم الطعام الزيب ، يذهب النصب ، ويشدّ العصب ، ويطنى الغضب ، ويصنّى اللون ، ويطيّب النكحة ، ويرضى الرب » .

وفي الزيب

١٥

وقال طلحة بن عبد الله : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس في جماعة من أصحابه ، وفي يده سقرجلة يقلبها ، فلما جلست إليه دحرج بها نحوى ، وقال : دونكها أبا محمد ، فإنها تشد القلب ، وتطيّب النفس ، وتذهب بطخاء الصدر^(٢) .

وفي السقرجل

٢٠

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أربع من النشْر^(٣) : شرب العسل نشرة ، والنظر إلى الماء نشرة ، والنظر إلى الخضرة نشرة ، والنظر إلى الوجه الحسن نشرة » .

أربع من النسر

(١) المشى : استطلاق البطن . (٢) الطخاء ، بالفتح : الثقل والكرب .

(٣) النشرة ، بضم النون : ضرب من الرقية والعلاج .

- وقال عثمان بن عفان : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلغ
الحسين أمن الأدوية الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص » .
وما لا يحدث بعد
الحسين
- ومن حديث زيد بن أسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل الله
من داء إلا أنزل له دواء ، علمه من علمه وجهله من جهله » .
لكل داء دواء
- ومن حديث أبي سعيد الخدري : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنزل
الدواء الذي أنزل الداء » .
٥
- ومن حديث زيد بن أسلم أن رجلاً أصابه جرح في بعض مغازي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا له رجلين من بني أنمار ، فقال : أيكما أطب ؟ فقال
له رجل من أصحابه : في الطب خير ؟ قال : « إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء »
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بهذا العود الهندي ، فإن فيه سبعة أشفية
يسقط به من العذرة ^(١) ، ويُلدّ به من ذات الجنب ^(٢) » .
ما قيل في العود
الهندي
- يريد القُسط الهندي ، وهو الذي تسميه العامة الكُنت .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بهذه الحبة السوداء ؛ فإن فيها دواء
من كل داء إلا السام » يعني الشونيز .
وفي الحبة
السوداء
- وفي مُسند ابن أبي شَيْبة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالإمّند
عند النوم ، فإنه يُجِدُّ البصر ، ويُنبِت الشعر » .
٣٧٢
٣
- وفيه : أن عبد الله بن مسعود قال : عليكم بالشفاءين : القرآن والعسل .
وفي الإمّند
وفي العسل
- الأصمى قال : ثلاث ربما صرعت أهل البيت عن آخرهم : الجراد ، ولحوم
الإبل ، والفطر ، وهو الفقع .
ما يورث الصرع
- ويقول أهل الطب : إن أردأ الفطر ما ينبت في ظلال الشجر ، ولا سيما في
ظلال الزيتون ، فإنه قتال .
٢٠

(١) العذرة ، بالضم : داء في الحلق .

(٢) لده : سقاء الدود ، هو ما يصب من الدواء بمسقط في أحد شقي النعم .

- وقال وهب بن مُنَبِّه : إذا صام الرجل زاع بصره ، فإذا أفطر على الحلوى رجع إليه بصره .
- الإنطار على الحلوى
- وأقبل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني كنت في الجاهلية ذا فطنة وذا ذهن ، وأنكرت نفسي في الإسلام . فقال له : أ كنت تنام في القائلة ؟ قال : نعم . قال : « فعد إلى ما كنت عليه من نوم القائلة » .
- النوم في القائلة
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالشجرة التي كلم الله منها موسى بن عمران ، زيت الزيتون فادهنوا به ، فإن فيه شفاء من الباسور » .
- الزيتون
- وقال : في الزيتون يقول الله : (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للآكلين) .
- مكث الطعام وانطلاقه
- ويقول الأطباء : إذا خرج الطعام من قبل ست ساعات فهو من ضرر ، وإذا أقام في الجوف أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو من ضرر .
- المغيرة ومعاوية
- دخل المغيرة بن شعبه على معاوية ، فقال له معاوية : أنكرت من نفسي خصلتين : قل طعمي^(١) ، ورق عظمي . فإن تدرت بالثقل أثقلني ، وإن تدرت بالخفيف أصابني البرد . قال : نعم يا أمير المؤمنين بين جارين سميتين يدفئانك بشحومهما ، ويحملان عنك ثقل الدثار بمناكهما . وأكثر من الألوان ، وكل من كل لون ولو لقمة ، فإن ذلك إذا اجتمع كثيره نفع . فدخل عليه بعد ذلك فقال له معاوية : يا أعور ، قد جرت بنا ما قلت فوجدناه موافقا .

التعويذ والرقى

- أبو بكر بن أبي شيبه عن عتبة عن شعبة عن أبي عصمة قال : سألت سعيد ابن المسيب عن تعليق التعويذ ؟ قال : لا بأس به .
- وكان مجاهد يكتب للصبيان التعويذ ويعلقه عليهم .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قال إذا أصبح : أعوذ بكلمات الله
- دعاء نافع

(١) الطعم ، بالضم : الطعام .

التامة ، من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة ، لم يضره عين ولا حية ولا عقرب .

وفي مُسند ابن أبي شيبه : إن خالد بن الوليد كان يفرع في نومه ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « أخبرني جبريل أن عفريتاً من الجن يكيدك ، فقل : أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر كل ذي شر » . فقالهن خالد ، فذهب ذلك عنه .

وفي مسند ابن أبي شيبه أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلي ذات ليلة إذ وضع يده على الأرض فلدغته عقرب ، فتناول نعلَه فقتلها ، فلما أنصرف قال : « لعن الله العقرب ، ما تدع نبيا ولا غيره » . ثم دعا بماء وملح ، فجعله في إناء ثم صب على أصبعه منه ، ومسحها وعودها بالمعوذتين .

وفي مُسند ابن أبي شيبه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال . « لا رقية إلا من عين أو حمة » . والحمة : السم .

سفيان بن عُيينة قال : بينما عبد الله بن مسعود جالسا تعرض عليه المصاحف ، إذ أقبلت أعرابية فقالت : أبا فلان ، لرجل جالس إليه : لقد لدغ مهرک ، وتركته كأنه يدور في فلك ، فقم فأسترق له . فقال له ابن مسعود : لا تسترق له ، واذهب فانفت في منخره الأيمن أربعا وفي الأيسر ثلاثا ، وقل : أذهب الباس ، يارب الناس ، فإنه لا يذهب إلا أنت . ففعل ، فلم يبرح حتى أكل وشرب وبال وراث .

دخل أبو بكر على عائشة وهي تشبكي ، ويهودية ترقبها ، فقال لها : ارقبها ٣٧٣
٣
٢٠ بكتاب الله .

الحجامة والسكى

قال عبد الله بن عباس : احتجم النبي صلى الله عليه وسلم في رأسه من أذى كان به .

احتجم رسول الله

وفي مُسند ابن أبي شَيْبَةَ : أَن عُمَيْنَةَ بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحجم في فأس رأسه ، فقال : ما هذا ؟ قال : « هذا خير ما تداويتم به » .

خير علاج

وفي مسند ابن أبي شَيْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « خير ما تداويتم به الحُجَامَةُ والقُسْطُ العَرَبِيُّ ، ولا تعذبوا صِبيَانَكُمْ بِالغَمَزِ مِنَ الْعُذْرَةِ ^(١) » .
وفيه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : خير يوم تحتجمون فيه سبعة عشر ، وتسعة عشر ، وأحد وعشرون .

وفيه أَنَّهُ قَالَ : « إن كان في شيء مما تعالجون به خير ففي شرطة من يحجم ، أولدعة من نار تواقع ألما ، أو شربة من عسل ، وما أحب أن أكتوى » .

١٠ السم والسحر

في مسند ابن أبي شَيْبَةَ : أَنَّ يَهُودَ خَيْرٍ أَهْدَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاةً مَسْمُومَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اجتمعوا لي مَنْ هَاهُنَا مِنَ الْيَهُودِ » . فجمعوا له . فقال لهم : هل جعلتم في هذا الشاة سمًّا ؟ قالوا : نعم . قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذبًا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيًّا لم يغُرْك السم .

الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود خيبر

١٥

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما زالت أكلة خيبر تُعَادُنِي ^(٢) ، فهذا أوان قطعت أبهرى ^(٣) » .

الليث بن سعد عن الزهري قال : أهدى لأبي بكر طعام ، وعنده الحارث ابن كَلْدَةَ طبيب العرب ، فأكل منه ، فقال الحارث ، لأبي بكر : لقد أكلنا والله في هذا الطعام سُم سنة ، وإني وإيتاك ليمتان عند رأس الحول ، فماتا جميعا .
عند انقضاء السنة .

(١) العذرة ، بالضم : داء في الحلق .

(٢) تعادني : تراجعني ويعاودني ألم سها .

(٣) الأبهر : وريد العنق .

- وفي مُسند ابن أبي شيبة : أن رجلاً من اليهود سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، لإبطاله السحر ، فاشتكى لذلك أياماً ، فاتاه جبريل فقال له : إن رجلاً من اليهود سحرك ، عقد لك عقداً وجعلها في مكان كذا وكذا . فأرسل علياً رضي الله عنه فاستخرجها ، وجاء بها ، فجعل يحملها ، فكلمها حل عقدة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفةً ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما أنشط من عقال ^(١) . ٥
- وفي مُسند ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال : « طَبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — والطَّب : السحر — فبعث إلى رجل فرقاه » .

العَيْن

- تقول العرب : رجل مَعِين ، إذا أخذ بالعَيْن . ١٠
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو سبق القدر شيء لسبقته العين .
- وتقول العرب : إن العين تسرع بالآيل إلى أوصامها ^(٢) ، وبالرجال إلى أسقامها .
- ونظر عامر بن أبي ربيعة إلى سهل بن حنيف يستحم ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة . قال : فلبط به ^(٣) ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عامر ابن أبي ربيعة أن يتوضأ له ثم يطهره بمائه ، ففعل ، فقام سهل بن حنيف كأنما أنشط من عقال . ١٥

لإصابة سهل بن حنيف بالعين

أبيات في الطب وجدناها في كتاب فرج بن سلام

الناجاء بشيرج ملتوت فيه شفاء للرياح مميتُ
يغلي لذلك حلبة في مائها تسقيه مصطبوحا وحين يبيت

٢٠ (١) « أنشط » بالهمزة والبناء للمفعول بمعنى حل .
(٢) الوصم ، بالتحريك : الرض .
(٣) لبط به : صرع من عين أو حمى .

وقال :

ليس شيء أنفى عن الجسم للريـح من الأنجدان والمـحروث^(١)

وقال :

في الحُرُف سبعمون دواء وفي الصـكـون فيما قيل ستونا

قد قاله هُرُمس في كُتبه فلا تَدْع حُرُفاً وَكَمَوْنَا ٥

وقال :

بِسَعْتِ بَرٍّ دَاوْ كُلُّ مَبْلَغٍ وَذَا الْمِرَّةُ الصَّفْرَاءُ بِالْأَزْيَانِقِ $\frac{٣٧٤}{٣}$

وَذُو الْمِرَّةِ السُّودَاءُ ذَاكَ عِلَاجُهُ تَعَاهُدُ نَصْدَ الْعِرْقِ مِنْ كَفِّ حَازِقِ

وَذُو الدَّمِ فَلْيَكْثِرْ لَذَاكَ حِجَامَةً فَمَا غَيْرُهَا شَيْءٌ لَهُ بِمُؤَانِقِ

وقال :

لَا تَكُنْ عِنْدَ أَكْلِ سُخْنٍ وَبِهِرٍ وَدُخُولِ الْحَمَامِ تَشْرَبُ مَاءً ١٠

فَإِذَا مَا اجْتَنِبْتَ ذَلِكَ مِنْهُ لَمْ تَخَفْ مَا حَيَّتْ فِي الْجُوفِ دَاءً

وقال :

إِنْ أَرَدْتَ الرِّقَادَ فِي اللَّيْلِ فَاجْعَلْ قُطْنَةً عِنْدَهَا عَلَى الْأُذُنَيْنِ ١٥

فَبِهِ تَظْهَرُ السَّلَامَةُ لِلْأَذْنَيْنِ مِمَّا يَضُرُّ بِالْعَيْنَيْنِ

وقال :

لَا تَشْرَبِ الْمَاءَ بَعْدَ النَّوْمِ مِنْ ظَمًا وَلَا تَبْتَ أَبَدًا مِنْ غَيْرِ مُتَقَفِضِ

لِجُوفٍ مِنْ بَاتٍ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ ثَقَلٍ وَمِنْ رِيَّاحٍ دَعَا كُلًّا إِلَى مَرَضِ

وقال :

أَحْسُ فِي الْحَمَامِ مَاءَ سُخْنًا وَلِيَكُنْ ذَلِكَ فِي الْبَيْتِ السُّخْنِ ٢٠

يَسْلُمُ الْبَطْنَ مِنَ الدَّاءِ وَلَا يَعْتَرِيهِ وَجَعٌ طَوِيلُ الزَّمَنِ

وقال :

إِنْ دَخَلْتَ الْحَمَامَ فَاضْرِبْ عَلَى رَأْسِكَ بِالْمَاءِ السُّخْنِ سَبْعَ مَرَارٍ

(١) المحروث : أصل الأنجدان . ن « بالمحروث » .

فيه تظهر السلامة من كل صداع بقدره الجبار
وقال :

لا تُجامع ولا تَمطَّى ولا تدخل إذا ما شبت في الحمام
فهو دفع لكل ما يتقيه السم من فالج وكل سقام
وقال :

ما كان في الرأس أخرجه بقرعرة فالتقى يخرج ما في الصدر من عفن
وكل ما كان في صلب فذلك لا يستل إلا بإخلاط من الحلقن
وقال :

على الريق في البرد احس ماء مسخن وفي الصيف ماء باردا حين تصبح
وذلك فيما قيل فيه مَصَحَّة وذاك على إدمانه الجسم يصلح
وقال :

إن من باكر الغداء وبعد العصر منه تماهـد للعشاء
فبإذن الإله يبقى صحيحاً سالماً في الحياة من كل داء
وقال :

إن رأس الطب إن تدلك بالزنبق ذلكا
باطني رجلك عند النوم ينفي السقم عنكا
وقال :

شجر البراغيث السكرية مشته يبرى بإذن الله من داء الحين^(١)
وقال :

إن السواك ليستحب لِسْنَةً ولأنه مما يطيب به القم
لم تخش من حفر إذا أدمنته وبه يسيل من اللهاة البلت^(٢)

(١) الحين : داء في البطن يعظم منه ويرمى . ن : « الجنين » .

(٢) الحفر : سلاق في أصول الأسنان أو صفرة نعلوها .

وقال :

أحتجم بين كل شهرين وتلطف على أثره من الأيام
سبعة منك للزبيب بلا عجم تبديه قبل كل طعام
فهو للمعين وللهامة وللخلق أمان له من الأسقام

٥

وقال :

ولا تغط الرأس في وقت ما تخرج من الحمام وأخش الضرر
إن بنخار الرأس في وقت ما وصفته داء يصيب البصر

وقال :

إن الجماع على الحمام موصحة ولذاذة تاهت على اللذات

١٠

وقال :

السّمك المالح إن لم يكن بدّ من الأكل له فأنعم
بالطبخ أكثر زيته ثم كل من قبل مأدوماً من المطعم

وقال :

اطل منك الشعر في كل أربعة لا تدور

١٥

وليكن غسلك بالبا رد منه والطهور

إنه يزعر منه شعر الجسم الكثير

إنّني طبّ بما يجمله الناس خبير^(١)

وحدث محمد بن إبراهيم الوراق قال : حدثني محمد بن عبيد الله بن الحارث

ابن إسحاق بمصر قال : حدثنا محمد بن داود بن أبي ناجية قال : حدثنا زياد بن

يونس الحضرمي ، عن محمد بن هلال المدني عن أبيه عن أبي هريرة قال :

٢٠

جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها . فقال : إنها

تذكر كثرة الجماع . قال : يا رسول الله ، أفأزني ؟ قال : لا ، ولكن إذا جاءنا

شكوى امرأة
زوجها إلى
الرسول صلى
الله عليه وسلم

(١) الطب ، بفتح الطاء : الخبير بالعمى العالم به .

سبي ، فتعال حتى نعطيك جارية^(١) . فقدم عليه سبي ، فجاء إليه ، فقال له :
يا رسول الله ، وعدى ! فقال له : اختر . فقال له : اخترلى . فقال : « خذ هذه ،
فإن أراها زرقاء^(٢) » ، فلعلها . قال : فما لبثنا أن جاءت المرأة ، فقالت :
يا رسول الله ، مازاده الأمر إلا تجددأ . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذا ؟
فقال : يا رسول الله ، أفأزنى ؟ قال : لا . ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لعلك تكثر الاطلاء^(٣) . قال : نعم . قال : « فأقل اطلاقك يقل جماعتك » .
قال محمد : قال لي ابن أبي ناجية : وأنا كما تراني شيخ كبير ، قد أتى على
ثمانون سنة ، إذا أحببت الوطاء اطلت في كل خمس عشرة ليلة .

الهـدايا

٣٧٦
٣

كتاب سعيد بن
جيد في يوم نيروز

كتب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم النيروز :

١٠

أيها السيد الشريف ، عشت أطول الأعمار ، بزيادة من العمر ، موصولة
بقرائنها^(٤) من الشكر ، لا ينقضى حق نعمة حتى تجدد لك أخرى ، ولا يمر بك
يوم إلا كان مقصرا عما بعده ، موفيا على ما قبله . إن تصفحت أحوال الأتباع
الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة ، فالتست الناسي بهم في الإهداء ، وإن قصرت
بي الحال عن الواجب ، وإن أهديت نفسي فهي ملك لك ، لاحظ فيها
لغيرك ، ورميت بطرفي إلى كرائم مالي ، فوجدتها منك . فكنت إن أهديت
منها شيئا كهدي مالك إليك ، وفزعت إلى مودتي ، فوجدتها خالصة لك قديمة
غير مستحدثة ، فرأيت إن جعلتها هديتي لم أجدد لهذا اليوم الجديد برا ولا لطقا ،
ولم أميز منزلة من الشكر بمنزلة من نعمتك ، إلا كان الشكر مقصرا عن الحق
والنعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة ، فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية

٢٠

(١) ن : « إذا جاءني سبي فتعال حتى أعطيك جارية » .
(٢) الزرقاء : البيضاء ، وهي أيضا التي في هبتها زرقاء .
(٣) الاطلاء ، أراد به استعمال مادة يطل بها عضوه .
(٤) في بعض النسخ : « بقرائنها » .

إليك ، والإقرار بما يجب لك برأ أتوصل به إليك ، وقلت في ذلك :
 إن أهدى مالا ، فهو واهبه وهو الحقيق عليه بالشكر
 أو أهدى شكرا ، فهو مكره بجميل ففلك آخر الدهر
 والشمس تستغنى إذا طلعت أن نستغنى بسنة البدر^(١)

لبعض الكتاب
إلى بعض الملوك

وكتب بعض الكتاب إلى بعض الملوك :

النفس لك ، والمال منك ، والرجاء موقوف عليك ، والأمل مصروف نحوك ،
 فما عسى أن أهدى إليك في هذا اليوم ، وهو يوم سهلت فيه المادة سبيل الهدايا
 للسادة ، وكرهت أن نخليه من سقته ، فنكون من المقصرين ، أو أن ندعى أن
 في وسعنا ما يفي بحقوق علينا ، فنكون من الكاذبين ، فاقصرنا على هدية
 تقضى بعض الحق ، وتنفي بعض الحق ، وتقوم عندك مقام أجل البر . ولا زلت
 أيها الأمير دائم السرور والغبطة ، في أتم أحوال العافية ، وأعلى منازل الكرامة ،
 تمر بك الأعياد الصالحة ، والأيام المفرحة ، فتخلفها وأنت جديد ، تستقبل أمثالها ،
 فتلقاك بهاؤها وجمالها . وقد بعثت الرسول بالسكر لطيبه وحلاوته ، والسفرجل
 لفاكه^(٢) وبركته ، والدرهم لبقائه عند كل من ملكه^(٣) ، ولا زلت حلو
 المذاق على أوليائك ، سرا على أعدائك^(٤) ، متقدما عند خلفاء الله الذين تليق
 بهم خدمتك وتحسن أفئدتهم بمثلك . وقد جمعنا في هذه القصيدة ثناء ومسرة
 واعتذارا وتهنئة . وهي :

غاد في المهرجان كأسا شمولا وأطعني ولا تطيعن عدولا^(٥)

(١) السنة : الوجه ، أو دائرته .

(٢) هذا . والمعروف أنهم كانوا يطبخون من « السفرجل » . وجاء في حلبة
 الكيت ٢٥٨ :

أهدى إليه سفرجلا فتطيرا منه فظل نهاره متحيرا
 خاف الفراق لأن شطر هجائه سفر وحسب له بأن يتطيرا

(٣) في بعض النسخ : « لبقائه على كل من ملكه » .

(٤) ن : « على وليك ، سرا على عدوك » .

(٥) في بعض النسخ : « عاط » بدل « غاد » .

فهو يوم قد كان آباؤك الفرّ يُحِلُّونه محلاً جليلاً
إن للصَّيف دولةً قد تقضت وأراك الشتاء وجهاً جميلاً
وتجلت لك الرياضُ عن النَّو رفكانت من كل شيء بديلاً
فتمتّع باللهو . لازلت جذلاً ن وطرفُ الزمان عنك كليلاً
لم أجد لي هديةً حين حصلت كثيراً ملكته وقليلاً
يعدل الشكر والثناء ، وإن لم يكُ شكرى لما أتيت عديلاً
فجعلت الذي أطيق من الشكر على ما عجزتُ عنه دليلاً
يا لها من هدية تُقنع الله دى إليه ولا تُعنى الرسولاً

كتاب لبعض
الشعراء في
المهرجان

وكتب بعض الشعراء إلى بعض أهل السلطان في المهرجان :

هذه أيام جرت فيها العادة ، بالطاف العبيد للسادة ، وإن كانت الصنّاعة
تقتصر عما تبلغه الهمة ، فكرهت أن أهدي فلا أبلغ مقدار الواجب ، فجعلت
هديتي هذه الأبيات ، وهى :

٣٧١
٣

ولما أن رأيت ذوى التّصافى تباروا في هدايا المهرجان
جعلت هديتى ودّاً مُقيماً على مرّ الحوادث والزمان
وعبدًا حين تُكرمه ذليلاً ولكن لا يقرّ على الهوان^(١)
يزيدك حين تُعطيه خضوعاً ويرضى من نوالك بالأمانى^(٢)
وأهدى أبو العتاهية إلى بعض الملوك نعلًا وكتب معها :

لأبي العتاهية
وقد أهدى نعلًا

نعلٌ بعثت بها لتلبسها تسمى بها قدمٌ إلى المجد
لو كان يصلح أن أشرّكها خدّى جعلتُ شراكها خدّى^(٣)
وأهدى على بن الجهم كلبًا ، وكتب :

لعلى بن الجهم
وقد أهدى كلبًا

أستوص خيرًا به فإن له عندى بدأ لا أزال أحدها

١٥

٢٠

(١) يقر : يقيم ويستقر . وفى بعض النسخ : « لإيمز » .

(٢) الأمانى : جمع أمنية . ن : « بالأمانى » .

(٣) المراك كسكتاب : سيد النعل . وأشرّكها وشركها : جعل لها شراكا .

- يدلّ ضيفي علىّ في غسق الـ ليل إذا النار نام مُوقدُها
- أهدى أحمد بن يوسف ملحاً طيباً^(١) إلى إبراهيم بن المهدي ، وكتب إليه :
الثّمة بك سهّلت السبيل إليك ، فأهديت هديّة من لا يحترشم ، إلى من لا يفتنم .
- وأهدى إبراهيم بن المهدي إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي جراب ملح ،
وجراب أشنان^(٢) ، وكتب إليه :
- لولا أنّ الثّلة قصّرت عن بلوغ الهمة لأتعبت السابقين إلى برك ، ولكنّ
البضاعة قعدت بالهمة^(٣) ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر وليس لي فيها ذكر^(٤) ،
فبعثت بالمبتدأ به ليمنه وبركته ، واحتوم به لطيبه ونظافته وأما ما سوى ذلك
فالمعبر عنا فيه كتاب الله تعالى إذ يقول : (ليس على الضّعفاء ولا على المرضى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) إلى آخر الآية .
- وكتب إبراهيم بن المهدي إلى صديق له : لو كانت الثّحفة على حسب
ما يوجب حقلك لأجحف بنا أدنى حقوقك ، ولكنّه على قدر ما يخرج الوحشة ،
ويوجب الأنس . وقد بعثت بكذا وكذا .
- وكتب رجل إلى المتوكل على الله وقد أهدى إليه قارورة من دهن الأترج :
إنّ الهدية يا أمير المؤمنين ، إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكما لطفت
ودقت كانت أبهى وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكما عظمت
وجلت كانت أنفع وأوقع . وأرجو أن لاتكون قصّرت بي همة أصارتني إليك ،
ولا أخرّني إرشاد دثني عليك ، وأقول :
- ما قصّرت همة بلغت بها بابل يا ذا الندى وذا الكرم
حسبي بوذيك أن ظفرت به ذخرأ وعزأ يا واحد الأم

لأحمد بن يوسف

لإبراهيم بن
المهدي

وله أيضا

لبعضهم وقد
أهدى إلى
التوكل دهن
أترج

(١) في بعض النسخ : « مطيبا » .

(٢) الأشنان : نبت من الحمض تغسل به الأيدي .

(٣) ن : « بالقة » . (٤) ن : « صحيفة ليس فيها ذكر » .

أهدى حبيب بن أوس الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً ، وكتب معه إليه
هذه الأبيات :

لأبي تمام وقد
أهدى قلماً

قد بعثنا إليك أكرمك الله بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه إلى ندى كفك الغم ولا نيلك الكثير الجزيل
فأستجز قلة الهدية مني إن جهد القل غير قليل

٥

لابن عبدربه في
هدايا مختلفة

ومن قولنا في هذا المعنى وقد أهديت سلى عنب^(١) ومهما :

٣٧٨
٣

أهديت بيضاً وسوداً في تلونها كأنها من بنات الزم والحش
عذراء تؤكل أحياناً ونشرب أحياناً فنعصم من جوع ومن عطش
وأهديت حوتين وكتبتهما :

أهديت أزرق مقروناً بزرقاء كالماء لم يغدّها شيء سوى الماء
ذكاها الاخذ ما تنفك طاهرة بالبر والبحر أمواتا كأحياء^(٢)
وأهديت طبق ورد ومعه :

١٠

رياحين أهديتها لريحانة الجد جنتها يد التّخجيل من حمرة الخد
وردد به حبيبت غرة ماجد شمائله أذكي نسباً من الورد
ووشى ربيع مشرق اللون ناصري يلوح عليه ثوب وشى من الحمدر
بعثت بها زهراء من فوق زهرة كتركيب معشوقين خدّاً على خد
وكتبت على كأس :

١٥

اشرب على منظر أنيق وامزج بريق الحبيب ريق
واحذر على خصرها الرقيق واحذر على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي إليك خل عن الطريق

٢٠

(١) السل : السلة .

(٢) أى إن أخذها من البحر بنى عن ذكاها ، والذكاة : الذبح . ومثله في البيان
والتبيين (١ : ١٧٥ طبع لجنة التأليف) في الكلام على الجراد : « ذكاته سيده » .

لابن أبي طاهر

وأنشد أحمد بن أبي طاهر في هذا المعنى :

ما ترى في هدية من فقير حيل ما بينه وبين اليسار
يغريب الناس في الهدايا إلى النا من ، ويهدي غرائب الأشعار
مُحكّات كأنها قطع الرو ض تحلت أنواره بالبهار^(١)

ليزيد بن المهلب

وأنشد يزيد بن المهلب في المعتمد :

سبقت فيك ما يهدي لسانى إذا فنت هدايا المهرجان
قصائد تملأ الآفاق بما أحل الله من سحر البيان

وقال آخر :

جُعلت فداك ، للثيروز حق وأنت على أوجب منه حقاً
ولو أهديت فيه جميع ملكى لكان جميعه لك مسترقاً
وأهديت الثناء بنظم شعر وكنت لذلك منى مستحقاً
لأن هدية الألفاظ^(٢) تقى وأن هدية الأشعار تبقى

لأبي تمام

وقال حبيب :

فوالله لا أنفك أهدى شوارداً إليك يحملن الثناء المنخلا
ألد من السلوى وأطيب نعمة من المسك مفتوقاً وأيسر تحملاً

لمروان بن أبي حفصة

وقال مروان بن أبي حفصة :

يدولة جعفر حمد الزمان لنا بك كل يوم مهرجان
جعلت هديتي لك فيه وشياً وخير الوشى مانسج اللسان

لأحمد بن أبي طاهر

وقال أحمد بن أبي طاهر :

من سُنّة الأملاك فيما مضى من سالف الدهر وإقباله
هدية العبد إلى ربه في جِدة الدهر وأحواله

(١) البهار ، بالفتح : نبت طيب الرائحة . ن : « من هدايا كأنها قطع الروض » .

(٢) الألفاظ : جمع لطف ، بالتحريك ، وهو الهدية .

فقلتُ ما أهدى إلى سيدي حالي وما خولت من حاله
إن أهد نفسي فهي من نفسه أو أهد مالي فهو من ماله
فليس إلا الحمد والشكر والمدح الذي يبقى لأمثاله
وقال الحمدوني ، وأهدى إليه سعيد بن حميد أضحية مهزولة ، فقال فيها :

الحمدوني وقد
أهديت إليه ضحية
مهزولة

لسعيد شوية نالها الضر والعجف

٥

فتفتت وأبصرت رجلاً حاملاً علف

« يا أبي من بكفه برء دأى من الدنف »

فأناها مطمأ وأتته لتعنف

ثم ولّى فأقبلت تتغنى من الأسف

« ليمته لم يكن وقف عذب القلب وأنصرف »

١٠

وقال الحمدوني : كتبت إلى الحسن بن إبراهيم ، وكان كل سنة يبعث إليّ

وله أيضا

بأضحية ، فتأخر عني سنة ، فكتبت إليه :

سيدي أعرض عني وتنافس الود مني

مرّ بي أضحى وأضحى أخلفاني فيه ظني

لا يراني فيما أهلا لظلف ولقرن

١٥

فتمزيت بيأس ثم ضحيت بجني

واصطحبت الراح يوماً ثم أنشدت أغني

لا بجرم صد عني صد عني بالتجني

لجارية من
جوارى المأمون
وقد أهدت إليه
تقاعا

أهدت جارية من جوارى المأمون تفاحة له ، وكتبت إليه : إني يا أمير

المؤمنين لما رأيت تنافس الرعية في الهدايا إليك ، وتواتر الطائهم عليك ، فكرت

في هدية تخف مؤونتها ، وتهون كلفتها ، ويعظم خطرهما ، ويجل موقعها ، فلم

أجد ما يجتمع فيه هذا النعت ، ويكمل فيه هذا الوصف إلا التفاح ، فأهديت

- إليك منها واحدة في العدد ، كثيرة في التمرُّف ، وأحببت يا أمير المؤمنين أن
أعرب لك عن فضلها ، وأكشفت لك عن محاسنها ، وأشرح لك لطيف معانيها ،
ومقالة الأطباء فيها ، وتفنُّ الشعراء في وصفها ، حتى ترمقها بعين الجلالة ،
وتلاحظها بمقلة الصيانة ، فقد قال أبوك الزهيد رضى الله عنه : أحسن الفاكهة
التفاح ، اجتمع فيه الصفرة الدُّرِّيَّة ، والحمرة الحمريَّة ، والشقرة الذهبية ، وبياض
الفضة ، ولون التبر ، يلدُّ بها من الحواس العينُ بهجتها ، والأنفُ بريحتها ،
والنم بطعمها . وقال أرسطاطاليس الفيلسوف ، عند حضوره الوفاة ، واجتمع إليه
تلاميذه : التمسوا لى تفاحة أعتمضمُ بريحتها ، وأقضى وطرى من النظر إليها .
وقال إبراهيم بن هاني : ما علَّلَ المريضُ المبتلى ، ولا سكنت حرارة الشكلى
ولا رُدَّت شهوة الحبلى ، ولا جُمعت فكرة الحيران ، ولا سُلَّت حسيمة الغضبان ^(١) ١٠
ولا تحيَّت الفتيان فى بيوت القيان ، بمثل التفاح . والتفاحة يا أمير المؤمنين
إن حملتها لم تؤذِك ، وإن رُميت بها لم تؤلمك ، وقد اجتمع فيها ألوان قوس قزح
من الخضرة والحمرة والصفرة ، وقال فيها الشاعر :

- حُمرَةُ التفاح مع خُضرته أقرب الأشياء من قوس قزح
فعلَى التفاح فاشرب قهوةً وأسقنيها بنشاط وفرح ١٥
ثم غنَّ الآن كى نظربنى طرفك الفَتَّان قلبى قد جرح
فإذا وصلت إليك يا أمير المؤمنين فتناولها يمينك ، وأصرف إليها يمينك ،
وتأمل حسنَهَا بطرفك ، ولا تخدشها بظُفرك ، ولا تبعدُها عن عينك ، ولا تبذلها
لخدمك ، فإذا طال لبثها عندك ، ومقامها بين يديك ، وخِفَّت أن يرميها الدهر
بسهمه ، ويقصدها بصرفه ، فيذهب بهجتها ، ويحيل نَصْرَتَهَا ، فكلها . ٢٠
* هنيئًا مريئًا غير داء مخامر ^(٢) *

(١) الحسيمة : الغيظ . وفى بعض النسخ : « ولا سكنت حنقة الغضبان » .

(٢) لكثير عزة . ومعجزة : * لغزة من أعراضنا ما استعلت *

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال المأمون : احملاوا إليها من كل ما أهدى لنا في هذا اليوم .

العباس الهمداني
في يوم نيروز

وكتب العباس الهمداني إلى المأمون في يوم نيروز :

أهدى لك الناس المراكب والوصائف والذهب^(١)

وهديتي حلول القضاة والمدائح والخطب

فاسلمت على الزمان من الحوادث والمعطب

(١) المراكب : اسم لما يركب من الدواب .

فرش كتاب الفريدة الثانية

في الطعام والشراب

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان والنفث ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الطعام والشراب اللذين بهما نمو الفراسة^(١) ، وهما قوام الأبدان ، وعليهما بقاء الأرواح .
قال المسيح عليه الصلاة والسلام في الماء : هذا أبي ، وفي الخبز : هذا أمي .
يريد أنهما يغذيان الأبدان كما يغذيها الأبوان .

وهذا الكتاب جزآن ، جزء في الطعام ، وجزء في الشراب . فالذي في الطعام منهما متقصر جميع ما يتم ويتصرف به أغذية الطعام^(٢) ، من المنافع والمضار ، وتعاهد الأبدان بما يصلحها من ذلك في أوقاته ، وضروب حالاته .
وأختلاف الأغذية مع اختلاف الأزمنة بما لا يخلو المدة وما لا يكظها ، فقد جعل الله لكل شيء قدراً .

والذي في الشراب منهما مشتمل على صنوف الأشربة ، وما اختلف الناس فيه من الأنبذة ، ومحور ذلك ومذمومه ، فإننا نجد النبيذ قد أجازره قوم صالحون ، وكرهه قوم صالحون .

وقد وضعنا لكل شيء من ذلك باباً ، فيحتاط كل رجل لنفسه بمبلغ تحصيله ، ومنتهى نظره ، فإن الرائد لا يكذب أهله .

أطعمة العرب

الوشيقة من اللحم ، وهو أن يُغلى إغلاءً ثم يرفع ، يقال منه وشقت أشيق وشقا ، قال الحسن بن هاني :

(١) الفراسة : فسيل النخل ، وقد عني به نمو البدن حتى يكبر . في بعض النسخ « تنمو الفراسة » .
(٢) ن : « ما تنصرف فيه أغذية الطعام » .

- حَتَّى رَفَعْنَا قِدْرَنَا بِغَيْرِهَا وَاللَّحْمَ بَيْنَ مُؤَذَّمٍ وَمَوْشَقٍ^(١)
والصفيف مثله ، ويقال : هو القديد ، يقال : صَفَفْتُهُ أَصْفَهُ صَفَا .
والرَّيْبَكَةُ : شَيْءٌ يُطْبَخُ مِنْ بُرٍّ وَتَمْرٍ ، ويقال : منه رَبَكْتُهُ أَرَبُكُهُ رَبَكَا .
والبَسِيسَةُ : كُلُّ شَيْءٍ خَلَطْتَهُ بِغَيْرِهِ ، مثل السَّوِيقِ بِالْأَقِيطِ ، ثُمَّ تَلْتُهُ بِالسَّمَنِ
٥ أَوْ بِالزَّيْتِ^(٢) ، أَوْ مِثْلَ الشَّعِيرِ بِالنَّوَى لِلْإِبِلِ ، يقال : بِسَسْتُهُ أَبُسْتُهُ بِسًا .
وَالْعَبِيثَةُ : بِالْعَيْنِ غَيْرُ مَعْجَمَةٍ : طَعَامٌ يُطْبَخُ وَيَجْعَلُ فِيهِ جَرَادٌ ، وَهُوَ
الغَشِيمَةُ أَيْضًا .
وَالْبَغِيثُ وَالْعَلِيثُ : الطَّعَامُ الْمَخْلُوطُ بِالشَّعِيرِ . فَإِذَا كَانَ فِيهِ الزُّؤَانُ فَهُوَ
المَعْلُوثُ^(٣) .
١٠ وَالتَّكِيلَةُ وَالتَّكَالَةُ جَمِيعًا : وَهِيَ الدَّقِيقُ يُخْلَطُ بِالسَّوِيقِ ، ثُمَّ يَبْلُ بِمَاءٍ
أَوْ سَمَنِ أَوْ زَيْتٍ ، يُقَالُ : بَكَتْنَاهُ أَبَكَلْنَاهُ بِكَلًا .
وَالْفَرِيقَةُ : شَيْءٌ يَعْمَلُ مِنَ اللَّبَنِ .
فَإِذَا قَطَعْتَ اللَّحْمَ صَفَارًا قُلْتَ : كَتَفْتُهُ تَكْتِفِيًا .
أَبُو زَيْدٍ قَالَ : إِذَا جَعَلْتَ اللَّحْمَ عَلَى الْجَرِّ قُلْتَ : حَسَجَسْتُهُ ، وَهُوَ أَنْ تَقْشِرَ
١٥ عَنْهُ الرَّمَادَ بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجَرِّ . فَإِذَا أَدْخَلْتَهُ النَّارَ وَلَمْ تَبَالِغْ فِي طَبْخِهِ قُلْتَ :
ضَهَبْتُهُ ، وَهُوَ مُضَهَّبٌ .
وَالْمُضْهِرَةُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا طُبِخَتْ بِاللَّبَنِ الْمَاضِرِ ، وَهُوَ الْحَامِضُ . وَالْهَرِيسَةُ
لِأَنَّهَا تَهْرَسُ . وَالْمُصِيدَةُ لِأَنَّهَا تُعْصَدُ أَيْ تُلَوَّى ، وَاللَّفَيْتَةُ لِأَنَّهَا تَلْفَتْ .
وَالْقَالُودُ : وَهُوَ السَّرَطَرَاطُ^(٤) . وَمِنْ أَسْمَاءِ الْقَالُودِ أَيْضًا : السَّرَطِيطُ ، لِأَنَّهُ

٢٠ (١) المؤذم ، بالذال المعجمة : المقطع . في بعض النسخ « مؤزم » تحريف .
(٢) ن : « بالرب » .
(٣) في بعض النسخ : « العليث » ثم « المعلون » ، وكلاهما صحيح ، يقال بالمعجمة
والمهملة فيهما .
(٤) السرطراط ، بكسر السين والراء ، وبفتحه فيهما أيضا .

يُسْتَرَط مثل يُزْدَرِد . ويقال : « لَا تَكُن حُلُوءًا فَتُسْتَرَط ، وَلَا مُرًّا فَتُعَقِّي »^(١) .
يقال : أَعَقَى الشَّيْءُ : أَشْتَدَّتْ مِرَارَتُهُ .

الرغيدة : اللبن الحليب يُغَلَى ثم يَذَرُّ عليه الدقيق حتى يَخْتَلَط فيُلْعَق لعقا .
الحريرة : الحساء من الدسم والدقيق .

والسخينة : حَسَاءٌ كَانَتْ تَعْمَلُهُ قَرِيشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَسُمِّيَتْ بِهِ ، قَالَ حَسَّانُ :
زَعَمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبَ رَبِّيهَا وَلِيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ النَّسَابِ
وَالْعَكِيسُ : الدَّقِيقُ يَصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ ثُمَّ يَشْرَبُ : قَالَ مَنْظُورُ الْأَسَدِيِّ :
وَلَمَّا سَقَيْنَاهَا الْعَكِيسَ تَمَذَّحَتْ خَوَاصِرُهَا وَأَزْدَادُ رَشْحِهَا وَرِيدُهَا^(٢)
تَمَذَّحَتْ ، أَيْ انْتَفَخَتْ .

١٠ أسماء الطعام

الوليمة : طعام العرس . والنقيعة : طعام الإِمْلَاكِ^(٣) . والإعذار : طعام الخِتَانِ .
والخُرس : طعام الولادة . والعقيقة : طعام سابع الولادة . والنقيعة : طعام يصنع
عند قُدُومِ الرَّجُلِ مِنْ سَفَرِهِ ؛ يَقَالُ : أَنْقَعْتَ إِنْقَاعًا . والوكيرة : طعام يُصْنَعُ عِنْدَ
الْبِنَاءِ يَبْنِيهِ الرَّجُلُ فِي دَارِهِ . والمأدبة : كُلُّ طَعَامٍ يَصْنَعُ لِدَعْوَةٍ ، يَقَالُ : آدَبَتْ
أَوْدَبَ إِيدَابًا . وَأَدَبَتْ أَدْبًا . قَالَ طَرَفَةُ :

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْآدَبَ فِينَا يَنْتَقِرُ
الْآدَبُ : صَاحِبُ الْمَادِبَةِ . وَالْجَفَلَى : دَعْوَةُ الْعَامَةِ . وَالنَّقَرَى : دَعْوَةُ الْخَاصَةِ .
وَالسُّلْفَةُ : طَعَامٌ يُتَعَمَّلُ بِهِ قَبْلَ الْعَدَاءِ . وَالْقَفَى : الطَّعَامُ الَّذِي يُكْرَمُ بِهِ
الرَّجُلُ ، يَقَالُ مِنْهُ : قَفَوْتُهُ فَأَنَا أَقْفُوهُ قَفْوًا . وَالْقَفَاوَةُ : مَا يَرْفَعُ مِنَ الْمَرْقِ لِلْإِنْسَانِ ،
قَالَ الشَّاعِرُ^(٤) :

وَنُقْفَى وَلِيدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعًا وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ

(١) هذا الضبط هو ما يقتضيه التفسير بعد ، وهي إحدى روايتين للمثل في اللسان (١٩ : ٣١٤) . وروى أيضا بفتح القاف ، أى تلفظ لمرارتك .

(٢) ن : « جينها » صوابه ما أثبتنا من سائر النسخ ، ومن اللسان (عكس ، مذح ،
ذخر) ومقاييس اللغة (ذخر) . (٣) الإملاك : التزويج .

(٤) هو امرأة من بني قشير كما في اللسان (حسب) . نُحْسِبُهُ : نعطيه حتى يقول حسبي .

صفة الطعام وفضله

قال النبي صلى الله عليه وسلم : أكرموا الخُبْزَ فإن الله سخر له السموات والأرض . وكلوا سَقَطَ المائدة^(١) .

وقال الحسن البصري : ليس في الطعام سَرَفٌ ، وتلا قوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جُنَاحٌ فيما طَعِمُوا) .

وقال الأصمعي . الكبادات^(٢) أربعة : العصيدة ، والمريسة ، والحيس ، والأصمعي والسَّمِيذ .

أبو حاتم : والسويق طعام المسافر ، والعَجَلَانُ ، والحزِين^(٣) والنفساء ، السويق وطعام مَنْ لا يشتهي الطعام .

أبو حاتم ، عن الأصمعي قال : قال أبو صوارة : الأرز الأبيض بالسمن المسلي والسكر الطَّبْرَزْد^(٤) ليس من طعام أهل الدنيا .

وقال مالك بن أنس ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن : أكلُ الخبيص يزيد في الدماغ .

وقال الحسن لفرقد السبغِي : بلغني أنك لا تأكل الفالودج ! قال : يا أبا سعيد أخاف أن لا أؤدِّي شكره ! قال : يا لُكَمُ ، وهل تؤدِّي شكر الماء البارد في الصيف ، والحر في الشتاء ؟ أما سمعت قول الله تعالى : (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) .

وسمع الحسن رجلاً يعيب الفالودج ، فقال : لُبَابُ الْبُرِّ بلعاب النحل بخالص السمن ، ما عاب هذا مُسْلِمٌ .

(١) السقط ، بالتحريك : ما يسقط ولا يعتد به .

(٢) ن : « الكبارات » وكلاما غير متجه .

(٣) في بعض النسخ : « والحريق » . وبعد الكلمة في ن « والسد » بدون إجماع .

(٤) في اللسان والقاموس : الطبرزد : السكر كآته نحت من نواحيه بالفأس .

- الأحنف
والكفاءة
٣٨٢
٣
- وقال رجل في مجلس الأحنف : ماشىء أبغضَ إلى من الزُّبد والكفاءة^(١) .
فقال الأحنف : « رَبِّ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ » .
وقيل لشريح القاضي : أيُّهما أطيب ، اللوزينق أو الجوزينق ؟ فقال :
لا أحكم على غائب !
- لماور الوراق
٥
- ولد لعبد الرحمن بن أبي ليلى غلامٌ فصنع الأخبصة ، ودعا الناس ، وفيهم
مساورُ الوراق ، فلما أكلوا قال مساور الوراق :
مَنْ لَمْ يَدَسِّمْ بِالْثَرِيدِ سِبْالَنَا بعد الخبيص فلا هناه الفارس^(٢)
- رقبة بن مصقلة
وحامد الرواية
- الرقاشي قال : أخبرنا أبو هِشَامٍ أَنَّ رَقْبَةَ بْنَ مَصْقَلَةَ طَرَحَ نَفْسَهُ بِقُرْبِ
حَمَادِ الرَّائِيَةِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ لَهُ حَمَادُ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : صَرِيحٌ فَالْوَدَجُ . قَالَ لَهُ
حَمَادُ : عِنْدَ مَنْ ؟ فَطَالَمَا كَفَتَ صَرِيحٌ سَمَكَ مَمْلُوحٌ خَبِيثٌ . قَالَ : عِنْدَ مَنْ حَكَمَ
فِي الْفُرْقَةِ^(٣) وَفَصَّلَ فِي الْجَمَاعَةِ . قَالَ : وَمَا أَكَلْتُمْ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : أَتَانَا بِالْأَبْيَضِ
الْمُنْضُودِ ، وَالْمَلُوزِ^(٤) الْمَقُودِ ، وَالذَّلِيلَ الرَّعِيدِ ، وَالْمَاضِيَ الْمُدُودِ^(٥) .
- طعام عبد الأعلى
ابن عبد الله بن
عامر
- محمد بن سلام الجحفي قال : قَالَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ
لِلْجَاوُودِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ الْهَذَلِيِّ : أَتَحْضِرُ طَعَامَ هَذَا الشَّيْخِ ؟ يَعْنِي عَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَصِفْهُ لِي . قَالَ : نَأْتِيهِ فَنَجِدُهُ مُتَصَبِّحًا^(٦) ،
يَعْنِي نَأْتِيهِ ، فَنَجْلِسُ حَتَّى يَسْتَقِيقَ ، فَيَأْذِنُ لَنَا فَنَسَاقِطُهُ الْحَدِيثَ ، فَإِنْ حَدَّثَنَا
أَحْسَنَ الْإِسْتِمَاعِ ، وَإِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ، ثُمَّ يَدْعُو بِمَائِدَتِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَى
جَوَارِيهِ وَأُمَهَاتِ أَوْلَادِهِ أَنْ لَا تُثْلِفَنَّهُ وَاحِدَةً مِنْهُمْ إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ مَائِدَتُهُ ، ثُمَّ
- (١) فِي الْحَيَوَانَ (١ : ٢٤) : « الْكَمَاءُ بِالسَّمَنِ » . وَفِي بَعْضِ النُّسخِ :
« الزَّيْتُ وَالْكَمَاءُ » .
- ٢٠
- (٢) كَانُوا إِذَا وَلَدَ لِأَحَدِهِمْ غُلَامًا قَالُوا لَهُ : « لِيَهْنُوكَ الْفَارِسُ » تَقَاوُلًا . انْظُرِ الْبَيَانَ
(٣ : ٢٨٤) طَبَعَ لَجْنَةُ التَّأْلِيفِ .
- (٣) أَشِيرُ فِي نِهَايِهَا لِسَخَةِ : « مِنْ قَضَى فِي الْفُرْقَةِ » .
- (٤) نِ : « الْمَلُونُ » .
- (٥) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « الْمَرْدُودُ » .
- ٢٥
- (٦) التَّصْبِيحُ : النَّوْمُ بِالْفِدَاةِ .

يقبل خبازه ، فيمثل بين يديه ، فيقول : ما عندك اليوم ؟ فيقول : عندى كذا
 عندى كذا ، فيعدّ كل ما عنده ، ويصفه ، يريد بذلك أن يحبس كل رجل
 نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام ، وتقبل الألفاظ من هاهنا وهاهنا ،
 وتوضع على المائدة ، ثم يُؤتى بثريدة شهباء من القفل ، رقطاء من الحمص ،
 ذات حنّافين من العراق^(١) ، فنأكل معه ، حتى إذا ظن أن القوم قد كادوا
 يمتلئون جثا على ركبتيه ، ثم استأنف الأكل معهم . فقال أبو بردة : لله درّ
 عبد الأعلى ، ما أربط جأشه على وقع الأضراس .

وحضر أعرابي طعام عبد الأعلى ، فلما وقف الخباز بين يديه ووصف ما عنده
 قال : أصلحك الله ، أنا امر غلامك يسقيني ماء ؟ فقد شبعنا من وصف
 ١٠ هذا الخباز .

وقال له : عبد الأعلى يوما : ما تقول يا أعرابي لو أمرتُ الطباخ فعيلَ لونَ
 كذا ، ولون كذا ؟ قال : أصلحك الله . لو كانت هذه الصفة في القرآن لكانت
 موضع سجود .

أبو عبيدة قال : مرّ الفرزدق ببحي بن المنذر الرقاشي فقال له : هل لك
 ١٥ أبا فراس في جدي رضيع ، ونبيذ صليب من شراب الزبيب^(٢) ؟ قال : وهل
 يأتي هذا إلا ابن المراغة .

وقال الأحوص لجري لما قدم المدينة : ماذا ترى أن نعدّ لك ؟ قال : شواء
 وطلاء ، وغناء^(٣) . قال : قد أعدّ لك .

وقال مساور الوراق في وصف الطعام :

٢٠ اسمع بنعتي للملوك ولا تكن فيما سمعت كئيت الأحياء

(١) العراق بالضم : جمع العرق بالفتح ، وهو الفدرة من اللحم ، وهي من الجمع النادر .

(٢) الصليب : الشديد .

(٣) الطلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه .

الفرزدق وبحي
 بن المنذر

الأحوص وجري

مساور الوراق
 في وصف الطعام

٥	يَسْتَأْثِرُونَ بِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ	إِنَّ الْمَلُوكَ لَهُمْ طَعَامٌ طَيِّبٌ
٣٨٣	وَالْعِيشَ لَيْسَ لَذِيذُهُ بِسَوَاءٍ	إِنِّي نَعْتُ لَذِيذَ عَيْشِي كُلَّهُ
٣	صِفَةُ الطَّعَامِ لِشَهْوَةِ الْخُلُوءِ	ثُمَّ اخْتَصَصْتُ مِنَ اللَّذِيذِ وَعَيْشِهِ
	شَهِدْتُ بِمَا كَرِهَ بِمَاءِ سَمَاءِ ^(١)	فَبَدَأْتُ بِالْعَسَلِ الشَّدِيدِ بِيَاضِهِ
	فَجُمَعْتُ بَيْنَ مُبَارَكٍ وَشِفَاءِ	إِنِّي سَمِعْتُ لِقَوْلِ رَبِّكَ فِيهِمَا
	حَضَرُوا لِيَوْمِ تَنْقَمُ أَكْفَاءُ	أَيَّامَ أَنْتَ هُنَاكَ بَيْنَ عِصَابَةٍ
	فِيمَا يَكُونُ بِلَفْظَةِ عَوْرَاءِ ^(٢)	لَا يَنْطَفُونَ إِذَا جَلَسَتْ إِلَيْهِمْ
	بَيْنَ النَّخِيلِ بِفُرْفَةٍ فِيحَاءِ ^(٣)	مُتَنَسِّمِينَ رِيَّاحَ كُلِّ هَبْوَةٍ
	مُنَشَّمٌ يَسْعَى بِغَيْرِ رَدَاءِ ^(٤)	فَقَعَدْتُ ثُمَّ دَعَوْتُ لِي بِمَذْرُقٍ
١٠	قَلِصَ الْقَمِيصُ مُشْمَرٌ سَعَاءِ	قَدْ لَفَّ مُيِّهِ عَلَى عَضَائِلِهِ
	فَبَنَاءَ فَوْقَ أَخَاوَنِ الشَّيْزَاءِ ^(٥)	فَأَتَى بِخُبْزٍ كَالْمَلَأِ مِنْقَطٍ
	بِالْفَارَسِيَّةِ إِدَاعِيًّا بَوَحَاءِ ^(٦)	حَتَّى مَلَاهَا ثُمَّ تَرَجَّمْ عِنْدَهَا
	تَبَدُّو جَوَانِبُهَا مَعَ الْوُصْفَاءِ	فَإِذَا الْقِصَاعُ مِنَ الْخَلْنَجِ لَدِيهِمْ
	قَصَفَ الْمُلُوكَ وَنَهْمَةَ الْقُرَاءِ	أَرْفَعُ وَضَعَهُنَّ وَهَنَا وَهَاكُ وَهَاهُنَا
١٥	قَدْ خَالَفْتُهُ مَوَائِدُ الْخُلَفَاءِ	يُؤْتُونَ ثُمَّ يَلُونُ كُلُّ طَرِيفَةٍ
	وَدَجَاجَةٍ مَرْبُوبَةٍ عَشَوَاءِ ^(٧)	مِنْ كُلِّ فُرْقَةٍ وَجَدِي رَاضِعٍ
	وَنَوَاهِضٍ يُؤْتَى بِهِنَّ شَوَاءِ ^(٨)	وَمَصُوصٍ دُرَّاجٍ كَثِيرٍ طَيِّبٍ

(١) ن : « نباكره » بالنون .

(٢) العوراء : القبيحة .

(٣) فيحاء : واسعة . (٤) المذرق : الحفير .

(٥) الأخوان : جمع لإخوان ، وهو لغة في الخوان . والخوان ، كغراب وكتاب :

ما يؤكل عليه الطعام . والشيزاء : الشيزى ، مده للشعر . والشيزى خشب تعمل منه القصاع والجفان :

(٦) الوحاء والوحى : السرعة .

(٧) الفرقى : خبز غليظ . فى بعض النسخ « من كل ذى قرن » .

(٨) المصوص : لحم ينقع فى الخل ويطحخ . والدراج : ضرب من الطير . والنواهض :

جمع ناهض ، وهو فرخ الطير الذى استقل للنهوض .

وثريدة مملومة قد سُقِّفَتْ	من فوقها بأطياب الأعضاء
وترتذت بتوابل مملومة	وخبيصات كالجمان نقاء
هذا الثريد وما سواه تعلل	ذهب الثريد بنهمتي وهوائى
ولقد كلفت بنعت جذى راضع	قد صنفته شهرين بين رعاء
قد نال من لبن كثير طيب	حتى تفتق من رضاع الشاء
من كل أحمر لا يقر إذا أرتوى	من بين رقص دائم ونزاء ^(١)
متعكن الجنين صاف لونه	عبل القوائم من غداء رخاء
فاذا مرضت فداوني بلحومها	إني وجدت أحومهن دوائى
ودع الطبيب ولا تثق بدوائه	ما خالفتك رواضع الأجزاء
إن الطبيب إذا حباك بشربة	تركك بين مخافة ورجاء
وإذا تنطع في دواء صديقه	لم يعد ما في جونة الرقاء ^(٢)
نعت الطبيب هليلجا وبليلجا	ونعت غيرهما من الحلواء ^(٣)
رطب المشان مجزعا يؤتى به	والرازق فما هما بسواء ^(٤)
وبنائيا زرقا كأن بطونهما	قطع الثلوج نقيية الأمعاء ^(٥)
ليست بأكلة الحشيش ولا التي	يبتاعها الخناق في الظلماء ^(٦)

باب آداب الأكل والطعام

من حديث
الرسول صلى
الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الأكل في الشوق دناءة » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ، ويشرب

- (١) النزاء ، بالضم : الوثب ، وعنى بالأحر الجدى . انظر الحيوان (٢ : ٢٤٩) .
- (٢) الجونة ، بالضم : السلة ، والرقاء : الذي يرقى بالرقية .
- (٣) الأهليلج ، وقد تحذف همزته : ثمر شجرة هندية . ومثله « البليج » : ثمر هندي في حجم الزيتون .
- (٤) المشان ، كخراب : ضرب من أجود التمر . والرازق : ضرب من العنب .
- (٥) البنائى : جمع بنى ، بضم الباء كالمنسوب إلى البن ، وهو نوع من السمك .
- (٦) في بعض النسخ : « الخنان » بدل « الخناق » .

بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ستموا إذا أكلتم ، وأحدوا إذا فرغتم » . وكان يقطع أصابعه بعد الطعام .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ، وبعد الطعام ينفي اللّمْ ^(١) » .

٥

ومن الأدب في الوضوء أن يبدأ صاحب البيت فيغسل يديه قبل الطعام ، ويقدم أصحابه بعد الطعام .

٣٨٤
٣

قال النبي صلى الله عليه وسلم : طعام الاثنين كافي الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافي الأربعة .

وقال صلى الله عليه وسلم « أملكوا العجيين فإنه أحد الرّيعين ^(٢) » .
وكان فرقد يقول لأصحابه : إذا أكلتم فشّدوا الإزار على أوساطكم ، وصغّروا اللّمْ ، وشدوا المضغ ، ومصوا الماء ، ولا يحلّ أحدكم إزاره فيتسع معاه ، ويأكل كل واحد ما بين يديه .

لصبيحة فرقد
لأصحابه

وقالوا : كان ابن هُبيرة يباكر الغداء ، فسئل عن ذلك فقال : إن فيه ثلاث خصال : أما الواحدة : فإنه ينشف المرّة ، والثانية : أنه يطيب النّكهة ، والثالثة : أنه يعين على المروءة . فقيل له : وكيف يعين على المروءة ؟ قال : إذا خرجت من بيتي وقد تغدّيت ، لم أتطّلّع إلى طعام أحدٍ من الناس .

مباكرة الغداء

البطنة وقولهم فيها

قالوا : البطنة تذهب الفطنة .

وقال مسleme بن عبد الملك لأبيون ، ملك الروم : ماتعدّون الأحق فيكم ؟ قال : الذي يملأ بطنه من كل ما وجد .

قول ملك الروم
في الأحق

(١) اللّمْ : الجنون .

(٢) ملك العجيين وأملكه أيضا : أنعم مجته . الريع : الزيادة .

وَحَضَرَ أَبُو بَكْرَةَ سُفْرَةَ مَعَاوِيَةَ وَمَعَهُ وَلَدُهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَرَأَاهُ يَلْقَمُ لَقْمًا شَدِيدًا ،
فَلَمَّا كَانَ بِالْعَشِيِّ رَاحَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : مَا فَعَلَ ابْنُكَ التَّلْقَامَةُ ^(١) ؟
قَالَ : اعْتَلَّ . قَالَ : مِثْلُهُ لَا يَعْدَمُ الْعِلَّةُ .

وَرَأَى أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ رَجُلًا يَلْقَمُ لَقْمًا مَنَكْرًا ، فَقَالَ : كَيْفَ أَسْمُكَ ؟ قَالَ :
لَقْمَانُ ، قَالَ : صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ .

وَرَأَى أَعْرَابِيَّ رَجُلًا سَمِينًا ، فَقَالَ لَهُ : أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مِنْ نَسِيجِ أَضْرَاسِكَ .
وَقَعْدًا أَعْرَابِيَّ عَلَى مَائِدَةِ الْمَغِيرَةِ ، فَجَمَلَ يَنْهَشُ وَيَتَعَرَّقُ ، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ : يَا غِلَامُ ،
نَاوِلْهُ سَكِينًا . قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : كُلُّ أَمْرٍ سَكِينُهُ فِي رَأْسِهِ ^(٢) .

قَالَ أَعْرَابِيٌّ : كُنْتُ أَشْتَهِي ثُرَيْدَةً ذَكَنَاءَ مِنَ الْقُلُقُلِ ، وَقِطَاءَ مِنَ الْحِمْصِ ،
ذَاتَ حِفَافَيْنِ مِنَ الْعُرَاقِ ^(٣) ، فَأَضْرَبُ فِيهَا كَمَا يَضْرِبُ الْوَلِيُّ السَّوْءَ فِي مَالِ الْيَتِيمِ .
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

أَلَا لَيْتَ لِي خَبْرًا تَسْرِبُ لِي رَائِبًا وَخِيَلًا مِنَ الْبَرْزِيِّ فُرْسَانَهَا الزُّبْدُ ^(٤)
فَأَطْلُبُ فِيمَا يَنْهَنُ مَهَادَةً بِمَوْتِ كَرِيمٍ لَا يُعَدُّ لَهُ لَحْدُ
وَأُصْطَلَبُ شَيْخٌ وَحَدَّثَ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي مَفَرٍّ ، وَكَانَ لَهَا قُرْصٌ فِي كُلِّ
يَوْمٍ ، وَكَانَ الشَّيْخُ مَخْلَعُ الْأَضْرَاسِ ، وَكَانَ الْحَدَّثُ يَبْطِشُ بِالْقُرْصِ ثُمَّ يَقْعُدُ
يَشْكُو الْعِشْقَ ، وَالشَّيْخُ يَتَضَوَّرُ جَوْعًا ، وَكَانَ الْحَدَّثُ يُسَمَّى جَعْفَرًا ، فَقَالَ
الشَّيْخُ فِيهِ :

لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ جَعْفَرٍ أَنَّ جَعْفَرًا يَطْبِشُ بِقُرْصِي ثُمَّ يَبْكِي عَلَى جُمْلٍ
فَقُلْتُ لَهُ لَوْ مَسَسَكَ الْحَبُّ لَمْ تَبْتَ بَطِينًا وَنَسَاكَ الْهَوَى شَدَّةَ الْأَكْلِ
الْأَصْمَى قَالَ : تَقُولُ الْعَرَبُ فِي الرَّجُلِ الْأَكُولِ : إِنَّهُ بَرَمَ قُرُونًا .

(١) التَّلْقَامَةُ : الْعَظِيمُ اللَّقْمِ .
(٢) أَيْ أَسْنَانُهُ الَّتِي فِي رَأْسِهِ تَغْنِي عَنْ السَّكِينِ .
(٣) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٢٩٥ س ٥ .
(٤) الْبَرْزِيُّ ، بِالْفَتْحِ : ضَرْبٌ مِنْ أَجْوَدِ التَّمْرِ .

الْبَرَم : الذى يأكل مع الجماعة ولا يجعل شيئاً^(١) . والقرون : الذى يأكل

تمرّتين تمرّتين ويأكل أصحابه تمرّة تمرّة . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم
النهي عن القران
في الطعام
عن القران .

وكان عبد الله بن الزبير إذا قدّم التمر إلى أصحابه قال عبد الله بن عمر :

إياكم والقران ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه .

وقيل لبسرة الأحول : كم تأكل كل يوم ؟ قال : من مالى أو من مال

لبسرة الأحول

غيرى ؟ قيل له : من مالك . قال : مَكْشُوكَا^(٢) . قيل : فمن مال غيرك ، قال :
أخبروا واطرحوا^(٣) .

وقال رجل من أهل العراق فى قينة حفص الكاتب :

قينة حفص
الكاتب

١٠ قينة حفص ويلها فيها خصال عشره
أولها أن لها وجهاً قبيح المنظره
ودارها فى ومدة أوسع منها القنطره
تأكل فى مقعدها نوراً وتخرى بقره

قال تأبط شراً : ما أحببت شيئاً قط حتى ثلاثة : أكل اللحم ، وركوب

لتأبط شراً

١٥ اللحم ، وحك اللحم باللحم .

وقال أبو اليقظان : كان هلال بن الأسمر التميمي أكولاً ، فبزعمون أنه أكل

شره هلال بن
الأسمر وزوجه

٣٨٥
٣ جملاً ، وأكلت امرأته فصيلاً ، فلما أراد أن يجامعها لم يصل إليها ، فقالت له :
وكيف تصل إلى ويني وبينك بعيران .

وكان الواثق وأسمه هارون بن محمد بن هارون أكولاً ، وكان مفتوناً بحب

نهم الواثق

٢٠ الباذنجان ، وكان يأكل فى أكلة واحدة أربعين باذنجاناً ، فأوصى إليه أبوه

— وكان ولّى عهد — ويلك متى رأيت خليفة أعمى ؟ فقال للرسول : أعلم
أمير المؤمنين أنى تصدقت بعينى جميعاً على الباذنجان .

(١) أى لا يخرج شيئاً يشاركهم به . وأصل استعماله فى اليسر .

(٢) المكوك : صاع ونصف . (٣) ن : « أخبز واطرح » .

نهم سليمان بن
عبد الملك

وكان سليمان بن عبد الملك من الأكلة ، حدث العتيبي عن أبيه عن الشمردل
وکیل عمرو بن العاص قال : لما قدم سليمان الطائف دخل هو وعمرو بن عبد العزيز
وأيوب ابنه بستاناً لعمرو بن العاص^(١) فجَلَّ فيه ساعة ، ثم قال : ناهيكم بمالك
هذا مالا ، ثم ألقى صدره على عُصْن ، وقال : ويلك يا شمردل ما عندك شيء
تُطعمني ؟ قال : بلى إنَّ عندي جدياً كانت تغدو عليه بقرة وتروح عليه أخرى .
قال : عجِّل به . قال : فأتيته به كأنه عُسْكَة ممن ، فأكله وما دعا عمر ولا ابنه ،
حتى إذا بقي النَّخِذ ، قال : هلم أباخفص . قال : إني صائم . فأتى عليه ، ثم قال :
ويلك يا شمردل ، ما عندك شيء تطعمني ؟ قال : بلى والله عندي خمس دجاجات
هنديات كأنهن رثلان النعام^(٢) . قال : فأتيته بهن فكان يأخذ برجلي الدجاجة
فيلقي عظامها نقيّة حتى أتى عليهن ، ثم قال : يا شمردل ، ما عندك شيء تطعمني ؟
قلت : بلى والله ، إنَّ عندي حريرة كأنها قراضة الذهب^(٣) . فقال : عجِّل بها . فأتيته
بمسٍ يغيب فيه الرأس ، فجعل يلاطمها بيديه ويشرب ، فلما فرغ تجشأ فكانما صاح
في جُب ، ثم قال : يا غلام ، أفرغت من غدائي^(٤) ؟ قال : نعم . قال : وما هو ؟
قال : ثمانون قدرا ، قال : اثنتي بها قدرا قدرا ، قال : فأكثر ما أكل من كل
قدر ثلاث لقم ، وأقل ما أكل لقمة ، ثم مسح يده واستلقى على فراشه ، ثم أذن
للناس ووضعت المائدة وقعد فأكل مع الناس ، فما أنسكرت من أكله شيئا .

جشع مزرد أخى
الشاخ ونهمه

وقال الأصمى : كنت يوماً عند هارون الرشيد ، فقدمت إليه فالودجة ،
فقال : يا أصمى . قلت : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : حدثني بمحدث مزرد
أخى الشماخ . قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، إنَّ مزرداً كان رجلاً جشعاً نهماً ،
وكانت أمه تُؤثر عيالها بالزاد عليه ، وكان ذلك مما يُضربُه ويُحفظه ، فذهبت
يوماً في بعض حقوق أهلها وخلقت مزرداً في بيتها ورحلها ، فدخل الخيمة فأخذ

(١) ن : لما قدم سليمان الطائف ومعه عمرو بن عبد العزيز وابنه أتى إلى بستان لنا .

(٢) الرثلان : جمع رأل ، وهو قرخ النعام .

(٣) الحريرة : دقيق يطبخ بلين أو دسم .

(٤) أى هل أتممت إعداده . كأنه جعل ما التهمه من قبل مقدمة لغدائه .

صاعين من دقيق ، وصاعا من عجوة ، وصاعا من سمن ، فضرب بعضه ببعض
فأكله ، ثم أنشأ يقول :

ولما مضت أمي تزور عيالها أغرت على العِكم الذي كان يُمنع^(١)

خلطت بصاعتي حنطة صاع عجوة إلى صاع سمن فوقه يتربع

ودببت^(٢) أمثال الأتافي كأنها رؤوس رخال قطمت لا تجمع^(٣)

وقلت لبطني أبشري اليوم إنه حي أمنا مما تفيـد وتجمع

فإن كنت مصفورا فهذا دواؤه وإن كنت غرثانا فذا يوم تشبع

قال : فاستضحك هارون حتى أمسك على بطنه واستلقى على ظهره ، ثم قعد

فدَّ يده ، وقال : خذ ، فذا يوم تشبع يا أصمعي .

وقال حميد الأرقط ، وهو الذي يقال له : « هجاء الأضياف » ، يصف

أكل الضيف :

هجاء حميد
الأرقط لأضيافه

ما بين لقمته الأولى إذا أنحدرت وبين أخرى تليها قيد أظفوري^(٤)

وقال أيضا^(٥) :

تجهز كفاه ويحدر حلقه إلى الزور ما ضمت عليه الأنامل

أتانا وما ساواه سحبان وائل بيانا وعلما بالذي هو قائل

فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العي لما أن تكلم بأقل

وقال :

لا أبغض الضيف مابي جُلُّ ما كَلِه إلا تنفجته حـولى إذا قعدا^(٦)

(١) العِكم ، بالكسر : ما عكم به المتاع ، أي شد وربط .

(٢) دببت اللقمة تديبلا : كبرها .

(٣) الرخال : جمع رخل ، وهي الأتني من ولد الضأن . ن : « نقاد » . والنقد ،
بالتحريك : جنس من القم .

(٤) قيد ، بالكسر ، بمعنى قدر .

(٥) ن : « ولغيره » ، والصواب في سائر النسخ . فإن الأبيات لحميد الأرقط ، كما في
اللسان (بقل) . وانظر البيان للجاحظ (١ : ٦) طبع لجنة التأليف .

(٦) التنفج : ارتفاع البطن .

ما زال ينفخ جنبيه وخبوته حتى أقول لعل الضيف قد ولدا
وقال :

لا مرحباً بوجوه القوم إذ نزلوا دُسمَ القمام تحكيها الشياطين^(١)
أقيت جلتنا الشهر يز بينهم كان أظفارم فيها سكاكين^(٢)
فأصبحوا والنوى على معرسمهم وليس كل النوى يلقى المساكين ٥

نهم سليمان بن
عبد الملك

أبو الحسن المدائني قال : أقبل نصراني إلى سليمان بن عبد الملك ، وهو
بدابق ، بسّلين ، أحدهما مملوء بيضاً ، والآخر مملوء تيناً ، فقال : اقشروا ، فجعل
يا كل بيضة وتينة حتى فرغ من السّالين ، ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر
فأكله ، فأتهم ومرض فمات .

عيب الأكلة
للحمية

والأكلة كلهم يعيبون الحمية ، ويقولون : الحمية إحدى العلتين . ١٥
وقالوا : من أحسنى فهو على يقين من المكروه ، وفي شك من العافية .
وقالوا : الحمية للصحيح ضارة ، وللعليل نافعة .

الحمية وقولهم فيها

قيل لبقرط : مالك تُقل الأكل جدا ؟ قال : إني إنما آكل لأحيا ، لبقرط
وغيري يحيا لياكل . ١٥

وأجمعت الأطباء على أن رأس الداء كله إدخال الطعام على الطعام ، وقالوا :
أحذروا إدخال اللحم على اللحم ، فإنه ربما قتل السباع في القفر . وأكثر العلل
كلها إنما يتولد من فضول الطعام .

الحمية في الحديث
الشريف

والحمية مأخوذة عن النبي صلى الله عليه وسلم : رأى مصيباً يأكل تمرّاً وبه
رمد ، فقال : « أتأكل تمرّاً وأنت أرمد^(٣) ؟ » . ٢٠

(١) ن : « دكن التباين » . والعبان : جمع تبان ، كرمان ، وهو سراويل صغير .

(٢) المهرز ، ويقال أيضا السهرز : ضرب من التمر .

(٣) ن : « رمد » .

ودخل على عليّ رضي الله عنه ، وهو عليلٌ وببده عُقُود عِنَب ، فنزعه من يده .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تُكْرَهُوا سَرَضًا كَمَ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ » .

• وقيل للحارث بن كَلْدَةَ طبيب العرب : ما أفضلُ الدواء ؟ قال : الأَزْمُ . يريد قَلَّةَ الأَكْلِ . ومنه قيل للمَجَاعَةِ : الأَزْمَةُ ، وللكَثِيرِ أَزْمَاتُ .

وقيل لآخر : ما أفضلُ الدواء ؟ قال : أن ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيهِ . أبو الأشهب عن أبي الحسن قال : قيل للمُنْذِرِ بْنِ جُنْدَبٍ : إن أبنك أكل طعاماً كظهِه حتى كاد يقتله . قال : لو مات ما صليتُ عليه .

• ودعا عبدُ الملك بن مروان رجلاً إلى الغداء ، فقال : مافيّ فضلٍ يا أمير المؤمنين . قال : لا خيرَ في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل .

وقال الأحنف بن قيس : جَنَّبُوا مَجَالِسَنَا ذَكَرَ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ ، فَإِنِّي أَبْغُضُ الرَّجُلَ أَنْ يَكُونَ وَصَافًا لِبَطْنِهِ وَفَرَجِهِ .

• وقيل لبعض الحكماء : أي الأدوية أطيب ؟ قال : الجوع ما ألقيت إليه من شيء قَبْلَهُ .

وقال رجل من أهل الشام ، لرجلٍ من أهل المدينة : عجبتُ منكم ، أن فقهاءكم أظرف من فقهاءنا ، ومجانينكم أظرف من مجانيننا^(١) ، قال : أو تدري من أين ذلك ؟ قال : لا أدري . قال : من الجوع ، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لما خلا جوفهُ .

• وقال الجاحظ^(٢) : كان أبو عثمان الثوري^(٣) يُجْلِسُ ابْنَهُ مَعَهُ يَوْمَ الرَّأْسِ ، وكان له يوم معروف يأكل فيه رأساً لا تحالة ، وكان يُجْلِسُ ابْنَهُ مَعَهُ : ويقول :

(١) ن : « أطرف » بالطاء المهملة في الموضعين .

(٢) في كتاب البخل ٩٦ . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢١٦) .

(٣) في السكتاين المتقدمين : « أبو عبد الرحمن الثوري » .

- إياك يا بُنَيَّ ونهم الصبيان ، وأخلاق النوايح ، ونهش الأعراب ، وكل مِنَّا يليك ، وأعلم أنه إذا كانت في الطعام لقمة كريمة ، أو مضغة شهية ، أو شيء مُستطرف ، فإنما ذلك للشيخ الأعظم ، أو للصبي المدلل ، ولست بواحد منهما . وقد قالوا : مُدمن اللحم كمدمن الخمر . أى بنى ، عَوَّدَ نفسك الأثرة ومجاهدة الهوى والشهوة ، ولا تنهش نهش السباع ، ولا تخضم خضم البراذين ، ولا تُدمن الأكل إدمان النعاج^(١) ، ولا تلتقم لقم الجمال ، فإن الله جعلك إنسانا ، فلا تجعل نفسك بهيمة . واحذر صرعة السكظة ، وسرف البطننة ، فقد قال بعض الحكماء : إذا كنت نهما فعد نفسك من الزماني ، وأعلم أن الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم ، وأن السقم داعية الموت ، ومن مات هذه المينة فقد مات ميتة لثيمة ، لأنه قاتل نفسه ، وقاتل نفسه الأم من قاتل غيره .
- أى بنى ، والله ما أدّى حق الزكوع والسجود ذو كظّة ، ولا خضع لله ذو بطننة ، والصوم مَصَحّة ، والوجبات عيش الصالحين^(٢) .
- أى بنى ؛ لأمر ما طانت أعمار أهل الهند ، وصحت أبدان العرب ، والله در الحارث بن كَلْدَة ، إذ زعم أن الدراء هو الأزم^(٣) ، فالداء كله من فضول الطعام ، فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن ، وذكاء الذهن ، وصلاح الدين والدنيا ، والقرب من عيش الملائكة ؟
- أى بنى ، لم صار غضب أطول عمرا ، إلا لأنه يتبلى بالنسيم ؟ ولم قال الرسول عليه الصلاة والسلام : إن الصوم وجاء^(٤) ؟ إلا لأنه جعله حجازاً دون الشهوات ؟ فافهم تأديب الله عز وجل ، وتأديب رسوله عليه الصلاة والسلام .
- أى بنى ، قد بلغت تسعين عاما ما نقص لى سن ، ولا انتشر لى عصب ، ولا عرفت ذنين أنف^(٥) ، ولا سيلان عين ، ولا سلس بول ، ما لذلك علّة

(١) انظر الحيوان (١ : ١١٢ / ٥ : ٤٨٧) .

(٢) الوجبة : أكلة واحدة في اليوم واليلة . (٣) الأزم : الحية .

(٤) أى يقطم الشهوة . وأصل وجاء أن تدق عروق الحميتين بين حجرين ، وما يحالهما .

(٥) ذنين الأنف : سيلان مخاطه .

إلا التخفيف من الزاد . فإن كنت تُحبُّ الحياة فهذه سبيلُ الحياة ، وإن كنت تُحبُّ الموتَ فلا أبعد الله غيرك .

سياسة الأبدان بما يصلحها^(١)

قال الحجاج بن يوسف للبازون طبيبه : صِف لي صفةً آخذ بها نفسي ولا أعدوها . قال له : لا تتزوج من النساء إلا شابةً ، ولا تأكل اللحم إلا فتيةً ، ولا تأكله حتى تُنمِ طبخه ، ولا تشرب دواء إلا من علة ، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ، ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مضغه ، وكل ما أحبت من الطعام ، واشرب عليه ، فإذا شربت فلا تأكل ، ولا تحبس الغائط ولا البول ، وإذا أكلت بالنهار فتم ، وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة .

نصيحة البازون
طبيب الحجاج

قيل ليهود خيبر : بمَ صححتُم على وباء خيبر ؟ قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكنى اليفاع^(٢) ، وتجنَّب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه^(٣) .

سياسة يهود
خيبر

وقال قيصر لقُس بن ساعدة : صِف لي مقدار الأطعمة . فقال : الإمساك عن غاية الإكثار ، والجُتيا على البدن عند الشهوة . قال : فما أفضل الحكمة ؟ قال : ١٥ معرفة الإنسان قدره . قال : فما أفضل العقل ؟ قال : وقوف الإنسان عند منتهى علمه . وسأل عبدُ الملك بن مروان أبا المفوز : هل أُنحمت قط ؟ قال : لا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأننا إذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مضغنا دققنا ، ولا نُكظُّ المعدة ولا نُخلِّها .

قيصر وقُس بن
ساعدة

عبد الملك
وأبو المفوز

٢٠

(١) ن : « وما يصلحها » .

(٢) اليفاع ، كسحاب : ما أشرف وعلا من الأرض .

(٣) النجم هو الثريا . تطلع مع الصبح في العشر الأوسط من أيار ، وتقرب مع الصبح في العشر الأوسط من تشرين الآخر . لسان القرب (١٦ : ٤٧) .

- لبنر جهر وقيل لبزر جهر : أى وقت فيه الطعام أصح ؟ قال : أما لمن قَدَر فإذا جاع ولمن لم يقدر فإذا وجد .
- وقال^(١) : أربع يهدمن العمر ، وربما قتلن : الحَمَام على البِطْنَة ، والمُجَامعة على الامتلاء ، وأكل القديد الجاف ، وشرب الماء البارد على الريق .
- وقال إبراهيم النظام : ثلاثة أشياء تُفسد العقل : طول النظر في المرأة ، والاستغراق في الضحك ، ودوام النظر في البحر .
- الأصمى قال : جمع هارون من الأطباء أربعة : عراقيا ، وروميا ، وهنديا ، أنجى الأدوية
- ويونانيا ، فقال : ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذى لاداء معه . فقال
- العراقى : الدواء الذى لاداء معه حَبُّ الرشاد الأبيض . وقال الهنـدى : الإهليلج
- الأسود . وقال الرومى : الماء الحار ، وقال اليونانى — وكان أطبهم — حَبُّ
- الرشاد الأبيض يولد الرطوبة ، وللماء الحار يرخى المعدة ، والإهليلج الأسود يرقى
- المعدة ، لكن الدواء الذى لاداء معه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه ، وتقوم عنه
- وأنت تشتهيه .

تدبير الصحة

- ثم نذكر بعد هذا من وصف الطعام وحالاته ، وما يدخل على الناس من
- ضروب آفاته ، باباً فى تدبير الصحة التى لا تقوم الأبدان إلا به ، ولا تُنمى
- النفوس إلا عليه .

- وقد قال الشافعى : العلم علمان : علم الأديان وعلم الأبدان .
- ولم نجد بُدّاً — إذ كانت جملة هذه المطاعم التى بها نمو الغراسه ، وعليها مدار
- الأغذية تضرّ فى حالة ، وتنفع فى أخرى — من ذكر ما ينفع منها ومقدار نفعه ،
- وما يضر منها ومبلغ ضرره ، وأن نحكم على كل ضرب منها بالأغلب عليه من طباعه ،

(١) ن : « وقالوا » .

وقلما نجد شيئاً ينفع في حالة إلا وهو يضر في الأخرى ، ألا ترى أن الغيث الذي جعله الله رحمةً خلقة ، وحياةً لأرضه ، قد يكون منه السيول المهلكة ، والخراب المجحف ؟ وأن الرياح التي سخرها الله مبشرات بين يدي رحمة ، قد أهلك بها قوما وانتقم بها من قوم ؟ وفي هذا المعنى قال حبيب الطائي :

ولم تر نفعاً عند من ليس ضاراً ولم تر ضرراً عند من ليس ينفع

قال خالد بن صفوان لخادمه : أطمعنا جُبناً ، فإنه يُشهي الطعام ، ويهيج المعدة ، وهو يحض العرب . قال : ما عندنا منه شيء . فقال : لا عليك ، فإنه يقدح الأسنان^(١) ، ويشد البطن .

ولما كانت أبدان الناس دائمة التحلل ، لما فيها من الحرارة الفريزية من داخل ، وحرارة الهواء المحيط بها من خارج ، احتاجت إلى أن يُخلف عليها ما تحلل ، واضطرت بذلك إلى الأطعمة والأشربة ، وجعلت فيها قوة الشهوة ليعلم بها وقت الحاجة منها إليها ، ومقدار ما يتناول منها ، والنوع الذي يحتاج إليه ، ولأنه لا يخلف الشيء الذي يتحلل ولا يقوم مقامه إلا مثله ، وليس تستطيع القوة التي تحلل الطعام والشراب في بدن الإنسان أن تحلل إلا ما شا كل البدن وقاربته . فإذا كان هذا هكذا ، فلا بد لمن أراد حفظ الصحة أن يقصد لوجهين : أحدهما أن يدخل على البدن الأغذية الموائمة لما يتحلل منه ، والآخر أن ينفي عنه ما يتولد فيه من فضول الأغذية .

ما يصلح لكل طبيعة من الأغذية

وينبغي لك أن تعرف اختلاف طبائع الأبدان وحالاتها ، لتعرف بذلك موافقة كل نوع من الأطعمة لكل صنف الناس . وذلك أن الأغذية مختلفة ، فمنها معتدلة ، كالتى يتولد منها الدم الخالص النقي ، ومنها غير معتدلة ، كالتى

(١) يقدحها : يحدث فيها أكاراً .

يتولد منها البلغم والمرّة الصفراء والسوداء ، والرياح الغليظة ، ومنها لطيفة ، ومنها غليظة ، ومنها ما يتولد منه كيّموس^(١) لزج ، وكيّموس غير لزج . ومنها ماله خاصّة منفعة أو مضرة في بعض الأعضاء دون بعض . وكذلك الأبدان أيضا ، منها معتدل مستول عليه في طبيعته الدّم الخالص النقي ، ومنها غير معتدل يغلب عليه البلغم أو إحدى المرّتين ، ومنها ما هو متخلخل سريع التحلل ، ومنها مستحصف عسر التحلل ، ومنها ما يكون في بعض أعضائها دون بعض . فقد يجب متى كان المستولى على البدن الدّم النقي أن تكون أغذيته قصداً في قدرها ، معتدلة في طبائعها . ومتى كان الغالب عليه البلغم ، فيجب أن تكون مسخنة أو يقتضى بما يزيد في الحرارة ، ويقمع الرطوبة . ومتى كان الغالب عليه المرّة السوداء ، فينبغي له أن يغتذى بالأغذية الحارة الرطبة . ومتى كان الغالب عليه المرّة الصفراء ، فيغتذى بالأغذية الباردة الرطبة ، ومتى كان البدن مستحصفا عسر التحلل ، فينبغي أن يغتذى بأغذية بسيرة لطيفة جافة ، ومتى كان متخلخلا فينبغي له أن يغتذى بأغذية لزجة ، لكثرة ما يتحلل من البدن .

٣٨٩
٣

١٠

فهذا التدبير ينبغي أن يلتزم ، ما لم يكن في بعض أعضاء البدن [ألم] ، فينبغي أن يستعمل النّظر في الأغذية الموافقة للعضو الألم ، لأنّنا ربما أضطررنا إلى استعمال ما يوافق العضو الألم إن كان مخالفاً لسائر البدن ، كما أنه لو كانت الكبد باردة ضيقة المجارى ، احتجنا إلى استعمال الأغذية اللطيفة ، وتجنّب الأغذية الغليظة ، وإن كان سائر البدن غير محتاج إليها لضعف أو نخافة ، لئلا تحدث الطبيعة في الكبد سُددا ، وربما كانت الكبد حارة فتحدّره الأغذية الحلوة ، وإن احتاج إليها ، لِسُرعة استحالتها إلى المرّة الصفراء . وربما كانت المعدة ضعيفة ، فتحتاج إلى ما يقوّيها من الأغذية ، وربما كان يولد الطعام فيها بلغمًا ، فتحتاج إلى ما يحلّوه ويقطعه ، وربما كان يتولد فيها المرّة الصفراء سريعا ، فتحتاج إلى ما يجمع الصفراء ،

١٥

٢٠

(١) في القاموس : « الكيّموس : الخلط ، سريانية » . وأخلط البدن : ما يستحيل إليه الغذاء من الدّم ، والبلغم ، والصفراء ، والسوداء .

وإلى تجنب الأشياء المولدة لها . وربما كان الطعام يبقى على رأس المعدة طافيا ، فيستعمل الأغذية الغليظة الراسية ليتثقل بثقلها إلى أسفل المعدة ، وتأمره بحركة يسيرة بعد الطعام ، لينحط الطعام عن رأس المعدة . وربما كان فضل الطعام بطيء الانحدار عن المعدة والأمعاء ، فتحتاج إلى ما يحدره ويلين البطن . وربما كان رأس المعدة حارًا قابلاً للحار فيتجنب الأغذية الحارة ، وإن أحتاج إليها . سائر البدن .

الحركة والنوم مع الطعام

وينبغي ألا يقتصر على ما ذكرنا دون النظر في مقدار الحركة قبل الطعام ، والنوم بعده ، متى كانت الحركة قبل الطعام كثيرة ، غزيرة بأغذية كثيرة غليظة لزجة إلى اليبس ما هي ، بطيئة التحلل ، ولم تأمره بالحمية ، لقلة الحاجة إليها . ومتى لم تكن قبل الطعام حركة ، أو كانت يسيرة ، فينبغي ألا يقتصر على الحمية ، بقلة الطعام ولطافته ، دون أن يستعين على تخفيف ما يتولد في البدن من الفضول باستفراغ الأدوية المُسهلة ، وبالحمام ، وبإخراج الدم . ومتى كانت الحركة كافية ، استعملنا الأغذية المعتدلة في كثرتها ، وقدر لطافتها وغلظها . ومتى كان النوم بعد الطعام كثيرا احتجنا إلى استعمال أغذية كثيرة غزيرة الغذاء ، لطول الليل ، وكثرة النوم . ومتى كان النوم قليلا احتجنا إلى الطعام القليل الخفيف اللطيف ، كالذي يغتذى به في الصيف ، لقصر الليل وقلة النوم .

تقدير الطعام وما يقدم منه وما يؤخر

ويجب في الطعام أن يقدر فيه أربعة أنحاء : أولها ملائمة الطعام لبدن المغتذى به في الوقت الذي يغتذى به فيه ، كما ذكرنا آنفا : أنه متى كان الغالب على البدن الحرارة احتاج إلى الأغذية الباردة . ومتى كان الغالب عليه البرد احتاج إلى الأغذية الحارة ، ومتى كان معتدلا احتاج إلى الأغذية المعتدلة المشاكلة له .

والنحو الثاني : تقدير الطعام بأن يكون على مقدار قوة الهضم ، لأنه وإن كان في نفسه محموداً وكان ملائماً للبدن ، وكان أكثر من قدر احتمال قوة الهضم ، ولم يستحكم هضمه ، تولد منه غذاء ردي .

والنحو الثالث : تقديم ما ينبغي أن يقدم من الطعام ، وتأخير ما ينبغي أن يؤخر منه . ومثل ذلك أنه ربما جمع الإنسان في أكلة واحدة طعاما يلين البطن ، وطعاما يجبسه . فإن هو قدم اللين وأتبعه الآخر سهل انحدار الطعام منه ، ومتى قدم الطعام الحابس وأتبعه اللين لم ينحدر وفسدا جميعا^(١) . وذلك أن اللين حال فيما بينه وبين النزول الطعام الحابس ، فبقى في المعدة بعد انهضامه ، ففسد به الطعام الآخر . ومتى كان الطعام اللين قبل الحابس انحدر اللين بعد انهضامه ، وسهل الطريق لأنحدر الحابس . وكذلك أيضا إن جمع أحد في أكلة واحدة طعاما سريع الانهضام وآخر بطيء الانهضام ، فينبغي له أن يقدم البطيء الانهضام ويتبعه السريع الانهضام ، ليصير البطيء الانهضام في قعر المعدة ؛ لأن قعر المعدة أسخن ، وهو أقوى على الهضم ، لكثرة ما فيه من أجزاء اللحم المحالطة له ، وأعلى المعدة عصبى بارد لطيف ضعيف الهضم . ولذلك إذا طفا الطعام على رأس المعدة لم ينهضم . ١٥

والنحو الرابع : أن من يتناول الطعام الثاني بعد انحدار الأول ، وقد قدّم قبله حركة كافية ، وأتبعه بنوم كاف ، استمرأه . ومن أخذ الطعام وقد بقي في معدته أو أمعائه بقية من الطعام الأول غير منهضمة ، فسد الطعام الثاني ببقية الأول .

باب الحركة والنوم مع الطعام

ومن أكل الطعام بعد حركة كافية ، وأخذ على حاجة من البدن إليه ، وبقى الطعام الحرارة الفريزية بمنزلة النار إذا اشتعلت . ومن تناول طعاماً من غير

(١) ن : « وأفسدما جميعا » .

- حركة وأخذه على غير حاجة من البدن إليه وفى الطعام الحرارة الغريزية خامدة ، بمنزلة النار الكامنة فى الزناد . ومن اتبع الطعام بنوم بطنت الحرارة الغريزية فيه ، فاجتمعت فى باطن البدن ، فهضمت طعامه . ومن أتبع الطعام بحركة انحدر عن معدته غير منهضم ، وانبتت فى العروق غير مستحكم ، فأحدث سُدَّاداً وعللاً فى الكبد والكلى وسائر الأعضاء . وربما كانت الأطعمة لضعف المعدة تطفو فيها وتصير فى أعلاها ، فلا نأمره بالنوم حتى ينحدر الطعام عن المعدة بعض الانحدار ، حتى يصير فى قعر المعدة . وربما أمرنا بحركة يسيرة كما ذكرنا آنفاً لانحدار الطعام عن المعدة بعض الانحدار . وإن أكثر الشراب منع الطعام من الانهضام ، لأنه يحول فيما بين جرم المعدة وبين الطعام ، وإذا لم تَلق المعدة الطعام لم تُحِلْهُ إلى مشاكلة البدن وموافقته ، فيبقى فيها غير منهضم ، فيجب لذلك على مَنْ أخذ الطعام أن يتناول معه من الشراب ما يسكن به جُلَّ العطش ويصبر على قدر احتماله من العطش ، ويصبر^(١) حتى ينهضم ، ثم يتناول بعد ذلك من الشراب ما أحب ، فإنه عند ذلك يعين على انحدار الطعام وترقيقه ، لتنفيذه^(٢) فى الجارى الدقاق . ويجب أيضاً أن يكون أخذه للطعام فى وقت حركة الشهوة . وذلك أنه إذا تحركت الشهوة ولم يبادر بأخذ الطعام اجتذبت المعدة من فضول البدن ما إذا صار^(٣) فى المعدة أبطل الشهوة ، وأفسد الطعام إذا خالطه .

الأوقات التى يصلح فيها الطعام

- أجود الأوقات كلها للطعام : الأوقات الباردة ، لجمعها الحرارة فى باطن البدن ، فأما الأوقات الحارة فينبغى أن يُجْتَنَبَ أخذ الطعام فيها ، لأن حرارة الهواء تجذب الحرارة الباطنة الغريزية إلى ظاهر البدن ويخلو منها باطنه ، فتضعف الحرارة فى

(١) ن : « ويلبث » .

(٢) ن : « ويرقه بسية » .

(٣) ن : « فإذا صار » .

باطن البدن عن هضمه ، فذلك كانت القدماء تفضل العشاء على الغداء ، لما يلحق العشاء من اجتماع الحرارة في باطن البدن ، أبعد الليل والنوم ، ولأن الحرارة في النوم تبطن وتسخن باطن البدن ويبرد ظاهره ، واليقظة على خلاف ذلك ، لأن الحرارة تنتشر في ظاهر البدن وتضعف في باطنه .

٣٩١
٣

- ٥ والذي يحتاج إلى كثرة الغذاء من الناس من كان الغالب على بدنه الحرارة ، وكانت كبده لحرارتها سريعة التوليد للحرارة الصفراء ، فذلك يحتاج إلى الأطعمة الغليظة البطيئة الانهضام ويستمرها ، ويستمرى لحم البقر ، ولا يستمرى لحم الدجاج وما أشبهه من الأطعمة الخفيفة . ولا يصلح شيء من هذه إلا في وقت تحرك الشهوة ، فإنه أفضل وقت يؤخذ فيه الطعام . وللعادة في هذا حظ عظيم ، ألا ترى أنه من اعتاد الغداء فتركه واقتصر على العشاء عظم ضرر ذلك عليه ، ومن كانت عادته أكلة واحدة فجعلها أكلتين لم يستمرى طعامه ؟ ومن كانت عادته أن يجمل طعامه في وقت من الأوقات ، فنقله إلى غير ذلك الوقت أضر ذلك به ، وإن كان قد نقله إلى وقت محدد . فيجب لذلك أن يتبع العادة إذا تقادمت فطالت ، وإن كانت ليست بصواب ، إذا لم يحدث شيء اضطره إلى نقلها ، لأن العادة طبيعة ثانية ، كما ذكر الحكيم أبوقراط . فإن حدث شيء يدعو إلى الانتقال عنها فأوفق الأمور في ذلك أن ينتقل عنها قليلا قليلا . وللشهوة أيضا في استمراء الطعام أعظم الحظ ، لأنها دليل على الموافقة والملاءمة ، فتي كان طعامان مستويان في الجودة ، وكانت شهوة المحتاج إليهما أميل إلى أردئهما ، اخترناه على الأجود ، إذا لم نخف منه ضرراً أكثر مما ينال منه من المنفعة ،
- ٢٠ لحسن قبول المعدة له واستمرارها إياه .

فقد بان أنه يحتاج في حسن استعمال الأغذية وجودة تخير الأطعمة إلى معرفة اختلاف الطبائع وحالاتها .

فقد بينت اختلاف طبائع الأبدان وحالاتها ، وما يجب على كل واحدة منها

من أنواع الأطعمة والأشربة . وبقى أن نُبين أختلاف قوى الأطعمة والأشربة ، وأن أصف أنواع الأغذية ، وأسمي ما في كل صنف منها ، إن شاء الله تعالى .

الأطعمة اللطيفة

هي التي يتولد منها دم لطيف . فمنها لباب خبز الحنطة ، والحب المقشور^(١) ، ولحم الفراريج ، ولحم الدُّرَّاج^(٢) والطيهوج ، والحجل ، وأجنحة جميع الطيور ، وما لأن لحمه من صفار السمك ولم تكن فيه لزوجة ، والقرع ، والماش ، وما أشبهه . وهذا الجنس من الأطعمة نافع لمن ليست له حركة ، وكانت الحرارة الغريزية في بدنه ضعيفة ، ولم يأمن أن يتولد في بدنه كيُموس غليظ ، ويتولد في كبده أوطحاله سُدد ، أو في كلاه ، أو في صدره ، أو في دماغه ، أو في شيء من مفاصله من البلغم .

الأطعمة اللطيفة في نفسها الملطفة لغيرها

هي التي يكون ما يتولد منها لطيفاً ، وتلطّف ما تلقاه من الكيُموس اللزج الغليظ في البدن . وهذا الجنس من الأطعمة أربعة أصناف : صنف منها حلو لطيف ، لما فيه من قوة الجلاء ، مثل ماء الشعير ، والبطيخ ، والتين اليابس ، والجوز ، والقسطل ، والعسل ، وما يعمل منه من الناطف . وهذا الجنس في منفعته من جنس الأول من الأطعمة اللطيفة ، إلا أنه أباغ في تلطيف البدن . والصنف الثاني حار حريّيف : كالخرّف ، والثوم ، والكراث ، والكرفس ، والكُرنب^(٣) والجرجير ، والصّعتر ، والثّعنع ، والرازِ يانج ، والشراب الأصفر اللطيف العتيق الحار .

(١) في الأصول : « المقشور » .

(٢) ن : « الدجاج » .

(٣) هذه الكلمة ليست في ن . يقال كرنب بضمين وفتحين .

وهذا كله نافع لمن احتاج إلى فتح السدد التي في الكبد والطحال والصدر والدماع ، وتقطيع البلغم وترقيقه . ولا ينبغي لأحد أن يُكثر استعماله لأنه يرقق الدم أولاً ويصيره مائياً ، فيقلّ لذلك غذاء البدن . ويضعف ، ثم إنه يسخن البدن سخونة مفرطة ، فيصير أكثر مرّة صفراء ، ثم إنه بعد ذلك إذا تمادى استعماله في استعماله خلّل لطيف الدم وترك غليظه ، فصار أكثر مرّة سوداء ، وربما تولّد من ذلك حجارة في الكلى . ومضرة هذا الصنف أشدّ ما تكون على من كانت المرة الصفراء غالبية عليه .

والصنف الثالث : يذيب ويلطف بملوحته ، كالمرمي^(١) ، وما لان لحمه وقلّ شحمه من السمك إذا ملّح ، والسلق ، وماء الجبن ، وكلّ ما جعل فيه من الأطعمة الملّح والمرى والبورق . ومنافع هذا الصنف ومضاره قريبة من منافع الأشياء الحريفة ومضارها ، إلا أنّ هذا الصنف في تنقية المعدة والأمعاء وتليين الطبيعة أبلغ .

والصنف الرابع : يقطع ويلطف بمحوضته ، كالخلّ ، والسكنجبين ، وحمّاض الأترج^(٢) ، وماء الزمان الحامض ، وكلّ ما يتخذ بها من الأطعمة . وهذا الصنف نافع لمن كان معدته وسائر بدنه حاراً إذا تولّد فيها بلغم من غلظ ما يتناول من الأغذية ومن كثرتها .

الأطعمة الغليظة في نفسها اللطيفة لغيرها

منها البصل ، والجزر ، والفجل ، والسليج ، وما أشبه ذلك . فهذه الأطعمة في نفسها غليظة وتلطّف ما تلقى من الشيء الغليظ ، بما فيها من الحدة والحراقة ، وهي تولّد كيومساً غليظاً . ومتى ما طبخ شيء منها أو شوي ذهب عنه قوّة

(١) البري : ضرب من الأدوية القديمة التي استخرجها السكديانيون والقبط ، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير والفوتنج البري والملح . انظر صفته في تذكرة داود الأنطاكي . وضبطه بضم الميم .

(٢) حمّاض الأترج : ما في جوفه . والأترج : ضرب من الفاكهة .

الحرافة والتقطيع ، وبقى جرمه غليظاً رديئاً ، وقد يقنأول المنفعة بتقطيع هذه الأطعمة وتلطيفها ، ويسلم من غلظ جرمها على إحدى ثلاث جهات : إما أن تُطبخ فتُلطف ، كالذى يفعل بالبصل ، وإما أن تُعصر أو تُطبخ ثم يستعمل ماؤها ، وإما أن تؤكل نيئة فتقطع البلغم ، كالذى يفعل بها جميعاً .

الأطعمة الغليظة

- الفالب على الأطعمة الغليظة كلها اليبس والزوجة . فمنها شيء يكون اليبس والزوجة من طبعه . ومنها ما يكتسب اليبس من غيره . فالذى يكون اليبس من طبعه العدس ، ولحم الأرانب ، والبلوط ، والشاه بلوط ، والسكأة ، والباقي المقلوب . هذه كلها غليظة ، لأن اليبس في طبائعها . وأما الذى يكتسب اليبس من غيره فالكبد والبيض المسلوق والمشوى وما قلى منه ، والابن المطبوخ طبخاً كثيراً ، والغرور ، وعصير العنب المطبوخ ، لاسيما إن كان العصير غليظاً . فهذه كلها غليظة ، لأن الحرارة بالطبخ أحدثت لها يديسا وانعقاداً . وأما لحوم الإبل ، ولحوم النىوس ، ولحوم البقر ، والكروش والأمعاء ، فإنها غليظة بصلابتها . وكذلك الترمس ، وثمر الصنوبر ، والسلاجيم ، واللوبياء ، وما خُبز على القرن ، فإن ظاهره غليظ لما أحدث له النار من اليبس ، وباطنه غليظ لما فيه من الزوجة . وكذلك ١٥ كل ما لم يُجود بحنه أو خبزه أو إنضاجه من خبز القنور ، وكل ما خُبز على الطابق بدهن أو غيره ، والسمن والفطر والشهد والابن والأدعة ، فإنها كلها غليظة للزوجة فيها طبيعية . وأما الفالودج فإنه غليظ للزوجة ، والانعقاد الحادث له من الطبخ . وأما الباذنجان فإنه غليظ لليبس وللزوجة في طبعه . وأما الخبز فإنه غليظ لاجتماع الحالات الثلاث فيه . فأما السمك الصلب المزج فإنه غليظ ، ٢٠ لاجتماع الصلابة والزوجة فيه . وأما الأذان والشفاه وأطراف العضل ، فإنها تولد كيموساً لزجاً ليس بالغليظ ، وقد تولد ما يعرض من الأغذية الباردة^(١) عن

(١) كذا وردت العبارة في الأصول .

هضمها وتلطيفها ، كالذى يعرض من أكل الفاكهة قبل نضجها ، ومن أكل الخيمار والقثاء ، وشحم الأترج والابن الحامض . فهذه الأطعمة الغليظة كلها إن صادفت بدنًا حارًا كثير التجمب قليل الطعام كثير النوم بعد الطعام ، انهضمت وغذت البدن غذاء كثيرًا نافعًا ، وقوته تقوية كثيرة . وأحمد ما تستعمل هذه الأغذية في الشتاء ، لاجتماع الحرارة في باطن البدن وطول النوم ، ومتى أحسن أحد في بدنه نقصانًا يبينًا . وإن أكلها من يجد الحرارة في بدنه قليلة ولا سيما في معدته ، وتعبه قليل ، ونومه بعد الطعام قليل ، لم يستحكم انهضامها ، وتولد منها في البدن كيموس غليظ حار يابس يتولد منه سدد في الكبد والطحال . فذلك ينبغي لمن أكل طعاما غليظًا من غير حاجة إليه لعله أو شهوة أن يقل منه ولا يُفردّه ، ولا يُدمنه . وما كان من الأطعمة الغليظة له مع غلظه لزوجة فهو أغذاها للبدن ، فإن لم تهضم فهو أكثرها توليدًا للسدد .

الأطعمة المتوسطة

المتوسطة بين الغليظة واللطيفة ، تصاح لمن كان بدنه معتدلًا صحيحًا ، ولم يكن تعبًا كثيرًا . وأجود الأغذية له المتوسطة ، لأنها لا تنهكه ولا تضعفه كاللطيفة ، ولا تولد خامًا^(١) ولا سددًا كالغليظة ، وهى كل ما أحكم صنعه من الخبز ، ولحوم البقر ، والدجاج ، والجداء ، والحولية من الماعز . وأما لحوم الخرفان والضأن كلها فَرطبة لزجة . وأما لحم فراخ الحمام والقطا فهى تولد دما سخنا ، وأغلظ من الدم المعتدل^(٢) . وأما فراخ الوراشين فإنها مثل فراخ الحمام والقطا والإوز ، فأجنحتها معتدلة ، وسائر البدن كثير الفضول .

وكل ما كثرت حركته من الطير وكان مرعاه في موضع جيد الغذاء ،

(١) اللحم ، جاء في النزهة للمبرجة ، بهامش تذكرة داود (١ : ٦٧) : « وغيره — أى غير الدم — إما فاسد في نفسه وهو النغه المائى ، ورقيقه الخاطى ، وغليظه الماسخ المعروف بالحام » .

(٢) ن : « دما أغلظ من الدم المعتدل » .

صافي الهواء ، كان أجودَ غذاءً والطف . وكلُّ ما كان على خلاف ذلك فهو أردأَ غذاءً وأوسخ .

وكلُّ ما لم يستحكم نضجُه من البيض ، وخاصةً ما أُلقيَ على الماء الحار ، وأخذ من قبل أن يشتدَّ ، فهو معتدل . وكلُّ ما كان من لحم السمك ليس بصائب ولا كثير الأزوجة والزُّهومة ، وكان مرعاه ماءً نقيًا من الأوساخ والخثابة فهو معتدلٌ جيّدُ الغذاء .

ومن الفواكه التين والعنب ، إذا استحكم نضجُهما على الشجر وأسرعت الانحدارُ إلى الجوف ، كان ما يتولّد منها معتدلاً ، فإن لم تسرع الانحدارُ فلا خير فيها .

ومن البقول الهندباء ، والخس ، والهلثيون .
ومن الأشربة ما كان لونه ياقوتياً صافياً ، ولم يكن عتيقاً جداً .

الأطعمة الحارة

يحتاج إليها مَنْ كان الغالب عليه البرودة ، وفي الأوقات الباردة والبلاد الباردة . وينبغي أن يجتنبها مَنْ كان حارَّ البدن ، وفي الأوقات الحارة ، وفي البلاد الحارة . منها الحنطة المطبوخة ، والخبز المتخذ من الحنطة ، والحمص ، والحلبة ،
والشمس ، والشهدارنج ، والعنب الحلو ، والكرفس ، والجرجير ، والفجل ،
والسلجم ، والخردل ، والثوم ، والبصل ، والكرث ، والخمر العتيق . وأسخن
الأشربة الحارة العتيق الأصفر .

الأطعمة الباردة

ينبغي أن يستعملها مَنْ كان حارَّ البدن ، وفي الأوقات الحارة ، والبلاد الحارة .
وهي الشعير وكلُّ ما يتخذ منه ، والجاورس ، والدخن ، والقرع ، والبطيخ ،
والخيار ، والقثاء ، والإجاص^(١) ، والخوخ^(٢) ، والجُمَّار ، وما بين الحموضة

(١) الإجاص ، هو المعروف في مصر بالبرقوق . تذكره داود .

(٢) الكلام بعده إلى كلمة «الجزر» في فصل (الأطعمة التي غذاؤها قليل) ساقط من ن .

والْعَفُوصَةُ^(١)، من العنب والزبيب، والطلع، والبالح، والخس والهندبا، والبقلة
الحمقاء، والخشخاش، والثفاح، والكُمثرى، والرمان. فما كان من الرمان
عَفِصاً فهو بارد غليظ، وما كان حامضاً فهو بارد لطيف. فأما الخل فهو بارد
لطيف، وهو ضارٌ بالعصب. وما كان أيضاً من الشراب عَفِصاً فهو أقلُّ حرارة،
وما كان من ذلك حديثاً غليظاً فهو بارد. ٥

الأطعمة اليابسة

يحتاج إلى الأطعمة اليابسة مَنْ كان الغالب على بدنه الرطوبة، وفي الأوقات
الرطبة، والبلد الرطب. منها العدس، والكُرنب، والسويق، وكل ما يُشوى
ويُطبخ ويقل، وكل ما أكثر فيه السذاب والمُرَى^(٢) والخلُّ والأبزار والخردل،
ولحمُ المُسنِّ من جميع الحيوان. ١٠

الأطعمة الرطبة

يحتاج إلى الأطعمة الرطبة مَنْ أفرط عليه اليُس، وفي الأوقات اليابسة
والبلد اليابس. وهي: الشعير، والقرع، والبَطِيخ، والقِشَاء، والخيار، والجوز
الرطب، والعنب، والنبق، والإجاص، والثُّوت، والجُمَّار، والخس، والبقلة
اليمانية، والقِطَف^(٣)، والباقلاء الرطب^(٤)، والحِمَص الرطب، والأوبيا الرطبة،
وكلُّ ما يُطبخ بالماء ويُسلق به ويُقلى فيه الأبزار والخلُّ والمُرَى والسذاب،
وجميع لحوم صغار الحيوان. ١٥

٣٩٤
٣

(١) العفوصة: المرارة والقبض، والوصف منها عَفِصٌ ككَتِف.

(٢) انظر ما سبق من شرحه في ص ٣١٥.

(٣) القِطَف، بالكسر: بقلة تشبه الرجل.

(٤) الباقلاء، بتخفيف اللام والد، ومثله الباقلي، بتشديد اللام وتخفيفها: الفول.

الأطعمة القليلة الفضول

أجنحة الطيور، وأكارع المواشى، ورقابها، وما يرنى في البر من الحيوان في المواضع الجافة .

الأطعمة الكثيرة الفضول

- ٥ منها لحم الأوز خلا الأجنحة، والأكباد كلها من جميع الحيوان، والنخاع والدماغ، والطيور التي في القيا في والآجام، والخص الطرى، والباقلاء الطرى ولحم الضأن، ولحم المراضع من كل الحيوان، ولحم كل ساكن غير سريع النهوض، وما كان من السمك على ما ذكرنا صلبا لزجا .

الأطعمة التي غذاؤها كثير

- ١٠ كل ما غلظ من الأطعمة إذا نهضم غذى غذاء كثيرا . وكل ما كان له فضول كان غذاؤه كثيرا .

وقد يحتاج إلى الأطعمة الكثيرة الغذاء من احتاج إلى أن يأخذ طعاما قليلا يغذى غذاء كثيرا، كالناقة والمسافر، وكالذي يُثقل معدته الكثير من الطعام وبدنه يحتاج إلى غذاء كثير .

- ١٥ فمن ذلك لحم البقر، والأدمغة، والأفتدة، وحواصل الطير كلها، والسمك الغليظ الأوح، والسميد، والباقلاء، والحمص، واللوبياء، والثرمس، والعدس، والتمر، والبلوط، والشاة بلوط^(١)، والسليج^(٢)، تغزو غذاء كثيرا لغلظها . واللبن الحليب والشراب الأحمر . وغذاء اللبن كله أغلظه وأرقه، أقل غذاء . وأغلظ اللبن لبن البقر ولبن النعاج، وأرقه لبن الأتن^(٣) وألبان اللقاح . وألبان الماعز متوسطة بين ذلك .

٢٠

(١) الشاة بلوط : شجر يسمى بالفسطل، وثمره هو ما يدعى بأبي فروة . تذكرة داود .

(٢) السليج، هو الفت :

(٣) الأتان : أثنى الحمار، تجمع على آتن، وآتن بضمة، وبضمين أيضا .

وأغذى الأشربة النبيذ الأحمر الغليظ الحلو، ثم الغليظ الأسود الحلو، ثم الغليظ الأبيض الحلو، ثم من بعد هذه الأشربة العفصة الغليظة الحلوة . وكلما مال إلى الحمرة والحلاوة كان أغذى . والأبيض أقلها غذاء .

الأطعمة التي غذاؤها قليل

- ٥ كل ما كان من الأطعمة لطيفاً كان غذاؤه قليلاً ، وكل ما أفرط فيه اليُبْس أو الرطوبة ، أو كثرة الفضل قل غذاؤه ، كالأكارع ، والكروش ، والمصارين ، والشحم ، والأذان ، والزئفة ، ولحم الطير كله . وما ملّح من الحيوان قليل الغذاء ، لليبس الذي فيه . وكذلك الزيتون ، والفستق ، والجوز ، واللوز ، والبندق ، والفبيرا^(١) والزعرور^(٢) ، والخروب ، والبطم^(٣) ، والكمثرى العفص ، والزبيب العفص ، فإنما قل غذاؤه للعفوصة^(٤) .
- ١٠ وأما السمك والقرع ، والزمان والتوت ، والإجاص والمشمش ، فإنما قل غذاؤها لكثرة رطوبتها . و غذاؤها غير باقي سريع التحلل .
- ١٥ وأما خبز الشعير والخشكار^(٥) ، والباقلالة الرطب ، وجميع البقول ، مثل الكرنب ، والسلق ، والخماض ، والبقلة الحقاء ، والفجل ، والخردل ، والحرف^(٦) ، والجزر ، فقليلة الغذاء ، لكثرة الفضل فيها . وأما البصل والثوم والكراث فإنها إذا أكلت نيئة لم تغد . وإذا طبخت غدت غذاء يسيراً . وأما التين والعنب فإنهما بين ما قل غذاؤه وما كثر غذاؤه .

(١) الفيرا ، هو ما يسمى بالقراصيا . تذكره داود .

(٢) الزعرور ، ويسمى أيضا « التفاح الجبلى » ، وهو ما يعرف في مصر بالبشملة .

٢٠ انظر تذكره داود .

(٣) البطم ، بضممة وبضمتين : الحبة الخضراء ، ثمراها شبيه بالفستق .

(٤) انظر ما سبق في ص ٣١٩ .

(٥) الخشكار : لفظة فارسية لم ترد في العاجم العربية . وفسرها استينجاس في معجمه

٤٦٢ بأنها الدقيق الحشن الذي لم ينخل .

(٦) الحرف ، بالضم : حب الرشاد .

الأطعمة التي تولد كيموسا جيدا

كل ما كان معتدلا من الأطعمة لم تُفْرِط فيه قوّة ولا تجاوزت القدر فيه ^{٣٩٥}_٣ وَلَدَ دَمًا خالصا نقيًا صحيحا . وكل ما كان كذلك فهو موافق لجميع الأبدان ، وفي جميع الأوقات ، وهو لجميع الأبدان المعتدلة في الأوقات المعتدلة أوفق ، لأن ما تجاوز الاعتدال من الأبدان يحتاج من الأطعمة إلى ما فيه قوّة تجاوز الاعتدال ، وكذلك الأبدان المعتدلة في الأوقات التي ليست بمعتدلة .

وفي الأطعمة المعتدلة ما هو غليظ ، وما هو لطيف ، وما هو بين ذلك . وأجودها لجميع الناس ما كان معتدلاً منها ، بين الغليظ واللطيف . وقد وصفنا الأطعمة الغليظة واللطيفة والمتوسطة ، ومتى يصلح كل صنف منها . فبقى علينا أن نخبر بجملة الأطعمة المولدة الكيموس الجيد ، وقسمتها على ما قسمناها . ١٠

فمن ذلك : خبز الحنطة النقي المحكم الصنعة إن كان من يومه ، ولحم الدجاج والجداء ، وحولية الماعز ، وما كان من السمك ليس بصلب ولا كثير اللزوجة ، وما لم يكن له زهومة ، وما لم يكن له سمن كثير ، وما كان مرعاه في ماء ليس فيه أوساخ ولا سخاة ، ولم يكن سريع العفونة ، وكل ما اشتد واستحكم نضجه من البيض ، وكل شراب طيب الريح ، ياقوتي اللون ، ليس فيه حلاوة ، وكل ذلك يولد كيموسا معتدلاً بين اللطيف والغليظ . ١٥

وأما الدجاج والفرايح ، وأجنحة جميع الطير ، وما صغر من السمك وكان مرعاه على ما وصفنا ، وما ألقى عليه من السمك المالح فصار رخصا ، وذهبت لزوجته ، وأما كشك الشعير^(١) ، والشراب الطيب الرائحة ، الآخر . فكل ذلك جيد الكيموس لطيف . ٢٠

وأما اللبن الحليب فإنه جيد الكيموس ، إلا أن فيه غلظا . ولذلك ربما تبجن في المعدة . فلهذه العلة يُخلط به العسل والملح ويرق بالماء . وأجود اللبن

(١) كشك الشعير بالفتح : ماؤه .

وأعدله لبنُ الماعز ، لأنه ألطف من لبن الضأن والبقر ، وأغلظ من لبن الأتن واللقاح^(١) .

وينبغي اللبن أن يؤخذ من حيوانٍ صحيح شاب ، جيّد الغذاء . ولا يستحب في وقت ما يضع الحيوان ، ولا بعد ذلك بزمانٍ طويل ؛ لأنّ اللبن من الحيوان في وقت ما يضع غليظاً ، ثم يرق بعد ذلك قليلاً قليلاً حتى يصير مائياً ، فلذلك كان أوله وآخره رديئاً . وأجود ما يؤخذ اللبن ساعة يحلب ، قبل أن يغيّره الهواء ، لأنه سريع الاستحالة . وأما الخشكار من الخبز الرطب ، وكل ما لم تحكّم صنعته من خبز السميد ، وخبز القرن ، ولحم العجل ، ومن أجزاء الغنم : الضرع والكبد والفؤاد ، ومن الحبوب الباقلاء ، ومن الشراب ما كان طيب الرائحة خلواً ، فكل ذلك يولد كيموساً غليظاً جداً .

الأطعمة التي تولد كيموساً رديئاً

كل ما لم يكن معتدلاً من الأغذية لم يولد دماً خالصاً صافياً . والأطعمة الرديئة الكيموس ثلاثة أصناف : منها ما يزيد في البلغم ، ومنها ما يزيد في الصفراء ، ومنها ما يزيد في السوداء .

وينبغي لجميع الناس أن يتجنبوا الإكثار منها ، وإدمان استعمالها ، وإن كانوا لها مستمرين ، لأنها وإن لم يتبين لها ضررٌ في عاجل الأمر يجتمع منها في بدن مُدمن استعمالها مع طول الزمان كيموس رديء ، يولد أمراضاً رديئة . وأولى الناس بتجنب كل صنف من أصنافها من كان الغالب على بدنه ما يزيد فيه ذلك الصنف .

فأقول : إن كل ما يتخذ من الخبز من دقيق كثير النخالة ، أو ما عتق من الحنطة ، رديء الكيموس ، يزيد في السوداء .

(١) اللقاح : جمع لقحة ، بالكسر ، وهي الناقة الحلوب .

ولحم الضأن كله يزيد في البلغم ، ولحم الماعز المسن كله يزيد في السوداء ،
وأردؤه لحم التيموس . ولحم البقر والجزور والأرانب والظباء والأيايل^(١) كل هذا
يزيد في السوداء ، وشره هذه اللحوم لحم الجزور ، وبعده لحم التيموس ، لاسيما ما لم
يُخَصَّ منها ، وبعده لحم المسن من الضأن ، وبعده لحم البقر . وكل ما خصى من
هذه كان أجود غذاء .

٣٩٦
٣

٥

وأما لحوم الأرانب والظباء والأيايل فهو دون جميع ما ذكرنا في الرداءة .
ومن أعضاء جميع الحيوان الكلى رديئة الكيموس ، لزومتها وما استفادت
من رداءة البول .

والدماغ يزيد في البلغم ، وكل البطون تزيد في البلغم ، لكثرة الفضول فيها .
والبيض المطجن^(٢) يولد غذاء غليظا فاسدا ، وكذلك الجبن ، ولاسيما ما عتق منه .
والعدس يزيد في السوداء . والدخن والجاووس يولدان دما غليظا . وما صلب
لحمه من السمك وغلبت عليه اللزوجة يولد البلغم ، فإن ملح وعتق
ولد السوداء .

والتين اليابس إن أكل كثيرا كله ولد فضلا عينا يكثر منه القمل . والكمثرى
والتفاح إن أكل كثيرا غير نضيجين ولدا كيموسا رديئا باردا . وكذلك القثاء والخيار .
فأما البطيخ والقرع فربما انهضما ولم يحدثا في البدن حدثا رديئا ، وربما فسد
في المعدة ، فولد كيموسا رديئا ، ولاسيما إن صادقا في المعدة فضلا رديئا ، فذلك
تعرض الهيمضة^(٣) كثيرا لمن أكل البطيخ .

والبقول كلها رديئة الكيموس ، لكثرة الفضل فيها ، وقلة الغذاء .
وأما البصل والثوم والكراث والفجل والجزر والسلمج فديئة ، لما فيها من

(١) الأيايل : جمع إيل والأنثى ليلة ، فالإيل : الوعل ، وأشاء الأروى .

(٢) المطجن ، كمظم : المقلو في الطاجن .

(٣) الهيمضة : القيء .

الحرارة والحرافة ، وربما زادت في الصفراء ، وربما زادت في السوداء أيضا ، كما ذكرت لك آنفا ، إلا أنها إن طبخت وصُبَّ ماؤها وطبخت بماء تان ذهببت الحرافة والرذاعة عنها .

والباذرُوج^(١) يسخن الدم ويجففه تجفيفاً شديداً . والكرب يولد السوداء وكذلك جميع البقول الرديئة .

الأطعمة المتوسطة الكيموس

وهي بين ما يولد الكيموس الجيد ، وما يولد الكيموس الرديء ، فمنها خبز الخشكار ، ولحم الخسيان من المعز والضأن . ومن الأعضاء : اللسان ، والأمعاء والذئب . ومن الفاكهة : العنب ، والبطيخ ، والمعلق من العنب أجود والتين اليابس مع الجوز ، والشاهبلوط ، ومن البقول الخس وبعده الهندباء ، وبعده الخبازي ، وبعده القطف ، والبقلة الحقاء اليمانية ، والحُمّاض ، وما لم يكن فيه حدة كثيرة من الأصول .

الأطعمة السريعة الانهضام

وإنما يسرع الانهضام لأحد وجهين :

١٥ فالوجه الأول منهما إذا كانت الأطعمة غير يابسة كالمُدس ، ولا صلبة كالثرْمُس ، ولا لزجة كالحنطة ، ولا خشنة كالسَّمسم ، ولا كريهة كالسذاب^(٢) ، ولا كثيرة الفضول كالأرز ، ولا يغلب عليها برد شديد كاللبن الحامض ، ولا حراً شديداً كالعسل .

والوجه الثاني : لطبيعة البطن المستقرى لها ، وذلك لأحد وجهين :

٢٠ الأول موافقة الأغذية ، ومشاكل الأبدان الطبيعية ، كالأطعمة التي يشتهيها

(١) الباذرُوج : بقلة تسمى « الریحان الأحمر » .

(٢) ن : « كالفرااب الأبخير » .

وبلذها الإنسان ، فقد تجمد الناس يختلفون في شهواتهم ويستمرى كل واحد منهم ما شهوته إليه أميل ، وإن كان الذي لا يشتهيه أحده من الذي يشتهيه .

والوجه الثاني : لزاج عارض يصادف من الطعام مضادة كالذي ترى ، أن من غلب عليه الحر لعل من العلل كان للأطعمة الباردة أشد استمراء ، لما تطفئ من حرارة البدن وتمدله . ومن غلب عليه البرد استمر الحار ولم يستمرى .^٥ البارد . ومن رطب بدنه كله أو معدته استمر الأظعمة الجافة ولم يستمرى الرطبة ، ومن عرض له اليأس خلاف ذلك .

فقد بان بما ذكرناه أن الأطعمة اللطيفة والمتوسطة في نفسها ، سريعة الانهضام . وقد يجوز أن تكون الأطعمة الغليظة أسرع انهضاما في بعض الأبدان أيضا . فقشر الخبز المحكم ، ولحم الدجاج والفرايح والدجاج والحجل ، وكبود الإوز وأجنحتها ، سريعة الانهضام . وفي الجملة : الجناح من كل طائر أسرع انهضاما من سائر . وليس الطير كله بأسرع انهضاما من المواشى .

٣٩٧
٣

وكل ما كان من الحيوان يابسا فصغيره أسرع انهضاما . وكذلك لحم العجاجة أسرع انهضاما من لحم البقر ، ولحم الجدى الحلو أسرع انهضاما من لحم المسن من الماعز .

١٥

وكل ما كان من الحيوان أرطب فكبيره من قبل أن يشتد^(١) أسرع انهضاما من صغيره . ألا ترى أن الحول من الضأن أسرع انهضاما من الخروف ؟ وكل ما كان مرعاه في المواضع اليابسة أسرع انهضاما مما كان مرعاه في المواضع الرطبة . وكل ما كان جرمه متخلخلا فهو أسرع انهضاما مما كان جرمه متلززا . ولذلك كان الجوز أسرع انهضاما من البندق . والبيض الرطب^(٢) أسرع انهضاما من البيض البارد . والشراب الحلو أسرع انهضاما من العفص^(٢) .

٢٠

(١) في بعض النسخ : « يسن »

(٢) العفص ، ككتف : ما كان فيه العفوصة ، وهي المرارة والقبض .

الأطعمة البطيئة الانهضام

ولأنما يعسر الانهضام من الطبيعة في الطعام إذا كان يابساً ، أو صلباً ، أو لزجاً ، أو متلززاً^(١) ، أو كثير الدسم ، أو كثير الفضول ، أو كربه الطعم ، أو الحرافة فيه مفرطة أو البرد أو الحر ، أو مخالفاً للمزاج الطبيعي إذا لم يشتته . فلحم البقر ولحم الإبل ، والكروش والأمعاء ، والأوز ، والآذان من جميع الحيوان ، والخبث : من البارد ، عسرة الانهضام ليسها وصلابتها . وكذلك من الطير الوراشين والفواخت والطواويس . والقوانص من جميع الطير عسرة الانهضام . ومن الحبوب : الأرز ، والثرمس ، والعدس ، والدخن ، والجاورس والبلوط والشاهبلوط .

وأما لحم التيموس ، وأكارع البقر ، فعسرة الانهضام ، لزهومتها وكراحتها . وأما لحم الضأن ، والكبود من جميع الحيوان والإرز ، فلكثرة الفضول فيها . وأما الجبن الحامض فلبرده . وأما الحنطة المسلوقة فلزوجتها وتلززها . وأما الباقلاء واللوبياء فلكثرة النفخ فيها . وأما السمسم فلكثرة دهنه . وأما العنب والتين وسائر الفواكه إذا لم يستحكم نضجها ، والأنرج والباذرُوج والسلاجم والجوز والشراب الحديث الغليظ ، فلكثرة الفضول فيه .

الأطعمة الضارة للمعدة

السلق رديء للمعدة ، للذعه إياها ، ولما فيه من الحدة البورقية ، والباذرُوج والسلاجم ما لم يستقص طبخهما للذع فيهما . والبقلة اليمانية والقطف للزوجتهما ، فلذلك ينبغي أن يؤكلا بالخل^(٢) ، والمرى^(٣) . والحلبة رديئة للمعدة ،

(١) المتلزز : المجتمع الشديد .

(٢) ن : « لم يشتد » .

(٣) سبق تفسيره في ص ٣١٥ .

للذءها إياها ، والسُّمسم ردىء للمعدة للزوجة وكثرة دهنه ، والابن لسرعة استحالته فى المعدة ، والعسل ما أ كثر منه لذع المعدة وأغثاها . والبَطِيخ أيضا يُغثى ، وإذا لم ينضج فى المعدة ولد كيموسا رديئا ، فينبغى بعد أكل البَطِيخ أن يأكل طعاما كثيرا جيء الكيموس .

- والأدمغة أيضا كلها رديئة المعدة ، فذلك ينبغى أن تؤكل بالصَّعتر ، والفُودنج ٥ البرئى ، والخردل ، والملح . وكذلك أيضا الخناخ ^(١) . والتبذ الحديث الغليظ الأسود القفص يُسرع الحموضة فى المعدة ويُغثى .

الأطعمة التى تفسد فى المعدة

- المشيش ، والسسم ^(٢) ، والقوت ، والبَطِيخ ، إذا لم يسرع انحدارها عن المعدة وصادفت فيها كيموسا رديئا أسرع إليها الفساد . فيجب أن تؤكل قبل ١٠ الطعام والمعدة نقيّة ، ليسرع انحدارها عنها ، ويسهل الطريق لما يؤكل بعدها من الطعام ، فإن أكلت بعد الطعام فسدت لبقائها فى المعدة ، وأفسدت سائر الطعام بفسادها ، وربما بلغ الفساد بها إلى أن تصير بمنزلة السم القاتل .

الأطعمة التى لا يسرع إليها الفساد فى المعدة

- من كان يفسد طعامه فى معدته فأجود الأطعمة له ما كان غليظا بطى ١٥ الانحدار ، مثل لحم البقر ، وأكارعها ، وما أشبه ذلك ، مما قد ذكرناه فى الأطعمة الغليظة .

الأطعمة المليئة المسهلة للبطن

٣٩٨
٣

كل ما كان من الأطعمة فيه حلاوة أو حدة أو ملوحة أو لزوجة . فمن ذلك

- (١) الخناخ ، بالكسر : جمع مخ . ن : « الأناخ » ، ولم يعرف فى جمه إلا « مخنة » ، كنية ، ومخاخ أيضا .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من ن .

ماء العدس ، وماء السكرنب^(١) يلينان البطن ، وجرمهما يمسك البطن ، وكذلك
مرقة الديوك العتيقة ، وخبز الخشكار ، وماء الحلبة مع العسل ، وزيتون الماء ،
إذا كان قبل الطعام مع مري لبن البطن ، فإن كان أيضا بعد الطعام بلا مري
فإنه يقوى المعدة على دفع الطعام لعفوصته . وكذلك ما عمل منه بالخل .

وكل طعام عَفِصَ فإنه دابغٌ للمعدة مقوٍ لها .

فأما اللبن وماء الحين فيلينان البطن ، ولا سيما إذا خلط به الملح .

ولحم الصغير من الحيوان ، والسلق ، والقطف ، والبقلة اليمانية ، والقرع
والبطيخ ، والتين ، والزبيب الحلو ، والثوت الحلو ، والجوز الرطب ، والإجاص
الرطب ، والسكنجبين^(٢) والنبيذ الحلو ، ملين للبطن .

الأطعمة التي تحبس البطن

إذا كان الطعام ينحدر عن المعدة قبل انهضامه احتجنا إلى الأطعمة المتسكة
الحابسة للبطن .

وكل ما غلب عليه من الأطعمة اليبس أو العفوصة أو الغلظ ، كالسفرجل
والكثيرى ، وجب الآس ، وعمر العوسج ، وجرم العدس^(٣) ، والبَلوط ،
والشاهبلوط . والنبيذ العَفِص ، يمسك البطن ، لعفوصته وقبضه . والجاوزس ،
والدخن وسويق الشعير ، تمسك البطن بيبوستها . ولحم الأرانب ، والسكرنب
المطبوخ بعد صب مائه الأول عنه ، ثم يطبخ بماء ثان ، فإنه يمسك البطن بيبسه .
واللبن المطبوخ ، والحين ، كلاهما يمسك البطن لغلظه . وذلك أن يطبخ اللبن حتى
تفنى مائته ، ويبقى جرمه ، وربما ولد سُدَدًا في الكبد ، وحجارة في الكلى .

(١) يقال بضمين في أوله ، وبفتحين أيضا :

(٢) السكنجين : كل شراب حلو حامض ، يتخذ دواء للمفراء . وهو في لغة الأطباء
من غير العرب (Oxymel) . انظر صناعته في مادة (شراب) من تذكرة داود ،
ومناهج الدكان ص ٣١ — ٣٢ ، ٣٨ — ٣٩ ، وحواشي الحيوان (٥ :
١٤٦) .

(٣) أى جسده ومادته ، لا ماؤه .

وأما الأشياء الحامضة كالتفاح الحامض ، والزمان الحامض ، فإن صادفت في المعدة كيموساً غليظاً قطعته وحدّرتة ، وليّنت البطن ، وإن صادفت المعدة نقيّة أمسكت البطن .

الأطعمة التي تولد السّدَد

- اللبن الغليظ والجبن ربما أحدثا سُدّدا في الكبد ، وحجارة في الكلى ، لمن أكثر استعمالهما ، وكانت كُلاه وكبدُه مستعدّة لقبول الآفات .
- وجميعُ الأطعمةِ الحلوةِ رديئةٌ للكبد والطّحال ، فإذا أُكِلَ معها الفُودّنج الجبليّ ، والصّعتر ، والفُلْفُل ، فتَح سُدّد الكبد والطّحال .
- والرُّطَب ، والتمر ، وجميعُ ما يتّخذ من الحنطة سوى الخبز الجيّد الصّنع ، والأشربة الحلوة أيضاً تولّد سُدّدا في الكبد ، وحجارة في الكلى ، وتغلّظ الطّحال .

الأطعمة التي تجلو المعدة وتفتح السدد

- ماء الكَشْك كَشْك الشعير يجلو المعدة ، ويفتح السّدَد . والحلبة ، والبِطِّيخ ، والزَّيْب الحلو ، والبافلاء ، والحِمَص الأسود ، ينقّي الكلى ، ويفتّت الحجارة المتولّدة فيها . والكَبَر بالخل ، والعسل إذا أُكِلَ قبل الطعام فإنّه يجلو وينقى المعدة والأمعاء ، ويفتح السّدَد . والسُّلِق أيضاً يجلو ويفتح السّدَد في الكبد ، ولاسيما إذا أُكِلَ بالخردل . والبصل ، والثوم ، والكُرّاث ، والفُجَل يقطع ويلطّف الكيموس الغليظ . والتّين رطبُه ويابسُه يجلو وينقّي الكلى . واللوز كلّهُ ، ولاسيما المرُّ منه فإنّه يجلو ويلطّف ، ويفتح سُدّد الكبد والطّحال ، ويعين على نفث الرطوبة من الصّدر والرئة . والفُسْتُق يقوّي الكبد ويفتح سُدّدها .

وعسل النّحل حارٌّ يابس وماء العسل يلطّف البصاق الغليظ ، ويعين على

نفثه . والسكنجبين يلطّف ويقطع الرطوبة الغليظة . ويفتح سُدَد الكبد والطَّحال ، وينتقى الصدر والرئة .

والنَّبِيذ اللطيف إذا كانت له حِدَّةٌ وحرارة يصنّي اللون ، وينتقى العروق من الكيموس الغليظ ، وينتفع به مَنْ كان يجد في بدنه كيموساً غليظاً بارداً .
٥ وأما النبيذ الرقيق المائي فإنه يعين على نفث الرطوبة من الرئة ، بتقويته الأعضاء وتلطيفه لما بها من الفضل الغليظ ، وقد يفعل ذلك النبيذ الحلو .

الأطعمة التي تنفخ

٣٩٩
٣ الحِصص والباقلَاء ، ولا سيما إن طُبِخَ بقشره ، فإن طُبِخَ مقشراً أو مسحوقاً كان أقلّ نفخاً ، وإن قلى أيضاً كان أقلّ نفخاً . وبعد هذه الأوبياء ، والماش ،
١٠ والعدس ، والشعير إذا لم ينعم طَبَخُهَا .

والنَّمَاع^(١) ، والأنجُذَانُ ، والحِلْتِيت^(٢) ، والتين الرطب ، يولد نفخاً إلا أنه يتحلل سريعاً لسرعة انحداره .

وما استحكَم نضجُه من التين والعنب كان أقلّ نفخاً . ويابس التين أقلّ نفخاً من رطبه .

١٥ واللبن يولد رياحاً في المعدة . والعسل إذا طُبِخَ ونزعت رِغْوَتُهُ قلّ نفخه . والنبيذ الحلو العفص يولد نفخاً .

ما يذهب النفخ من الأطعمة

كلُّ طعام نافخ إذا أحكمت صنعته ، وأجيد طَبَخُها وإنضاجه قلّ نفخه . وكلُّ ما قلى منه قلّ نفخه . وكل ما خلط به الأبرار المحللة للرياح كالكمثون

٢٠ (١) بدله فن : « والفقع » ، وهو ضرب من الكماء أبيض رخو .

(٢) الحلتيت ، هو صمغ الأنجذان .

والسذاب ، والأَنيسون والكاشم^(١) يقل نفخه . والخل المزوج بالعسل يلطف
الرياح ، ويذهب بالنفخ .

كتاب إسحاق بن عمران إلى بعض إخوانه

- كتب إسحاق بن عمران المعروف بسم ساعة إلى رجل من إخوانه :
- اعلم رحمك الله أن الخام^(٢) والبلغم يظهران على الدّم والمِرّة بعد الأربعين سنة .
فيا كلاهما ، وهما عدوا الجسد وهادماه . ولا ينبغي لمن خلف الأربعين سنة أن
يحرك طبيعته من طبائعه غير الخام والبلغم ، ويقوّي الدم جاهدا ، غير أنه ينبغي
له في كل سبع سنين أن يفجر من دمه شيئا ، ومن المِرّة مثل ذلك ، لقلة صبره
على الطعام اللذيذ ، والمشروب الروى .
- فتماهد أصلحك الله ذلك من نفسك ، واعلم أن الصّحة خير من المال
والأهل والولد ، ولا شيء بعد تقوى الله سبحانه وتعالى خير من العافية .
- وما تأخذ به نفسك ، وتحفظ به صحتك أن تلزم ما أكتب به إليك :
- في شهر يناير تشرب شرابا شديدا كل غداة . وفي شهر فبراير لا تأكل
السلق . وفي مارس لا تأكل الحلواء كلها وتشرب الأفسنتين^(٣) في الحلاوة . وفي
أبريل لا تأكل شيئا من الأصول التي تنبت في الأرض ولا الفجل . وفي مايو
لا تأكل رأس شيء من الحيوان . وفي يونيو تشرب الماء البارد بعد ما تطبخه
وتبرّده ، على الريق . وفي يوليو تجنب الرطاء . وفي أغسطس لا تأكل الحيتان^(٤) .
وفي سبتمبر تشرب اللبن البقرى . وفي أكتوبر لا تأكل السكرات نيثا
ولا مطبوخا . وفي نوفمبر لا تدخل الحمام . وفي ديسمبر لا تأكل الأرنب .
- زعم علماء الطب أن في الجسد من الطبائع الأربع اثني عشر رطلا : فللدم ٢٠

(١) الكاشم : نبت يشبه السذاب .

(٢) سبق تفسيره في ص ٣١٧ .

(٣) الأفسنتين : نبت له ورق كالصنوبر .

(٤) ن : « لا تأكل نيثا ولا مطبوخا » محرف .

منها ستة أرطال ، ولعرة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال ، فإن غلب الدم الطبائع تغير منه الوجه وورم ، وخرج ذلك إلى الجذام ، وإن غلبت الثلاث الطبائع الدم أنبتت اللد .

قال : فإذا خاف الإنسان غلبة هذه الطبائع بعضها بعضا فليعدل جسده بالاعتصام ، وينقعه بالمشى ، فإنه إن لم يفعل اعتراه ما وصفنا : إمّا جذام ، وإما مد . نسأل الله العافية .

ولا بأس بعلاج الجسد في جميع الأزمان إلا أيام السُّوم ، إلا أن ينزل فيها مرض شديد لا بد من مداواته ، أو يظهر فيها مُوم^(١) ، أو ذات الجنب ، فإنه ينبغي للطبيب أن يعاينته^(٢) بفصاد ، أو شىء خفيف ، فإنها أيام ثقيلة . وهي خمسة عشر يوماً من تموز إلى النصف من آب ، فذلك ثلاثون يوماً لا يصلح فيها علاج ، وكان بقراطيس^(٣) يجعلها تسعة وأربعين يوماً ، ويقطع الفرار والخطر في أيام القيظ ، فإذا مضى لأيلول ثلاثة أيام طاب التداوى كله . وأمر جالينوس في الربيع بالحجامة ، والفورة ، وأكل الحلاوة وشربها ، ونهى عن القطاني^(٤) والبن الرائب ، وعتيق الجبن ، والمالح ، والفاكهة اليابسة ، إلا ما كان مسلوفاً .

وفي القيظ وهو زمان إرّة الصفراء يأكل البارد الرطب على قدر قوة الرجل في طبعه وسنّه ، وترك الجماع ، وأكل الحوت الطري ، والفاكهة الرطبة والبقول ولحم البقر والمعز ، ومن القطاني العدس ، ومن الأشربة المربّب بالورد ، والسكركة من الشعير^(٥) ، والسكر بالماء المطبوخ ، وأكل الكزبرة الخضراء في الأطعمة وأكل الخيار والبطيخ ، ولزوم دهن الورد ، وماء الورد ، ورش الماء ، وبسط

(١) الموم : أشد الجدرى .

(٢) المعاينة : حسن السياسة ، والمباشرة . ن : « يعينه » .

(٣) ن : « ديمقراطس » .

(٤) القطاني : جمع قطنية ، بكسر القاف وضمها ، مع تشديد الياء فيهما ، هي من

الحبوب ما كان مثل العدس والفول والحمص واللوييا ، مما يقتات به .

(٥) السكركة ، أصلها شراب الذرة ، كما في القاموس .

- البيت بورق الشجر ، ومن الدواء السكر بالمصطكى ، يسحقهما مثلاً بمثل ،
ويأخذ منهما على الريق قدر الدرهم أو أكثر قليلاً .
- وفي زمان الخريف وهو زمان السوداء ، وهو أثقل الأزمنة على أهل تلك
الطبيعة ، من الطعام والشراب بالحار الرطب ، مثل الأحساء بالحلاوة ، وأكل
العسل وشربه . ونهى فيه عن الجماع ، وأكل لحم المعز والبقر ، وأمر بأكل
صُيود البر والبحر ، وحَسو البيض والدُّهن قبل الحمام ، وإتيان النساء على غير
شبع في آخر الليل وفي أول النهار ، والتماس الولد على الريق من الرجل والمرأة ،
فإن أولاد ذلك الزمان أسد وأقوى تركيباً من غيرهم ، كما قالت الحكماء .

الخمر المحرمة في الكتاب

- أنجم الناس على أن الخمر المحرمة في الكتاب خمر العنب ، وهي ما غلا
وقدّف الزبد من عصير العنب ، من غير أن تمسه نار . ولا تزال خمرأ حتى تصير
خلاً ، وذلك إذا غلبت عليها الحموضة ، وفارقتها النشوة ؛ لأن الخمر ليست محرمة
العين ، كما حرمت عين الخنزير ، وإنما حرمت لعرض دخولها ، فإذا زايها ذلك
العرض عادت حلالاً ، كما كانت قبل الغليان حلالاً ، وعينها في كل ذلك
واحدة ، وإنما انتقلت أعراضها من حلاوة إلى مرارة ، ومن مرارة إلى حموضة ،
كما ينتقل طعم الثمرة إذا أُنعت من حموضة إلى حلاوة ، والعين قائمة ، وكما ينتقل
طعم الماء بطول المكث فيتغير طعمه وريحته ، والعين قائمة .

ونظير الخمر فيما يحل ويحرم بعرض : المسك ، الذي هو دم عبيط حرام ، ثم
يجف وتوجد رائحته فيصير حلالاً طيباً .

- فهذه الخمر بعينها الجمع على تحريمها . وأصحاب النبذ إنما يدورون حولها
ويتعللون بأنهم يشربون ما دون المسكر ، ولا لذّة لهم دون موقعة السكر ،
كما قال الشاعر :

يدورون حول الشيخ يلمسونه بأشربة شتي هي الخمر تطلب

وكتقول القائل^(١) :

* إِيَّاكَ أَعْنَى فَأَسْمَعِي يَا جَارَهُ ^(٢) *

قيل للأحنف بن قيس : أي الشراب أطيب ؟ فقال : الخمر . قيل له : للأحنف بن قيس وكيف علمت ذلك ، وأنت لم تشربها ؟ قال : إني رأيت من حَلَّتْ له لا يتعداها ، ومن حَرُمَتْ عليه إنما يدور حولها .

وقال ابن شبرمة : لابن شبرمة

ونبيذ الزبيب ما أشتد منه فهو للخمر والطلاء نسيب^(٣)

وقال عبد الله بن القعقاع : لابن القعقاع

أنا بها صفراء يزعم أنها زبيب فصدقناه وهو كذوب
فهل هي إلا ساعة غاب نحسها أصلي لربى بعدها وأنوب^{١٠}

وقال ابن شبرمة : أنا الفرزدق ، فقال : اسقوني . قلنا : وما تريد أن نسقيك ؟ قال : « أقربه إلى الثمانين » ، يعني حد الخمر .

وقال قيس بن ساعدة : أي الأشربة أفضل عاقبة في البدن ؟ قال : « ما صفا في العين ، واشتد على اللسان ، وطابت رائحته في الأنف ، من شراب الكرم » . قيل له : فما تقول في مطبوخه ؟ فقال : « مرعى ولا كالسعدان ! » . قيل له : فما تقول في نبيذ الزبيب ؟ قال : ميت أحبي ، فيه بعض المتعة ، ولا يكاد يحيا من مات مرة . قيل له : فما تقول في العسل ؟ قال : نعم شراب الشيخ ذي الإبردة^(٤) ، والمعدة الفاسدة .

(١) هو مهمل بن مالك الفزاري ، يفوله في أخت حارثة بن لأم الطائي . يجمع الأمثال .

(٢) قبله :

يا أخت خير البدو والحضارة كيف ترين في فتي فزاره

أصبح يهوى حرة مطاره

(٣) انظر كتاب الأشربة لابن قتيبة ٢١ وعبون الأخبار (١ : ٣٢٥) .

(٤) الإبردة ، بكسر الهمزة والراء : علة من غلبة البرد والرطوبة ، تفتت عن الجماع .

الوليد وابن
شراة

علي بن عياش قال : إني عند الوليد بن يزيد في خلافته ، إذ أتى ابن شراة
من الكوفة ، فوالله ما سأله عن نفسه ولا سفره ، حتى قال له : يا ابن شراة ،
إني والله ما بعثت فيك لأسألك عن كتاب الله ، ولا سنة رسوله . قال : والله
لو سألتني عنهما لأصبتني فيهما حماراً . قال : فإنما أرسلت إليك لأسألك عن القهوة .
قال : فأنا دهقانها الخبير^(١) ، وطيبها العليم . قال : فأخبرني عن الطعام ؟ قال :
ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم ، غير أن أنفعه أدسمه ، وأشبهه أمرؤه ،
قال : فما تقول في الشراب ؟ قال : ليسأل أمير المؤمنين عما بداله . قال : فما تقول
في الماء ؟ قال : لا بد لي منه ، والحمار شريك في . قال : فما تقول في السويق ؟ قال :
شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال : فما تقول في اللبن ؟ قال : ما رأيت
قط إلا استحييت من أمي ، من طول ما أرضعتهني به . قال : فنبذ التمر ؟ قال :
سريع الامتلاء ، سريع الانفشاش . قال : فنبذ الزبيب ؟ قال : حاموا به عن
الشراب . قال : فما تقول في الخمر ؟ قال : أؤم ، تلك صديقة روحى . قال : وأنت
والله صديق روحى . قال : وأى المجالس أحسن ؟ قال : ما شرب الناس على وجه
قط أحسن من النساء^(٢) .

قال الأصمى : دخلت على هارون الرشيد ، وهو في الفرش منغمس كما
ولدت أمه ، فقال لي : يا أصمى ، من أين طرقت اليوم^(٣) ؟ قال : قلت
احتجمت . قال : وأى شيء أكلت عليها ؟ قلت : سكباجة^(٤) وطباهجة^(٥) .
قال : رميتها بحجرها . قال : هل تشرب ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين :

الأصمى
وهارون الرشيد

(١) الدهقان بكسر الدال وضمها : التاجر .

(٢) في بعض النسخ : « من السماء » .

(٣) ن : « طرفت » بالفاء . طرق الرجل فهو مطروق : أصابه استرخاء وضعف .

(٤) السكباج ، ويقال له « الخلية » و « الخلة » و « الصفاقة » ، وهو لحم يعالج
بالخل والتوابل ، ويضاف إليه أحيانا الزعفران والسذاب . انظر محاضرات الراغب
(١٠ : ٢٩٢) .

(٥) الطباهجة : ضرب من اللحم المقل ، وهو ما يسمى بالكباب . انظر تحقيقه مسهباً
في حواشي الحيوان (٥ : ٢٢٢) .

أَسْقَى حَتَّى تَرَانِي مَائِلًا وَتَرَى عُمرَانَ دِينِي قَدْ خَرِبُ
قال : يا مسروق ، أى شئ معك ؟ قال : ألف دينار . قال : أَدْفَعُهَا إِلَيْهِ .

آفات الخمر وجنباياتها^(١)

أول ذلك أنها تُذهب العقل — وأفضل ما فى الإنسان عقله — وتحسّن
القبیح ، وتُقبّح الحسَن . قال أبو نواس :

لأبى نواس

أَسْقَى حَتَّى تَرَانِي حَسَنٌ عِنْدِي الْقَبِيحُ
وقال أيضا :

أَسْقَى صِرْفًا مُحَيًّا تترك الشيخ صَبِيًّا
وتُريه الفى رُشْدًا وتُريه الرُشْد غَيًّا
وقال أيضا :

١٠

عُتِّقْتُ فِي الدِّنِّ حَوْلًا فَهِيَ فِي رَقَّةٍ دِينِي

للناطق بالحق

وقال الناطق بالحق :

تَرَكْتُ النَبِيذَ وَشُرَابَهُ وَصَرْتُ خَدِينًا لِمَنْ عَابَهُ^(٢)
شراب يُضِلُّ سَبِيلَ الرُّشَادِ وَيَفْتَحُ لِلشَّرِّ أَبْوَابَهُ

تسمية النديم

١٥ وَإِنَّمَا قِيلَ لِمُشَارِبِ الرَّجُلِ « نَدِيمٌ » مِنَ النَّدَامَةِ ، لِأَنَّ مَعَاقِرَ الْكَأْسِ إِذَا
سَكِرْتَ كَلِمَ بِمَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ ، وَقَعَلَ مَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لِمَنْ شَارَبَهُ نَادِمُهُ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ
مِثْلَ مَا فَعَلَهُ ، فَهُوَ نَدِيمٌ لَهُ ، كَمَا يُقَالُ جَالِسُهُ فَهُوَ جَالِسٌ لَهُ^(٣) . وَلِلْمَعَاقِرِ : الْمَدْمَنُ ،
كَأَنَّهُ لَزِمَ عُقْرَ الشَّيْءِ ، أَيْ فَنَاءَهُ .

لأبى الأسود
الدؤلى

وقال أبو الأسود الدؤلى :

٢٠ دَعِ الْخَمْرَ يَشْرِبُهَا الْفَوَاةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ أَخَاهَا مُغْنِيًا بِمَكَانِهَا

(١) هذا ما فى ن . وفى سواها : « وخبائثها » .

(٢) البيتان فى الأشربة لابن قتيبة ٢١ .

(٣) انظر الأشربة ٣٥ — ٣٦ .

فَالَا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَ فَإِنَّهُ أَخُوها غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلَبَانِهَا^(١)
 وَقَدْ شُهِرَ أَصْحَابُ الشَّرَابِ بِسُوءِ الْعَهْدِ ، وَقِلَّةِ الْحِفَاطِ ، وَأَنَّهِمْ صَدِيقُكَ
 مَا اسْتَغْنَيْتَ حَتَّى تَتَفَقَّرَ ، وَمَا عُوِفَيْتَ حَتَّى تُنْكَبَ ، وَمَا غَلَتْ دِنَانُكَ حَتَّى
 تُنْزَفَ ، وَمَا رَأَوْكَ بَعِيونَهُمْ حَتَّى يَفْقَدُوكَ^(٢) . قَالَ الشَّاعِرُ :

ما قيل في عيب
 أصحاب الشراب

٤٠٢
 ٣

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَحْفَظُونَ حَرِيمَهُمْ وَلَيْسَ لِأَصْحَابِ النَّبِيذِ حَرِيمٌ
 إِذَا جِئْتَهُمْ حَيَّوْكَ أَلْفًا وَرَحِبًا وَإِنْ غَبْتَ عَنْهُمْ سَاعَةً فَذَمِيمٌ
 إِخَاؤُهُمْ مَا دَارَتِ السَّكَّاسُ بَيْنَهُمْ وَكُلُّهُمْ رِثَ الْوِصَالِ مَشُومٌ
 فَهَذَا ثِقَائِي لَمْ أَقُلْ بِجَهَالَةٍ وَلَكِنِّي بِالْفَاسِقِينَ عَلِيمٌ^(٣)
 وَقَالَ قُصَيُّ بْنُ كَلَابٍ لِبَنِيهِ : اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ ، فَإِنَّهَا تُصْلِحُ الْأَبْدَانَ ،
 وَتُفْسِدُ الْأُذْهَانَ .

لقصى بن كلاب

١٥

وَقِيلَ لَعْدَى بْنُ حَاتِمٍ^(٤) : مَا لَكَ لَا تَشْرَبُ الْخَمْرَ ؟ قَالَ : لَا أَشْرَبُ
 مَا يَشْرَبُ عَقْلِي .

لعدي بن حاتم

وَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ لَا تَشْرَبُ النَّبِيذَ ؟ قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَصْبِحَ حَكِيمَ قَوْمِي
 وَأُمْسَى سَفِيهَهُمْ^(٥) .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا لَكَ لَا تَشْرَبُ النَّبِيذَ ؟ قَالَ : لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي .

لأعرابي

١٥

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ^(٦) : النَّشْوَةُ تَحُلُّ الْحُبُوبَ .

ليزيد بن الوليد

وَقِيلَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا مَنَعَكَ مِنْ شَرَبِ الْخَمْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ،

لعثمان بن عفان

(١) اللَّبَانُ ، بالكسر : ما يرتضع الصبي من ثدي أمه .

(٢) هَذَا الْكَلَامُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْإِنْشَادِ تَجَدُّدٌ فِي كِتَابِ الْأَشْرِيَّةِ ٣٧ — ٣٨ .

(٣) التَّنَاءُ : مَا تَصِفُ بِهِ الْإِنْسَانَ مِنْ مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ .

(٤) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى كَلِمَةِ « لَه » لَيْسَ فِيهِ .

(٥) نَسَبَ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ فِي كِتَابِ الْأَشْرِيَّةِ ٥٢ .

(٦) هُوَ يَزِيدُ النَّاقِسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ مِمَّنْ يَشْبِي عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ

ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ شَرِبَهُ الْخَمْرَ وَانْهَمَاكَ فِي الذَّنَاتِ ، فَعَمِلَ عَلَى خَلْعِهِ وَقَتْلِهِ وَتَمَّ لَهُ ذَلِكَ سَنَةَ ١٢٦ .

وَمَاتَ يَزِيدُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ خِلَافَةٍ مُضْطَرِبَةٍ دَامَتْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ .

٢٥

ولا حرج عليك فيها ؟ قال : إنى رأيتها تُذهب العقل جُملة ، وما رأيت شيئاً يُذهب جُملةً ويعود جُملةً .

وقال أيضاً : ما تَغَنَّيت ، ولا تَفَتَّيت ^(١) ، ولا شربت خمرًا ، ولا مَسِسْتُ فرجى بيدي بعد أن خططت بها المِفْصَل ^(٢) .

٥ وقال عبد العزيز بن مروان لنُصَيْب بن رَبَاح : هل لك فيما يُشِيرُ المُحَادِثَةُ ؟ يريد المنادمة . قال : أصاح الله الأمير ، الشَّعْرُ مُنْقَلَقٌ ، واللون مُرَمَّدٌ ، ولم أقعد إليك بكرم عنصر ، ولا بحسن منظر ، وإنما هو عتلى ولسانى ، فإن رأيت ألا تفرق بينهما فافعل .

١٠ وربما أذهبت الكأس البيان ، وغيّرت الخِلقة ، فيعظم أنف الرجل ويحمر ويترهّل ^(٣) .

وقال جرير في الأخطل :

وشربت بعد أبي ظهير وأبنة سَكَرَ الدُّنَانُ كَأَنَّ أَنْفَكَ دُمْلٌ ^(٤)

شَبَّهَ أَنْفَهُ بِالْدُمْلِ فِي وَرَمِهِ وَحُمَرَتِهِ .

وقال آخر ^(٥) في حماد الراوية :

١٥ نِمِ الْفَتَى ، لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَقْتُ صَلَاتِهِ حَمَادٌ

هَدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدُّنَانُ ، فَأَنْفُهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يُسْنُهَا الْحَدَادُ

وَأَبْيَضَ مِنْ شُرْبِ الْمَدَامَةِ وَجْهُهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادٌ

(١) ن : « ولا تَغَنَّيت » . تَغَنَّى : صنع صنع الفتيان .

(٢) الفصل من القرآن من الحجرات إلى آخره في أصح الأقوال . سَمِيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ الْفَعُولِ بَيْنَ سُورِهِ ، أَوْ لِقَلَّةِ الْمُنْسُوخِ فِيهِ .

(٣) ن : « ويندمل » وفيها عداها : « وينذهل » . وجاء في كتاب الأشربة لابن قتيبة ٤١ : « فمظم أنف الرجل واحمر وترهّل » .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر .

(٥) هو حماد بن الزبرقان ، كما في الحيوان (٤ : ٤٤٥) . ونسبه صاحب الأغاني

٢٥ (٦ : ١٦٢) إلى أبي النول ، وكان حماد قد عاب شعرا له . وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢) وأمالى المرتضى (١ : ٩١) .

عبد العزيز بن مروان ونصيب

أثر الخمر وما قيل فيه

لجرير

آخر في حماد الراوية

عبد الملك وأميه
ابن عبد الله

ودخل أمية بن عبد الله بن أسيد^(١) على عبد الملك بن مروان وبوجهه أثر ،
فقال : ما هذا ؟ فقال : قتت بالليل فأصاب الباب وجهي . فقال عبد الملك :
رأيتني صريع الخمر يوماً فسوتها وللشاربيها المدمنيها مصارع
فقلت : لا واخذك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنك . فقال : بل واخذك
الله بسوء مصرعك .

لسان بن ثابت

وقال حسان بن ثابت :

تقول شعناء لو سمعت عن الكأس لأصبحت مثرى العدر
أنسى حديث القدمان في فلق الصبح وصوت المسامر الفرد
لا أخدش الخدش بالجليل ولا يخشى نديمي إذا انتشيت يدي
يأبى لي السيف واللسان وقو م لم يساموا كلبدة الأسد
وقال ابن الموصلي :

لابن الموصلي

سلام على سير القلاص مع الركب ووصل القواني والمدامة والشرب
سلام أمرى لم تبق منه بقية سوى نظر العينين أو شهوة القلب
لعمري لئن نكبت عن منهل الصبا لقد كنت وراداً لمشر به العذب
ليالي أمشي بين برذى لاهياً أميس كفصن البانة الناعم الرطب
ويروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لإبراهيم بن هرمة : لا تحسبنى
كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، وخوف ذمك ، فقد رزقني الله بولادة نبيه
المادح ، وجنبني المقابح ، وإن من حقه على ألا أغضى على تقصير في حقه ،
ولم أنى أقسم لئن أتيت بك سكران لأضربك حدين : حد الخمر ، وحد السكر
ولأزيدنك لموضع حرمتك ، فليكن تركك لها لله ثمن عليه ، ولا تدعها للناس
فتوكل إليهم . فنهض ابن هرمة وهو يقول :

الحسن بن زيد
وإبراهيم بن
هرمة

نهاني ابن الرسول عن المدام وأدبني بآداب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها تخوف الله لا خوف الأنام

(١) في كتاب الأشربة ٢٧ : « أمية بن خالد بن أسيد » .

وكيف تصبى عنها وحبي لها حُبٌّ تمكّن في العظام
أرى طيب الحلال على خُبنا وطيب النفس في خُبث الحرام

وذكروا أن حارثة بن بدر الغداني كان فارسَ بني تميم وشريفها ، وكان
قد غلب على زياد ، وكان الشراب قد غلب عليه ، فقبل لزياد : إن هذا قد غلب
عليك ، وهو رجلٌ مُستهتر بالشراب . فقال لهم : كيف باطراح رجلٍ مارا كبنى
قطٌّ فمست ركبتى ركبتَه ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويتُ
إليه عنقي ، ولا سألتُه عن شيء قطُّ إلا وجدتُ علمه عنده . فلما مات زيادُ جفاه
ولده عُبيد الله بن زياد ، فقال له حارثة : أيها الأمير : ما هذا الجفاء مع معرفتك
بحالى عند أبي الغيرة ؟ فقال له عُبيد الله : إن أبا الغيرة قد برع بروعاً لم يلحقه
معه عيب ؛ وأنا حدثٌ ، وإنما أنسب إلى من تغلب على ، وأنت رجلٌ نديمُ
الشراب ، فدع النبيذ وكن أولَ داخلي وآخرَ خارج . فقال حارثة : أنا لا أدعه
لله ، أفأدعه لك ؟ قال : فاختر من على ماشئت ا قال : ولّنى رامهُزُمز ، فإنها
عَذِيَّة^(١) ، وسُرَّق^(٢) ، فإن بها شراباً وُصف لي عنه . فولّاه إياها ، فلما خرج
شيعة الناس . وكتب إليه أنس بن أبي أنيس^(٣) :

لأنس بن أبي
أنيس

أحار بن بدرٍ قد وليت ولايةً فكُن جُرذاً فيها تخون وتسرِّق
ولا تحقرن يا حار شيئاً تخونه فحظك من ملك العراقين سُرَّق
وبادر تميماً بالغنى إن للغنى لساناً به المرء الهَيُوبَةُ ينطق
فإن جميع الناس إما مكذِّب يقول بما تهوى ، وإما مصدِّق

(١) العذبة ، كفرحة : الطيبة البعيدة عن الماء والوخم ، ومثلها « العذاة » . ن :

٢٠ « عذاة » .

(٢) سُرَّق ، كسُكر : إحدى كور الأهواز . انظر معجم البلدان حيث تجد الخبر بعبارة

أخرى .

(٣) في الحيوان (٣ : ١١٦ / ٥ : ٢٥٥) : « أنس بن أبي أنيس الديلي » . وفي

معجم البلدان أن القائل أبو الأسود الدؤل . وانظر أمالي المرتضى (٢ : ٤٩ — ٥١)

٢٥ وزهر الآداب (٤ : ٥٨) وعيون الأخبار (١ : ٥٨) ومحاضرات الراغب

(١ : ٨٣) .

يقولون أقوالاً ولا يعلمونها ولو قيل يوما حققوا لم يحققوا
فوقع حارثة في أسفل كتابه « لا بعد عنك الرشد »^(١) .

مديح حارثة
ابن بدر

ولما خرجت الأزارقة على أهل البصرة لأقام حارثة بن بدر ، وتولى حربهم
في أصحابه في فرسان من بني يربوع ، حتى أصيب في تلك الحروب . وقال
فيه الشاعر :

فلولا ابن بدر للعراقي لم يقم لما قام فيه للعراقي إنسان
إذا قيل من حامي الحقيقة أومات إليه مدد بالأكف ونحطان
وقال الشاعر :

ليعضهم

شربنا من الداذي حتى كأننا ملوك لم في كل ناحية وفر^(٢)
لما علت شمس النهار رأيتنا تخلى الغنى عنا وعاودنا الفقر

١٠

وكان أبو الهندي من ولد شيبث بن ربيع الرياحي ، من بني يربوع ،
وكان قد غلب عليه الشراب ، على كريم منصبه ، حتى كاد يهطله ، وكان قد
ضاف إلى راع يسمى سالما^(٣) ، فسقاه قدحا من لبن ، فكرهه وقال :

ولوع أبي الهندي
بالعرب

سئني أبا الهندي عن وطب سالم أباريق كالنزلان بيض نهورها
مقدمة قزا كأن رقابها رقاب كراك أفرعتها صقورها^(٤)
فما ذر قرن الشمس حتى كأننا أرى قرية حولي تزلزل دورها^(٥)

١٥

٤٠٤
٣

(١) في الحيوان (٢٥٥ : ٥) : « لا يعمى عليك الرشد » . ن : « لا يذب عليك الرشد » .

(٢) الداذي : نبت حبه على شكل الشعير ، يوضع مقدار رطل منه في الفرق فتعيق رائحته ويجود إسكاره . وفي اللسان (دود) : « ملوك لنا بر العراقي والبحر » . والوفر : الغنى .

(٣) ضاف إليه : نزل عليه ضيفا . وسالم هذا هو مولى قديد بن منيع المنقري ، كما في الشعر والشعراء ٦٦٤ .

(٤) مقدمة : موضوع عليها القدماء ، وهو للصفاء توضع على قم الإبريق . والكراكي : جمع كركي : ضرب من الطير . وانظر الشعر والشعراء ، حيث تجمد لأبي الهندي نظير هذا الشعر .

(٥) ن : « قرية تؤني » .

أقوال لأبي
الهندي

ولقيه نصر بن سيار ، وإلى خراسان ، وهو يَمِيدُ سُكْرًا فقال له : أفسدت
مروءتك وشرفتك . قال : لو لم أفسد مروءتي لم تكن أنت وإلى خراسان .

ومرض أبو الهندي ، فلما وجد فقد الشراب جعل يبكي ويقول :

رضيعُ المدام فارق الراحُ روحه فظل عليها مُسْتَهْلٌ لِلدَّامِ^(١)

أديرا على الكأسِ إنِّي فقدتها كما فقد المَقْطُومُ دَرَّ المَراضِعِ

وكان يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني ، وكان أبو الوليد ناسكا ،

فاستعدي عليه وعلى أبنه ، فهرب معه ، وقال فيه أبو الهندي :

قل للسريّ أبي قيس أتوعدنا ودارنا أصبحت من داركم صَدَدًا

أبا الوليد أما والله لو عملت فيك الشُّولُ لما حرمتها أبدا

ولا نسيت حياها ولذتها ولا عدلت بها مالا ولا ولدا^(٢)

وشرب أبو الهندي في غرفة مع نديم له ، فاطلع منها فإذا بميت يزف به

على شرجع^(٣) ، فالتفت إلى صاحبه فقال :

أصيب على قلبك من بردها إني أرى الناس يموتونا

فكان هذا القول منه [دليلا] على [عدم] اتعاضه بالموت .

وكان أبو الهندي عجيب الجواب ، وجلس إليه رجل كان صليب أبوه في

جناية^(٤) ، فجعل يعرض له بالشراب ، فقال أبو الهندي : أحدم يبصر القذى في

عين أخيه ، ولا يبصر الجذع المعترض في أمت أبيه^(٥) .

(١) في الأغاني (٢١ : ١٧٩) : « حليف مدام » .

(٢) الحيا : سورة الكأس وأخذها بالرأس .

(٣) يزف به : يسرع به . والمرجع : النعش .

(٤) ن : « في حراة » صوابه « خراة » ، كما في الأغاني (٢١ : ١٨٠) .

والخراة : سرقة الإبل خاصة . وقد ذكر أبو الفرج أن اسم ذلك الرجل « برزن » وكان ناسكا من أهل خراسان .

(٥) الأغاني : « ولا يرى الخشبة في أمت أبيه » .

٥

١٠

١٥

٢٠

لعبد الرحمن بن
أم الحكم

وقال عبد الرحمن بن أم الحكم :

وكأس ترى بين الإناء وبينها قذى العين قد نازعت أم أبان^(١)

ترى شاربيها حين يعتورانها بميلان أحيانا ويعتدلان

فما ظنُّ ذا الواشي بأروع ماجد وعذراء خوذ حين يلتقيان^(٢)

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أضع لها بلبان^(٣)

دعتني أخاها بعد ما كان بيننا من الأمر ما لا يفعل الأخوان

وقال^(٤) :

لا هنيئاً بما شربت مريثاً ثم قم صاعراً وغير كريم^(٥)

لا أحب القديم يؤمض بالعيد ن إذا ما انتشى لعرس القديم^(٦)

عرب المأمون

وقال أبو العباس البرد : ودخل عمرو بن مسعدة على المأمون ، وبين يديه

جام زجاج ، فيه سكر طبرزد ، وملح جريش ، قال : فسلت عليه ، فرد

وعرض على الأكل ، فقلت : ما أريد شيئاً . هنالك الله يا أمير المؤمنين ، فلقد

باكرتُ الغداء . قال : بت جائعاً اثم أطرق ورفع رأسه وهو يقول :

اعرض طعامك وابذله لمن دخلا وأعزم على من أبي واشكر لمن أكلا

ولا تكن سابري العرض محتشما من القليل فلست الدهر محتفلاً^(٧)

ودعا برطل ، ودخل شيخ من جلة الفقهاء فذبه إليه ، فقال : والله يا أمير

(١) يريد بالكأس الخمر بينها . وفي الأصول : « بين الأثافي » صوابه من الكامل

٧٢ ليسك . وانظر البيان (٣ : ٣٤٨) من مكتبة الجاحظ . وقذى العين مثل في الصفر
والقلة والخفاء .

(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة . وفي البيان : « وبداء خود » .

(٣) في الأغاني (١٦ : ٨٤) والبيان (٣ : ٣٤٧) أن البيت لأبي عطاء السدي .

(٤) في المصدرين السابقين : « كل هنيئاً وما شربت مريثاً » .

(٥) ن : « يومض أحيانا » .

(٦) السابري : ضرب من الثياب رقيق .

المؤمنين ، ما شربتها ناشئا ، فلا تسقيها شيئا . فردّ يده إلى عمرو بن مسعدة ، فأخذها منه وقال : يا أمير المؤمنين ، فإنني عاهدتُ الله في الكعبة ألا أشربها أيضا . ففكر طويلا والكأس في يد عمرو بن مسعدة ، فقال :

رُدّا على الكأس إنكا لا تملان الكأس ما تجدى

لو ذقتما ما ذقت ما أمتزجت إلا بدمعكما من الوجد

خوفتاني الله ربك وكيفيته رجاؤه عندي

إن كنتما لا تشربان معي خوف العقاب شربتها وحدي

٥

٤٠٥
٣

احتياال المأمون
لإسكار يحيى بن
أكرم

شرب المأمون ويحيى بن أكرم القاضي وعبد الله بن طاهر ، فتغامز المأمون وعبد الله على سكر يحيى ، فغمز يد الساقى فأسكره ، وكان بين أيديهم رزم من ورد ورياحين^(١) ، فأمر المأمون فشق له لحد في الورد والرياحين ، وصيروه فيه ، وعمل بيتي شعر ، ودعا قينة ، فجلست عند رأسه وحرّكت العمود وغنت :

دعوته وهو حتى لا حراك به مكفن في ثياب من رياحين

قلقت قم قال رجل لا تطاوعني قلقت خذ قال كفي لا تواتيني

فأنتبه يحيى لرنة العمود ، وقال مجيبا لها :

يا سيدي وأمر الناس كلهم قد جار في حكمه من كان يسقيني

إن غفلت عن الساقى فصيرني كما تراني سليب العقل والدين

لا أستطيع نهوضا قد وهى جسدي ولا أجيب المنادي حين يدعوني^(٢)

فأختر لبغداد قاض إنني رجل الراح ثقّلني والمُؤود يُحِينِي

حدثنا أبو جعفر البغدادي قال : كان بالجزيرة رجل يبيع نبيذا في ماخور^(٣)

له ، وكان بيته من قصب ، وكان يأتيه قوم يشربون عنده ، فإذا عمل فيهم

هجاء أحد
النباذين لرهط
من القمار

(١) الرزم : جمع رزمة بالكسر ، عنى بها الطافات .

(٢) هذا البيت وتاليه ليسا في ن .

(٣) ن : « ماجود » وفي سائر النسخ « ناجود » ، صوابهما ما أثبتنا . والماخور :

بيت الخمار ، ومجلس الريبة والفسق . وأما الناجود فهو كل إناء يجعل فيه الخمر .

الشراب قال بعضهم لبعض : أما ترون بيتَ هذا التَّبَاذِ من قَصَب ؟ فيقول بعضهم : على "الآجُرِّ" ، ويقول الآخر : على "الجِصِّ" ، ويقول الآخر : على "أجرة العامل" . فإذا أصبحوا لم يعملوا شيئاً ، فلما طال ذلك على التَّبَاذِ قال فيهم :

لنا بيتٌ يهْدَمُ كلَّ يومٍ ويُصبح حين يُصبح جِذْمُ خُصٍّ^(١)
إذا ما دارت الأقْداحُ قالوا غداً نَبْنِي بآجُرِّ وجِصٍّ^٥
وكيف يُشَيِّدُ البنيان قومٌ يمرُّون الشتاء بغير قُمْصٍ

ودخل حارثة بن بدر على زياد ، وبوجهه أثر ، فقال له : ما هذا ؟ قال : ركبت فرسي الأشقر فصرعني . قال : أما إنك لو ركبت الأشهب ما صرعك . أراد حارثة بالأشقر النبيذ ، وأراد زياد بالأشهب اللبن .

حارثة بن بدر
وزياد

وكان قيس بن عاصم يأتيه في الجاهلية تاجرٌ خمر ، فيبتاع منه ، ولا يزال الخمر في جواره حتى ينفد ما عنده . فشرب قيس ذات يوم فسكراً قبيحاً ، فغذب ابنته وتناول قرنها^(٢) ، ورأى القمر فتكلم بشيء ، ثم نهب ماله ومال الخمار ، وأنشأ يقول :

إسراف قيس بن
عاصم في الخمر

من تاجرٍ فاجر جاء الإله به كأن لحيته أذنان أجمال
جاء الخبيثُ ببيسانية تركت صحبي وأهلي بلا عقل ولا مال^(٣)
فلما صحأ أخبر بما صنع وما قال ، فآلى ألا يذوق خمرًا أبداً .

وربما بلغت جنابة الكأس إلى عيب الرجل ونجسه . قال المأمون : « يا نطف الخمر ، وزرائع الظهور ، وأشياء الخوالة » .

أثر الوراثة في
نسل الشاربين

وقال الشاعر :

بعضهم

لما رأيت الحظَّ حظَّ الجاهلِ ولم أر المغبونَ غيرَ العاقلِ^{٢٠}

(١) الجذم : الأصل . والحص بيت من قصب أو شجر . ن : « جرم خص » .

(٢) في بعض النسخ وكذا كتاب الأثرية ٢٥ : « ثوبها » . والقرن : الذؤابة والصفيرة .

(٣) البيسانية : الخمر النسوبة إلى بيسان ، مدينة بالأردن .

رحلتُ عَنْسًا من كروم بابل فبتُّ من عتلى على مَراحِل^(١)
وقال آخر يصف السكر^(٢) :

لبعضهم في صف
السكر

أقبلت من عند زيادٍ كالخرف أجبرُ رجلىً بِخَطِّ مختلفٍ ٤٠٦
٣

كأنما يكتبان لام ألف

وقال آخر يصف السكر :

شربنا شربةً من ذاتِ عِرْقٍ بأطراف الزُّجاج من العَصِيرِ^(٣)
وأخرى بالمسروح ، ثم رُحنا نرى العُصفورَ أعظمَ من بعير^(٤)
كأنَّ الدِّيكَ ديكَ بنى تميم أميرُ المؤمنين على السرير^(٥)

كأنَّ دجاجهم في الدارِ رُقطا بناتُ الروم في قُصص الحرير
فبتُّ أرى الكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرجلِ القصير
أدافعهن بالكفَّين مَنى وأثمُ لَبَّةَ القمرِ المنيرِ^(٦)

وقال الشاعر^(٧) :

دَع النبيذَ تكنَ عَدْلًا ، وإن كثرتْ نيك العيوبُ ، وقل ما شئتَ يُحتمَلُ
هو المُشيدُ بأخبارِ الرِّجالِ فما يَحْنِي على الناسِ ما قالوا وما فعلوا
كم زَلَّةٌ من كَرِيمٍ ظَلَّ يسترها من دونها سُتْرُ الأبوابِ والِكِالُ
أضحتْ كَنارٍ على علياءٍ مُوقَدَةٍ ما يَسْتَسِرُّ لها سَهْلٌ ولا جَبَلُ

هجا، النبيذ

(١) المنس : الناقة الشديدة الصلبة . ورحل البعير : شد عليه الرجل .
(٢) كتب بعده في ن بخط صغير : « هو جرير » . والصواب أن الرجز لأبي النجم
المجلى . انظر الموشح ١٧٧ وخزانة الأرب (١ : ٤٩) .
(٣) انظر الحيوان (٢ : ٢٦٠ ، ٣٥٦) وديوان الماني (١ : ٣٣٠) والأشربة
١٠٤ — ١٠٥ وتار الأزهار ٩٧ ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٧) وحجاسة ابن
الشجري ٢٧٨ .

(٤) الرواية في معظم هذه المصادر : « وأخرى بالمقفل » . وفي الأشربة : « بالمروق » .
(٥) يروى : « ديك بنى تميم » .
(٦) يروى : « عني » بدل « مني » . واللبة ، بالفتح : موضع القلادة من النحر .
(٧) هو العتي ، كما في كتاب الأشربة ٣٥ .

والعقل عاقٌّ مصونٌ لو يُباع لقد ألفت بِيَّاعه يُعطونَ ما سألوا
فأعجبَ لِقومٍ مُفاهمٍ في عُقولهم أنْ يُذهِبوها بَعْلٌ بعده نَهَلٌ
قد عَقَّدَتْ بِخُمَارِ الكأسِ السُّهُم عن الصَّواب ولم يُصبح بها عِللٌ
وزُرَّتْ بِسِنَاتِ النُّومِ أَعْيُنُهُم كَأَنَّ أَحَدَاقَهَا حَوْلٌ وما حَوَّلُوا
تَخَالُ رَأَتْهُمْ مِنْ بَعْدِ غُدُوته حُبْلَى أَضْرَبَهَا فِي مَشْيِهَا الحَبْلُ
فإنْ تَكَلَّمْ لم يَقْصِدْ لِحاجته وإنْ مَشَى قَلَّتْ تَجَنُّونَ بِهِ خَبْلُ

في هجاء العراب

وقال :

أخو الشراب ضائعُ الصَّلَاةِ وضائعُ الحُرمةِ والحاجاتِ
وحالُه مِنْ أَقْبَحِ الحَالَاتِ فِي نَفْسِهِ وَالْعِرْسِ وَالْبَنَاتِ
أَفَّ لَهُ أَفٌّ إِلَى أَفَاتِ خَمْسَةَ آلَافٍ مَوْلَّاتِ

من حَدَّثَ من الأشراف في الخمر وشهرتها

يزيد بن معاوية منهم يزيد بن معاوية ، وكان يقال له : يزيد الخمر (١) ، وبلغه أن مِسُورَ
بنَ نَحْرَمَةَ يرميه بِشُرْبِ الخمر ، فكتب إلى عامله بالمدينة : أن يجلِّدَ مِسُوراً حَدَّ
القَذْفِ (٢) ، ففعل . فقال مِسُورُ :

أيشربُها صِرْفًا بِطِينِ دِنَانِهَا أبو خالدٍ وَيُضْرَبُ الحَدَّ مِسُورُ (٣)
ومِن حَدَّثَ فِي الشرابِ الوليدُ بن عَقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ، أخو عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ
لأُمِّهِ . شَهِدَ أَهْلُ الكُوفَةِ عَلَيْهِ أَنَّهُ صَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ وَهُوَ سَكْرَانٌ .
ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : إِنْ شِئْتُمْ زِدْتُكُمْ الْفَجْلَةَ عَلَى بَنِي طَالِبٍ بَيْنَ يَدَيِ عُثْمَانَ .
وفيه يقول الخطيئة ، وكان نديمه أبو زيد الطائي :

شهد الخطيئةُ يوم يلقى رَبَّهُ أَنَّ الوليدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ

(١) ن : « يزيد الخمر » .

(٢) في بعض النسخ : « حد الخمر » تحريف .

(٣) طين الدن ، أي الطين الذي يحتم به وعاء الخمر .

نادى وقد تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ ليزيدهم خيراً ولا يَدْرِى^(١)
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا لقرنت بين الشَّعْغِ وَالْوَرِ
كَبَحُوا عَنَّا نَكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ تَرَكَوا عِنَّا نَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي^(٢)

ومنهم عبيدُ الله بن عمر بن الخطاب ، شربَ بمصر ، حَدَّثَهُ هُنَاكَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو
العاصِ مَرَّةً . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عَمْرِو جَلَدَهُ حَدَّثًا آخَرَ عِلَانِيَةً . ٥

ومنهم العباس بن عبد الله بن عباس ، كَانَ مِنْ شَهْرٍ بِالشَّرَابِ وَمُنَادِمَةً الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْأَخْطَلُ الشَّاعِرُ . وَفِيهِ يَقُولُ الْأَخْطَلُ :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى التَّجَارِ بِمِسْمَحٍ هَرَّتْ عَوَاذِلُهُ هَرِيرَ الْأَكْلِبِ^(٣)
لَبَّاسٍ أُرْدِيَةِ الْمُلُوكِ تَرُوقُهُ مِنْ كُلِّ مُرْتَقَبٍ عِيُونَُ الرَّبْرِ

ومنهم قُدَامَةُ بْنُ مَطْعُونٍ ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدَّثَهُ
عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِشَهَادَةِ عَلْقَمَةَ الْخَصِصِيِّ وَغَيْرِهِ ، فِي الشَّرَابِ . ١٠

ومنهم عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي شَحْمَةَ ، حَدَّثَهُ أَبُوهُ فِي
الشَّرَابِ ، وَفِي أَمْرِ أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ .

ومنهم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْرِ ، حَدَّثَهُ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحَزْرَمِيُّ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ ١٥ فِي الشَّرَابِ .

ومنهم عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ ، حَدَّثَهُ بَعْضُ وِلَاةِ الْمَدِينَةِ فِي الشَّرَابِ .

ومنهم عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ ، حَدَّثَهُ عَمْرُو الْأَشْدُقِ .

وَمِنْ فَضَحَ بِالشَّرَابِ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ الْأَشْعَرِيُّ ، وَفِيهِ يَقُولُ يَحْيَى
ابْنُ نَوْفَلٍ الْحَمِيرِيُّ :

وَأَمَّا بِلَالٌ فَذَلِكَ الَّذِي يَمِيلُ الشَّرَابُ بِهِ حَيْثُ مَالَا ٢٠

(١) فِي الْأَغَانِي (٤ : ١٧٦) : « أَزِيدَكُمْ سَكْرًا » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « كَفُّوا عَنَّا نَكَ » .

(٣) الْمَسْمُوحُ : الْمَسْمُوحُ الْجَوَادُ . وَالشَّعْرُ فِي كِتَابِ الْأَشْرِبَةِ ٣١ .

يَبِيتُ يَمُصُّ عَتِيقَ الشَّرَابِ كَمَصَّ الْوَلِيدِ يَخَافُ الْفِصَالَا^(١)
وَيُصْبِحُ مُضْطَرَبًا نَاعِسًا تَخَالُ مِنَ الشُّكْرِ فِيهِ أَحْوَالًا
وَيَمْشِي ضَعِيفًا كَشَى النَّزِيفُ تَخَالُ بِهِ حِينَ يَمْشِي شِكَا^(٢)

ومن شهر بالشراب عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي ، القاضي بالكوفة .
وفُضِّحَ بِمُنَادِمَةِ سَعْدِ بْنِ هَبَّارٍ . وفيه يقول حارثة بن بدر :

عبد الرحمن بن
عبد الله الثقفي

نَهَارُهُ فِي قَضَايَا غَيْرِ عَادِلَةٍ وَلَيْلُهُ فِي هَوَى سَعْدِ بْنِ هَبَّارٍ
مَا يَسْمَعُ النَّاسُ أَصْوَاتًا لَمْ عَرَضَتْ إِلَّا دَوَاتَا ، دَوَى النِّحْلِ فِي الْغَارِ
يَدِينُ أَصْحَابَهُ فِيمَا يَدِينُهُمْ كَأَسَا بِكَاسٍ وَتَكَرَّرَ بِتَكَرَّرِ
فَأَصْبَحَ النَّاسُ أَطْلَاحًا أَضْرَبَهُمْ حَثَّ الْمَطَى وَمَا كَانُوا بِسُفَارِ^(٣)

ومنهم أبو محجن الثقفي ، وكان مُعْرِمًا بالشراب ، وقد حَدَّثَهُ سَعْدُ
ابن أبي وقاصٍ في الخمر مرارا . وشهد القادسية مع سعد ، وأبلى فيها بلاء حسنا .
وهو القائل :

أبو محجن الثقفي

إِذَا مِتَ فَادْفَنْنِي إِلَى ظِلِّ كَرْمَةٍ تُرَوِّى عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عِرْوَقُهَا^(٤)
وَلَا تَدْفَنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَاتَ إِلَّا أَذْوَقُهَا
ثُمَّ حَلَفَ بِالْقَادِسِيَةِ إِلَّا يَشْرَبُ خَمْرًا أَبَدًا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

١٥

إِنْ كَانَتْ الْخَمْرُ قَدْ عَزَّتْ وَقَدْ مُنِعَتْ وَحَالُ مِنْ دُونِهَا الْإِسْلَامُ وَالْخَرْجُ
فَقَدْ أَبَاكَرُهَا صُهْبَاءُ صَانِيَةً طَسُورًا وَأَشْرَبُهَا صِرْفًا وَأَمْتَرَجُ
وَقَدْ تَقُومُ عَلَى رَأْسِي مَغْنِيَّةٌ فِيهَا إِذَا رَفَعَتْ مِنْ صَوْتِهَا غَنَجُ
فَتَخْفِضُ الصَّوْتَ أحيانًا وَتَرْفَعُهُ كَمَا يَطْنُ ذُبَابُ الرِّوْضَةِ الْهَزَجُ

ومنهم عبد الملك بن مروان ، وكان يُسَمَّى « حَمَامَةَ الْمَسْجِدِ » ، لِأَجْتِهَادِهِ فِي

عبد الملك بن
مروان

٤٠٨
٣

(١) الفصال : الفطام : والأبيات في كتاب الأشربة ٣٢ .

(٢) الشكال ، بالكسر : حبل تشد به قوائم الدابة .

(٣) الأطلح : جمع الطلح بكسر الطاء وفتحها ، وهو المعى الذى أدركه السكال .

(٤) في الأشربة ٣٤ : « إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ » .

العبادة قبل الخلافة . فلما أفضت إليه الخلافة شرب الطلاء ، وقال له سعيد ابن المسيب : بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت بعمدى الطلاء ؟ فقال : إى والله ، والدّماء !

ومنهم الوليد بن يزيد ، ذهب به الشراب كل مذهب حتى خلع ، وقُتِل . الوليد بن يزيد وهو القاتل :

خُذُوا مَلِكَكُمْ لَا ثَبْتَ اللَّهُ مَلِكَكُمْ ثَبَاتًا يُسَاوِي مَا حَيَّتْ عِقَالًا^(١)
دَعُوا لِي سَلَمَى وَالنَّبِيذَ وَقَيْنَةَ وَكَأْسًا إِلَّا حَسْبِي بِذَلِكَ مَا لَا^(٢)
أَبَالُمُكْ أَرْجُو أَنْ أَخْلَدَ فِيكُمْ أَلَا رَبُّ مُلْكٍ قَدْ أَزِيلَ فَرَالَا

وسقى قومٌ أعرابيةً مشكراً ، فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا : امرأة أعرابية
نم . قالت : فما يدري أحدكم من أبوه^(٣) !

ومنهم إبراهيم بن هرمة ، وكان مُغرماً بالشراب ، وحده عليه جماعة من
عَمَالِ المدينة ؛ فلما ألحوا عليه وضاق ذرعُه بهم ، دخل إلى المهديّ بشعره الذي
يقول فيه^(٤) :

لَهُ لِحَظَاتٌ عَنْ حِفَافٍ سَرِيرٍ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ
لَمْ طِينَةٌ بِيضَاءٍ مِنْ آلِ هَاشِمٍ إِذَا أَسْوَدَ مِنْ لُؤْمِ التَّرَابِ الْقَبَائِلُ
إِذَا مَا أَنَى شَيْئًا مَضَى كَالَّذِي أَنَى وَإِنْ قَالَ إِنِّي فَاعِلٌ فَهُوَ فَاعِلٌ
فَأَعْجَبَ الْمَهْدِيُّ بِشَعْرِهِ ، وَقَالَ لَهُ : سَلِ حَاجَتَكَ . قَالَ : تَأْمُرُ لِي بِكِتَابٍ إِلَى

(١) الأبيات في كتاب الأشربة ٦١ والأغانى (٦ : ١٣٤) . قالها وغنى بها حين أحبط بقصره يوم أن قتل .

(٢) في بعض النسخ ، وكذا في الأغاني (٦ : ١٣٤) : « دعوا لى سلمي » ، فقد يكون صغر اسمها ، وهى سلمى بنت سعيد بن خالد ، امرأة الوليد . وفي هذا الشعر يقول :
إِذَا مَا صَفَا عَيْشُ بَرَمَلَةٍ عَالِجٍ وَعَاقَتْ سَلْمَى لَا أَرِيدُ بَدَالَا
(٣) الخبر في كتاب الأشربة ٣٠ .

(٤) في الحيوان (٣ : ١٣٤) أن الشعر في مدح المنصور . كما أن بقية القصة يرويها ابن قتيبة في الأشربة ٢٨ - ٢٩ والحليقة فيها المنصور لا المهدي .

عامل المدينة أن لا يحدني على شراب . فقال له : ويلك ، كيف نأمر بذلك ؟
 لو سألتني عزل عامل المدينة وتوليته مكانه لفعلت . قال : يا أمير المؤمنين :
 ولو عزلت عامل المدينة وتوليته مكانه ، أما كنت تعزلي أيضا وتولي غيري ؟
 قال : بلى . قال : فكنت أرجع إلى سيرتي الأولى . فقال المهدي لوزرائه :
 ما تقولون في حاجة ابن هرمة وما عندكم فيها من التلطف ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ،
 إنه يطلب مالا سبيل إليه : إسقاط حد من حدود الله . قال المهدي : إن عندي
 له حيلة ، إذ أعيتكم الحيل فيه ، اكتبوا له إلى عامل المدينة : من أتاك
 بأبن هرمة سكران فيضرب ابن هرمة ثمانين ، ويضرب الذي يأتيك به مائة .
 فكان ابن هرمة إذا مشى في أزقة المدينة يقول : من يشتري مائه ثمانين ؟
 وكان بأمر رجل يقال له : حميد ، وكان مفتونا بالخمر ، فجهأ ابن عم له ،
 وقال فيه ^(١) :

حميد الأحمى

حميد الذي أمج داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع
 علاه المشيب على شربها وكان كريما ، فما ينزع
 ودخل حميد يوما على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا
 حميد . قال : « حميد الذي ^(٢) » ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما شربت مسكرا منذ
 عشرين سنة . فصدق بعض جلسائه فقال له : إنما داعبناك .

الفرق بين الخمر والنبيذ

أول ذلك أن تحريم الخمر يجمع عليه لا اختلاف فيه بين اثنين من الأئمة
 والعلماء . وتحريم النبيذ يختلف فيه بين الأكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه
 وسلم والتابعين بإحسان . حتى لقد اضطر محمد بن سيرين في علمه وورعه أن يسأل
 عبيدة السلماني ^(٣) عن النبيذ . فقال له عبيدة : اختلف علينا في النبيذ . وعبيدة

(١) في معجم البلدان وبعض نسخ معجم ما استتجم ، أن الشر لحميد نفسه . ويبدو أن
 الصواب نسبتها إلى ابن عمه . (٢) يشير إلى الشر السابق .

(٣) عبيدة هذا ، بفتح العين ، كما في تهذيب التهذيب (٧ : ٨٤) .

من أدرك أبا بكر وعمر . فما ظنك بشيء اختلف فيه الناس وأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام متوافرون ، فمن بين مطلق له ومحظّر عليه ؟ وكل واحد منهم يقيم الحجج لمذهبه ، والشواهد على قوله . ٤٠٩
٣

والنبيذ كل ما يُبذ في الدُّبَاء^(١) والمزّت ، فاشتدّ حتى يُسكر كثيره . ومالم يشتد فليس يسمّى نبيذاً ، كما أنه مالم يغل من عصير العنب حتى يشتد فليس يسمّى خمراً ، كما قال الشاعر :

نبيذٌ إذا مرّ الدُّبَابُ بدنه تَقَطَّرَ أو خَسَرَ الدُّبَابُ وقيداً^(٢)

وقيل لسفيان الثوري ، وقد دعا بنبيذ فشرب منه ، ووضعه بين يديه : يا أبا عبد الله ، أخشى الذباب أن يقع في النبيذ . قال : تبحه الله ، إذا لم يذب عن نفسه . ١٠

وقال حفص بن غياث^(٣) : كنت عند الأعمش وبين يديه نبيذ ، فاستأذن عليه قوم من طلبة الحديث ، فسترته ، فقال لي : لم سترته ؟ فكرهت أن أقول : لئلا يراه من يدخل ، فقلت : كرهت أن يقع فيه الذباب . فقال لي : هيات ، إنه أمتع من ذلك جانبا .

ولو كان النبيذ هو الخمر التي حرّمها الله في كتابه ما اختلف في تحريمه اثنان من الأئمة . ١٥

حدث محمد بن وضاح قال : سألت سحنون ، فقلت : ما تقول فيمن حلف بطلاق زوجته ، إن المطبوخ من عصير العنب هو الخمر ، التي حرّمها الله في كتابه ؟ قال : بانت زوجته منه .

وذكر ابن قتيبة في كتاب الأشربة^(٤) : إن الله تعالى حرم علينا الخمر والسكر ٢٠

(١) الدباء : القرم . وكانوا ينتبذون فيه .

(٢) تقطر : صرع وسقط . والوقيد : المضروب حتى يموت .

(٣) الخبر في كتاب الأشربة ٨٤ .

(٤) كتاب الأشربة ٩٥ .

بالكتاب ، والمسكر بالسنة ، فكان فيه فسحة ، فما كان محرماً بالكتاب فلا يحل منه لا قليل ولا كثير ، وما كان محرماً بالسنة فإن فيه فسحة أو في بعضه ، كالقليل من الديباج والحرير يكون في الثوب ، والحرير محرماً بالسنة . وكالتفريط في صلاة الوتر ، وركعتي الفجر ، وهما سنة . فلا نقول : إن تاركهما كتارك الفرائض من الظهر والعصر . وقد استأذن عبد الرحمن بن عوف رسول الله صلى الله عليه وسلم في لباس الحرير لبليّة كانت به ، وأذن لعرجة بن سعد ، وكان أصيب أنفه يوم الكلاب ، باتخاذ أنف من الذهب . وقد جعل الله فيما أحل عوضاً مما حرّم ، فحرّم الربا وأحلّ البيع ، وحرّم السفاح وأحلّ الفساح ، وحرّم الديباج وأحلّ الوشى ، وحرّم الخمر وأحلّ النبيذ غير المسكر . والمسكر منه ما أسكرك .

١٠

مناقضة ابن قتيبة في قوله في الأشربة

قال في كتابه : فإن قال قائل : إن المنكر هو الشربة المسكرة^(١) ، أكذبه النظر . لأن القدح الأخير إنما أسكر بالأول ، وكذلك اللقمة الأخيرة إنما أشبعت بالأولى . ومن قال : السكر حرام ، فإنما ذلك مجاز من القول ، وإنما يريد ما يكون منه السكر حرام . وكذلك التخمّة حرام .

١٥

وهذا الشاهد الذي استشهد به في تحريمه « قليل ما أسكر كثيره » وتشبيهه ذلك بالتخمّة شاهد عليه لا شاهد له ؛ لأن الناس يجتمعون أن قليل الطعام الذي تكون منه التخمّة حلال ، وكثيره حرام . وكذلك ينبغي أن يكون قليل النبيذ الذي يُسكر كثيره حلالاً ، وكثيره حراماً ، وأن الشربة الأخيرة المسكرة هي المحرّمة . ومثّل الأربعة الأقداح التي يُسكر منها القدح الرابع ، مثّل أربعة رجال اجتمعوا على رجل ، فشجّه أحدهم موضحة ، ثم شجّه الثاني مُنقلة ، ثم

٢٠

(١) في الأصول : « الأشربة المسكرة » صوابه من الأشربة ٩١ : وفيها « العربية المسكرة والقدح المنيم » .

شجته الثالث مأومة^(١)، ثم أقبل الرابع فأجهز عليه . فلا نقول : إن الأول هو قاتله ، ولا الثاني ، ولا الثالث ، وإنما قتله الرابع الذي أجهز عليه . وعليه القود .

• وذكر ابن قتيبة في كتابه ، بعد أن ذكر اختلاف الناس في النبيذ ، وما أدلى به كل قوم من الحجة . فقال^(٢) :

وأعدل القول عندى أن تحريم الخمر بالكتاب وتحريم النبيذ بالسنة ، وكراهية ما أفتروا وأخدر من الأشربة تأديب .

ثم زعم في هذا الباب بعينه أن الخمر نوعان : فنوع منها مجتمع على تحريمه ، وهو خمر العنب من غير أن تمسه نار ، لا يحل منه لا قليل ولا كثير . ونوع آخر مختلف فيه ، وهو نبيذ الزبيب إذا اشتد ، ونبيذ التمر إذا صلب ، وهو يسمى السكر ، ولا يسمى السكر إلا نبيذ التمر خاصة .

وقال بعض الناس : ليس نبيذ التمر خمرأ . ويحتجون بقول عمر : ما انتزع بالماء فهو حلال ، وما انتزع بغير الماء فهو حرام^(٣) .

قال ابن قتيبة : وقال آخرون : هو خمر حرام كله . وهذا هو القول عندى ، لأن تحريم الخمر نزل وجمهور الناس مختلفة ، وكلها يقع عليها هذا الاسم في ذلك الوقت .

اختلاف الخمر باختلاف البلدان

وذكر أن أبا موسى قال : خمر المدينة من البسر والتمر ، وخمر أهل فارس من العنب ، وخمر أهل اليمن من البتة ، وهو نبيذ العسل . وخمر الحبشة السكر كة وهي من الذرة ، وخمر التمر يقال له : البتة والفضيخ .

٢٠ (١) الموضحة : التي توضع عن العظم . والمنقلة ، بتشديد القاف : التي تنقل العظم ، أي

تكسره . والمأومة : التي تبلغ أم الدماغ حتى يبقى بينها وبين الدماغ جلد رقيق .

(٢) الأشربة ص ٩٥ .

(٣) كتاب الأشربة ٩٨ .

ما يصنع منه الخمر وذَكَرَ أن عمر قال : الخمر من خمسة أشياء : من البر ، والشَّعِير ، والتمر ، والزَّيْب ، والعسل .

والخمر ما خسر العقل . ولأهل اليمن أيضا شرابٌ من الشعير ، يقال له المِزْر .
فزعم هاهنا ابن قتيبة أن هذه الأشربة كلها خمر . وقال : هذا هو القول
وقد تقدّم له في صدر الكتاب أن النبيذ لا يسمّى نبيذاً حتى يشتدّ ويسكر
كثيره ، كما أن عصير العنب لا يسمّى خمرًا حتى يشتدّ^(١) ، وأن صدر هذه الأمة
وأئمة الدين لم يختلفوا في شيء اختلّاهم في النبيذ ، وكيفيته .

ثم قال فيما حكم به بين الفريقين :

أما الذين يذهبون إلى تحريمه كلّهم ولم يفرقوا بين الخمر وبين نبيذ التمر ، وبين
ما طبخ وبين ما نفع ، فإنهم غلّوا في القول جدًّا ، ونَحَلُوا قومًا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم البدريّين ، وقومًا من خيار التابعين ، وأئمة من
السلف المتقدمين شرب الخمر . وزينوا ذلك بأن قالوا : شربوها على التأويل .
وغلّطوا في ذلك ، فاتَّهَمُوا القوم ، ولم يهتموا بنظرهم ، ونَحَلُوا الخطأ ، وبرّءوا
أنفسهم منه .

فعبجت منه ، كيف يعيب هذا المذهب ثم يتقلّده ، ويطعن على قائله ثم
يقول به . إلا أني نظرت في كتابه فرأيتُه قد طال جدًّا ، فأحسبه أنسي في آخره
ما ذهب إليه في أوّله .

والقول الأول من قوله هو المذهب الصحيح الذي تأنس إليه القلوب ،
وتقبّله العقول ، لا قوله الآخر الذي غلط فيه .

٢٠ احتجاج المحرمين لقليل النبيذ وكثيره

ذهبوا أجمعون أن جميع ما أسكر كثيره من الشراب فقليله حرام ،
كتحريم الخمر . وقال بعضهم : بل هو الخمر بعينها ، ولم يفرقوا بين ما طبخ وبين

ما نُقِعَ . وَقَضَوْا عَلَيْهِ كُلُّهُ أَنَّهُ حَرَامٌ . وَذَهَبُوا مِنَ الْأَثَرِ إِلَى حَدِيثِ رِوَاةِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ قَتِيبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ »^(١) . وَحَدِيثِ رِوَاةِ ابْنِ قَتِيبَةَ^(٢) عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ ، عَنْ الْمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ . وَمَا أَسْكِرَ مِنْهُ الْفَرْقُ فَالْخَسُوفُ مِنْهُ حَرَامٌ » .

أشهر مكاييل
العرب

وَالْفَرْقُ^(٣) : سِتَّةُ عَشَرَ رَطْلًا . وَالْعَرَبُ أَرْبَعَةُ مَكَايِيلَ مَشْهُورَةٍ : فَأَصْغَرُهَا الْمُدُّ ، وَهُوَ رِطْلٌ وَثَلَاثُ فِي قَوْلِ الْحِجَازِيِّينَ ، وَرِطْلَانُ فِي قَوْلِ الْعِرَاقِيِّينَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتَضِي بِالْمُدِّ . ١٠

وَالصَّاعُ : أَرْبَعَةُ أُمْدَادٍ ، خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثَلَاثُ ، فِي قَوْلِ الْحِجَازِيِّينَ ، وَثَمَانِيَةُ أَرْطَالٍ فِي قَوْلِ الْعِرَاقِيِّينَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ .

وَالْقِسْطُ وَهُوَ رِطْلَانٌ وَثَلَاثَانُ ، فِي قَوْلِ النَّاسِ جَمِيعًا . وَالْفَرْقُ ، وَهُوَ سِتَّةُ عَشَرَ رَطْلًا ، سِتَّةُ أُنْصَافٍ فِي قَوْلِ النَّاسِ جَمِيعًا .

٤١١
٣

وَذَهَبُوا إِلَى حَدِيثِ رِوَاةِ ابْنِ قَتِيبَةَ^(٤) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كُلُّ شَرَابٍ أَسْكِرَ فَهُوَ حَرَامٌ » ، مَعَ أَشْبَاهٍ لِهَذَا مِنَ الْحَدِيثِ يَطُولُ الْكِتَابُ بِاسْتِقْصَائِهَا ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ أَغْلَظُهَا فِي التَّحْرِيمِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ حِيلَةِ الْمَتَأَوَّلِ .

٢٠ (١) فِي كِتَابِ الْأَشْرِيَةِ ٢٣ : « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » .
(٢) فِي كِتَابِ الْأَشْرِيَةِ ٢٣ .
(٣) يُقَالُ بِالْفَتْحِ وَبِالتَّحْرِيكِ أَيْضًا .
(٤) كِتَابِ الْأَشْرِيَةِ ٢٣ .

قالوا : والشاهد على ذلك من النظر : أن الخمر إنما حُرِّمت لإسكارها وجنابتها على شاربها^(١) ، ولأنها رجس ، كما قال الله .
ثم ذكروا من جنایات الخمر ما قد ذكرناه في صدر كتابنا هذا ، في باب آفات الخمر وجنایاتها .

ثم قالوا : فالعلة التي لها حُرِّمت الخمر من الإسكار ، ومن الصداع والصدء^٥ عن ذكر الله وعن الصلاة ، قائمة بعينها في النبيذ كله المسكر . فسبيله سبيل الخمر ، لا فرق بينهما في الدليل الواضح ، والقياس الصحيح . كما أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الفأرة إذا وقعت في السمن ، إنه إن كان جامداً أُلْقِيََتْ وأُلْقِيَ ما حولها^(٢) ، وإن كان ذائبا أريق السمن . فحملت العلماء الزيت وغيره^(٣) تحمّل السمن ، بالدليل الواضح .

١٠ وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد إلى السمن خاصة بنجس الفأرة ، وإنما سئل عن الفأرة تقع في السمن فأنقته ، ففدّس العلماء الزيت وغيره بالسمن . وكما أمر في الاستنجاء بثلاثة أحجار ، فعلم أهل العلم أنه إنما أراد صلى الله عليه وسلم بثلاثة الأحجار للتنقية من الأذى ، فأجازوا كل ما أنقته من الخزف ، والخرق ، وغير ذلك ، وحملوه محمل ثلاثة الأحجار . ولما حرّمت الخمر لعلة قائمة في النبيذ^{١٥} المسكر حمل النبيذ محمل الخمر في التحريم .

قالوا : ووجدناهم يقولون لمن غلب عليه غثت النفس^(٤) وصداع الرأس من الخمر : مخمور ، وبه تخمار . ويقولون مثل ذلك في شارب النبيذ ، ولا يقولون : منبوذ ، ولا به نباذ . والتخمار مأخوذ من الخمر ، كما يقال : الكبادة في وجع الكبد ، والصدار في وجع الصدر .

٢٠

(١) وجنابتها على شاربها ، ساقطة من ن .

(٢) ن : « يلقى ما حولها » فقط .

(٣) في بعض النسخ : « ونحوه » .

(٤) يقال غثت نفسه ، أى لقست ومالت إلى الشيء . ن : « غلت » وفي غيرها :

« غلب » ، صوابها بالنون والياء .

٢٥

وذهبوا في تحريم النبيذ إلى حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، « أنه نهى عن أن يُنْبَذَ في الدُّبَاءِ والمزَفَّةِ » ، وقالوا : لمن أجاز قليل ما أسكر كثيره : إنه ليس بين شارب المسكر وموافقته السكر حدٌّ يُنْتَهَى إليه ، ولا يُوقَفَ عنده ، ولا يعلم شارب من شاربي المسكر متى يسكر حتى يسكر كما لا يعلم النّاعس متى يرقُدُ حتى يرقُد . وقد يشرب الرجل من الشراب المسكر قدحين وثلاثة أقداح ولا يسكر . ويشرب منه غيره قدحا واحدا فيسكر ، لا ، بل قد يختلف طبعُ الرجل في نفسه ، فيسكر مرةً من القدحين ويشرب مرةً أخرى ثلاثة أقداح فلا يسكر .

رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار في الأنبة

- ١٠ « أمّا بعد فإنّ الناس كان منهم في هذا الشراب المحرّم أمرٌ ساءت فيه رغبة كثير منهم ، حتى سفّه أحلامهم ، وأذهب عقولهم ، فاستحلّ به الدّم الحرام ، والفرج الحرام^(١) ، وإنّ رجلاً منهم ممن يصيب ذلك الشراب يقولون : شربنا طلاءً ، فلا بأس علينا في شربه . ولعمري إنّ فيما قرب مما حرم الله بأساً ، وإنّ في الأشربة التي أحلّ الله : من العسل ، والسويق ، والنبيذ من الزبيب والتمر^(٢) لمدوحة عن الأشربة الحرام ، غير أنّ كلّ ما كان من نبيذ العسل والتمر والزبيب فلا ينبذ إلّا في أسقية الأدم التي لازفت فيها ، ولا يشرب منها ما يسكر^(٣) ؛ فإنه بلغنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن شرب ما جعل في الجرار ، والدُّبَاءِ ، والظُرُوفِ المزفّة . وقال : « كلُّ مُسكرٍ حرام » . فاستغنوا بما أحلّ الله لكم عما حرّم عليكم . وقد أردتُ بالذي نهيتُ عنه من شرب الخمر وما ضارّ الخمر من الطلاء ، وما جعل في الدُّبَاءِ والجرار والظُرُوفِ
- ٢٠

(١) في بعض النسخ : « وفروج الحرائر » .

(٢) الكلام بعده إلى كلمة « والزبيب » ساقط من ن .

(٣) ن : « ما يسكر » .

المزفة ، وكل مسكر — اتَّخَاذُ الْحِجَّةِ عَلَيْكُمْ . فمن يُطِيعُ مِنْكُمْ فهو خيرٌ له . ومن يخالفُ إلى ما نُهي عنه نعاقبه على العلانية ، ويَكْفِنَا اللهُ ما أَسْرَ . فإنه على كلِّ شيءٍ رقيب . ومن استخفى بذلك عَنَّا فإنَّ اللهَ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا .

٤١٢
٣

احتجاج المحللين للنبيذ

- قال المحللون لكلِّ ما أسكر كثيره من النبيذ :
- إنما حرِّمت الخمرُ بعينها خمرُ العنب خاصةً بالكتاب ، وهي معقولة مفهومة ، لا يمتري فيها أحدٌ من المسلمين ، وإنما حرَّمها الله تعيُّدا لا لعلَّة الإسكار كما ذكرتم ، ولا لأنها رجس كما زعمتم . ولو كان ذلك كذلك لما أحلَّها الله للأَنْبياء المتقدمين ، والأمم السالفة ، ولا شربها نوحٌ بعد خروجه من السفينة ، ولا عيسى ليلة رُفِعَ ، ولا شربها أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم في ١٠ صدر الإسلام .

- وأما قولكم : إنها رجس ، فقد صدقتم في اللفظ ، وغلطتم في المعنى ، إذ كنتم أردتم أنها منقنة^(١) ؛ فإن الخمر ليست بمنقنة ولا قدرة ، ولا وصفها أحدٌ بنتن ولا قذر ، وإنما جعلها الله رجسا بالتحريم ، كما جعل الزنا فاحشة ومقننا ، أي معصية وإثما ، بالتحريم ، وإنما هو جماع كجماع النكاح ، وهو عن ١٥ تراضٍ وبذل ، كما أن النكاح عن تراضٍ وبذل . وقد يُبذَل في السفاح ما لا يُبذَل في النكاح ، ولذلك سمَّى الله تبارك وتعالى المحرمات كلها خبائث . فقال تعالى : (ويُحرِّم عليهم الخبائث^(٢)) . وسمى المحللات كلها طيبات ، فقال : (يسألونك ماذا أحلَّ لهم قل أحلَّ لكم الطيبات) ، وسمى كلَّ ما جاوز أمره أو قصر عنه سرقا ، وإن اقتصد فيه . وقد ذكر الخمر فيما امتنَّ به على عباده ٢٠

(١) ن : « بنتن » .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية الآية التالية ساقط من ن .

قبل تحريمها ، فقال تعالى : (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا) . ولو أنها رجسٌ على ما تأوّلتم ما جعلها الله في جنته ، وسماها لذةً للشاربين .

وإن قلتم : إن خمر الجنة ليست كخمر الدنيا ؛ لأن الله نهي عنها عيوب خمر الدنيا ، فقال تعالى : (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ) ، وكذلك قوله في فاكهة الجنة : (لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) ، فني عنها عيوب فواكه الدنيا ؛ لأنها تأتي في وقتٍ وتنقطع في وقت ، ولأنها ممنوعةٌ إلا باليمن ، ولها آفات كثيرة ، وليس في فواكه الجنة آفة . وما سمعنا أحداً وصف الخمر إلا بضدٍّ ما ذكرتم من طيب النسيم ، وذكاء الرائحة .

للاخطل

١٠ قال الأخطل :

كأنما المسكُ نُهي بين أرحلينا وقد تضوّع من ناجودها الجارى^(١)
وقال آخر :

فتنفّست في البيت إذ مرّجت كنتنفس الريحان في الأنفِ
وقال أبو نواس :

لأبي نواس

١٥ نحنُ نخفيها ويأبى طيبُ ريحٍ فتفوح^(٢)

وإنما قوله فيها (رجسٌ) كقوله تعالى : (وأما الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجساً إلى رجسهم) ، أي كفراً إلى كفرهم .

منافع الخمر
وأضرارها

وأما منافعها التي ذكرها الله تعالى في قوله : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإثمها أكبر من نفعها) ، فإنها كثيرةٌ لا تحصى :
٢٠ فمنها أنها تدبّر الدم ، وتقوى المقة^(٣) وتصحى اللون ، وتبعث النشاط ، وتفتح

(١) النهي : اسم ما ينهب . والناجود : أول ما يخرج من الخمر إذا شق منها .
ورواية الديوان ١١٩ واللسان (نجد) : « مما تضوّع » .
(٢) البيت لم يرو في خريات أبي نواس .
(٣) في بعض النسخ : « المدة » .

اللسان ، ما أخذ منها بقدر الحاجة ، ولم يُجاوِز المقدار . فإذا جاوز ذلك عاد نفثها ضرراً .

وقال ابن قتيبة ، في كتاب الأشربة^(١) :

كانت الأوائل^(٢) تقول : الحمر حيوية الروح ، ولذلك اشتق لها اسم من الروح فسميت راحا ، وربما سميت رُوحاً .

تسمية الحمر رُوحاً

وقال إبراهيم النظام :

لإبراهيم النظام

مازلت أخذُ رُوحَ الزَّقِّ في لَطْفٍ وأستبيحُ دماً من غير مذبوح^(٣)
حتى اثبتتُ لى روحاني في جسدِي والزق مطرَحُ جسمٍ بلا رُوح^(٤)
وقد تسمّى دماً لأنها تزيد في الدم . قال مسلم بن الوليد الأنصاري :

٤١٣
٣

نسبة الحمر دماً

مزجنا دماً من كرمة بدمائنا فأظهرَ في الألوان منا الدّمُ^(٥)

١٠

قال ابن قتيبة : وحدثني الرياشي أن عبداً راوية الأعشى قال : سألتُ الأعشى عن قوله :

للأعشى

وسُلافةٍ ممّا تُعَتَّقُ بابلُ كدم الذبيح سلبتها جريالها^(٦)

فقال : « شربتها حراء ، وبلتها بيضاء » . يريد أن حرمتها صارت دماً .

ومن منافع الحمر أنها تزيد في الهمة ، وتولد الجرأة^(٧) ، وتهيج الأنفة ، وتسخّي البخيل ، وتُشجّع الجبان . قال حسان بن ثابت :

من منافع الحمر

ونشربها فتزكّنا ملوكاً وأُسُداً ما ينهنها اللقاء

(١) كتاب الأشربة ٦٦ — ٦٧ .

(٢) في بعض النسخ : « بنو وائل » ، وليس بشيء .

(٣) في بعض النسخ : « روح الدن » . وفي كتاب الأشربة وبعض النسخ : « من غير مجروح » .

(٤) في بعض النسخ : « والدن مطروح » .

(٥) في ديوان مسلم ٨١ طبع ١٩٠٧ وكتاب الأشربة ٦٧ : « خلطنا دماً » .

(٦) الجريال : لون الحمر ، معرب من الرومية .

(٧) في بعض النسخ : « تزيد في القوة وتولد الحرارة » .

- وقال طرفة :
 فاذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كلَّ أُمُونٍ وطِعرٍ^(١)
 ثم راحوا عبق المسك بهم يَلْحَقُونَ الأرضَ هُذَابَ الأَزْرِ
- وقال مسلم بن الوليد :
 قَصَدْتُ بنفس المرء عَمَّا يُعْتَمُ وَتُنْطِقُ بالمعروف ألسنة البُخْلِ^(٢)
- وقال الحسن بن هاني :
 إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همُّهُ من صدره برحيل^(٣)
- ومن تسخيتها للبخیل على البذل قول بعض المحدثين :
 كساني قيصاً مرتين إذا انتشى وينزعه متى إذا كان صاحباً^(٤)
 فلي فرحة في سكره بقميصه وفي الصَّحُورِ وَعات تُشِيبُ النَّواصيا
 فياليت حظي من سروري وترحتي ومن جوده ألا على ولا ليا^(٥)
- قالوا : ولولا أن الله تعالى حرَّم الخمر في كتابه لكانت سيِّدة الأشرية .
 وما ظنُّك بشراب الشربة الثانية منه أطيب من الأولى ، والثالثة أطيب من
 الثانية ، حتى يؤدِّيكَ إلى أرقق الأشياء وهو النوم . وكلُّ شرابٍ سواها
 فالشربة الأولى أطيب من الثانية ، والثانية أطيب من الثالثة حتى تملأ وتكرهه .
- وسقى قومٌ أعرابيا كؤوسا ، ثم قالوا : كيف تجدك ؟ قال أجِدُنِي أبشراً^(٦)
 وأجدُّكم تُحِبُّونَ إلى^(٧) .

(١) الأُمُون : الناقة الوثيقة الخلق التي يؤمن عثارها . والطمر : الجواد المتوثب . وهذه
 الرواية تطابق رواية ديوان طرفة ٦٨ . وفي الأشرية : « كل جواد وطمر » .
 (٢) أي تحمل على الجود . والبيت في ديوان مسلم ٦٤ .
 (٣) ديوان أبي نواس ٣١٠ . (٤) بعض النسخ : « وينزعه عني » .
 (٥) بعض النسخ : « من سروري وفرحتي » . وما أثبتنا من ن يطابق ما في
 الأشرية ٦٩ .
 (٦) بشر يبشر ، كفرح يفرح ، وزنا ومعنى . في بعض النسخ : « أسر » . وفي
 الأشرية ٦٩ : « أشرا » .
 (٧) في بعض النسخ : « تحسنون إلى » .

وقالوا : ما حرم الله شيئاً إلا عوضاً ما هو خير منه أو مثله ، وقد جعل الله
النبيذ عوضاً من الخمر نأخذ منه ما يطيب النفس ، ويصفى اللون ، ويهضم
الطعام ، ولا نبلغ منه إلى ما يذهب العقل ، ويصدع الرأس ، ويفني النفس ،
ويشرك الخمر في آفاتها وعظيم جناياتها .

- ما يسمى خمرًا ٥ قالوا : وأما قولكم : إن الخمر كل ما سُخِّر ، والنبيذ كله يخمَّر ، فهو خمر —
فإن الأسماء قد تشابكت في بعض المعاني ، فتسمى ببعضها لعلها فيها ، وهي في
آخر ولا يطلق ذلك الاسم على الآخر . ألا ترى أن اللبن قد يخمرونه بروبته
تُلقي فيه ولا يسمى خمرًا ، وأن العجين قد يخمَّر فيسمى خمرًا ولا يسمى خمرًا ،
وأن نقيع التمر يسمى مسكرًا لإسكاره ولا يسمى غيره من النبيذ مسكرًا وإن
كان مسكرًا . وهذا أكثر في كلام العرب من أن يحاط به . ١٠

ورائب اللبن يُسكر إسكاراً كسكر النبيذ . ويقال : قوم ملبونون ، وقوم
رَوْبِي ، إذا شربوا الرائب فسكروا منه . وقال بشر بن أبي خازم :

فأما تميمٌ تميمٌ بن مَرٍ فَألقاهم القومُ رَوْبِي نياما

٤١٤
٣

- وأما قولكم ^(١) للرجل : مخمور ، وبه سُخَّر ، إذا أصابه صداعٌ من الخمر ،
وقد يقال مثل ذلك لمن أصابه صداعٌ من النبيذ ، فيقال : به سُخَّر ، ولا يقال
به نُبِذ — فإن حجتنا في ذلك أن السُّخْر إنما يعرض مما أسكر من النبيذ ،
وذلك حرامٌ لا فرق بينه وبين الخمر عندنا ، فيقال فيه ما يقال في الخمر . وإنما
كان شربة النبيذ من أسلافنا يشربون منه اليسير ^(٢) على الغداء والعشاء ،
ومما لا يعرض منه سُخْر .

- وقد فرقت الشعراء بين النبيذ والخمر ، فقال الأقيشر ، وكان مُغرماً بالشراب : ٢٠

تفرقة الشعراء
بين النبيذ والخمر

(١) كتاب الأشرية ٥٨ .

(٢) شربة : جمع شارب ، مثل كاتب وكتبة . في بعض النسخ : « وإنما كان شرب
النبيذ من أسلافنا ما يشربون من اليسير » .

وصهباء جرجانية لم يُطْف بها حنيف^(١) ، ولم تنفربها ساعةٍ قدر^(١)
أتانى بها يحيى ، وقد نمتُ نومةً وقد غارت الشَّعْرَى ، وقد خَفَقَ النَّسْرُ
فقلت : اصْطَبَحْهَا أَوْ لَغَيْرِهَا فَاسْقِهَا فما أنا بعدَ الشَّيْبِ ، ويحك ، والحجر^(٢)
إذا المرءُ وافى الأربعينَ ، ولم يكن له دونَ ما يأتى حياءً ولا مِستَر
فدَعَهُ ، ولا تُنْكَرْ عليه الذى أتى وإن جرَّ أَرْسَانَ الحَيَاةِ له الذَّهْرُ^(٣)
فأعلمك أن الحجر هو الذى لم تغلِ بها القدور .

عيب شراب
النبىذ بقلة الوفاء

وأما قولُ بعض الشعراء فى شارِبِ النبىذ^(٤) ، وما عابوهم به من قلة الوفاء ،
ونقض العهد فقد قالوا أقبح من ذلك فى تارك النبىذ ، وقال ابن بِيض^(٥) :
ألا لا يغرِّبك ذو سجدَةٍ يظلُّ بها دائباً يخدع^(٦)
وما للثقى لَزِمَتْ وجهه ولكن ليأتى مُستودع^(٧)
ثلاثون ألفاً حواها الشُّجُود فليست إلى ربِّها ترجع
وردَّ أخو الكأس ما عنده وما كنت فى ردِّه أطمع^(٨)

(١) نفرت القدر : غلت ، وفعله من باب فتح وفرح . والشعر فى أمالى القالى (٧٨:١)
منسوب إلى أيمن بن خريم بن فائق الأسدى .
(٢) فى كتاب الأشربة وبعض النسخ : « لغيرى فأهدىها » . وفى الأشربة والأمالى :
« ويحك والحجر » .

(٣) هذا البيت ساقط من الأشربة .

(٤) الأشربة ٧٦ — ٧٧ .

(٥) هو حمزة بن بِيض ، بكسر الباء . فى بعض النسخ : « حيس بيس » وفى ن : « ابن
أبيض » ، صوابه ما أثبتنا من كتاب الأشربة ٧٦ والأغانى (١٥ : ١٧) ، وقد روى
أبو الفرج للشعر قصة طريفة .

(٦) روى أبو الفرج أنه كان لابن بِيض صديق من عمال ابن هبيرة ، فاستودع رجلاً
ناسكاً ثلاثين ألف درهم ، واستودع مثلها رجلاً نبذياً ، فأما الناسك فبنى بها داره وتزوج
النساء وأنفقها وجعلها ، وأما النبذى فأدى إليه الأمانة فى ماله ، فقال ابن بِيض فيها
هذا الشعر .

(٧) بين البيتين بيت آخر ، روايته ضرورية لالتئام الكلام . وهو :

كأن يجيئه حليمة يسبح طورا ويسترجع

(٨) البيت ساقط من ن فقط . وفى الأغانى : « وأدى أبو الكأس ما عنده » .

وقال آخر :

أما النبيذ فلا يذعرك شاربُه واحفظ ثيابك ممن يشرب الماء^(١)
قوم يورثون عما في نفوسهم حتى إذا استمكنوا كانوا هم الداء^(٢)
مشمرين إلى أنصاف سرفهم هم الذئب وقد يدعون قراء

وقال أعرابي :

صلى فأعجبني وصام فرابنى نح القلوص عن المصلى الصائم^(٣)

وقال غيره :

شمر ثيابك واستعد لقائل واحكك جيبك للقضاء بشوم^(٤)
وامش الديب إذا مشيت لحاجة حتى تصيب وديعة ليتيم

وقال بعض الظرفاء^(٥) :

أظهروا لله سمتا وعلى المنقوش داروا
وله صلوا وصاموا وله حجوا وزاروا
لو يرى فوق الثريا ولم ريش أطاروا

وهؤلاء المرادون بأعمالهم ، العاملون للناس والتاركون للناس ، هم شرار الخلق وأراذل البرية^(٦) . وقد فضل شربة النبيذ عليهم بإرسال الأنفس على السجية ، وإظهار المروءة . واسنأ نصف بهذا منهم إلا الأدياء ، فليس في الناس صنف إلا ولم حشوة .

تفضيل شربة
النبيذ

ومن احتجاج المحللين للنبيذ ما رواه مالك وأثبتته في موطئه ، من حديث

احتجاج على
النبيذ

(١) الآيات في الأشربة ٧٧ . ن : « فلا يدعوك » .

(٢) في بعض النسخ : « قوم يداوون » ، محرف .

(٣) البيت في الأشربة ٧٧ . وقد ذكر الجاحظ له قصة في البيان (٣ : ١٦٩) .

(٤) البيتان في الأشربة ٧٧ والحيوان (٣ : ٤٦٧) والبيان (٣ : ١٢٥) . وقد سبق

نسبتهما في (٣ : ٢١٦) إلى مساور الوراق .

(٥) عبارة الإلشاد وما بعدها من الشعر ساقط من ن . وهي في الأشربة ٧٧ . وقد

سبق نسبة الشعر في (٣ : ٢١٦) إلى محمود الوراق .

(٦) ن : « وأراذل البرية » .

٥

١٠

١٥

٤١٥
٣

٢٠

٢٥

أبي سعيد الخدري : أنه قديم من سفرٍ قُدِّمَ إليه لحمٌ من لحوم الأضاحي ، فقال : ألم يكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمر . فخرَّج إلى الناس فسألهم ، فأخبروه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام ، فكلوا وادَّخروا وتصدَّقوا . وكنت نهيتكم عن الانتباز في الدِّبَّاء والمزقة ، فانتبذوا ، وكلُّ مسكرٍ حرام . وكنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ولا تقولوا هُجْراً » .

والحديثان صحيحان رواهما مالك بن أنس وأثبتهما في موطئه ، وإنما هو ناسخٌ ومنسوخ ، وإنما كان نهيه أن ينتبذ في الدِّبَّاء والمزقة نهياً عن التَّبَيُّد الشديد ؛ لأنَّ الأُشربة التي تُعْمَل فيها تشد . ولا معنى للدِّبَّاء والمزقة غيرُ هذا . وقوله بعد هذا : « كنت نهيتكم عن الانتباز فانتبذوا ، وكلُّ مسكرٍ حرام » ، إباحةٌ لما كان حَظَر عليه من التَّبَيُّد الشديد .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ مسكرٍ حرام » ففهم بذلك أن يشربوا حتى يسكروا . وإنما المسكر ما أسكر ، ولا يستي القليل الذي لا يسكر مُسكراً . ولو كان ما يُسكر كثيراً يسمى قليلاً مُسكراً ما أباح لنا منه شيئاً . والدليل على ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم إذ شرب من سِقاية العباس ، فوجده شديداً ، قطب بين حاجبيه ، ثم دعا بذنوبٍ من ماء زمزم فصبَّ عليه ، ثم قال : « إذا اغتسلت أشربتم قاء كسروها بالماء ^(١) » . ولو كان حراماً لأراقه وما صب عليه ماء ثم شربه .

واحتجوا ^(٢) : في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام ^(٣) »

٢٠ (١) اغتسلت : جاوزت حدما الذي لا يسكر إلى حدما الذي يسكر . بهذا فسر الحديث في اللسان (غلم) . ن : « عملتم أشربتم » . وفي كتاب الأُشربة ٤٧ : « انظروا هذه الأُشربة ، إذا اغتسلت عليكم فاقطعوا متونها بالماء » .

(٢) في بعض النسخ : « وقالوا » .

(٣) في بعض النسخ : « كل خمٍ مسكر » .

وما أسكر الفرق منه^(١) فإلء الكف حرام ، فإن هذا كله منسوخ ، نسخته شربه للصلاب يوم حجة الوداع^(٢) .

قالوا : ومن الدليل على ذلك أنه كان نهى وفد عبد القيس عن شرب المسكر ، ثم وفدوا إليه بعد ، فرآهم مصفرةً ألوانهم ، سيئة حالهم ، فسألهم عن قصتهم فأعلموه أنه كان لهم شراب فيه قوام أبدانهم فمنعهم من ذلك ، فأذن لهم في شربه . وأن ابن مسعود قال : « شهدنا التحريم وشهدتم ، وشهدنا التحليل وغيبتم » . وأنه كان يشرب الصلب من نبيذ الجر^(٣) حتى كثرت الروايات به عنه وشهرت وأذيعت ، واتبعه عليه عامة التابعين من الكوفيين ، وجعلوه أعظم حججهم ، وقال في ذلك شاعرهم :

١٠ من ذا يحرم ماء المزن خالطه في جوف خابية ماء العناقيد
إني لأكره تشديد الرواة لنا فيه ، ويعجبني قول ابن مسعود

وإنما أراد : أنهم كانوا يعيدون إلى الرثب الذي قد ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ، فيردون عليه من الماء قدر ما ذهب منه ، ثم يتركونه حتى يغلى ويسكن جاشه ثم يشربونه . وكان عمر يشرب على طعامه الصلب ، ويقول : يقطع هذا اللحم في بطوننا .

١٥ واحتجوا بحديث زيد بن أنحزم ، عن أبي داود ، عن شعبة ، عن مسعر ابن كدام ، عن ابن عون الثقفي ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس ، أنه قال : « حرمت الخمر بعينها ، والسكر من كل شراب » .

وبحديث رواه عبد الرحمن بن سليمان^(٤) ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن

(١) الفرق ، بالفتح وبالتحريك مكيال ضخم ، قيل يكون فيه ستة عشر رطلا .

(٢) كتاب الأشربة ٤٨ . والمراد بالصلب الذي قد اشتد . انظر ما سيأتي من حديث زيد بن علي .

(٣) الجر : جمع جرة . وفي بعض النسخ : « تبيذ التمر » وما أمكننا من أن يطابق ما في الأشربة ٤٨ .

(٤) وكذا في الأشربة ٤٦ . وفي بعض النسخ : « عبد الرحيم بن سليمان » .

شربه صلى الله
عليه وسلم من
نبيذ السقاية

عكرمة عن ابن عباس : « أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف وهو شاكٍ على بعير ،
ومعه محجن ، كلما سراً بالحجر استلمه بالمحجن ، حتى إذا انقضى طوافه نزل فصلى
ركعتين ، ثم أتى السقاية^(١) فقال : « اسقوني من هذا » . فقال له العباس : ألا
نسقيك مما يصنع في البيوت ؟ قال : « لا ، ولكن اسقوني مما يشرب الناس » .
فأتى بقدح من نبيذ ، فذاقه فقطب ، وقال : « هلموا فصيخوا فيه الماء » . ثم
قال : « زد فيه » مرة ، أو مرتين ، أو ثلاثاً . ثم قال : « إذا صنع بكم هذا
فاصنعوا به هكذا » .

٤١٦
٣

٥

وبحديث رواه يحيى بن اليمان ، عن الثوري ، عن منصور بن خالد ، عن
سعيد بن مسعود الأنصاري : أن النبي صلى الله عليه وسلم عطش وهو يطوف
بالبيت ، فأتى بنبيذ من السقاية فشمه فقطب ، ثم دعا بذنوب من ماء
زمزم فصب عليه وشرب ، فقال له رجل : « أحرأ هو يا رسول الله ؟
فقال : « لا » .

١٠

وقال الشعبي : شرب أعرابي من إداوة عمر ، فانتشى ، فخذ عمر . وإنما
حذره للسكر لا للشراب .

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يشربون ويوقدون في
الأخصاص^(٢) ، فقال : « نهيتكم عن معاقرة الشراب فعاقرتم ، وعن الإيقاد في
الأخصاص فأوقدتم » . وهم بتأديبهم ، فقالوا : مهلاً يا أمير المؤمنين ، نهاك الله
عن التجشس فتجسس ، ونهاك عن الدخول بغير إذن فدخلت فقال : هاتان
بهاتين . وانصرف ، وهو يقول : « كل الناس أفتة منك يا عمر » .

١٥

عمر والشراب

وإنما نهام عن المعاقرة وعن إدمان الشراب حتى يسكروا ، ولم ينههم
عن الشراب .

٢٠

(١) السقاية : هي ما كانت قريش تسميه الحجاج من الزبيب المتبوع في الماء .

(٢) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، وهو بيت من قصب . وانظر الأشرية ٥٠ .

وأصل المعاقرة من عُقِرَ الحوض ، وهو مقام الشَّارِبَةِ .
ولو كان عنده ما شربوا خمرًا لخدم .

وبلغه عن عامل له بِمَيْسَانَ^(١) أنه قال :

أَلَا أبلغُ الحسَاءَ أَنَّ حليها بِمَيْسَانَ يُسْقَى في زُجَاجٍ وَحَنَمٍ^(٢)
إِذَا شئتُ غَنَّتِي دهاقينُ قَرِيَةٍ وَصَنَاجَةٌ تَجْدُو على كُلِّ مَنْسِمٍ^(٣) .
فَإِنْ كُنتَ نَدْمَانِي فَبالْأَكْبَرِ اسقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُتَشَلِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُووُهُ . تَنَادُمْنَا في الْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ
فَقَالَ : إِي وَاللَّهِ ، إِنَّهُ لَيَسُووُنِي ذَلِكَ . فَمَزَلَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا عَمِلَ لِي عَمَلًا أَبَدًا .

وإنما أنكر عليه الأدم ، وشربه بالكبير ، والصَّنَجُ والرقص ، وشُغْلُهُ بِاللَّهِوِ
عما فَوَضَّ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الرِّعْيَةِ . ولو كان ما شرب عنده خمرًا لخدمه . ١٠

حدث محمد بن داود ، عن سعيد بن نصير ، عن يسار^(٤) ، عن جعفر قال :
سمعت مالك بن دينار ، وسئل عن النبيذ ، أحرام هو ؟ فقال : انظر ثمن التمر ،
من أين هو ، ولا تسئل عن النبيذ أحلال هو أم حرام ؟

قول مالك بن
دينار في النبيذ

وعُوتِبَ سعيد بن زيد^(٥) في النبيذ ، فقال : أما أنا فلا أدعه حتى يكون
شراً عملي . ١٥

قول سعيد بن
زيد

وقيل لمحمد بن واسع^(٦) : أنشربُ النبيذ ؟ قال : نعم . فقيل : وكيف
تشربه ؟ فقال : على قَدَائِي وَعَشَائِي ، وعند ظمئِي . قيل : فما تركت منه ؟ قال :
التُّكَاةَ ومحادثة الإخوان .

قول محمد بن واسع

(١) هو النعمان بن نضلة العدوي ، كما في اللسان (جذا) . والخبر في الأشربة ٥٠ .
(٢) في اللسان : « فن مبلغ الحساء » . ن : « في إزاء وحتم » . اللسان : « في قلال » . ٢٠
(٣) تجدو : تقف على أطراف أصابعها . في الأصل : « تشدو على كل ميسم » ، صوابه
من اللسان والأشربة .
(٤) ن : « سعيد بن يزيد » . وفي الأشربة ٥١ : « شعيب بن يزيد » .
(٥) في الأشربة ٥١ : « من ميسان » .
(٦) الأشربة ٥٢ .

وقال المأمون : « اشرب النبيذ ما استبشعته ، فإذا سهّل عليك فدعه ^(١) » . قول المأمون وإنما أراد به أنه يسهل على شاربِه إذا أخذ في الإسكار .

وقيل لسعيد بن أسلم : أتشرب النبيذ ؟ فقال : لا . قيل : ولم ؟ قال : تركتُ كثيرَه لله ، وقليله للناس . قول سعيد بن أسلم

وكان سفيانُ الثوريُّ يشرب النبيذ الصُّلب الذي تحمرُّ منه وجنتاه . شرب الثوري للنبيذ

واحتجُّوا من جهة النظر أن الأشياء كلها مباحةٌ إلا ما حرَّم الله . قالوا : فلا تُزيل نفسَ الحلال بالاختلاف ، ولو كان المحللون ^(٢) فرقة من الناس ، فكيف وهم أكثر الفرق ؟ وأهل الكوفة أجمعون ^(٣) على التحليل ، لا يختلفون فيه . وتلوا قول الله عز وجل : (قل أرايتم ما أنزلَ الله لكم من رزقٍ فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل الله أذن لكم أم على الله تفتنون) . ١٠

حدث إسحاق بن راهويه قال : سمعت وكيعاً يقول : « النبيذ أحلُّ من الماء » . قول وكيع في النبيذ

وعابه بعضُ الناس في ذلك ، وقالوا : كيف يكون أحلُّ من الماء ؟ وهو وإن كان حلالاً فهو بمنزلة الماء . وليس على وكيع في هذا الموضع عيب ، ولا يرجع عليه فيه كذب ، لأنَّ كلمته خرجت مخرجَ كلام العرب في مُباغتهم ، كما يقولون : « هو أشهر من الصباح » ، و « أسرع من البرق » ، و « أبعد من النجم » ، و « أحلى من العسل » ، و « أحرُّ من النار » . ولم يكن أحدٌ من الكوفيين يحرم النبيذَ غير عبد الله بن إدريس . وكان بذلك معيباً ^(٤) . ١٥

وقيل لابن إدريس ^(٥) : من خيار أهل الكوفة ؟ فقال : هؤلاء الذين قول ابن إدريس

(١) في الأشربة ٥٢ : « فإذا سهّل فاتركه » . ٢٠

(٢) ن : « المختلفون » . وما أثبتنا من سائر النسخ مطابق للأشربة ٥٣ .

(٣) في الأشربة : « جميعاً » . وفي بعض النسخ : « أجمعوا » .

(٤) الأشربة ٥٤ . (٥) الأشربة ٥٣ .

يشربون النبيذ . قيل : وكيف وهم يشربون ما يحرم عندك ؟ قال : ذلك مبلغهم من العلم .

وكان ابن المبارك يكره شرب النبيذ ، ويخالف فيه رأى المشايخ وأهل البصرة .

كره ابن المبارك
لشرب النبيذ

قال أبو بكر بن عيَّاش : من أين جئت بهذا القول في كراهيتك النبيذ ، ومخالفتك أهل بلدك ؟ قال : هو شئ . اخترته لنفسى . قلت : فتعيب من شربه ؟ قال : لا . قلت : فأنت وما اخترت .

وكان عبد الله بن داود يقول : ما هو عندى وماء الفرات إلا سواء . وكان يقول : أكره إدارة القدح ، وأكره نقيع الزبيب ، وأكره المعتق . وقال : من أدار القدح لم تميز شهادته .

قول عبد الله بن
داود

وشهد رجلٌ عند سوارٍ القاضى ، فردَّ شهادته لأنه كان يشرب النبيذ . فقال :

رد سوار القاضى
لشارب النبيذ

أما النبيذُ فإني غيرُ تاركه ولا شهادة لي ما عاش سوار^(١)

حدثت شبابة قال : حدثني غسان بن أبي الصباح السكوني ، عن أبي سلمة يحيى بن دينار ، عن أبي المطهر الوراق قال : بينما زيد بن عليٍّ في بعض أزقة الكوفة إذ بصر به رجلٌ من الشيعة ، فدعاه إلى منزله ، فأحضره طعاماً ، فقامت به الشيعة ، فدخلوا عليه حتى غصَّ المجلس بهم ، فأكلوا معه ، ثم استسقى ، فقيل له : أى الشراب نسقيك يا ابن رسول الله ؟ قال : أصلبه أو أشدّه . فأتوه بعُسٍّ من نبيذ فشرب ، ودار العسُّ عليهم فشربوا . ثم قالوا : يا ابن رسول الله لو حدَّثتنا في هذا النبيذ بحديثٍ رويته عن أبيك عن جدك ، فإن العلماء يختلفون فيه ؟ قال : نعم ، حدثني أبي عن جدِّي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لتركبن طبقةَ بنى إسرائيلَ حَذْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ، وَالنَّعْلَ بِالنَّعْلِ »^(٢) . ألا وإن الله

شرب زيد بن
على للنبيذ

(١) ن : « عند ابن سوار » ، والقصة تقتضى ما أثبتنا من سائر النسخ . وكان سوار قاضياً هو وولده عبد الله ، وحفيده سوار بن عبد الله ، كما في تهذيب التهذيب .
(٢) القدّة : واحدة القذذ ، وهي ريش السهم . والخبر في الأشربة ٥٦ .

ابتلى بنى إسرائيل بنهر طالوت ، أحلّ منه الغرة والغرفتين ، وحرّم منه الرّى ،
وقد ابتلاكم بهذا النّبيذ ، أحلّ منه القليل وحرّم منه الكثير .

تسمية النّبيذ
نهر طالوت

وكان أهل الكوفة يسمّون النّبيذ « نهر طالوت » . وقال فيه شاعرهم :
اشربْ على طربٍ من نهر طالوتِ حمراء صافيةً فى لون ياقوتِ
من كفّ ساحرة العينين شاطرةً تُرى على سحر هاروتِ وماروتِ
لها تماوت الحاظِ إذا نظرت فنار قلبك من تلك التّماوتِ

٥

قصة الحارث بن كلّدة طبيب العرب

مع كسرى أنوشروان الفارسى

حكى الفرغانى عن بعض رجاله قال :

- ١٠ وفدَ على كسرى ملك الفرس الحارث بن كلّدة طبيب العرب ، فأذن له
بالدّخول ، فمثّل بين يديه^(١) فقال له كسرى : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الحارث
ابن كلّدة . قال : أعرا بى أنت ؟ قال : نعم من صميمها . قال : فما صناعتك ؟ قال :
طبيب . قال : فما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وقلة قَبُولها ،
وسوء غِذائها ؟ فقال : ذلك أجدرُ أيّها الملك ، إذ كانت بهذه الصّفة ، أن تحتاج
إلى من يصلح جهلها ، ويقيم عِوَجها ، ويسوس أبدانها ، ويعدّل أمشاجها^(٢) .
١٥ قال الملك : كيف لها أن تعرف ما زوّره عليها ، لو عرفت الحقّ لم تُنسب إلى الجهل .
قال الحارث : أيها الملك ، إن الله جلّ اسمه قسم العقول بين العباد كما قسم الأرزاق ،
وأخذ القوم نصيبهم ، فقيهم ما فى الناس من جاهلٍ وعالم ، وعاجزٍ وحازم .
٤١٨
٣ قال الملك : فما الذى يُحمّد من أخلاقهم ، ويُحفظ من مذاهبهم ؟ قال الحارث :
٢٠ لهم أنفُسٌ سخيةٌ ، وقلوبٌ جريئةٌ ، وعقولٌ صحيحةٌ مرضيّةٌ ، وأحسابٌ نقيّةٌ ،
يمرّق السّكّام من أنفواهم مروق السّهم العائر^(٣) ، ألين من الماء ، وأعذب من

(١) فى بعض النسخ : « فانتصب بين يديه » .

(٢) الأمشاج : أخلاط البدن ، من المرة الصفراء ، والمرة السوداء ، والدم ، والبلغم .

(٣) نيا عدان : « السهم من الوتر » . والعائر من السهم : الذى لا يدري من رماه .

المهواء ، يُطعمون الطعام ، ويَضربون الهام ، وعزَّهم لا يُرام ، وجارهم لا يُضام ، ولا يُروَّع إذا نام ، لا يُقرَّون بفضل أحدٍ من الأنام ، ما خلا الملك الهام ، الذي لا يقاس به أحدٌ من الأنام .

- قال : فاستوى كسرى جالساً ، ثم التفت إلى من حوله ؛ فقال : أطرى قومه ، فلولاً أن تداركه عقله لدم قومه^(١) ، على أنى أراه راجحاً^(٢) . ثم أذن له بالجلوس .
- فقال : كيف بصرُّك بالطِّب ؟ قال : ناهيك . قال : فما أصل الطب ؟ قال : ضبط الشفتين ، والرفق باليدين . قال : أصبت الدواء ، فما الداء ؟ قال : إدخال الطَّعام على الطعام ، هو الذى أفنى البرية ، وقتل السباع فى البرية . قال : أصبت . ثم قال : فما الجرة التى تلتهب منها الأدوية ؟ قال : هى التَّخمة ، إن بقيت فى الجوف قتلت ، وإن تحللت أسقمت . قال : فما تقول فى الحجامة ؟
- قال : فى نقصان الهلال ، فى يومٍ محوٍ لا غيم فيه ، والنفس طيبة ، والسرور حاضر . قال : فما تقول فى الحتام ؟ قال : لا تدخل الحمام شبعان ، ولا تغشَّ أهلك سكران ، ولا تم بالليل عُريان ، وارفق بجسمك يكن أرجى لنسلك^(٣) .
- قال : فما تقول فى شرب الدواء ؟ قال : اجتنب الدواء ما لزمتك الضحة ، دعه فإذا أحسست بحركة الدواء فاحبسْه بما يردعه من الدواء ؛ فإنَّ البدن بمنزلة الأرض ، إن أصلحتها عمَّرت ، وإن أفسدها خربت . قال : فما تقول فى الشراب ؟ قال : أطيبه أهنا ، وأرقه أسراه ، ولا تشرب صرفاً يورثك صداعاً^(٤) ويثر عليك من الداء أنواعاً^(٥) . قال : فأى اللحمان أحمد ؟ قال : الضأن الفقي وأدسمه أسروء ، واجتنب أكل القديد المالح ، من الجزور ، والبقر . قال : فما تقول فى الفاكهة ؟ قال : كُلها فى إقبال دولتها ، وحين أوانها ، واركها إذا أدبرت .

(١) ن : « ولولا أن تدارك عقله لدم يومه » .

(٢) فى بعض النسخ : « ذا صمى » .

(٣) بدله فى ن : « وارفق بعينك آمناً لميلك » .

(٤) ن : « ولا تشرب صرفاً فيؤذيك » .

(٥) ن : « وينتشر عليك من الداء أنواعه » .

وتولت وانتفى زمانها . وأفضل الفاكهة الرمان والأترج ، وأفضل البقول الهندبا
والخس ، وأفضل الرياحين الورد والبنفسج . قال : فما تقول في شرب الماء ؟ قال :
هو حياة البدن ، وبه قوته ، وينفع ما شرب منه بقدر ، وشربه بعد النوم
ضرر ، وأفضل المياه مياه الأنهار العظام ، أبرد وأصفاء . قال : فما طعمه ؟ قال :
شيء لا يوصف ، مشتق من الحياة . قال : فما لونه ؟ قال : اشتبه على الأبصار
لونه ، يحكى لون كل شيء يكون فيه . قال : فأخبرني عن أصل الإنسان ما هو ؟
قال : أصله من حيث يشرب الماء . يعنى رأسه .

قال : فما هذا النور الذى تبصر به الأشياء ؟ قال : العين مركبة من أشياء ،
فالبياض شحمة ، والسواد ماء ^(١) .

قال : فعلى كم طبع هذا البدن ؟ قال : على أربع طبائع : على المرة السوداء ،
وهى باردة يابسة ؛ والمرة الصفراء ، وهى حارة يابسة ؛ والدم ، وهو حار رطب ؛
والبلغم ، وهو بارد رطب . قال : فلم لم يكن من طبع واحد ؟ قال : لو خلق
من شيء واحد لم ينحل ولم يمرض ولم يموت . قال : فمن طبيعين ما حال الاقتصار
عليهما ؟ قال : لو اقتصر عليهما لم يجز ؛ لأنهما ضدان يقتتلان ، ولذلك لم يجز
من ثلاثة : موافقان ومخالف . قال : فأجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة .
قال : كل حار حار ، وكل حامض بارد ، وكل حريف حار ، وكل ممر
معتدل ، وفى الممر حار وبارد . قال : فما أفضل ما عولج به المرة السوداء ؟ قال :
بكل حار لين . قال : فالرياح ؟ قال : الحن اللينة والأدهان الحارة اللينة . قال :
أناس بالحن ؟ قال : نعم ، قرأت فى بعض الكتب : أن الحقة تنقى الجوف ،
وتكسح الأدواء عنه ، ومجبا لمن احتقن كيف يهرم أو يعلّم الولد ، وإن الجاهل
كل الجاهل من أكل ما قد عرف مضرته ، فيؤثر شهوته على راحة بدنه . قال :

٤١٩
٣

(١) فى بعض النسخ : « مائع » .

فما الحتمية ؟ قال : الاقتصاد في كل شيء ؛ فإنه إذا أكل فوق المقدار ضيق على الروح ساعته ^(١) .

قال : فما تقول في إتيان النساء ؟ قال : كثرة غشيانهن ردىء ، وإتيان المرأة المولية ^(٢) فإنها كالشن البالى ، تُسقم بدنك ، وتجذب قوتك ، ماؤها سُمٌّ قاتل ، ونفسها موت عاجل ، تأخذ منك ولا تعطيك . عليك إتيان الشباب ، فإن الشابة ملؤها عذب زلال ^(٣) ، ومعانقتها غُفج ودلال ، فوها بارد ، وريحها طيب ، وريحها حرج ^(٤) ، تزيدك قوة ونشاطا . قال : فأى النساء القلب لها أبسط ، والعين برؤيتها آنس وأقصد ؟ قال : إن أصبحت مديدة القامة ، عظيمة الهامة ، واسعة الجبين ، عريضة الصدر ، مليحة النحر ، ناهدة الثديين ، لطيفة الخصر والقدمين ، بيضاء فرعاء ، جمدة غضة ، حسنة الثغر ، تخالها في الظلمة بدرا زاهراً ^(٥) ، تبسم عن أقحوان باهر ، وإن تكشفت تكشفت عن بيضة مكنونة ، وإن تعانق تعانق ما هو ألين من الزبد ، وأحلى من الشهد ، وأعذب من القند ^(٦) ، وأبرد من الفردوس وأخلد ، وأذكى ريحاً من الياسمين والورد .

قال : فاستضعك كسرى حتى اختلجت كفافه ، قال : فأى الأوقات أفضل ؟ قال : عند إدبار الليل يكون الجوف أخلى ، والنفس أشهى ، والرحم أدفا . قال : فأى الأوقات الذُّ وأطرب ؟ قال : نهراً ، يزيدك النظر انتشاراً . قال كسرى : لله درك من أعرابي ، لقد أعطيت علماً ، وخُصِصت بهطنة وفهم . ثم أمر له بجائزة وكسَى ، وقضى حوائجه ^(٧) .

(١) كلمة « ساعته » ساقطة من ن . والروح يذكر ويؤنث .

(٢) المولية : التي قد أدبر شبابها .

(٣) ن : « فإنما ماء الشابة عذب زلال » .

(٤) الحرج ، بالتحريك ويفتح فكسر : الضيق .

(٥) ن : « نورا باهرا » . (٦) القند : عمل قصب السكر إذا جدد .

(٧) بعده في بعض النسخ : « وجدت في بعض النسخ زيادة فأوردتها ، وهي » .

خير ابن أبي
الحواري

وحضر ابن أبي الحواري^(١) بالشام — وكان معروفاً بالزقاق والزهد —
مائدة صالح العباسي ، مع فقهاء البلد ، فحدثني البحتري بن عبادة^(٢) ، وكان ممن
حضر المجلس : أنه بعث إليه بقدر نبيذ^(٣) فشربه ، ثم بعث إليه بثان فامتنع
من شربه ، فأخذه الناس بالسنتهم ، وقالوا : شربت المسكر على أعين هؤلاء^(٤)
وصرت لهم حجة . قال : أحسبكم أردتم أن أكون ممن قال الله تعالى فيه^(٥)
(يَسْتَخَفُّونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخَفُّونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ) ، فكيف كنت أدعاه
لكم وأشربه بعين الله .

بين قاض
وشارب نبيذ

وقال بعض القضاة لرجل كان يعدله : بلغني أنك تشرب المسكر . فقال :
ما أشرب المسكر ، ولكنني أشرّب النبيذ الصلب .

١٠. فأين هؤلاء في ترك الرّياء والتصنع من رجل سُرقت نعلُهُ فلم يشتَرِ نعلًا
حتى مات ، فعُوتِبَ في ذلك فقال : أخشى أن أشتري نعلًا فيسرقها أحدٌ فيأثم .
وآخر لما نظر إلى أهل عرفات قال : ما أظنُّ الله إلا وقد غفر لهم ، لولا
أنّي كنتُ فيهم .

وآخر أمر له عمر بن الخطاب بكيس ، فقال : آخذُ الكيسَ والخيط ؟
١٥ فقال له عمر : دع الكيس .

ورجل سأل ابن المبارك فقال : إني قاسمت إخوتي ، وبيننا مُبرَز غير مقسوم ،
وفي بطر^(٦) ، أفترى لي أن أدخله أكثر مما يدخله شركائي ؟

(١) هو أحمد بن أبي الحواري ، كما في القاموس . وضبطه كسكاري وسماني . واسم أبي
الحواري ميمون ، كما في صفة الصفوة (٢١٢: ٤) . وكان هو وأبوه من أهل الورع والزهد .
٢٠ والخبر في كتاب الأشربة ٨٤ — ٨٥ .

(٢) في بعض النسخ : « البحتري عن عبادة » . وفي ن : « البحتري بن عبادة »
ولعل صوابه « البحتري أبو عبادة » ، وهي كنية الشاعر المعروف الوليد بن عبيد البحتري .
(٣) الكلام بعده إلى « من شربه » ساقط من ن .

(٤) في كتاب الأشربة : « على أخاوين هؤلاء » . والأخاوين : جمع إخوان ، وهو
٢٥ لغة في الإخوان الذي يؤكل عليه .

(٥) في بعض النسخ : « فيهم » .
(٦) البطر : النشاط . وبدله في بعض النسخ : « إني قاسمت إخوتي مقسما في بطن » .

وآخر قال : أنطرت البارحة على رغيف زيتونة ونصف ، أو زيتونة وثلاث ، أو زيتونة ورُبْع ، أو ما علم الله من زيتونة أخرى . فقال له بعض من حضر المجلس : يافتي ، إنه بلغنا أن من الورع ما يُبغضه الله ، وأحسبه ورعك هذا^(١) .

الأعمش قال : أتاني عبد الله بن سعد^(٢) فقال لي : ألا تعجب ؟ جاءني رجل فقال : دُلّني على شيء إذا أكلته أمرضني ، فقد استبطأت العلة ، وأحببت أن أعتل فأوجر . فقلت له : سئل الله العافية ، واستديم النعمة ؛ فإن من شكر على النعمة كمن صبر على البلية . فألح عليّ فقلت له : كُل السمك ، واشرب نبيذ الزبيب ، ونم في الشمس ، واستمرض الله يمرضك إن شاء الله !

بين عبد الله بن سعد ورجل يطلب المرض

هارون بن داود قال^(٣) : شرب رجل عند خمار نصراني ، فأصبح ميتا ، فاجتمع عليه الناس ، وقالوا للخمار : أنت قتلته . قال : لا والله ، ولكن قتله استعماله قوله :

تهمة خمار نصراني

* وأخرى تداويت منها بها^(٤) *

(١) انظر الخبر بصورة مفصلة في الحيوان (٣ : ٤٣ — ٤٤) .

(٢) هذا ما في ن . وفي سائر النسخ : « عبد الله بن مسعود بن أبي بكر » .

١٥

(٣) الخبر ساقط من ن .

(٤) البيت لأبي نواس ، كما في الحيوان (٧ : ١٦٤) . وصدّره :

* وكأس شربت على لذة *

كتاب اللؤلؤة الثانية

في الفكاهات والملح

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، رحمه الله :

قد مضى قولنا في الطعام والشراب وما يتولد منهما ، ويُنسب إليهما .
ونحن قائلون بما ألقناه في كتابنا هذا ، من الفكاهات والملح التي هي نزهة
النفس ، ووربيع القلب ، ومرتع السمع ، وتجلب الراحة ، ومعدن السرور .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن
القلوب إذا كَلَّت عَمِيَتْ » .
لرسول الكريم
في الترويح عن
النفس

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : أجموا هذه القلوب ، والتمسوا
لها طرْفَ الحكمة ، فإنها تملُّ كما تملُّ الأبدان . والنفس مؤثرة للهوى ، آخذة
بالمهويني ، جاذبة إلى الآهوى ، أمارة بالسوء ، مستوطنة للعجز ، طالبة للراحة ،
نافرة عن العمل ، فإن أكرهتها أنضيتها^(١) ، وإن أهملتها أرديتها .

ودخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه عمر ، وهو ينام نومة الضحى ،
فقال : يا أبت ، أئنم وأصحابُ الحوائج راكدون ببابك ؟ قال : يا بني ، إن
نفسى مطيئى ، فإن أنضيتها^(١) قطعتها ، ومن قطع المطى لم يبلغ الغاية .
لعمر بن
عبد العزيز

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه .
وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خيرَ فيمن لا يطرب » .

وقال : « كلُّ كريمٍ طروب » .

وقال هشام بن عبد الملك : أكلت الحلو والحامض حتى ما أجِدُ لواحدٍ
كلمة لهشام

(١) الإنضاء : الإبلاء والإخلاق . ن : « أنضيتها » ، أى أتعبتها .

منهما طعما ، وشممت الطيب حتى ما أجده رائحة ، وأتيت النساء حتى ما أبالي امرأة أتيت أم حائطا ، ما وجدت شيئا ألد إلى من جليس تسقط بيني وبينه مؤونة التحفظ .

وقيل لعمر بن العاصي : ما ألد الأشياء ؟ قال : ليخرج من هاهنا من الأحداث . فخرجوا ، فقال : ألد الأشياء إسقاط المروءة .

وقيل لمسلمة بن عبد الملك : ما ألد الأشياء ؟ فقال : هتك الحياء ، واتباع الهوى .

وهذه المنزلة من إهمال النفس ^(١) وهتك الحياء قبيحة ، كما أن المنزلة الأخرى من الغلو في الدين ، والتعسف في الهيئة قبيحة أيضا ، وإنما الحمد في الوسط ، وأن يكون لهذا موضعه وهذا موضعه .

وقال مطرف بن عبد الله لولده : « يا بني إن الحسنه بين السيئتين ، — يريد بين المجاوزة والتقصير — وخير الأمور أوساؤها ، وشر السيير الحققة ^(٢) . »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت ^(٣) لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى . »

وفي بعض الكتب المترجمة : إن يُحَنَّا وشمعون ، كانا من الحواريين ، وكان يُحَنَّا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك من حوله ، وكان شمعون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله ، فقال شمعون ليحنا : ما أكثر ضحكك ، كأنك قد فرغت من عملك ؟ فقال له ليحنا : ما أكثر بكاءك ، كأنك قد يئست من ربك ؟ فأوحى الله إلى المسيح : أن أحب السيرتين إلى سيرة يحنا .

وفي بعض الكتب أيضا أن عيسى بن مريم لقي يحيى بن زكريا فتبسم .

(١) إهمال النفس ، هو من قولهم أهمل الإبل ، أي تركها ترعى ليلا بلا راع .

(٢) الحققة : شدة السير ، وانظر الخبر مفصلا في اللسان (حقق) .

(٣) المنبت : الذي أنعب دابته حتى عطبت وانقطع بذلك عن مواصلة السير .

لعمر بن العاصي

لمسلمة بن عبد الملك

مدح التوسط في الأمور

يحننا وشمعون

خبر عيسى بن مريم ويحيى عليهما السلام

إليه يحيى ، فقال له عيسى : إِنَّكَ لَتَبْسِمُ تَبْسِمَ آمِنٍ ! فقال له يحيى : إِنَّكَ لَتَعْبِسُ عُبُوسَ قَانِطٍ ! فأوحى الله إلى عيسى : « إِنَّ الَّذِي يَفْعَلُ يُحْيِي أَحَبُّ إِلَى » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم دخل نعيمان^(١) الجنة ضاحكا ، لأنه كان يَضْحِكُنِي . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه وهو أرمد ، فوجده وهو يأكل تمرًا ، فقال له : أنا كل تمرًا وأنت أرمد ؟ فقال : إنما آكل من الجانب الآخر . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه .

وكانت سويداء لبعض الأنصار تختلف إلى عائشة ، فتلعب بين يديها وتضحكها ، وربما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة فيجدوها عندها فيضحكان جميعاً ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم فقدها ، فقال : يا عائشة ، ما فعلت السويداء ؟ قالت له : إنها مريضة . فجاءها النبي صلى الله عليه وسلم يعودها ، فوجدوها في الموت ، فقال لأهلها : إذا توفيت فأذِنُونِي . فلما توفيت آذَنُوهُ ، فشدها وصلى عليها ، وقال : « اللهم إنها كانت حريصةً على أن تضحكني ، فأضحكها فرحاً » .

وقيل لأبي نواس : قد بعثوا إلى أبي عبيدة والأصمعي ليجمعوا بينهما ، فقال : أما أبو عبيدة فإن خَلَّوهُ وسِغَرَهُ^(٢) قرأ عليهم أساطير الأولين والآخرين ، وأما الأصمعي فبلبل في قص يطر بهم بصغيره .

قال ابن إسحاق : وقد طرب الصالحون وضحكوا ومزحوا . وإذا مدحت العرب رجلاً قالوا : هو ضحكوك السن ، بَسَامِ الْعَشِيَّاتِ^(٣) ، هَشٌّ إِلَى الضَّيْفِ . وإذا ذمته قالت : هو عبوس الوجه ، جهم المحييا ، كرية النظر ، حامض الوجنة^(٤) ، كأنما وجهه بالخل منضوح ، وكأنما أسعط خيشومُهُ بالخردل .

(١) هو نعيمان بن عمرو بن رفاعه ، أحد أصحاب الفكاهة من صحابة الرسول . توفي في زمن معاوية . الإصابة ٨٧٨٩ . في بعض النسخ : « يدخل عثمان » ، تحريف .
(٢) في بعض النسخ : « وسفرا » .
(٣) في بعض النسخ : « الثنيات » .
(٤) في بعض النسخ : « جاحظ الوجه » .

مضحكة الرسول
صلى الله عليه وسلم
وعائشة

قول أبي نواس
في أبي عبيدة
والأصمعي

قول العرب في
مدح الضحك

وكتب يحيى بن خالد إلى الفضل ابنه وهو بخراسان : « يا بني ، لا تُغفل نصيبك من الكسل » .

وصية يحيى بن
خالد ابنه بالكسل

وهذا حرفٌ جامع لما قصدناه من هذا المعنى^(١) ، لأن الكسل تكون الراحة ، وبالراحة يثوب النشاط^(٢) ، وبالنشاط يصفو الذهن ، ويصدق الحسن ويكثر الصواب . قال الشاعر :

إنما للناس منا حسن خلق ومزاج
ولنا ما كان فينا من فساد وصلاح

الهيثم بن عدى^(٣) قال : رأيت هشام بن عروة قد اجتمع إليه أصحاب الحديث يسألونه ، فقال لهم : يا قوم ، أما ما كان عندي من الحلال والحرام والسنة فإني لا أستحل أن أمنعكموه ، وأما ملجئ فلا أعطيكموها ولا كرامة .

عن هشام بن
عروة بملحه

باب من المفاهات

حديث عباس بن الأحنف

حدث أبو العباس النحوي الممرور بالمبرد قال : حدثنا محمد بن عامر الحنفي ، وكان من سادات بكر بن وائل ، وأدركته شيخاً كبيراً مملقاً^(٤) ، وكان إذا أفاد على إملاقه شيئاً جاد به ، وقد كان قديماً ولي شرطة البصرة ، فحدثني هذا الحديث الذي نذكره . ووقع إلى من غير ناحيته ، ولا أذكر ما بينهما من الزيادة والتقصان ، إلا أن معاني الحديث مجموعة فيما أذكر لك :

ذكر أن فتياناً كانوا مجتمعين في نظام واحد ، كلهم ابن نعمة ، وكلهم قد شرد عن أهله ، وقنع بأصحابه ، فذكر ذا كره منهم قال : كفا قد اكرتينا

(١) في بعض النسخ : « وهذا جزء جامع لكل ما قصدناه إليه من هذا المعنى » .

(٢) يثوب : يرجع . وفي بعض النسخ : « يكون ثبات النشاط » .

(٣) هذا الخبر من ن فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ن .

داراً شارعاً على أحد طرق بغداد المعمورة بالناس ، فكنا نُفْلِسُ أحياناً ونُوسِرُ أحياناً ، على مقدار ما يمكن الواحد من أهله ، وكنا لا نستكثر^(١) أن تقع مؤونتنا على واحد منا إذا أمكنه ، ويبقى الواحد منا لا يقدر على شيء فيقوم به أصحابه الدهر الأطول . وكنا إذا أيسرنا أكلنا من الطعام ألينّه ، ودعونا الملهين والملهيات . وكان جلوسنا في أسفل الدار ، فإذا عَدِمنا الطرب فجلسنا غرفة لنا^(٢) نتمتع منها بالنظر إلى الناس ، وكنا لا نُخِلُّ بالنبيذ في عُسر ولا يُسر . فإنا لكذلك يوماً إذا بَقِيَ يستأذن علينا ، فقلنا له : اصعد . فإذا رجلٌ نظيفٌ حلوا الوجه ، سرى الهيئة ، ينبىء رُواوَهُ على أنه من أبناء النعم ، فأقبل علينا فقال : إني سمعت بجمتمعكم ، وحسن منادمتكم ، وصحة ألفتكم ، حتى كأنكم أدرجتم جميعاً في قالب واحد^(٣) ، فأحييت أن أكون واحداً منكم ، فلا تحتشموا^(٤) . قال : وصادفَ ذلك منا إقتراراً من القوت ، وكثرة من النبيذ . وقد كانت قال لغلام له أول ما ياذنون لي أن أكون كأحدهم : هات ما عندك . فغاب الغلام عنّا غير كثير ، ثم إذا هو قد أتانا بسلة خيزران ، فيها طعام المطبخ : من جدي ، ودجاج ، وفراخ ، ورقاق^(٥) ، وأشنان ، ومُحَلَّب^(٦) ، وأخلة^(٧) ، فأصبنا من ذلك ثم أفضنا في شربنا ؛ وانبسط الرجل ؛ فإذا أحلى خلق الله إذا حدث ؛ وأحسنهم استماعاً إذا حدث ، وأمسكهم عن ملاحاة إذا خولف . ثم أفضينا منه إلى أكرم مُحالفة ، وأجل مساعدة . وكنا ربّما امتحنناه بأن ندعوه إلى الشيء الذي نعلم أنه يكرهه ، فيُظهر لنا أنه لا يحبُّ غيره ، ويُرى ذلك في إشراق وجهه ، فكنا

٤٢٢
٣

١٥

(١) في بعض النسخ : « لا تنكر » .

(٢) في بعض النسخ : « جلسنا في غرفة لنا » .

(٣) ن : « في قلب واحد » .

(٤) في بعض النسخ : « فلا تحتشموني » ، وفي اللسان : « ولا يقال احتشمه » .

(٥) الرقاق ، بالضم : الحبز المنبسط الرقيق .

(٦) المحلب ، كمسكن : شجر له حب يجعل في الطيب . اللسان (حلب) .

(٧) الأخلة : جمع خلال ، وهو ما تخلل به الأسنان .

٢٠

٢٥

تَغْنَى بِهِ عَنْ حَسَنِ الْفَنَاءِ ، وَتَتَدَارَسُ أَخْبَارَهُ وَآدَابَهُ ، فَشَغَلْنَا ذَلِكَ عَنْ تَعَرُّفِ اسْمِهِ وَنَسَبِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَّا إِلَّا تَعَرُّفُ الْكُنْيَةِ ^(١) ، فَإِنَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهَا فَقَالَ : « أَبُو الْفَضْلِ » .

فَقَالَ لَنَا يَوْمًا بَعْدَ اتِّصَالِ الْأَنْسِ : أَلَا أَخْبِرُكُمْ كَيْفَ عَرَفْتُمْ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ إِنَّا لَنُحِبُّ ذَلِكَ . قَالَ : أَحَبِّتُ جَارِيَةً فِي جَوَارِكُمْ ، وَكَانَتْ سَيِّدَتُهَا ذَاتَ حَبَائِبٍ ، ه فَكُنْتُ أَجْلِسُ لَهَا فِي الطَّرِيقِ ^(٢) أَلْتَمِسُ اجْتِيَازَهَا فَأَرَاهَا ، حَتَّى أَخْلُقَنِي الْجُلُوسُ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَرَأَيْتُ عَرَفْتُكُمْ هَذِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْ خَبَرِهَا ، فَخَبَّرْتُ عَنْ ائْتِلَافِكُمْ وَمُسَاعَدَةِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، فَكَانَ الدُّخُولُ فِيمَا أَتَمُّ فِيهِ آثَرُ ^(٣) عِنْدِي مِنَ الْجَارِيَةِ . فَسَأَلْنَاهُ عَنْهَا فَخَبَّرَنَا ، فَقُلْنَا لَهُ : فَإِنَّا نَخْتَدِعُهَا حَتَّى نُظْفِرَكَ بِهَا . فَقَالَ : يَا إِخْوَانِي ^(٤) إِنِّي وَاللَّهِ ، عَلَى مَا تَرَوْنَ مِنِّي مِنْ شِدَّةِ الشَّغَفِ وَالْكَلْفِ سَهَا ، مَا قَدَّرْتُ فِيهَا حَرَامًا ١٠ قَطً ، وَلَا تَقْدِيرِي إِلَّا مَطَاوِلَتُهَا وَمَصَابِرَتُهَا إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِثُرُوقِ فَأَشْتَرِيَهَا . فَأَقَامَ مَعَنَا شَهْرَيْنِ وَنَحْنُ عَلَى غَايَةِ الْاِغْتِبَاطِ بِقُرْبِهِ ، وَالسُّرُورِ بِصُحْبَتِهِ ، إِلَى أَنْ اخْتَلَسَ مِنَّا ، فَجَالَسْنَا بِفِرَاقِهِ كُلُّهُ مُبْضً ، وَلَوْعَةٌ مَوْلَةٌ ، وَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ مَنْزِلًا نَلْتَمِسُهُ فِيهِ . فَكَدَّرَ عَلَيْنَا مِنَ الْعَيْشِ مَا كَانَ طَابَ لَنَا بِهِ ، وَقَبَّحَ عِنْدَنَا مَا كَانَ حَسُنَ بِقُرْبِهِ وَجَعَلْنَا لَا نَرَى سُرُورًا وَلَا غَمًّا إِلَّا ذَكَرْنَاهُ ؛ لِاتِّصَالِ السُّرُورِ بِصُحْبَتِهِ وَحُضُورِهِ ^(٥) ، ١٥ وَالْغَمِّ بِمِفَارِقَتِهِ ، فَكُنَّا فِيهِ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ ^(٦) :

يَذْكُرُنِيهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٍّ ، فَمَا انْفَكُّ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ

فَقَابَ عَنَّا زُهَاءَ عَشْرِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ بَيْنَا نَحْنُ مَجْتَازُونَ يَوْمًا مِنَ الرُّصَافَةِ إِذَا بِهِ

(١) ن : « معرفة الكنية » .

(٢) الكلام بعده إلى كلمة « الطريق » التالية ساقط من ن .

(٣) في بعض النسخ : « أسر » ، وليس بغيره .

(٤) ن : « يا إخواني » .

(٥) ن : « الاتصال السُّرُورِ بحضوره » .

(٦) هو عكرشة العيسى ، يرثى بغيره ، كما في الحماسة (١ : ٣٤٦ - ٣٤٧) .

وانظر مجالس ثعلب ٢٤٢ .

قد طلع في مركب نبيل^(١) ، وزى جليل ، حيث بصر بنا انحط عن دابته ،
وانحط غلمانهُ ، ثم قال : يا إخواني^(٢) ، والله ما هنائي عيشٌ بعدكم ،
ولست أُمَاطِلُكم بخَبْرِي حتى آتَى للنزل ، ولكن ميلوا بنا إلى المسجد . فلنا
معه ، فقال :

٥ أعرُفُكم أولاً بنفسى ، أنا العباس بن الأحنف ، وكان من خبرى بعدكم
أننى خرجتُ إلى منزلى من عندكم ، فإذا المسوذة محيطةً بى ، فمضى بى إلى دار
أمير المؤمنين ، فصرتُ إلى يحيى بن خالد ، فقال لى : ويحك يا عباس ، إنما اخترتك
من ظرفاء الشعراء لتُرب مأخذك ، وحسن تأنيك ، وإن الذى ندبُك له من
شأنك ، وقد عرفتَ خطرات الخلفاء ، وإن أخبرك أن « ماردة » هى الغالبة على
١٠ أمير المؤمنين ، وأنه جرى بينهما عتب ، فهى بدالة العشوق تأبى أن تعتذر ،
وهو بعز الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك ، وقد رمت الأمر من قبيلها فأعيانى ،
وهو آخرى أن تستعزه الصبابة^(٣) ، فقل شعراً يسهّل عليه هذه السبيل .
فقضى كلامه ، ثم دعاه أمير المؤمنين فصار إليه ، وأعطيت قرطاساً ودواة ،
فاعترانى الزمّع^(٤) ، وأذهب عني ما أريد الاستحاث ، فتعذرت على كل
١٥ عروض^(٥) ، ونفرت عني كل قافية ، ثم انفتح لى شئ والرسول يُفَنِّتُنِي ، فجاءتنى
أربعة أبيات رضيها ، وقعت صحيحة المعنى ، سهلة الألفاظ ، ملائمة لما طُلب منى ،
فقلت لأحد الرُسل : أبلغ الوزير أنى قلت أربعة أبيات ، فإن كان فيها
مقنع وجّهت بها . فرجع إلى الرسول بأن هاتىها ، فنى أقل منها مقنع وفى ذهاب
الرسول ورُجوعه قلت بيتين من غير ذلك الروى ، فكتبت الأبيات الأربعة
٤٢٣
٣
٢٠ فى صدر الرقعة ، وعقبت بالبيتين ، فقلت :

(١) فى بعض النسخ : « مركب نبيل » .

(٢) ن : « يا إخوان » .

(٣) تستعزه : تغلبه . وفى بعض النسخ : « تستعبد » .

(٤) الزمّع : الدهش والخوف ، وشبه الرعدة تأخذ الإنسان .

(٥) العروض : ميزان الشعر ، مؤتة .

العاشقانِ كلاهما متفضَّبُ وكلاهما متوجِّد متعَبُّ
صدَّت مغاضِبَةً وصدَّ مغاضِباً وكلاهما بما يعالج مُتَعَبُّ
راجعُ أحبَّتكَ الذين هجرتهم إنَّ التيم قَلْباً يتجنَّبُ
إنَّ التجنُّب إنَّ تطاولَ منكما دبَّ السلوُ فمرَّ منه المطلبُ

ثم كتبت تحت ذلك :

لأبدٍ للعاشق من وقفةٍ تكونُ بين الهجر والصَّرمِ
حتى إذا المجرُّ تمادى به راجعٌ مَن يهوى على رَغَمِ^(١)

ثم وجهتُ بالكتاب إلى يحيى بن خالد ، فدفعه إلى الرشيد ، فقال : والله ما رأيتُ شعراً أشبهَ بما نحن فيه من هذا ، والله لكانتُ قصِدتُ به . فقال له يحيى : فأنت والله يا أمير المؤمنين المقصودُ به ، هذا يقوله العباس بن الأحنف في ١٠ هذه القصة . فلما قرأ البيتين وأفضى إلى قوله :

* راجعٌ مَن يهوى على رَغَمِ *

استغربَ ضحكاً^(٢) حتى سمعت ضحكَه ، ثم قال : إى والله ، أراجع على رَغَم ، يا غلام هات نعلِي . فنهض وأذهله السرورُ عن أن يأمر لي بشيء ، فدعاني يحيى ، وقال : إنَّ شعرك قد وقعَ بنِايةِ الموافقة ، وأذهَلَ ١٥ أمير المؤمنين السرورُ عن أن يأمر لك بشيء . قلت : لكنَّ هذا الخبر ما وقع مني بنِايةِ الموافقة . ثم جاء غلامٌ فسارَه فنهض وثبت مكانى ، ثم نهضت بنهوضه ، فقال لى : يا عباس ، أمسيتَ أملاً الناس^(٣) ، أتدرى ما سارَّنى

(١) في الأغاني (٦ : ٦٨) : « حتى إذا ما مضى هجره » . وبين هذا البيت وسابقه

في الأغاني :

يَتَبُّ أَحِبَّائَنَا وَفِي عَتَبِهِ إِظْهَارُ مَا يَخْفَى مِنَ السَّقَمِ
لِإِشْفَائِهِ دَاعٍ إِلَى ظَنِّهِ وَظَنُّهُ دَاعٍ إِلَى الظُّلْمِ

(٢) استغرب في الضحك : أكثر منه وبالع فیه . ما عدان : « استغرق ضاحكاً » ؛

واستغرق مثل استغرب .

(٣) أملاً ، هو من قولهم ملؤ الرجل يملؤ ملاءة فهو ملء ، صار ثقة غنيا .

به هذا الرسول ؟ قلت : لا . وقال : ذكر لي أن « ماردة » تلقت أمير المؤمنين لما علمت بمجيئه ثم قالت له : يا أمير المؤمنين ، كيف كان هذا ؟ فأعطاهما الشعر وقال : هذا الذي أتى بي إليك . قالت : فمن يقوله ؟ قال : عباس بن الأحنف . قالت : فبم كوفي ؟ قال : ما فعلت شيئاً بعد . قالت : إذا والله لا أجلس حتى يكافأ . قال : فأمر المؤمنين قائم لقيامها ، وأنا قائم لقيام أمير المؤمنين ، وهما يتناظران في صلتك ، فهذا كله لك . قلت : مالي من هذا إلا الصلة ثم . قال : هذا أحسن من شعرك . قال : فأمر لي أمير المؤمنين بمال كثير ، وأمرت لي ماردة بمال دونه . وأمر لي الوزير بمال دون ما أمرت به ، وحملت على ما ترون من الظهر . ثم قال الوزير : من تمام اليد عندي ألا تخرج من الدار حتى تؤثِّل لك بهذا المال ضياعاً^(١) . فاشتريت لي ضياعاً بعشرين ألف درهم ، ودفع إلى بقية المال . فهذا الخبر الذي عافني عنكم ، فلهوا حتى أقاسمكم الضياع ، وأفرق نيكم المال . قلنا له : هنالك الله مالاً^(٢) ، فكل منا^(٣) يرجع إلى نعمة من أبيه وأهله . فأقسم وأقسمنا ، قال : فأنتم فيه أسوتى . قلنا : أما هذا فنعم ، قال : فامضوا بنا إلى الجارية حتى نشتريها . فمشينا إلى صاحبها وكانت جارية جميلة حلوة ، لا تحسن شيئاً ، أكثر ما فيها ظرف اللسان ، وتأدية الرسائل ، وكانت تساوى على وجهها خمسين ومائة دينار . فلما رأى مولاهما ميل المشتري استام بها خمسمائة ، فأجبناه بالعجب فخط مائة ، ثم خط مائة . فقال العباس يا فتيان ، إنني والله احتشم أن أقول بعد ما قلتم ، ولكنها حاجة في نفسي بها يتم سروري ، فإن ساعدتم فعلت . قلنا له : قل . قال : هذه الجارية أنا أعينها منذ دهر ، وأريد إيثارة نفسي بها ، فأكره أن تنظر إلى بعين من قد ما كس في ثمنها ، دعوني أعطيه بها خمسمائة دينار ، كما سأل . قلنا له : وإنه قد خط

(١) التأثيل : التهيئة والتأصيل والاتخاذ .

(٢) نظيره قولهم : « هنا نبيه العانية » .

(٣) ن : « فكلنا » .

مائتين ، قال : وإن فعل . قال : فصادفتُ من مولاها رجلاً حراً ، فأخذتُ لثمناً
٤٢٤
٣ وجهزها بالمائتين . فما زال إلينا محسناً حتى فرّق الموتُ بيننا .

حديث المجرّد

- قال إسحاق بن إبراهيم : قال لي ابن وهب الشاعر : والله لأحدثنك حديثاً
ما سمعته مني أحد قط ، وهو بأمانة أن يسمعه أحد منك ما دمتُ حياً . قلت :
٥ (إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن
منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) . قال : يا أبا محمد ، إنه حديث ما طنّ
في أذنك أعجب منه . قلت : كم هذا التعقيد بالأمانة ؟ آخذه على ما أحبيت . قال :
بيننا أنا بسوق السكّيل^(١) بمكة بعد أيام الموسم ، إذا أنا بامرأة من نساء
١٠ مكة ، معها صبيٌّ يبكي ، وهي تُسكّنه فيأبى أن يسكت ، فسفّرت وأخرجتُ
من فيها كسرة درهم ، فدفعتها إلى الصبيّ ، فسكت ؛ فإذا وجهٌ رقيق كأنه
كوكبٌ درّيّ ، وإذا شكلٌ رطب ، ولسانٌ فصيح ، فلما رأته أُحِدْتُ النظر إليها
قالت : اتبعني . فقلت : إن شريطي الحلال . قالت : ارجع في حرّامك ، ومن
يريدك على حرام ؟ فخجّلتُ وغلبتني نفسي على رأيي ، فتبعتها فدخلتُ زقاق
العطارين ، فصعدتُ درجة وقالت : اصعد . فصعدتُ ، فقالت : أنا مشغولة
١٥ وزوجي رجلٌ من بني مخزوم ، وأنا امرأةٌ من زهرة ، ولكن عندي حرٌّ ضيق
عليه وجهٌ أحسن من العافية ، في مثل خلق ابن سريج^(٢) ، وترثم معبد ، وتبه
ابن عائشة . أجمع لك هذا كله في بدنٍ واحد بأصفر سليم^(٣) . قلت : وما أصفر

(١) في بعض النسخ : « سوق الليل » .

(٢) هو عبيد الله بن سريج الملقب . انظر الأغاني (١ : ٩٤ — ٩٥) .

(٣) تكني بأصفر سليم عن الدينار . وأصفر سليم كان يطلق على دواء أصفر ، صنعه
صيدلاني بالبصرة يدعى « سليماً » ، وكان يعرب لكل داء فيستشفى به المبرود والمحرور . ثمار
القلوب ١١٩ . وقال ابن قتيبة في المعارف ٢٦٥ : « كان لعبيد الله بن أبي بكر ثلاثة وكلاء
يقال لهم : سليم الناصح ، وسليم الفاش ، وسليم الباحر . وهذا هو الذي عمل أصفر سليم » .

- سليم ؟ قالت : بدينار واحد يومك وليلتك ، فإذا قت جعلت الدينار وظيفة
وتزويجا صحيحا . قلت : فذلك لك إن اجتمع لي ما ذكرت . قال : فصفت
بيدها إلى جاريتها فاستجاب لها . قالت : قولي لفلانة : البسى عليك ثيابك
وعجلى ، وبحياتي لا تمسى غمرا^(١) ، ولا طيبا ، فحسبنا بدلاك وعطرك . قال :
فإذا جارية أقبلت ما أحسب الشمس وقعت عليها ، كأنها دمية^(٢) ، فسلمت
وقعدت كالخجلة . فقالت لها الأولى : إن هذا الذي ذكرت لك^(٣) ، وهو
في هذه الهيئة التي ترين . قالت : حياه الله ، وقرب داره . قالت : وقد بذل
لك من الصداق دينارا . فقالت : أى أم ، أخبرته بشرطتي ؟ قالت : لا ، والله
يا بُنيّة ، لقد أنسيته . ثم نظرت إلى فغمرتني ، وقالت : أتدرى ما شرطتها ؟
قلت : لا . قالت : أقول لك بحضرتها ما إخالها تكرهه ، هي والله أفتك من
عمرو بن معد يكرب ، وأشجع من ربيعة بن مكرم ، ولست بواصل إليها حتى
تسكر وتغلب على عقلها ، فإذا بلغت تلك الحال فنيها مطمع . فقلت : ما أهون
هذا وأسهله . قالت الجارية : وترك شيئا أيضا . قالت : نعم والله ، اعلم أنك
لن تصل إليها حتى تتجرّد لما فتراك مجرّدا ، مقبلا ومدبرا . قلت : وهذا أيضا
أفعله . قالت : هلم دينارك . فأخرجت دينارا فنبذته إليها ، فصفت صفقة^{١٥}
أخرى فأجابتها امرأة ، قالت : قولي لأبي الحسن وأبي الحسين : هلم الساعة .
فقلت في نفسي : أبو الحسن وأبو الحسين هو علي بن أبي طالب . قال : فإذا
شيخان خاضبان نيلان قد أقبلا فصعدا ، فقصت المرأة عليهما القصة ، فخطب
أحدهما وأجاب الآخر . وأقررت بالتزويج وأقرت المرأة ، فدعوا بالبركة ، ثم
نهضا فاستحييت أن أحل المرأة شيئا من المؤونة ، فأخرجت دينارا آخر ، فدفعته^{٢٠}

(١) الغمر والغمرة بضم الهمزة فيهما : طلاء تطل به العروس يتخذ من الورس . والغمرة

أيضا : تمر ولبن يطل به وجه المرأة ويدها حتى ترق بشرتها . ن : « غمرة » .

(٢) ن : « صورة » .

(٣) في بعض النسخ : « ذكرت لك » .

إليها. وقلت: اجعلي هذا لطيفك. قالت: يا أخي، لستُ ممن يمسُّ طيباً لرجل،
إنما أتطيب نفسي إذا خلوت. قلت: فاجعلي هذا لغدائنا اليوم. قالت: أمّا هذا
فنعم. فنهضت الجارية، وأمرت بإصلاح ما يحتاج إليه، ثم عادت وتغدينا،
وجاءت بدواة وقضيب، وقعدت تجاهي، ودعت بنبيد، فأعدته واندفعت تغني
بصوتٍ لم أسمع مثله قطُّ؛ فإني ألفتُ بيوتَ القيان نحواً من ثلاثين سنة، فما
سمعت مثلَ ترنمها قط، فكدت أجنُّ سروراً وطرباً، فجعلت أريغُ أن تدنو
منِّي فتأني^(١)، إلى أن غدت بشعرٍ لم أعرفه، وهو:

راخوا يصيدون الظباء، وإنتي لأرى تصيدها على حراما
أعزّز على بأن أروعَ شبيها أو أن تذوقَ على يدي حراما
فقلت: جعلت فداك، من تغني بهذا؟ قالت: اشترك فيه جماعة، هو
لمبعد، وتغني به ابن سريج وابن عائشة. فلما نعى إلينا النهار وجاءت المغرب،
تغنّت بصوتٍ لم أفهمه، للشقاء الذي كُتب على، فقالت:

كأني بالجرّد قد علته نعالُ القوم أو خشب السواري
قلت: جعلت فداك، ما أنهم هذا البيت، ولا أحسبه مما يُتغنى به. قالت:
أنا أوّل من تغني به. قلت: فإنما هو بيتُ عائرٍ لا صاحبَ له^(٢). قالت: معه
آخرُ ليس هذا وقتُه، وهو آخر ما أتغني به. قال: فجعلت لا أبازغها في شيء
إجلالاً لها. فلما أمسينا وصلينا المغرب، وجاءت العشاء الآخرة، وضعت
القضيب، فقامت وصلّيت العشاء وما أدري كم صلّيت عجلةً وشوقاً^(٣)، فلما
سلّمت قلت: تأذنين جعلت فداك في الدنو منك؟ قالت: تجرّد. وأشارت إلى
ثيابها كأنها تريد أن تجرّد، فكدت أن أشقّ ثيابي عجلةً للخروج عنها،

(١) أريغ: أحاول. وفي بعض النسخ: «أربع» وهذا صوابه. وفي ن: «أريد».

(٢) هو من قولهم: سهم عائر: لا يدري من رماه.

(٣) ن: «خجلا وشوقاً».

فتجردت وقت بين يديها مكفراً لها^(١). قالت : امض إلى زاوية البيت ، وأقبل وأدبر حتى أراك مقبلاً ومديراً . قال : وإذا حصرت في الغرفة عليه طريقاً إلى زاوية البيت ، فأخطر عليه ، وإذا تحته خرق إلى السوق ، فإذا أنا في السوق قائماً متجرباً منمظاً ، وإذا الشَّيْخَانِ الشاهدان قد أعدّا لي نعلهما ، وكنا لي في ناحية ، فلما هبطت عليهما بادراً إلى تقطعا نعلهما على قفّاي ، واستمعانا بأهل السوق ، فضربتُ والله يا أبا محمد حتى نُسبت اسمي ، فبينما أنا أضربُ بنعالٍ مخصوفةٍ وأيدٍ شديدة^(٢) ، فإذا صوتٌ من فوق البيت يغني به ، وهو :

ولو علم المجرد ما أردنا لخاض لنا المجرد بالصَّحارى

فقلت في نفسي : هذا والله وقتُ هذا البيت ، فنجوت إلى رحلى ، وما في عظمٌ صحيح ، فلما انقضى حجُّنا وانصرفنا جعلتُ طريقى على ذلك الموضع فسألتُ عنها فقيل لي : إنها امرأةٌ من آل أبي لهب . فقلت : لعنَّها الله ولعن الذى هى منه .

حديث صاحبة الزَّب^(٣)

قال إسحاق : حدثني أبو السَّمرَاء قال :

حججت فبدأتُ بالمدينة ، فإني لمنصرفٌ من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امرأةٌ بفناء المسجد تبيع من طرائف المدينة ، وإذا هى في ناحيةٍ وحدَّها ، قد قام عنها مَنْ كان يجلس إليها ، وإذا هى ترجع بصوتٍ خفىٍ شجوىً ، فالتفتُ فرأيتهَا ، فقالت : هل من حاجة ؟ قلت : تزيدني في السَّماع . قالت : وأنت قائمٌ؟ لو قعدتُ ! فقعدتُ كالخجل فقالت : كيف عَمَلِك بالفناء ؟ قلت : علمٌ لا أحمدُه .

٢٠ (١) التكفير : إظهار الخضوع والتعظيم . (٢) في بعض النسخ : « مشدودة » . (٣) انفردت نسخة ن بإثبات هذا الحديث . وقد سبق في ص ٦٩ من هذا الجزء . ولكننا آثرنا إثباته مع تكرره لما تقتضيه أمانة النثر ، ولما به من بعض الخلاف لما سبق ، وما أضفنا إليه من التعليقات .

- قالت : فعلام أنفخ بلا نار ؟ وما متعك من معرفته ، فوالله إنه لسحورى وفطورى .
- قلت : وكيف وضعته بهذا الموضع العالى ؟ قالت : يا غير ، وله موضع يوضع به وهو من علوه فى السماء الشاهقة ؟ قلت : وكل هؤلاء النسوة التى أرى على مثل رأيك وفى مثل حالك ؟ قالت : فيهن وفيهن ، ولى من بينهن قصة . قلت : وما هى ؟ قالت : كنت أيام شبابى وأنا فى مثل هذه الخلق التى ترى من القبح والدمامة والأدمة^(١) ، وكنت أشتهى النيك شهوة شديدة ، وكان زوجى شابا وضيا ، وكان لا ينتشر على حتى أتخفه وأطيبه وأسكبه ، فأضرب ذلك بى ، وكانت علقته امرأة قصار تجاورنى ، فزاد ذلك فى غمى ، فشكوت إلى جارة لى ما أنا فيه وغلبة امرأة القصار على زوجى فقالت : أدلك على ما ينهضه عليك ويرد قلبه إليك ؟ قلت : وأبأبى أنت ، إذا تكونى أعظم الخلق منة على . قالت : اختلفى ١٠ إلى « مجتمع » مولى آل الزبير فإنه حسن الغناء ، فاعلقى من أغانيه أصواتا عشرة ، ثم غنى بها زوجها فإنه ينيكك بجوارحه كلها . قالت : فالظظت بمجتمع^(٢) فلم أفارقه حتى رضىنى حذاقة ومعرفة ، فكنت إذا أقبل زوجى من مهنته اضطجعت فرفت عغيرتى ، فإذا غنيت صوتا بت على زب ، وإن غنيت صوتين بت على زبين ، وإن ثلاثة فتلاثة .

١٥

- فكنا كندمانى جذيمة حقبية من الدهر حتى قيل لن يقصدعا^(٣)
- قال : فضحكك والله حتى أمسكت على بطنى وقلت : يا هذه ، ما أظن الله خلق مثلك . قالت : اخفيض من صوتك . قلت : ما كان أعظم منة صاحبة الشورى عليك . قالت : حسبي بها منة ، وحسبك بى شاكرة . قلت : ففى قلبك من تلك اللوعة شيء ؟ قالت لذع فى الفؤاد ، فأما تلك الغلظة التى كانت ٢٠

(١) الأدمة : السرة ؛ رجل آدم وامرأة أدماء .

(٢) الإلظاظ : الملازمة .

(٣) الرواية فيه : « وكنا كندمانى » . والبيت من قصيدة متم بن نويرة التى يرثى

بها أخاه مالك بن نويرة . الفضليات (٢ : ٦٣ - ٧٠) طبع المعارف .

تُسنيني الفريضة وتقطعني عن النافلة ، فقد ذهب تسعة أعشارها . قال : فوقفتُ عليها وقلت : ألك حاجة أن أرمُ بعضَ حالك^(١) ؟ قالت : أنا في قانتٍ من العيش^(٢) . فلما نهضتُ لأقومَ قالت : على رِسلك ، لا تنصرفَ خائبا . ثم ترنمتُ بصوتٍ تُخفيه من جاراتها :

• ولي كبدٌ مقروحةٌ مَن يبيعني بها ككبداً ليست بذات قروح^(٣)
أبي الناسُ أن يرضوا بها يشترئونها ومن يشترى ذا عُرة بصحيح^(٤)
ثم قالت : انطلق لطيتك ، صحبتك السلامة .

خبر الهاشمي مع المضحك^(٥)

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر المزني بمصر ، قال : حدثني إسحاق ابن إبراهيم الموصلي ، عن الهيثم بن عدي ، قال :
كان بالمدينة رجلٌ من بني هاشم ، وكان له قيتان يقال لإحدهما جُوذَرُ ، وللأخرى رَشَا ، وكان يعجبه السماع ، وكان بالمدينة مضحكٌ يُغيبُ مجالس المتظرِّفين ، ومواضع الملَّهين ، فأرسل إليه الهاشمي ذات يوم ليضعك منه ، فلما جاءه قال له المضحك : إنك أصلحك الله في لذتك ، ولا لذّة لي . قال له : وما لذتك ؟ قال
١٥ تُحضرنني نبيذاً فإنه لا يطيب لي عيشٌ إلا به . فأمر الهاشمي بإحضار نبيذ ، وأمر أن يطرح فيه سكر العُشَر^(٦) ، فلما شربه المضحك تحرَّك عليه بطنه وتناوم

(١) رم حاله : أصلها .

(٢) القانت : القوت ، وهو المسكة من العيش والبلغة .

(٣) البيتان لابن الدميني في ديوانه ٢٥ وأمالى القالي (٢ : ٢٥) . وما من أصوات

الأغاني (٥ : ٣٥) .

(٤) المرة : الجرب . والرواية المشهورة : « ذا علة » .

(٥) سبق هذا الخبر أيضا في ص ٧١ . ورأينا تكراره مساوقة للنسخة ن ، ولعل

صاحب العقد قصد أن يجعل القصة في باب الفناء ، ثم يسبدها في باب الملح . ويرى القاري بين هذا النص وسابقه بعض الخلاف .

٢٥ (٦) العُشَر : من العشاء وكبار الشجر ، له صمغ خلو ، وسكر يخرج من شعبه

وزهره ، وفي سكره شيء من مهارة .

الماشى وغمز جواريه عليه ، فلما ضاق عليه الأمر واضطُرَّ إلى التبرُّز قال في نفسه :
ما أظنُّ هاتين المغنيتين إلا يمانيتين ، وأهل اليمن يسمون الكُنف المراحيض . قال
لها : يا حبيبتي أين المراحض ؟ قالت إحداها لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت :
يقول : غنَّياني :

رحضتِ فَوادى فغنَّيتي أهِيمُ من الحبِّ في كلِّ وادٍ ٥
فاندفعتا فغنتاه فقال في نفسه : لم تفهما والله عني ، أظنُّهما شاميتين ، وأهلُ
الشام يسمونها المذاهب . قال : يا حبيبتي ، أين المذهب ؟ فقالت إحداها لصاحبتها :
ما يقول ؟ قالت : يسأل أن يغني :

ذهبت من المجران في كلِّ مذهبٍ ولم يك حقاً كلُّ هذا التجنُّبِ (١)
فغنتاه الصوت فقال في نفسه : لم يفهما عني ، ما أظنُّهما إلا مدنيَّتين ، وأهلُ
المدينة يسمونها بيت الخلاء . قال : يا حبيبتي ، أين بيت الخلاء ؟ قالت إحداها
لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يسأل أن يغني :

خلى على جوى الأحزان إذ ظعنا من بطن مكة والتسديد والحزنا
قال : فغنتاه فقال في نفسه : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أحسبهما
الفاستقتين إلا بصريَّتين ، وأهل البصرة يسمونها الحشوش . قال : يا حبيبتي ١٥
أين بيت الحش ؟ قالت إحداها للآخرى : ويلك ما يقول ؟ قالت : يسأل
أن يغني :

أوحش الحشان فالربع منها ففناها فالمنزل المعمور (٢)
فرفعا عقيرتيهما تغنيانه فقال : ما أراها إلا كوفيَّتين ، وأهل الكوفة
يسمونها الكُنف . فقال : يا حبيبتي ، أين يكون الكنيف ؟ قالت إحداها ٢٠
للآخرى : يعيش سيِّدنا ، هل رأيت أكثر اقتراحاً من هذا الرجل أفهميني
ما يقول ؟ قالت : يقول غنَّياني :

(١) مطلع قصيدة لعلقة الفحل في ديوانه ١٣٣ من مجموع خمسة دواوين .

(٢) الحشان ، بكسر الحاء : جمع حش بالضم ، وهو أطم بالمدينة . ياقوت .

تَكْتَفِنِي الْمَوَى طِفْلاً فَشَيْبَتْنِي وَمَا أَكْتَهَلَا

قال : فقلبه بطنه ، وعلم أنهما تَوَلَّعَا ن به ^(١) ، والهاشمي يتقطع ضحكا ، فقال :
كذبتما يا زانيتان ، ولكني أعلمكما ما هو ؟ فرفع ثيابه فساح عليهما ، فانتبه
الهاشمي فقال : سبحان الله ، أتحدث علي وطائي ^(٢) ؟ فقال : الذي خرج من
جَوْفِي أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ وَطَائِكَ ، إِنَّ هَاتَيْنِ الْقَحْبَتَيْنِ حَسَبْتَا أَنَّمَا أَسْأَلُ عَنْ الْحُشِّ
لِلضُّرَاطِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَهُمَا مَا هُوَ ؟

يوم دارة جلجل

قال الفرزدق : وأصابنا بالبصرة ليلاً مطرٌ جود ، فلما أصبحت ركبنا
بغلةً لي ومرت إلى المربد ، فإذا أنا بآثار دوابٍ قد خرجت إلى ناحية البرية ،
فظننت أنهم قومٌ خرجوا للزَّهْمَةِ ، وهم خُلُقَاءُ أَنْ تَكُونَ مَعَهُمْ سَفَرَةٌ ، فاتَّبعنا
آثارهم حتى انتهيت إلى بغالٍ عليها رحائل ، موقوفة على غدير ، فأسرعت إلى
الغدير ، فإذا فيه نسوة مستنقعات في الماء ، فقلت : لم أَرَ كاليوم قط ، ولا يوم
دارةٍ جُلْجُلٍ . وانصرفت مستحيا ، فناديته : يا صاحبَ البغلة ، ارجع نسألك
عن شيء . فرجعت إليهن فقمعدن في الماء إلى حاوِقهن ، ثم قلن : بالله إلا ما أخبرتنا
ما كان من حديث دارةٍ جُلْجُلٍ . قلت :

حدثني جدِّي ، وأنا يومئذ غلامٌ حافِظٌ ، أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ كَانَ عَاشِقًا لَابْنَةِ
عَمِّهِ ، وَيُقَالُ لَهَا : عُذْبَةُ ، وَأَنَّهُ طَلَبَهَا زَمَانًا فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا ، حَتَّى كَانَ يَوْمُ الْغَدِيرِ ،
وهو يوم دارة جُلْجُلٍ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَيَّ تَحْمَلُوا ، فَتَقَدَّمَ الرِّجَالُ ، وَتَخَلَّفَ النِّسَاءُ
وَالْخَدَمُ وَالثَّقَل ^(٣) . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ امْرَأُ الْقَيْسِ تَخَلَّفَ بَعْدَ مَا سَارَ مَعَ رِجَالِ

(١) يقال ولع به يولع ، إذا لج في أمره وحرس على إبعاده .

(٢) الوطاء ككتاب وسحاب : خلاف الغطاء ، أي ما يفرشه النائم ، كني به

عن جاريته .

(٣) الثقل ، بالتحريك : متاع المسافر وحشمه ،

قومه غلوة ، فكمن في غيابة من الأرض ، حتى مرَّ به النساء وفيهنَّ عنيزة ،
فلما وردن الغدير قلن : لو نزلنا فاعتسلنا في هذا الغدير ، فيذهب عنا بعضُ
الكلال ! فنزلن في الغدير ، ونَحَيْن العبيد ، ثم تجردن فوقعن فيه ^(١) ، فأتاهنَّ
امرو القيس فأخذ ثيابهنَّ ، فجَمَعها وقعد عليها ، وقال : والله لا أُعْطى جارية
ممكنٌ ثوبها ، ولو قعدت في الغدير يومها ، حتى تخرج متجرّدة فتأخذ ثوبها .
فأبين ذلك عليه حتى تعالَى النهار ، وخشين أن يقصُرَن عن المنزل الذي بُرِدَته ^(٢)
فخرجن جميعاً ، غيرَ عنيزة : فناشدته الله أن يطرح ثوبها فأبى ، فخرجت فنظر
فيها مُقبلةً ومدبرةً ، وأقبلن عليه ، فقلن له : إنك عذبتنا وحبستنا وأجعتنا .
قال : فإن نحرْتُ لكنَّ ناقتي أتاكن منها ^(٣) ؟ قلن : نعم . فجرد سيفه
فعرَقَها ^(٤) ونحرها ثم كسَّطها ، وجمع الخدم حطباً كثيراً ، فأججن ناراً عظيمةً
فجعل يقطع أطايبها ويُلقي على الجمر ، ويأكلن ويأكلُ معهنَّ ، ويشرب من
فضلة كانت معه ويسقيهنَّ ^(٥) ، وينبذ إلى العبيد من الكباب . فلما أرادوا
الرَّحِيلَ قالت إحداهنَّ : أنا أحمل طنفسه . وقالت الأخرى : أنا أحمل رَحْله
وأنساءه ^(٦) ، فتقسمن مِثْلَهُ وزاده . وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً ^(٧) . فقال لها :
يا ابنة السكرام ، لا بد أن تحمليني معك ، فإني لا أطيق المشى . فحملته على غاربٍ
بعيرها ، فكان يَمْنَحُ إليها فيدخل رأسه في خدرها فيقبلها ، فإذا امتنعت مال
حِدْجها ، فتقول : عقرت بعيري فانزل ا فني ذلك يقول :

ويومَ عقرتُ للعدا ري مطيقي فيا عجبا من رَحْلها المتحمِّل

- (١) في بعض النسخ : « توقفن فيه » .
(٢) الكلام بمدّه إلى « ثوبها » ساقط من ن .
(٣) في بعض النسخ : « أتاكن معي » .
(٤) ن : « فخرط سيفه » ، وإنما يقال : « اخترط » .
(٥) ن : « ويضنيهن » .
(٦) الألساع : جمع نسع ، بالكسر ، وهو سِرٌّ ينسج مريضاً تشدُّ به الرجال .
(٧) ن : « لم يحملها شيئاً » .

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الولايات إنك مُرجلي
تقول وقد مال الغبيظ بنا معاً عقرت بعيري يا أمراً القيس فأنزل
فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جَنَّاك الأعلى
وكان الفرزدق أروى الناس لأخبار أمى القيس وأشعاره . وذلك أن
أمراً القيس رأى من أبيه جفوة ، فلحق بعته شُرَحْبِيل^(١) بن الحارث ، وكان
مُسْتَرْضِعاً في بني دارم ، فأقام فيهم ، وم رهط الفرزدق .

خبر دعبل وصريع الغواني

حدثنا أبو سويد بن أبي عتاهية ، عن دعبل بن علي الشاعر ، قال :
بينما أنا ذات يوم بباب الكرخ وأنا سائر ، وقد أحتوى الفكر على قلبي
في أبيات شعر ، قد نطق بها اللسان ، كلّ غير اعتقاد جنان ، فقلت :
دُموع عيني لها أنبساط ونوم عيني به أنقباض
فإذا أنا بجارية رائعة الجمال فائقة السكال ، حواء الطرف ، يتعسر عن نعمها
الوصف ؛ لها وجه زاهر ، ونور باهر ، فهي كما قال الشاعر :
كأنما أفرغت في قشر لؤلؤة في كل جارية منها لها قمر
وهي تسمع قولي ، فاعتزمت فقالت^(٢) :
هذا قليل لمن دهمته بلحظها الأعين المراض
فأجبتها فقلت :
فهل لمولاي عطف قلب أوللذي في الحشا أنقراض
فأجابتنى ، فقالت :
٢٠

(١) في بعض النسخ : « شراحيل » .

(٢) في بعض النسخ : « وهي تسمعن فقالت » .

إن كنت تبغى الودادَ مفاً قالودٌ في ديننا قِراض^(١)
 قال دِعبِل : فلا أعلمنى خاطبتُ جاريةً تقطعُ الأنفاسَ بعُدوبةِ ألفاظها ،
 وتختلس الأرواحَ ببراعةِ منطقتها ، وتذهلُ الأبوابَ برخيمِ تغمّتها ؛ مع ملاحظة
 ٤٢٧
 ٣ خد^(٢) ، ورشاقةِ قد ، وكمالِ عقل ، وبراعةِ شكل ، واعتدالِ خلق . فحارَ البصر ،
 وذهبَ اللَّبَّ ، وجلَّ الخطب ، وتلجَّجَ اللسان ، وتعلقتِ الرجلان^(٣) ،
 وما ظنك بالعلفاء إذ دنت من النار^(٤) . ثم تاب إلى عقلى ، وراجعتنى حلمى ،
 فذكرتُ قولَ بشار :

لا يمنعُك من مخدرةٍ قولٌ تُغلّظه وإن جرّحاً^(٥)
 عُسر النساءِ إلى مُياسرةٍ والصعبُ يمكن بعدما جمحا
 هذا لمن حاولَ مادونَ الطمعِ فيه اليأسُ منه ، فكيف بمن وعد قبل المسألة ،
 وبذل قبل الطلبة . فقلت مُسمِماً لها :

أترى الزَّمانَ يسُرُّنا بتلاقٍ ويضمُّ مُشتاقاً إلى مُشتاقٍ
 فقالت مُجيبةً لى فى أسرع من نفس^(٦) :
 ما للزَّمانِ يُقال فيه وإنما أنت الزَّمانُ فسُرُّنا بتلاقٍ

قال دِعبِل : فلحفظُها فتبعتنى وذلك فى أيامِ إملاقٍ ، فقلت : مالى إلا منزل
 ١٥ مُسلمٍ صريعِ الفوائى ، فسِرتُ إلى بابهِ ، فاستوقفَتْها وناديتهُ ، فخرج ، فقلت له :
 أُجِلْ لك الخبرُ : معى وجهٌ صبيحٌ يَمدِلُ الدنيا بما فيها^(٧) ، وقد حصل على

(١) أى مقارضة ومجازاة . ن : فى « ودنا قراض » .

(٢) بدله فى بعض النسخ : « مع تلاعة جيد » . والتلاعة : الطول .

(٣) فى بعض النسخ : « وتعلقت الرجلان » .

(٤) ن : « أدنيت » .

(٥) كان هذان البيتان سبباً فى مقتل بشار . انظر القصة فى المختار من شعر بشار

. ١١٤ ، ١٠٦ .

(٦) ن : « من نفسى » .

(٧) ن : « وجهٌ تَقِلُّ له الدنيا بما فيها » .

ضيقه وعسر . فقال : لقد شكوت ما كدت أبادرُك بشكواه ، أيت بها . فلما دخلت قال : لا والله ما أملك غير هذا المنديل . فقلت : هو البغية فناولنيه . فقال : خذه لا بارك الله لك فيه . فأخذته ، فبعته بدينار عين وكسر ، فاشتريت لها وخبراً ونبيذاً ، وصرت إليه ، فإذا هما يتساقطان حديثاً كأنه قطع الروض المطور . قال : ما صنعت ؟ فأخبرته . قال : كيف يصلح طعام وشراب وجلس مع وجهه نظيف بلا نُقل ولا رِيحان ولا طيب ؟ أذهب فألطف لتمام ما جئت به . قال : فخرجت فأضطربت في ذلك حتى أتيت به ، فأنفست بآب الدار مفتوحاً ، فدخلت فإذا لا أرى لها ولا شيء مما أتيت به أثراً ، فسقط في يدي وقلت : أرى صاحب الربع أخذها . فبقيت متلهفاً حاراً أرجم الظنون ، وأجبل الفكر سائر يوم . فلما أمسيت ، قلت يا نفسي (١) : أفلا أدور في البيت لعل الطالب يوقني على أثر ؟ ففعلت ، فوقفت على باب سرداب له ، وإذا هما قد هبطا فيه ، وأنزلا معهما جميع ما يحتاجان إليه ، فأكلوا وشربا وتغما . فلما أحسستهما دلّيت رأسي ، ثم ناديت : مسلم ، ويلك ! فلم يجبني حتى ناديت ثلاثاً . فكان من إجابته لي أن غرد بصوت يقول فيه :

١٥ بت في درعها وبات رفيقي جنب القلب طاهر الأطراف

ثم قال دعبل : ويلك ! من يقول هذا ؟ قلت :

من له في حرامه ألف قرن قد أنافت على علو مناف

قال : فضحكاً ثم سكتا ، وأستجلبت كلامهما فلم يجيباني ، وأخذنا في لذتهما ، وبت ليلة يقصر عمر الدهر عن ساعة منها طويلاً وغماً وهماً ، حتى إذا أصبحت ولم أكذ خرج إلي مسلم ، فجلست أوثبه ، فقال لي : يا صفيق الوجه ، منزلي ومنديلي وطعامي وشرابي ، فما شأنك في الوسط ؟ قلت له : حق القيادة والفضول والله لا غير ! فولى وجهه إليها ، وقال : بحياتي إلا أعطيتك حق قيادته

وفُضُولُهُ . فقالت : أما حق قيادته فَمَرَكْ أذنه ، وأما حق فضوله فصَفَع قفاه .
 ٤٢٨
 ٣ فاستقبلني مسلم فَمَرَكْ أذني وصَفَعَنِي . فقلت : ما هذا ؟ فقال : جرى الحكمُ
 عليك بما جرى لك من العذل والاستحقاق .



حدثنا عيسى بن أحمد الكاتب قال : قال لي الحسين بن الضحاك :

دخلتُ على جعفر المتوكل ، وشفيع الخادم ينضد ورداً بين يديه ، ولم نَعْرِفْ
 في ذلك الزمان خادماً كان أحسنَ منه ولا أجمل ، وعليه ثياب موروّدة ، فأمره
 أن يسقيني ويغمزَ كَفِّي . ثم قال لي : يا حسين ، قل في شفيع . وكان قد حيا
 المتوكل بوردة ، فجعل المتوكل يشرب ويشمّ الوردة ، فقلت :

خبر الحسين بن
 الضحاك وشفيع
 خادم المتوكل

١٠ فياوردة جاءت إلينا بحمرة من الورد تمشي في قراطق كالورْدِ^(١)
 ويغمز كَفِّي عند كُلِّ تحية بكفيه يستدعي الشجى إلى الورد
 سقاني بكفيه وقفيه شربة فأذكرني ما قد نسيت من العهد
 سقى الله دهرًا لم أبت فيه ليلة من الدهر إلا من حبيب على وعد
 فأمر المتوكل شفيماً أن يسقيني وخاصة ، وبعث معه إلى بتحايا في
 عبير وشمّامات^(٢) .

١٥

وذكروا أن محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل كان يعشق خادماً
 للمتوكل يقال له شفيع ، وكان الحسن بن وهب كاتبه كلفاً بذلك الخادم ، فلقيه
 الحسن بن وهب يوماً ، فسأله عن خبره ، فأخبره أنه يريد أن يحتجم ، فلم تَبَقْ
 بالعراق غريبةً إلا أبعث بها إليه ، ولا طريفاً من الأشرية إلا أدخله عليه ،
 وكتب إليه بهذه الأبيات :

خبر محمد بن
 عبد الملك مع
 خادم المتوكل
 شفيع

٢٠

ليت شعري يا أملح الناس عندي هل تعالجت بالحجامة بعدى

(١) القراطق : جمع قرطق ، بضم القاف وفتح الطاء وضمة ، وهو القباء .

(٢) في القاموس : « الشمّامات : ما ينشم من الروائح الطيبة » . وفي بعض النسخ :

« تحافا في عنبر وسمماها » ، تحريف .

دفع الله عنك لي كل سوء باكر رانح وإن خنت عهدي^(١)
 قد كتمتُ الهوى بمبلغ جهدي ففشا منه بعض ما كنت أبدي
 وخلصتُ العذار فليعلم النسا سُباني إيتاك أصفى بودي
 من عذيري من مقلتيك ومن إشي راق وجه من حول حمرة خدي

٥ فصادف رسوله رسول محمد بن الزيات الوزير ، فرأى رقعة الحسن ،
 فاحتال حتى أخذها ، وأوصلها إلى الوزير محمد بن عبد الملك . فلما قرأها كتب
 إلى كاتبه الحسن بن وهب :

ليت شعري عن ليت شعرك هذا أبهزل تقوله أم بجيد
 فلئن كان ما تقول بجيد يا ابن وهب لقد تفقت بعدي
 وتشبهت بي وكنت أرى أذ أنا الهاشمي التميمي وخدي
 أترك القصد في الأمور ولولا غمرات الصبا لأبهرت قصدي^(٢)
 سيدي سيدي ومولاي ومن أأ بسني ذلة وأضرع خدي^(٣)
 لأحب الذي يلوم وإن كان ن حريصاً على صلاح ورشدي
 وأحب الأخ المشارك في الحب وإن لم يكن به مثل وجددي
 كصديقي أبي علي وحاشي لصديقي من مثل شقوة جددي^(٤)
 إن مولاي عبد غيري ولولا شوم جددي لكان مولاي عبيدي

فلما التقى ابن الزيات الوزير وكاتبه الحسن بن وهب في بيت الديوان تداعبا
 في ذلك^(٥) ، وسأله ابن الزيات أن يتجافى له عنه ، فقال له الحسن : طاعتك

(١) هذا البيت من ن فقط .

٢ (٢) في بعض النسخ : « لا أرى القصد » ، وما أثبتنا من ن يطابق رواية ديوان محمد
 ابن عبد الملك الزيات ص ١٩ طبع مطبعة نهضة مصر ١٩٤٩ .

(٣) في بعض النسخ : « وأخلف وعدى » . وما أثبتنا من ن يطابق رواية الديوان .

(٤) ن : « كصديقي أبي » وما أثبتنا من سائر النسخ يطابق رواية الديوان .

(٥) ن : « اعسا كذلك » بدون إعجام .

واجبة في المحبوب والمكروه ، ولكن الرئيس أدام الله عزه كان أولى بالتفضل .
فقال له ابن الزيات : هيهات ، هذه علة نفسانية تؤدي إلى التلف ، فتنبه
عن نصيبك متى . فقال الحسن : إن كان هذا هكذا سمعنا وأطعنا . وأنشد :

شهيدي على ما في قوادي من هوى دموع تباري المستهل من القطر
وأسلمني من كان بالأمس مُسعدى وصار الهوى عوناً على مع الدهر

٤٢٩

٣

قال علي بن الجهم : دخلت يوماً على المتوكل ، فقال لي : يا علي . قلت :
أبيك يا أمير المؤمنين . قال : دخلت الساعة على قبيحة ، وقد كتبت بالمسك
في خدّها اسمي^(١) ، فوالله ما رأيت سواداً في بياض أحسن منه في ذلك
الخد ، فقل فيه شعرا . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أمظلومة معي ؟ قال : نعم ،
ومظلومة خلف ستارة ، فدعت بدواة وبردت بالقول ، فقالت :

المتوكل وعلي بن
الجهم

١٠

وكاتبة بالمسك في الخد جعفر بنفسي خط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرأ من المسك خدّها لقد أودعت قلبي من الحب أسطراً
فيا من لملكك تملك مالكا مطيما له فيما أسر وأظهرا
ويا من منها في السرائر جعفر سقى الله من صوب الغمامة جعفرا

قال : فأخيت فلم أنطق ، وتغلّبت على خواطري^(٢) فما قدرت على حرف
أقوله ، وضحك أمير المؤمنين .

الأصمعي قال : دخلت على هارون الرشيد ، وبين يديه جارية حسناء ،
عليها لمة جمدة ، وذؤابة تضرب الحنق منها ، وهلال بين عينيها مكتوب
عليه بالذهب : « هذا ما تحمل في طراز الله » . فقال : يا أصمعي ، صنفها .
فأنشأت أقول :

بين الرشيد
والأصمعي

٢٠

كنانة الأطراف سعدية الحشا هلالية العينين طائفة الفم

(١) في بعض النسخ : « كتبت على خدّها بالمسك » .

(٢) في ن : « وتلفت على خواطري » .

لها حُكَم لَمَّانَ وَصُورَةُ يُوسُفَ وَنِعْمَةُ دَاوُدَ وَغَفَّةَ مَرْيَمَ .
 فقال : أحسنتَ والله يا أصمى . فهل عرفتَ اسمَها ؟ فقلت : لا يا أمير
 المؤمنين . فقال : اسمُها دنيا . قال : فأطرقت ساعة ثم قلت :

إِنَّ دُنْيَا هِيَ الَّتِي تَسْحَرُ الْعَيْنَ سَافِرُهُ^(١)
 ظَلَمُوهَا شَطَرَ اسْمِهَا فَهِيَ دُنْيَا وَآخِرُهُ

قال الأصمى : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

الرشيد وإسحاق
 الموصلي

إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : دخلتُ على الرشيد ، وعنده جارية قد
 أهديت إليه ، ماجنة شاعرة أدبية ، وبين يديه طبق فيه ورد ، فقال : يا إسحاق ،
 أما ترى ، ما أحسن هذا الورد ونُضْرَةً لونه ! قلت : بك والله حسن ذلك
 يا أمير المؤمنين . فقال : قل فيه بيتاً يشبهه . فأطرقت ساعة ، ثم قلت :

كَأَنَّهُ خَذَ مَوْمِقٍ يُقَبِّلُهُ فَمَ الْحَلِيبِ وَقَدْ أَبْدَى بِهِ خَجَلًا^(٢)

فأعرضتني الجارية فقالت :

كَأَنَّهُ لَوْ خَذَى حِينَ تَدْفَعِي كَفَّ الرَّشِيدُ لِأَمْرِ يُوجِبُ الْفُسْلَا

فقال الرشيد : قم يا إسحاق ، فقد حرَّكتني هذه الفاسقة .

وحدثنا أيضاً قال : كان هارون الرشيد جالساً بين جارين من جواريه ،

فقال لهما : من يبيت عندي هذه الليلة منكما ؟ فقالت إحداهما : أنا . فقالت

الأخرى : لا ، بل أنا . فقال للأولى : ما حُجَّتُكَ فيما أدعيت ؟ قالت : قولُ الله

يا أمير المؤمنين : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) . ثم قال للثانية :

وَمَا حُجَّتُكَ أَنْتِ ؟ قالت : قولُ الله : (وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) . فقال :

لَتَقُلَّ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا شِعْراً فِي الْغَزَلِ ، فَمَنْ كَانَتْ أَرْقَ شِعْراً بَاتَتْ عِنْدِي .

فقالت الأولى :

(١) في بعض النسخ : « تملك القلب قاهره » .

(٢) ن : « فم الحب فم أبقى به خجلاً » .

٤٣٠
٣أنا التي أمشي كما يمشي الوجي بكاد أن يصرعني تفنّجي^(١)

من جنة الفردوس كان مخرجي

وقالت الأخرى :

أنا التي لم ير مثلي بشر كلامي اللؤلؤ حين ينثر

أسحر من شئت ولست أسحر لو سمع الناس كلامي كفّروا^(٢)

فقال لها : قد أحسنتما وأجّدتما ، وما لواحدة منكما فضيلة على صاحبتها ،

ولكنّي أبيت بينكما^(٣) .قصة الرشيد
وجاريتيه

أخبرنا أبو الطيّب السكّاب أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان ليلة بين

جاريتين : مدنيّة وكوفيّة ، فجعلت الكوفيّة تغمز يديه ، والمدنيّة تغمز رجله ،

فجعلت المدنيّة ترتفع إلى فخذه حتى ضربت يدها إلى متاعه ، وحركته حتى

أنعظ ، فقالت لها الكوفيّة : وبحك نحن شركاؤك في البضاعة ، وأراك قد أنفردت

دوننا برأس المال وحدك ، فأدلييني منه . قال : فقالت المدنيّة : حدثنا مالك عن

هشام بن عروة عن أبيه أنه قال « من أحيا مواتاً فهو له ولعقبه » . قال : فاستغفلتها

الكوفيّة ودفعتمها ، ثم أخذته بيديها جميعاً ، وقالت : حدثنا الأعمش عن خيشمة

عن عبد الله ابن مسعود أنه قال : « الصيد لمن صاده لا لمن أثاره » .

١٥

أخبرنا الأنطاكي^(٤) أن المتوكل على الله طلب من محمود الوراق جارية

مُغَنّية ، وأعطاه بها عشرة آلاف دينار فأبى ، فلما مات محمود اشتراها في ميراثه

بخمسة آلاف ، وقال لها : كنّا قد أعطينا مولاك بك عشرة آلاف ، وقد

أشتريناك من ميراثه بخمسة آلاف . قالت : يا أمير المؤمنين ، إذا كانت الخلفاء

المتوكل وجارية
محمود الوراق

٢٠

(١) التفنّج : الشكل والدل . في بعض النسخ : « تفنّجي » .

(٢) التكفير : إظهار التعظيم والإجلال .

(٣) في بعض النسخ : « ولكن أبيت معكما » .

(٤) في بعض النسخ : « الأنطاطي » .

تتربص بلذاتها المواريث فسندشترى بأرخص مما أشتريت .

الرشيد وجارية
من جواريه

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : لاعب هارون الرشيد جارية من جواريه على إمسة مطاعة ، فقمرته فقال لها : تمنّي . قالت : تقوم فتقطع فرداً . فقام فقضى فيها وطره ، ثم لاعبها فقمرته فقال لها : تمنّي . قالت : تقوم فتقطع فرداً . فقام فقضى فيها وطره ، ثم لاعبها فقمرته فقال لها : تمنّي . قالت : تقوم فتقطع فرداً . فقام فقضى فيها وطره ، ثم لاعبها فقمرته فقال لها : تمنّي . فقالت : المعاودة . فغشيها ، ثم لاعبته فقمرته ، فقالت : قم لميعادك . فقال : لا أقدر على ذلك . قالت : فاكتب لي به عليك كتاباً أن آخذك به متى شئت . قال : ذلك لك . فدعت بدواة وقرطاس وكتبت : « هذا كتاب فلانة على مولاه أمير المؤمنين : إن لي عليك فرضاً آخذه متى شئت وأنتى شئت من ليل أو نهار » . وكان على رأسها وصيفة لها ، فقالت : تزیدی یا سیدتی فی الکتاب ؛ فإنك لا تأمنين الخلدان ، ومن قام له بهذا الذکر حق فهو ولي ما فيه . فضحك الرشيد حتى أمسلى على فراشه ، واستطرفها ، وأمر أن تنزل مقصورة ، وأن يجزى لها رزق سفي ، وشغف بها . ويقال : إنها « مَراجِل » أم المأمون .

بين الأمين
وجلسائه

تنفّس محمد بن هارون الأمين يوماً في مجلسه أيام الحصار ، فألغت إلى جليس له ، وهو محمد بن سلام صاحب المظالم ، فقال له : ويحك يا محمد ، أتدرى ^(١) ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكرت قول الشاعر :
ذَكَرَ الْهَوَى فتنفّسَ الْمُشْتَأَى وبدا عليه الذَّلَّ والإِطْرَاقُ
يَا مَنْ يُصَبِّرُنِي لِأَصْبِرَ بَعْدَهُ الصَّبْرُ لَيْسَ يُطِيقُهُ الْعِشَاقُ
فقال : لا والله ما نكأته ^(٢) . ثم ألغت إلى جليس له آخر ، فقال له : ويحك أتدرى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ذكرت قول [ابن] الأحنف ^(٣) :

(١) في بعض النسخ : « أترى » .

(٢) يقال : نكأ القرحة : قمرها قبل أن تبرأ . أراد : لم تقع على القرحة .

(٣) هو العباس بن الأحنف . انظر ديوانه ص ٢٧ .

تذكرت بالريحان منك شمائلًا وبالراح عذبا من مُقَبِّلِكَ العذب
 فقال : لا والله مانكأَتْهَا ، ثم التفت إلى كوثر الخادم ، فقال له : ويحك !
 أتدري ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكرت قول ابن نُفَيْلَةَ الفسائي :

٤٣١
 ٣

إن كان دهرٌ بنى ساسان فرقمهم فإِنما الدهر أطوارٌ دهاير^(١)
 وربما أصبحوا يوما بمنزلة تهاب صولهم الأسدُ المهاير^(٢) * ٥
 قال : صدقت .

وكتبت جاريةً إلى علي بن الجهم^(٣) رقعة ، فأجاب فيها :
 ما رقعة جاءتك مكتوبة كأنها خدٌّ على خدٍّ^(٤)
 تبدو سواداً في بياض كما ذُرَّتِ قَتِيتِ المسك في الورد^(٥)
 ساهمة الأسطر مضروفة عن جهة الهزل إلى الجد
 يا كاتباً أسلني عتبه إليه حسي منك ما عندي
 وكتبت أيضا :

علي بن الجهم
 وجارية

قلب يُملّ على لسانٍ ناطقٍ ويدٌ تخطّ رسالةً من عاشقٍ
 مُرَجَّج المِدادُ بعبرةٍ شهدت له من كل جارحة بحبٍّ صادق^(٦)
 فيمينه تحت الوماد وخده ويساره فوق الفؤاد الخافق
 أهدت جاريةً من جوارى المهدي تفاعحةً إلى المهدي وطيبتها ،
 وكتبت فيها :

المهدي وجارية
 أهدته تفاعحة

هدية مني إلى المهدي تفاعحة تُقطف من خدي

٢٠

- (١) دهاير : مختلفة .
 (٢) الصول ، بالفتح : الصولة .
 (٣) في بعض النسخ : « وكتبت جارية علي بن الجهم له » .
 (٤) في بعض النسخ : « مختومة » .
 (٥) ن : « ذر سواد في بياض » .
 (٦) في بعض النسخ : « بقلب صادق » .

مُحَمَّرَةٌ مُصْفَرَةٌ طُيِّتْ كَأَنَّهَا مِنْ جَفَّةِ الْخَلْدِ
فَأَجَابَ الْمَهْدِيُّ :

تُفَاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تَفَاحَةٍ جَاءَتْ فَمَاذَا صَنَعْتَ بِالْفَوَادِ
وَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَبْصَرْتُهَا يَقْظَانُ أَمْ أَبْصَرْتُهَا فِي الرُّقَادِ
وَكُتِبَ بَعْضُ الْكِتَابِ إِلَى مُدَامٍ ، جَارِيَةِ الْمَازَنِ ، وَبُعِثَ إِلَيْهَا بِقَتِينَةٍ
مِنْ مُدَامٍ ^(١) :

بين بعض
الكتاب ومدام
جارية المازني

قُلْ لِمَنْ يَمْلِكُ الْمَلُوكُ كَ وَإِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ ^(٢)
قَدْ شَرِبْنَاكَ مَرَّةً وَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِكَ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَثْمَانَ الْمَازَنِي ، وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ لَهُ
كَأَنَّهَا شِقَّةُ قمر ، وَبِيَدِهَا تَفَاحَةٌ مَقْضُوزَةٌ ، فَقَالَتْ : عَرَفْتَ مَا أَرَادَ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ :

خَبَّرَنِي مِنَ الرَّسُولِ إِلَيْكَ وَأَجْعَلِيهِ مَنْ لَا يَنْمُ عَلَيْكَ
قُلْتُ : مَا أَعْرَفَهُ . قَالَتْ : هُوَ هَذِهِ ، وَرَمَتْهُ إِلَى التَّفَاحَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ
لَهَا جَوَابًا مِنْ نَظِيرِ كَلَامِهَا .

وَقَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : لَقِيتُ الْحَسَنَ بْنَ وَهْبٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ
أُمتَحِنَ سَلَامَةً طَبْعَهُ ، وَمَعِيَ تَفَاحَةٌ ، فَأَرَيْتُهُ إِيَّاهَا وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَصِفَهَا ، فَقَالَ لِي :
نَحْنُ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَلَكِنْ مِلْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ . فَلَمَّا إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهَا وَقَلَّبَهَا بِيَدِهِ
شَيْئًا ، وَقَالَ :

وصف الحسن بن
وهب لتفاحة

يَا رَبُّ تَفَاحَةٍ خَلَوْتُ بِهَا تَشَعْلُ نَارَ الْهَوَى عَلَى كَبْدِي
قَدْ بَتَ فِي لَيْلَتِي أَقْلَبُهَا أَشْكُو إِلَيْهَا تَطَاوُلَ السَّكْدِ
لَوْ أَنَّ تَفَاحَةً بَكَتْ لَبَكَتْ مِنْ رَحْمَةِ هَذِهِ الَّتِي بِيَدِي

٢٠

(١) ن : « بَنِيمة من مدام » .

(٢) في بعض النسخ : « لِمَنْ يَمْلِكُ الْفَوَادِ » .

المأمون وجارية

وعَد المأمون جاريةً أن يَبِيتَ عندها ، وأخلفها الوعد ، فسكتت إليه :

٤٣٢
٣

أَرِقتُ عيني ونَامَتُ عَيْنُ من هُنْتُ عليه
 إِنَّ نَفْسِي فَأَعْذُرُهَا أَصْبَحْتُ فِي رَاحَتَيْهِ (١)
 رَحِمَ اللهُ رَحِيماً دَلَّ عَيْنِي عَلَيْهِ

فلما قرأ رُقعتها ضحك ، ولم يَبِيتَ ليلته إلا عندها (٢) .

عَتَبَ المأمون
على جارية

عَتَبَ المأمون على جاريةٍ من جواريه ، وكان كَيْلَفاً بها فأعرض عنها ،
 وأعرضت عنه ، ثم أسلمه العزاء (٣) ، وأقلقه الشوق ، حتى أرسل يطلب مراجعتها
 وأبطأ عليه الرسول ، فلما رجع إليه أنشأ يقول :

بَعَثْتُكَ مَرْتَاداً فَفُزْتَ بِنَظْرَةٍ وَأَغْفَلَتْنِي حَتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّ
 وَنَاجَيْتَ مَنْ أَهْوَى وَكُنْتَ مَقْرَباً فَيَالَيْتَ شِغْرِي عَنْ دَنُوكَ مَا أَغْنَى (٤)
 وَزَهَبَ حَارِفاً فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا وَمَتَّعْتَ بِاسْتِظْرَافِ نَقَمَتِهَا أَذْناً
 أَرَى أَثَرَا مِنْهَا بَعِينِيكَ لَمْ يَكُنْ لَقَدْ سَرَقْتَ عَيْنَاكَ مِنْ وَجْهِهَا حُسْنًا (٥)
 ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ أَقْبَلَ مُسْتَرْضِياً لَهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ ، وَكَلَّمَهَا فَلَمْ تُجِبْهُ ،
 فَأَنشَأَ يَقُولُ :

تَكَلَّمْتُ لَيْسَ يُوجِعُكَ الْكَلَامُ وَلَا يُؤْذِي مُحَاسِنُكَ السَّلَامُ
 أَنَا الْمَأْمُونَ وَالْمَلِكُ الْهَمَامُ وَلَكِنِّي بِمُحِبَّتِكَ مُسْتَهَامُ
 يَحَقُّ عَلَيْكَ إِلَّا تَقْتُلِينِي فَيَبْقَى النَّاسُ لَيْسَ لَهُمْ إِمَامُ

(١) ن : « فاعذروها » .

(٢) هذه العبارة ساقطة من ن .

(٣) أى فارقته العزاء . وفي بعض النسخ : « ثم أسلمه الهوى » .

(٤) وكنت مقرباً ، أى حضرت مقرباً ، وفي كتاب الله : « وفتحت السماء فكانت أبواباً . وسيرت الجبال فكانت سراباً » . وفي بعض النسخ : « وكنت مبعداً » .

(٥) بعده فيما عدان : « زيادة من غير الألف » .

فيا ليتني كنت الرسول وكنتني . وكنت القذى يعضى وكنت أنا الدنى .

كتاب امرأة
عمر بن عبد
العزيز إليه

كُتِبَتْ أُمْرَأَةٌ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَرَ ، لَمَّا اشْتَغَلَ عَنْهَا بِالْعِبَادَةِ :
أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي قَدَرْتُ سَبِيَّ عَقْلِي وَهَامَ بِهِ فُؤَادِي
أَرَاكَ وَسِعَتْ كُلَّ النَّاسِ عَدْلًا وَجُرْتُ عَلَى مَنْ يَبِينُ الْعِبَادَ
وَأَعْطَيْتَ الرِّعْيَةَ كُلَّ فَضْلٍ وَمَا أُعْطِيتَنِي غَيْرَ الشَّهَادِ
فَصَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهَا .

بين الرشيد
وجارية زبيدة

وَقَعْدَ الرَّشِيدِ يَوْمًا عِنْدَ زُبَيْدَةَ ، وَعِنْدَهَا جَوَارِيهَا ، فَنَظَرَ إِلَى جَارِيَةٍ وَاقِفَةٍ عِنْدَ
رَأْسِهَا فَأَشَارَ إِلَيْهَا أَنْ تُقْبِلَهُ ، فَأَعْتَلَتْ بِشَفَتَيْهَا ، فَدَعَا بِدَوَاةٍ وَقَرَطَاسٍ فَوَقَعَ فِيهِ :
قَتَلْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ فَأَعْتَلْتُ مِنْ شَفَتَيْهِ
ثُمَّ نَاولَهَا الْقَرَطَاسَ فَوَقَعَتْ فِيهِ :

فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى وَثَبْتُ عَلَيْهِ

فَلَمَّا قَرَأَ مَا كَتَبَتْ أَسْتَوْهَبَهَا مِنْ زُبَيْدَةَ ، فَوَهَبَتْهَا لَهُ . فَخَضِيَ بِهَا وَأَقَامَ مَعَهَا
أُسْبُوعًا لَا يُدْرِي مَكَانَهَا ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ زُبَيْدَةَ :

وَعَاشِقِي صَبَّ بِمَعْشُوقِهِ كَأَنَّمَا قَلْبَاهَا قَلْبُ
رُوحَاهَا رُوحَ وَنَفْسَاهَا نَفْسِي ، كَذَا فَلْيَكُنِ الْحُبُّ

الأمين وجارية
له سكرى

حَدَّثَ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ : بَيْنَا عُمَرُ بْنُ زُبَيْدَةَ الْأَمِينُ يُطَوِّفُ فِي قَصْرِ لَهُ ، إِذْ مَرَّ
بِجَارِيَةٍ لَهُ سَكْرَى ، وَعَلَيْهَا كِسْلَةٌ خُزْتُ تَسْحَبُ أَذْيَالَهُ ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا ،
فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا عَلَى حَالٍ مَا تَرَى ، وَلَسَكُنْ إِذَا كَانَ مِنْ غَدٍ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ مَضَى إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : الْوَعْدُ . فَقَالَتْ لَهُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ كَلَامَ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ ؟ فَضَحَكَ ، وَخَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ ، فَقَالَ : مَنْ بِالْبَابِ مِنْ شُعْرَاءِ الْكُوفَةِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : مُصْعَبٌ وَالرَّقَاشِيُّ
وَأَبُو نَوَاسٍ . فَأَمَرَ بِهِمْ فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جَلَسُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ
مَنْكُمْ شِعْرًا يَكُونُ آخِرَهُ :

* كَلَامُ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ *

فأنشأ الرقاشى يقول :

متى تصحو وقلبك مُستطار وقد مُنع القَرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مُستهماً فمأة لا تزور ولا تُزار
إذا استنجزت منها الوعد قالت كلامُ الليل يمحوه النهار

وقال مُصعب :

أتعذلى وقلبك مُستطار^(١) كئيب لا يقر له قرار^(١)
بحبٍ مليحة صادت فُؤادى بالحاظِ يُخالطها أحوار^(٢)
ولما أن مددتُ يدي إليها لألمسها بدا منها نِفارُ
فقلت لها عدينى منك وعداً فقلت فى غدٍ منك المزار
فلما جئتُ مُقتضياً أجاب كلامُ الليل يمحوه النهار

وقال أبو نواس :

وخودٍ أقبلت فى القصر سكرى ولكن زين السكر الوقار^(٣)
وهز المشى أردافاً ثقالاً وغصنا فيه رُمان صِغار
وقد سقط الرُّدا عن منكبيها من التَّجميش وأنحلَّ الإزار^(٤)
فقلت : الوعد سيدتى . فقالت :

فقال له : أخزأك الله ، أكنت معنا ومُطلما علينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين
عرفت ما فى نفسك فأعربتُ عما فى ضميرك . فأمر له بأربعة آلاف درهم ،
ولصاحبيه بمثلها .

وقال بعض العراقيين^(٥) :

غضبت من قُبلة بالسكر جُدت بها فما أنا جئتُ فاقصصيه أضعافاً^(٦)

لبعض العراقيين

(١) ن : « لا يقر به قرار » .

(٢) الاحورار : شدة سواد سواد العين ، وشدة بياض بياضها .

(٣) الخود : الحسنه الخلق الشابه . بدلها فى ن : « وليل » .

(٤) التجميش : المفاصلة والتقرير والملاعبة .

(٥) فى بعض النسخ : « الوراقين » .

(٦) اقتصه من الانتصاس ، وهو القصاص .

لم يأمر الله إلا بالقصاص فلا تستجورى ما رآه الله إنصافاً^(١)
عتبت ماردة على هارون الرشيد ، فكانت تظهر الكراهة وتضمهر له
الحبة ، فقال فيها :

تُبْدَى صُدُوداً وَتُخْفَى تَحْنَهُ صِلَةً فَاَلْنَفْسُ رَاضِيَةٌ وَالطَّرْفُ غَضْبَانُ
يَا مَنْ وَضَعْتُ لَهُ خَدِّي فَذَلَّهِ وَلَيْسَ فَوْقِي سِوَى الرَّحْمَنِ سُلْطَانُ

خبر الحسن بن هانى مع الأسود

أبو بكر الوراق قال : قال لى الحسن بن هانى :

حججتُ مع الفضل بن الربيع حتَّى إذا كنا ببلاد فزارة ، وذلك إبانَ
الربيع ، نزلنا منزلاً بإزاء ماء لبنى تميم^(٢) ، ذا روض أريض ، ونبت غريض^(٣) ،
تخضع لهجته الزرابى المبتوثة^(٤) ، والتمارق المصفوفة^(٥) ، فقرت بنضرتها العيون ،
وأرتاحت إلى حُسْنِها القلوب ، وانفرجت بيهاها الصدور ، فلم نلبث أن أقبلت
السماء ، فأسف غمامها^(٦) ، وتدانى من الأرض رُكامها ، حتى إذا كان كما قال
أوس بن حجر حيث يقول :

دَانِ مُسْفَرٌ فُوقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
كَهَمَتْ بِرَذَاذٍ ، ثُمَّ بَطَشَ ، ثُمَّ بَرَشَ ، ثُمَّ بَوَابِلُ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ وَقَدْ غَادَرَتْ
الغدران مُتَرَعَةً تَقْدُقُ ، وَالْقِيَعَانُ تَتَأَلَّقُ ، رِيَاضُ مُونِقَةٍ ، وَنَوَافِحُ مِنْ رِيحِهَا عَبَقَةٌ ،
فَسَرَّحَتْ طَرْفِي رَاتِعاً مِنْهَا فِي أَحْسَنِ مَنْظَرٍ ، وَانْتَشَقْتُ مِنْ رِيَايَاهَا أَطْيَبَ مِنْ
الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ . قال : فلما أنهينا إلى أوائلها ، إذا نحن بنخباء على بابه جارية

(١) لا تستجورى : أتراد لا تعديه جوراً ، أى ظلماً .

(٢) ن : « بازاء باديتهم » .

(٣) الأريض : الزكى المعجب للمين . والغريض : الطرى .

(٤) الزرابى : جمع زربى ، وهو كل ما بسط واتكى عليه . المبتوثة : المفرقة .

(٥) التمارق : جمع تمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة ، أو العنقسة فوق الرحل .

(٦) أسف : دنا من الأرض .

متبرقة^(١) ، ترنو بطرف مريض الجفون ، وسنان النظر ، قد أشعرت جماليته فتورا
وملئت سحراً ، فقلت لزميلي : استنطقها . قال : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ قلت :
أستسقيها ماء . فأستسقيها فقالت : نعم ونعمي عين^(٢) ، وإن نزلتم فني الرُحْب
والسعة . ثم مضت تنهادي كأنها خوط بان^(٣) ، أو قضيب خيزران ، فراعني
مارأيت منها ، ثم أتت بالماء فشربت منه ، وصببت باقيه على يدي ، ثم
قلت : وصاحبي أيضاً عطشان . فأخذت الإناء فذهبت ، فقلت لصاحبي : من
الذي يقول :

إذا بارك الله في ملبس . فلا بارك الله في البرقع
يريك عيون الدُّمى غيرةً . ويكشف عن منظر أشنع

قال : وسمعت كلامي ، فأنت وقد نزع البرقع ، وتولبت تخاراً أسود ،
وهي تقول :

ألا حي رَكْبِي مَعشِرٍ قد أراها أطالا ولما يعرفا مُبتغياها^(٤)
هما أستسقيها ماء على غير ظمأ . ليستقيا بالَّلحظ ثمن سقاها^(٥)
فشبهت كلامها بعقد در وهى سلكه فانتثر ، بنعمة عذبة رقيقة رخيمة ،
لو خوطب بها الصَّم الصَّلابُ لأنبجست ، مع وجهه يُظلم لنوره ضياء العقول ،
وتتلف في روعته مُهَج النفوس ، وتخف في محاسنه رزانة الحليم ، ويحار في
بهائه طرف البصير .

فدقت وجلت واسبطرت . وأكملت : فلو جُنَّ إنسان من الحسن جُنَّت^(٦)

(١) في بعض النسخ : « مشرقة » .

(٢) أى ورقة عين . وفي هذا التعبير لغات أخرى كثيرة .

(٣) الخوط ، بالضم : الفصن الناعم .

(٤) فيما عدا ن : « ألاحي ربيعي » و « أقامنا إن » .

(٥) فيما عدا ن : « ليستمتعا بالَّلحظ » .

(٦) البيت للشنفرى الأزدي من قصيدة له في الفضليات (١ : ١٥٦) .

فلم أتمالك أن سجدت وخررت ساجدا فأطلت من غير تسبيح ، فقالت :
 أرفع رأسك غير مأجور ، ولا تدم من بعدها برقا ، فلربما أنكشف عما يعصِف
 الكرى ويحلُّ القوى ، ويطيّل الجوى ، من غير بلوغ إرادة ، ولا درك
 طلبية ، ولا قضاء وطر ، ليس إلا للحين الجلوب ، واللسدر المكتوب ، والأمل
 الكذوب . فبقيت والله معقول اللسان عن الجواب ، حيران لا أهندي لصواب ،
 فالتفت إلى صاحبي ، فقال لما رأى هلي ، كالمسلى لي عن بعض ما أذهاني :
 ما هذه الخفة لوجه برقت لك منه بارقة لا تدري ما تحتها ؟ أما سمعت قول
 ذي الرثمة :

على وجهي مسحة من ملاحية وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقلت : أما ما ذهبت إليه لا أبالك ، فلا والله ، لأنا بقول الشاعر :

منعمة حشوراء يجري وشاؤها على كشح مرنج الزوادف أهضم
 لها بشر صاف وعين مريضة وأحسن إيماء بأحسن معصم
 خراعية الأطراف سمدية الحشا فزارية الغينين طائيسة الفم^(١)

أشبه من قولك الآخر . ثم رفعت ثيابها حتى بلغت بها نحرها ، وجاوزت
 منكبيها فإذا قضيب فضة قد شيب بماء الذهب ، بهتز على مثل كتيب النقا ،
 وصدر كالوذيلة^(٢) ، عليه كالزمانتين ، وخصر لو رمت عقده لأعقد ، مطوى
 الأندماج ، على كفل رجراج ، وسرة مستديرة ، يقصر فهي عن بلوغ نعتها ،
 من تحتها أرنيب جانم ، أوجيه أسد خادر ، وفخذان لغاوان^(٣) ، وساقان خدجان^(٤)
 يخرسان الخلاخيل ، وقدمان كأنهما لسانان . ثم قالت : أعاراً ترى لا أبالك ؟
 قلت : لا والله ، ولكن سبب القسدر المتاح ، ومقربي من الموت الذباح ،

(١) ن : « صرية الحشا » .

(٢) الذويلة : الرأة .

(٣) لغاوان : مخمضان ، مشرق لواء ، والفخذ مؤنثة .

(٤) خدجان : عبتان ، واللساق يدكر ويؤنث ، كما في المزهري للسيوطي .

٤٣٥
٣ يُطبقُ علىَّ الضريح ، ويتركني جسداً بغير روح . فخرجتُ معجوزاً من الخباء ،
فقلتُ له : أمضِ لشأنك ، فإنَّ قتيلاً مطاول لا يُودى ، وأسيراً مكبول لا يُفدى .
فقلتُ لها : دعيه فإنَّ له مثل قول غيلان :

فإلا يكن إلاَّ تعلُّ ساعة قليلاً فإني نافع لى قليلاً

٥ فولتُ المعجوز وهي تقول :

وما لك منها غير أنك نائك بعينيك عينيها وأبرك جانب^(١)

فنحن كذلك حتى ضرب الطبلُ للرحيل ، فأنصرفْتُ بكمدٍ قاتل ،
وكرَب خابل ، وأنا أقول :

يا حَسْرَتِي مِمَّا يُجِنُّ قُوَادِي أَرِفَ الرِّحِيلُ بَعْرَبِي وَبِعَادِي

- ١٠ فلما قضينا حِجَّتَنَا وانصرفنا راجعين ، مررنا بذلك المنزل ، وقد تضاءف
حُسْنُهُ وَتَمَّتْ بِهِجَّتُهُ ، فقلتُ لصاحبي : أمض بنا إلى صاحبتنا . فلما أشرَفْنَا على
الخِيَامِ ، فصعدنا رَجَبَةً وَنَزَلْنَا وَهْدَةً ، إذا هي تتهادى بين خَسِيٍّ ما تَصْلُحُ أَنْ
تَكُونَ خَادِمًا لِأَدْنَاهُنَّ ، وهنَّ يَجْنِينَ من نور ذلك الزَّهَرِ ، فلما رأينَا وَقَفْنَ
فقلنا : السلام عليكن . فقالت من بينهن : وعليك السلام ، ألسنتُ صاحبي ؟
١٥ قلتُ : بلى . قلن : وتعرفينه ؟ قالت : نعم ، وقصت عليهن القصة ما خَرمت حُرُفًا .
قلن لها : ويحك ، فما زودته شيئاً يتعلل به ؟ قالت : بلى ، زودته لخدأ ضامراً ،
وموتاً حاضراً . فانبرت لها أنضرهنَّ خَدًّا ، وأرشقهنَّ قَدًّا ، وأسحرهنَّ طَرْفًا ،
وأبرعهنَّ شِكْلًا^(٢) ، فقالت : والله ما أحسنتَ بَدْمًا ، ولا أجملتِ عَوْدًا ، ولقد
أسأت في الرَّدِّ ، ولم تُكافئيه في الوُدِّ ، فما عليك لو أسعفته بِطَلَبَتِهِ ، وأنصفته
٢٠ في مَوَدَّتِهِ ، وإنَّ المَسْكَانَ لَخَالٍ ، وإنَّ معك من لا يَنِمُّ عليك . فقالت : أما والله
لا أنعلُ من ذلك شيئاً أو تُشْرِكِنِي في حُلُوهِ ومُرِّهِ . قالت لها : تلك إذا قِسْمَةٌ

(١) الجانب : المجتنب المحذور . في بعض النسخ : « خائب » . وانظر الحيوان (٦ : ٢٦٢) .

(٢) ن : « وأبدعهن شكلاً » .

ضيزي ، أتعشقين أنت وأناك أنا ؟ قالت أخرى منهن : قد أطلتن الخطاب في غير أرب ، فسألن الرجل عن نيته ، وقصده وبغيته ^(١) ، فلمله لغير ما أنتن فيه قصد ^(٢) . فقلن : حيالك الله ، وأنعم بك علينا ، من تكون ، ومن أنت ، وما تعاني ، وإلام قصدت ؟ فقلت : أما الاسم فالحسن بن هاني ، رجل من اليمن ، ثم من سعد العشيرة ، وأحد شعراء السلطان الأعظم ^(٣) ، ومن يدني مجلسه ، ويتقى لسانه ، ويرهب جانبه . وأما قصدي فتبريد غلة ، وإطفاء لوعة ، قد أحرقت الكبد وأذابتها ^(٤) . قالت : لقد أضفت إلى حسن المنظر كرم المخبر ، وأرجو أن يبلغك الله أمنيته ، وتنال بغيته . ثم أقبلت عليهن ، فقالت : ما بواحدة منكن عن مثله مرغ ^(٥) ، فتعاليين نشترك فيه ، وتقرعن عليه ، فن واقعتها القرعة مما تكون هي البادية . فأقرعن فوقعت القرعة على المليحة التي قامت بأمرى ، فملقن إزاراً على باب مغار يجاورهن وأدخلت فيه ، وأبطأن عني وجعلت أنشوف لدخول إحداهن علي ، إذ دخل علي أسود كأنه سارية ، وبيده شيء كالمراوة ، قد أنعظ بمثل رأس الخفيدد ^(٦) ، قلت : ما تريد ؟ قال : أنيكلك . فهزني والله نفسي ثم صحت بصاحبي ، وكان أيذاً ^(٧) ، فبالحرى والله ما تخلصت منه حتى خرجنا من الغار ، وإذا هن يقضاحكن ويتهادين إلى الخيمات ؛ فقلت لصاحبي : من أين أقبل الأسود ؟ قال : كان يرعى غنماً إلى جانب الغار فدعونه ، فوسوسن إليه شيئاً فدخل عليك ! . فقلت أبا علي : أترأه كان يفعل في شيئاً ؟ فقال : أترأه خلصت منه . فأنصرفت وأنا أخزي الناس .

(١) ن : « عن قصته وبغيته » .

(٢) هذه الكلمة ليست في ن .

(٣) في بعض النسخ : « وخير » بدل « واحد » .

(٤) ن : « وأذابته » . والكبد مما يذكر ويؤث .

(٥) في بعض النسخ : « ما الواحدة منكن غير ملتمة مرغبة » .

(٦) الخفيدد : الظليم ، وهو ذكر النعام . في بعض النسخ : « الجنيذ » ، تحريف .

(٧) الأيد : القوي ذو الأيد . في بعض النسخ « متدانيا » ، صوابه من ن .

قال إسماعيل : فقلتُ : نا كَكَ والله الأسود . فقال : مالكَ أبعدك الله .
فوالله لقد كتبتُ هذا الحديثَ مخافةً هذا التأويل حتى ضاق به ذرعى ^(١) ،
ورأيتك موضعاً له ، فبحقِّ عليك إن أذهبتَه . قال إسماعيل : فما فُتت به
حتى مات ^(٢) .

٥. خبر ذي الرمة .

قال أبو صالح القزاري : ذكرنا ذا الرمة ، فقال عصمة بن عبيد الملك ^(٣)
شيخ منّا ، قد بلغ عشرين ومائة سنة : لِبَّاي فاسألوا عنه ، كان من أخرف
الناس ، آدم خفيف العارضين ، حسن المضحك ، حلو المنطق ، وإذا أنشد بربر
وجشَّ صوته ^(٤) ، وإذا راجعك لم تسأم من حديثه وكلامه ، وكان له إخوة
يقولون الشعر ، منهم مسمود ، وهشام ، وأوفى ^(٥) ، كانوا يقولون القصيدة فيزيد
عليها الأبيات ، فيغلب عليها فتذهب له ، فجمعني وإياه مريع ^(٦) فأتاني يوماً ،
فقال لي يا عصمة : إن مئة منقرية وبنو منقر أخبث حيٍّ ، وأقوفه لأثر ، وأعطفه
يشتر ^(٧) ، فهل عندك ناقةٌ نزار عليها مئة ؟ قلت : والله إن عندي للجوذر قال :
على بها . فركبنا جميعاً وخرجنا حتى أشرفنا على بيوت الحى فإذا هم خلوف ^(٨) ،

١٥

(١) في بعض النسخ : « صدرى » .

(٢) انظر الخبر التالي في مجالس ثعلب ٣٩ والأغانى (١٦ : ١٢٤) ومصارع المشاق ١٣٧

وتزيين الأسواق ٧٩ وشرح شواهد المفنى للسيوطى ٢١٠ .

(٣) ن : « عصمة بن الملك » ، وفي معظم المراجع : « عصمة بن مالك » .

(٤) بربر ، من البربرة ، وهى كثرة الكلام والجلبة باللسان . وجش ، من الجشش ،

وهو صوت غليظ فيه بحة . وفي الأصول : « بزينة حسن صوته » ، صوابه في مجالس
ثعلب والأغانى .

(٥) هذا ساقط من ن .

(٦) الربيع : المنزل في الربيع . وفي المجالس : « فجمعني ولما هم » .

(٧) وأعطفه بشر ، من ن . وفي المجالس : « وأعلمه بشر » .

(٨) الخلوف : جمع خلب ، بالفتح ، وهم القوم الذين ذهبوا من الحى يستقون وخلفوا

أنفاهم . ابن الأعرابي : الخلوف : الحى إذا خرج الرجال وبقي النساء .

٢٥

وإذا بيتُ مَيَّةَ ناحيةً ، فعرفن ذا الرمة فتقوَّض النساء إلى مَيَّ^(١) ، وجئنا حتى
أنخنا ، ثم دنونا فسلمنا وقعدنا نتحدَّث ، فإذا هي جاريةٌ أملودٌ واردة الشعر^(٢)
بيضاء تغمرها صُفرة ، وعليها ثوبٌ أصفر ، وطاقٌ أخضر ، فقلن : أنشدنا يا ذا الرمة .
فقال : أنشدهنَّ يا عَصمة . فأنشدتهنَّ :

نظرتُ إلى أظمان مَيَّ كأنها ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه
فأعربتِ العينان والصدرُ كاتم بمغروقٍ نمت عليه سواكبه^(٣)
مُبكاً وامقٍ جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارُهُ ومغايبه
فقال ظريفةٌ منهنَّ : لـكن الآن فلتَجل . قال : فنظرتُ إليها مَيَّةً متكرِّهةً ،
ثم مضيتُ في القصيدة ، حتى أنهيت إلى قوله :

١٠ إذا سرحت من حُبِّ مَيَّ سوارحٍ على القلب لبتَه جميعاً عوازيه^(٤)
فقال ظريفة : قتلتَه قتلكِ الله . قالت مَيَّة : ما أصحَّه وهنيئاً له . فتنفَّس
ذو الرمة تنفُّساً ظننت معه أنَّ فؤاده قد انصدع ، ومضيت فيها حتى أنهيت
إلى قوله :

١٥ وقد حلفت بالله مَيَّةً ما الذى أقول لها إلا الذى أنا كاذبه
إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال فى أرضى عدوُّ أحاربه
فالتفتت إليه فقالت : خف عواقب الله . ومضيتُ في القصيدة حتى أنهيت
إلى قوله :

إذا راجعتك القول مَيَّةً أو بدا لك الوجه منها أو نضا الثوب سالبه

(١) تقوضن : جئن وذهبن فى غير استقرار كما يتقوض النمل . ن : « تفرق النساء »
وفى سائر النسخ : « فتعرض » صوابهما فى مجالس ثعلب .
(٢) أملود : ناعمة مستوية القامة . والشعر الوارد : المسترسل الطويل .
(٣) فى الديوان ٤٠ : « فأبدت من عيني » . وفى المصارع والتزيين والأغاني وأمال
القالى (٣ : ١٦٣) :

* فأسبلت العينان والقلب كاتم *

٢٥ (٤) فى المجالس : « آبتَه » بدل « لبتَه » .

فيا لك من خدي أسيل ومنطق رخم ومن خلق تعلل جادبه^(١)
 فقالت الظريفة : ها هي ذه قد راجعتك ، وقد بدا لك الوجه منها ، فمن
 لك بأن ينضو الدرع سالبه ؟ فالتفت مئة إليها فقالت : قاتلك الله ، ما أنكر
 ما تجيبين به . فتحدثن ساعة ، ثم قالت الظريفة للنساء : إن لهذين شأنًا ،
 فقمنا بنا وقت معهن ، فجلست في بيت أراهما منه ، فما رأيت برح من مقعده ،
 ولا فقدته^(٢) ، فسمعتها قالت له : كذبت والله . ولا أدري ما قال لها ، فلبثت
 قليلًا ، ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن ومعه قلائد للجوذر ، فقال : هذا دهن
 طيب أتحفنا به ، وهذه قلائد للجوذر ، ولا والله ما أقلدهن بغير أبدا وشدة
 بهن ذوائب سيفه وأنصرفنا . فكنا نختلف إليها حتى أتقضى الربيع ، ودعا
 الناس المصيف ، فأتاني فقال : هيا عصمة ، قد رحلت حتى ولم يبق إلا الآثار ،
 ورسوم الديار . وأنشدني :

ألا يا أسلمى يا دارى على البلى ولا زال منهالاً بجرعائك القطر^(٣)

خرج^(٤) المأمون في يوم عيد وقد ركب الجند أمامه ، ومعه يحيى بن أكرم
 بضاحكه وبجاذبه ، إذ نظر إلى غلام من الجند في غاية القراة ، عليه ثوب
 حرير أخضر ، وثوب موشى مزركر بالذهب ، فالتفت إلى يحيى بن أكرم فقال له :
 يا يحيى ، ما تقول في هذه البضاعة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا لقبيح من
 إمام مثلك مع فقيه مثلى . قال : فمن الذى يقول :

قاضي يرى الحد في الزنا ولا يرى على من يلوط من باس
 فقال : دعبل ، الذى يقول :

ولا أرى الجور ينقض على الأمة وال لال عباس

خبر المأمون
ويحيى بن أكرم

(١) الجادب : العائب . في بعض النسخ « جاذبه » بالذال المعجمة ، تحريف .

(٢) في بعض النسخ : « قعدته » .

(٣) البيت لدى الرمة .

(٤) خبر المأمون هذا مما انفردت به نسخة ن .

قال : يُبْنَى إِلَى السُّنْد ، وَإِنَّمَا دَاعَبْنَاكَ . ثُمَّ أَنشَأَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّاكِبُ ثَوْبًا هُوَ حَرِيرٌ وَحَدِيدٌ
جِئْتَ لِلْعِيدِ وَفِي وَجْهِكَ لِلْأَعْيُنِ عَيْدٌ
أَنْتَ جَنْدِيٌّ وَلَكِنْ فَيْكَ لِلْحَسَنِ جُنُودٌ^(١)

٥ الفضل بن الربيع^(٢) قال : قَعِدَ الْخُلُوعُ لِلنَّاسِ يَوْمًا وَعَلَيْهِ طِيلَسَانٌ أَزْرَقٌ ، الْفَضْلُ وَالْأَمِينُ
وَتَحْتَهُ لِبْدٌ أَيْبُضٌ ، فَوَقَعَ فِي ثَمَانِيَةِ قِصَّةٍ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ فَمَا أَخْطَأَ ، وَأَسْرَعَ
فَمَا أَبْطَأَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا فَضْلُ^(٣) ، أَتَرَانِي لَا أَحْسَنَ التَّدْبِيرِ وَالسِّيَاسَةِ ، وَلَكِنِّي
وَجَدْتُ شَمَّ الْأَمْسِ ، وَشُرْبَ الْكَاسِ ، وَالِاسْتِقْلَاءَ مِنْ غَيْرِ نَعَاسٍ ، أَشْهَى إِلَيَّ
مِنْ ذَلِكَ .

١٥ قال ابن قُتَيْبَةَ : خَرَجَ أَبُو عِيْسَى جَبْرِيلُ بْنُ أَبِي عِيْسَى إِلَى مَتَنَزَّهِ لَهُ
بِالْقُفْصِ^(٤) ، وَمَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ ، فِي آخِرِ شَعْبَانَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي
أَوْفَى بِهِ الشَّهْرُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا قِيلَ لَهُ : إِنَّ هَذَا يَوْمُ شُكٍّ ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَصُومُهُ ،
فَقَالَ : لَا عَلَيْكَ ، لَيْسَ الشُّكُّ حُجَّةً عَلَى الْيَقِينِ . حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ^(٥) عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « صُومُوا لِرُؤُوسِهِمْ وَأَفْطِرُوا لِرُؤُوسِهِمْ » . ثُمَّ قَالَ
أَبُو عِيْسَى^(٦) :

لَوْ شِئْتَ لَمْ نَبْرَحْ مِنَ الْقُفْصِ نَشْرِبُهَا حَمَاءً كَالْحَصِ^(٧)

(١) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي النَّصُّ الَّذِي انْفَرَدَتْ بِهِ نَسْخَةُ ن . وَجَاءَ بِمَدِّهَا فِيهَا : « تَمَّ الْجُزْءُ
التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْكَرِيمِ نَبِيِّهِ وَخَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ
وَصَفْوَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا » .

٢٠ (٢) بَدَلَهُ فِي ن : « الرَّبِيع » .

(٣) ن : « يَارَبِيع » .

(٤) الْقُفْصُ ، بِالضَّمِّ : قَرْيَةٌ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ بَغْدَادَ وَعَكْبَرَاءَ ، كَانَتْ مِنْ مَوَاطِنِ اللَّهِو وَمَعَاهِدِ
النَّزْهِ ، وَتَنْسَبُ إِلَيْهَا الْخُمُورُ الْجَيِّدَةُ وَالْحَانَاتُ الْكَثِيرَةُ .

(٥) ن : « أَبُو مَعْشَرٍ » .

٢٥ (٦) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي عِيْسَى » .

(٧) الْحَصُ ، بِالضَّمِّ : الْوَرَسُ ، أَوِ الزَّعْفَرَانُ .

نَسْرِقُ هَذَا الْيَوْمَ مِنْ شَهْرِنَا وَاللَّهُ قَدْ يَغْفُو عَنِ اللَّصِّ
وَذَكَرُوا أَنَّ أَبَا عَيْسَى خَرَجَ إِلَى الْقُفْصِ مَتْنِزًا وَمَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ ،
فَحَمَلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، فَأَقَامَ فِيهَا أَسْبُوعًا ، ثُمَّ قَالَ : بِحَيَاتِي صِيفُ مَجْلِسِنَا وَالْأَيَّامُ
كُلُّهَا . فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

وصف أبي نواس
لمجلس شراب

- يا طيبتنا بقصور القُفْصِ مُشْرِقَةً بها الدَّسَاكِرُ وَالْأَنْهَارُ تَطَرَّدُ^(١) ٥
لَمَّا أَخَذْنَا بِهَا الصَّبَاءَ صَافِيَةً كَانَهَا النَّارُ وَسَطَ الْكَاسِ تَنْقَدُ
جَاءَتْكَ مِنْ دَنِّ خَمَارٍ بِطِيبَتِهَا صَفَرَاءُ مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ تَرْتَعِدُ^(٢)
وَقَامَ كَالْبَدْرِ مَشْدُوداً قَرِاطِقُهُ ظَنِّي يَكَادُ مِنَ التَّهْيِيفِ يَنْفَعِدُ
فَسَلَّمَا مِنْ فَمِ الْإِيرِيقِ قَانِبَعَتْ مِثْلَ اللِّسَانِ جَرَى وَأَسْتَمْسَكَ الْجَسَدُ^(٣)
فَلَمْ نَزَلْ فِي صَبَاحِ السَّبْتِ نَأْخُذُهَا وَاللَّيْلُ يَأْخُذُنَا حَتَّى بَدَا الْأَحَدُ ١٠
وَأَسْتَشْرِقَتْ غُرَّةُ الْإِثْنَيْنِ وَاحِمَةً وَالْجَدَى مُعْتَرِضٌ وَالطَّالِعُ الْأَسَدُ
وَفِي الثَّلَاثَاءِ أَعْمَلْنَا الْمِطْيَ بِهَا صَهْبَاءُ مَا قَرَعَتْهَا بِالْمِزَاجِ يَدُ^(٤)
وَالْأَرْبَعَاءُ صَفَا فِيهِ النِّعِيمُ لَنَا وَالْكَاسُ يَضَعُكَ فِي حَافَاتِهَا الزُّبْدُ
ثُمَّ الْخَمِيسَ وَصَلْنَا بِبَلِيلَتِهِ قَصَفًا وَتَمَّ لَنَا بِالْجُمُعَةِ الْعَدَدُ^(٥)
يَا حُسْنَنَا وَبِحَارِ الْقُفْصِ تَغْمُرُنَا فِي لُجَّةِ اللَّيْلِ وَالْأَوْتَارِ تَجَنُّدُ ١٥
فِي مَجْلِسٍ حَوْلَهُ الْأَشْجَارُ مُخَدَّقَةٌ وَفِي جَوَانِبِهِ الْأَطْيَارُ تَغْتَرَّدُ
لَا نَسْتَحْفَ بِسَاقِينَا لِعِزَّتِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ حِكْمَهُ أَحَدُ
عِنْدَ الْهَمَامِ أَبِي عَيْسَى الَّذِي كَلَّتْ أَخْلَاقُهُ فَهِيَ كَالْأَوْرَاقِ تُنْقَدُ

أَبُو جَعْفَرِ الْبَغْدَادِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الدَّمَشْقِيُّ قَالَ : مَرَرْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ،

الدمشقي
وأبو عيشونة

- (١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « يَاطِيَّةٌ » وَالتَّصْيِيدَةُ فِي دِيْوَانِ أَبِي نَوَاسٍ ٢٦٧ . ٢٠
(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « مِنْ بَيْتِ خَمَارٍ » .
(٣) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « فَصْبَهَا » .
(٤) ن : « لِلْمِزَاجِ » .
(٥) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « وَتَمَّ فِيهِ لَنَا بِالْجُمُعَةِ » .

أيام فتنة المستعنين ، والقمر يزهرُ بباب الشام ، فإذا أنا بشيخ غليظ ، أصلح
نشوان ، قد توشَّح في إزارٍ أحمر ، ومال على شِقِّه الأيمن ، وفي يده خُوصة
يَشْمُها^(١) ويقول :

عشرون ألفَ فتى ما منهم أحدٌ إلا كَألف فتى بِمِقدامةٍ بَطَلِ
أُصْحَتْ مَزَادُومٍ مَمْلُوءَةٍ نَشَبًا فَقَرَّغُومًا وَأَوَكُومًا عَلَى الْأَمَلِ^(٢)
فقلت له : أحسنت ، لله أنت . فقال : أَتُحِبُّ رَقِيقَةً ؟ فقلت : ما أحوجني
إليها . فقال :

٤٣٨
٣
إِنَّمَا هَمَّيْجُ الْبَلَاءِ حِينَ عَضَّ السَّفَرَجَلَا
وَعَلَا الْوَرْدُ وَجَنَّتِيهِ فَأَبْدَى التَّخَجُّلَا
يَفْضُحُ الْبَدْرُ فِي الْكَمَا لَ إِذَا الْبَدْرُ أَكْمَلَا
وَلَقَدْ قَامَ لِحَظٌ عَيْنِي عَلَى الْقَلْبِ بِالْقَلَا^(٣)

قلت له : أبو من أعزك الله ؟ قال : أبو عيشونة الخياط^(٤) ، شهدتُ حروب
ابن زُبَيْدَةَ كُلَّهَا ، وَجَارَيْتُ الْفَتَيَانَ فِي غَايَةِ كُلِّ مَيْدَانٍ ، وَأَعْتَرَفَ لِي كُلُّ فَاتِكٍ ،
وَأَذْعَنَ لِي كُلُّ شَاطِرٍ ، وَنَزَلَتْ تِلْكَ الدَّارَ عَشْرِينَ سَنَةً . وَأَوْمَأَ إِلَى سَجْنِ بَغْدَادِ ،
١٥ ثُمَّ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ . وَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُول :

لِي فِؤَادٌ مُسْتَهَامٌ وَجُفُونٌ مَا تَنَامُ
وَدُمُوعٌ آخِرَ الدَّهْرِ بَعِيْنِي سِجَامٌ^(٥)
وَحَبِيبٌ كَلَّمَا خَا طَبَّتُهُ قَالَ سَلَامُ
فَإِذَا مَا قُلْتُ : صِلْنِي قَالَ لِي ذَاكَ حَرَامُ

٢٠ (١) ن : « خوصية يتشمها » .

(٢) النشب : المال ناطقه وصاتته .

(٣) ن : « بالفلا » .

(٤) في بعض النسخ : « أبو عشيرة » .

(٥) يقال : سجم الدمع سجموا وسجاما ، إذا سال .

ثم بكي تخالجاً ، فلما أفاق قلت : ما يبكيك ؟ قال : وكيف لا أبكي ،
ولى حبيبٌ بالبصرة علقته وهو ابنُ سبعِ عشرة سنة ، ثم غبتُ عنه ثلاثاً
وثلاثين سنة ، فلما عيّل صبرى خرجت إلى البصرة فطُفْتُ في شوارعها حتى
رأيتُه ، فما رأيتُ وجهها أحسن منظراً ولا أزهى منه^(١) . ثم أنشأ يقول :

مُرَدَّدٌ فِي كَمَدِهِ^(٢) مُعَذَّبٌ فِي مُسْهِدِهِ

خَلَا بِهِ الشُّقْمُ فَمَا أَسْرَعَهُ فِي جَسَدِهِ

يَرْجَمُهُ لَمَّا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ذُو حَسَدِهِ^(٣)

ثم ودّعني ومضيتُ .

وحدثني أبو الفضل قال :

إِنِّي لَفِي الطَّوَافِ أَمَامَ الْحِجْرِ ، إِذْ سَمِعْتُ حَنِينًا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْأَسْتَارِ ،
وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ :

حديث جارية
في الطواف

عَمَّا اللَّهُ عَمَّنْ يَحْفَظُ الْوَدَّ جَهْدَهُ وَلَا كَانَ عَفْوُ اللَّهِ لِلنَّاقِضِ الْعَهْدِ

وَضَعْتُ عَلَى الْأَسْتَارِ خَدَيَّ لَيْلَةً لِيَجْمَعَنِي مَعَ مَنْ وَضَعْتُ لَهُ خَدَيَّ^(٤)

قال : فرفعت الأستار فإذا جاريةٌ مُنفردة ، كأنها شمسٌ تجلّت عنها غمامة .

فقلت : يا هذه لو سألتِ الله الجنةَ مع هذا التضرّع والبكاء ما حرمك إياها .

قال : فسترت وجهها ، وقالت : سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ فَسَوْسَى ، وَلَمْ يَهْتِكِ الْعِلَانِيَةَ

وَالنَّجْوَى . أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَفَقِيرَةٌ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّي ، وَقَدْ سَأَلْتُهُ أَكْبَرَ الْأَسْرِينَ

عِنْدِي ، رَجَاءَ فَضْلِهِ ، وَأَتَكَلَّأُ عَلَى عَفْوِهِ . ثُمَّ وَلَّتْ عَنِّي ، فَأَسْتَعِذْتُ بِاللَّهِ مِنَ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

حدثني مُسْلِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَزَيْبَانُ

حديث مسلم
ابن عبد الله
وزبان

(١) ن : « فما رأيت وجهها أحسن ولا منظر أزهى منه » .

(٢) ن : « مزرد » .

(٣) في بعض النسخ : « لا بدا » .

(٤) ن : « خدا ذليلة » ، وتقرأ « ذليلة » في هذه الرواية حالا .

السَّوَّاقِ^(١) إلى العميق ، نلقينا نسوة نازلات من العميق ، لهنَّ جمال وشارة ،
وفيهن جارية حُسَّانة العينين^(٢) ، فلما رآها زبَّان قال لي : يا ابن الكرام دمُّ
أبيك والله في ثيابها ، فلا تطلبْ أثراً بعد عين . وأنشد قول أبي مُسلم بن جُنْدَب :

ألا يا عبادَ الله هذا أخوكم قتيلاً فهل منكم له اليومَ نائل
خُذُوا بِدَمِي إِنْ مِتُّ كُلُّ مَلِيحَةٍ مَرِيضَةٍ جَفَنَ الْعَيْنَ وَالْطَّرْفُ سَاحِرُ ٥

قال : فقالت لي الجارية : أنت ابن جُنْدَب ؟ قلت : نعم . قالت : فاغتنم
نفسَكَ وأحسبْ أباك ، فإن قَتيلنا لا يُودَى ، وأسیرنا لا يَفْدَى .

الزُّبَيْر بن بَكَّار ، عن عبد الله بن مُسلم بن جُنْدَب قال : قلت : لعبد الله بن مسلم

تعالَوْا أعينوني على اللَّيْلِ إنه على كُلِّ عَيْنٍ لا تَنَام طَوِيلُ

قال : فطرقني عيسى بن طَلْحَةَ قال : إني سمعت قولَكَ فجئتُ أعينكَ .
فقلت : يرحمك الله ، أغفلتَ الإجابةَ حتى أتى الله بالفرج .

أبو المَهْلَل الخُزَاعِي قال : أُرْتَحِلْتُ إلى الدَّهْنَاءِ^(٣) ، فسألت عن مَيِّ صاحبة
ذِي الرِّمَّةِ ، فدُفِعَتْ إلى خِيْمَةٍ فيها عَجُوزٌ هَيْفَاءُ ، فسَلَّمْتُ عليها ، وقلت : أين

منزل مَيِّ ؟ فقالت : ها أنا مَيِّ . فقلت : عجبا من ذِي الرِّمَّةِ وكثرةِ قوله فيكَ .

١٥ قالت : لا تعجبْ ، فإني سأقومُ بَعْدَهِ . ثم قالت : فلانة ! فخرجتُ من الخِيْمَةِ
جاريةً نَاهِدٌ عليها بَرَق ، فقالت لها : أسفري . فلما أسفرت تَحَيَّرْتُ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ
حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، فقالت : عَلِقْنِي ذُو الرِّمَّةِ وَأَنَا فِي مَنْ هَذِهِ ، وكلُّ جَدِيدٍ إِلَى بَلِي .
قلت : عذرتُهُ والله . واستنشدتها من شعره ، فأنشدتني .

(١) السَّوَّاق ، نسبة إلى بيع السويق ، كما في أنساب السمعاني ٣١٦ .

٢٠ (٢) في بعض النسخ : « خضائية » تحريف . وحساسة العينين : حسنتهما . وفي
قول الشماخ :

دار الفتاة التي كنا نقول لها يا غبية عطلا حساسة الجيد

(٣) ن : « إلى الرملة » .

ما يكتب على العصائب وغيرها

أبو الحسن قال : دخلتُ على هارون الرشيد وعلى رأسه جوارٍ كالتماثيل ،
فرايتُ عصابةً منّظمةً بالدرِّ والياقوت ، مكتوباً عليها في صفائح الذهب :
ظلمتني في الحبِّ يا ظالمُ والله فيما بيننا الحاكمُ

قال : ورأيتُ في عصابةٍ أخرى : ٥

مالي رَميتُ فلم تُصَبِّك سهامي ورميتني فأصبتني يا رامي
قال : ورأيتُ في عصابةٍ أخرى : « وضع الخلد للهوى عن » . قال : ورأيت
في صدرٍ أخرى هلالاً مكتوباً عليه :

أفلتُ من حُور الجنانِ وخلقتُ فتنةً من يراني

قال إسحاق بن إبراهيم : دخلت على الأمين محمد بن زُبَيْدة ، وعلى رأسه ١٠
وصائفُ في قراطقٍ مفروجة^(١) ، بيد وصيفةٍ منهن مروحةٌ مكتوب عليها :

بى طاب العيشُ في الصَّيفِ وبى طاب السرورُ
نمسيكِي يَنْفِي أذى الحرِّ إذا اشتدَّ الحرورُ
النَّدى والجود في وجهه أمين الله نور^(٢)
ملك أسلمه الشَّبه وأخلاه النُّظير

١٥

وفي عصابتها :

ألا بالله قولوا يا رجالُ أشمسُ في العصابة أم هلالُ

وفي أخرى :

أنهَوْزْنَ الحياةَ بلا جنونٍ فكفّوا عن مُلاحظة الميُونِ

وكتبت « ورد » جاريةُ الماهاني على عِصابتها ، وكانت تُجيد الغناء مع ٢٠

فصاحتها وبراعتها :

(١) القرطق بضم القاف وفتح الطاء وضربها : القباء ، معرب « كرتة » .

(٢) هذا البيت ساقط من ن .

تَمَّتْ وَتَمَّ الْحُسْنُ فِي وَجْهِهَا فَكُلُّ شَيْءٍ مَا سِوَاهَا مُحَالٌ
لِلنَّاسِ فِي الشَّهْرِ هَالِلٌ وَلِي فِي وَجْهِهَا كُلُّ صَبَاحٍ هَالِلٌ^(١)
وَكَتَبْتُ فِي عَصَابَتِهَا بَيِّتَيْنِ مِنْ شِعْرِ الْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ، وَهُمَا :

يَا رَامِيًّا لَيْسَ يَدْرِي مَا الَّذِي فَعَلَا عَلَيْكَ عَقْلِي فَإِنَّ السَّهْمَ قَدْ قَتَلَا^(٢)
أَجْرِيَّتَهُ فِي تَجَارِي الرُّوحِ مِنْ بَدَنِي فَالْنَفْسُ فِي تَعَبٍ وَالْقَلْبُ قَدْ شُغِلَا

ما كتب على
طرقة طالج

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : خَرَجْتُ عَلَيْنَا «عَالِجٌ»^(٣) جَارِيَةٌ خَالِصَةٌ^(٤)، كَأَنَّهَا
خُوطُ بَانٍ، وَهِيَ تَمِيسُ فِي رُوقَةٍ^(٥)، وَعَلَى طُرَّتِهَا مَكْتُوبٌ بِالْفَالِغِيَّةِ، وَكَانَتْ مِنْ
مُجَنَّاتِ أَهْلِ بَغْدَادَ مَعَ عِلْمِهَا بِالْفَنَاءِ :

يَا هَلَالًا مِنَ الْقُصُورِ تَجَلَّى صَامَ قَلْبِي لِمَقْلَتَيْهِ وَصَلَّى^(٦)

٤٤٠
٣

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى^(٧)

١٠

لَوْ تَفَرَّغْتَ لِأَسْتَطَالَةِ لَيْلِي وَلَرَعَى النُّجُومُ كُنْتُ مُحَلَّلًا

ما كتب على
درع منال

قَالَ : وَخَرَجْتُ إِلَيْنَا «مَنَالٌ»^(٨) وَعَلَيْهَا دِرْعٌ خَامٍ^(٩)، عَلَى جَانِبِهَا

الْأَيْمَنِ مَكْتُوبٌ :

كَتَبَ الطَّرْفُ فِي فُؤَادِي كِتَابًا هُوَ بِالشُّوقِ وَالْهَوَى تَخْتُومُ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « فِي كُلِّ يَوْمٍ هَالِلٌ » .

(٢) الْعَقْلُ : الدِّيقَةُ . ن : « مَهْلًا عَلَيْكَ فَإِنَّ السَّهْمَ » .

(٣) ن : « عَسَالِجٌ » .

(٤) بِدَلِ هَذِهِ السَّكْمَةِ فِي ن : « سَارِخٌ » مَهْمَلَةٌ .

(٥) الرُّوقَةُ : الْحَسَانُ تَرُوقُ الْعَيْنَ . يُقَالُ وَصِيفَ رُوقَةٍ وَوَصَفَاءَ رُوقَةٍ ، أَيْ حَسَانٌ .

ن : « رَدْفُهُ » وَفِي سَائِرِ النُّسخِ « وَرُقَةٍ » .

(٦) فِي بَعْضِ النُّسخِ : « صَامَ طَرْفِي لِمَقْلَتَيْكَ » .

(٧) يَتَقَلَّى : يَتَقَلَّبُ فِي فِرَاشِهِ ، كَأَنَّهُ عَلَى الْمَقْلَى . وَالشَّعْرُ وَالْخَبَرُ بِنُورَايَةِ أُخْرَى فِي الْمَوْشَى

لِلوَشَاءِ ١٧٣ لِيَدُنْ .

(٨) ن : « مَنَالٌ » بِالتَّاءِ .

(٩) ن : « خَادِمٌ » تَحْرِيفٌ . وَالْخَامُ ، فَسْرُهُ فِي الْقَامُوسِ بِأَنَّهُ الْكَرْبَاسُ لَمْ يَغْسَلْ .

وَالْكَرْبَاسُ : ثَوْبٌ مِنَ الْقُطْنِ الْأَبْيَضِ ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ .

وعلى الأيسر مكتوب :

كَانَ طَرْفِي عَلَى فُؤَادِي بِلَاءٍ إِنَّ طَرْفِي عَلَى فُؤَادِي مَشُومٌ
 قَالَ : وَكَانَ عَلَى عَصَابَةِ « ظَبْيٍ » جَارِيَةٌ سَعِيدُ الْفَارَسِيِّ مَكْتُوبٌ بِالذَّهَبِ :
 الْعَيْنُ قَارِئَةٌ لَمَّا كَتَبْتُ فِي وَجْنَتِي أَنَا مَلُ الشَّجْنِ
 قَالَ : وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ قَالَ : كَتَبْتُ « شَعْبُ » عَلَى قَلَنْسُوءَةٍ ٥
 جَارِيَتِهَا « شَكْلٌ » (١) :

ما كتب على
قلنسوة شكل

لَمْ أَلْقِ ذَا شَجْنٍ يَبُوحُ بِحُبِّهِ إِلَّا حَسِبْتُكَ ذَلِكَ الْمَحْبُوبَا
 حَذَرًا عَلَيْكَ وَإِنِّي بَكَ وَائِقٌ أَنْ لَا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكَ نَصِيبَا
 وَكَتَبَ « شَفِيعٌ » خَادِمُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى عَاتِقِ قَبَائِهِ الْأَيْمَنِ (٢) :
 بَدَرَ عَلَى غُصْنٍ تَضِيرُ شَرِيقُ التَّرَائِبِ بِالْعَبِيرِ ١٠

ما كتب شفيع
على قبائه

وعلى عاتقه الأيسر :

خَطَّتْ مُحَاسِنُ وَجْهَهُ فِي صَفْحَةِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ (٣)

وَكَتَبْتُ « وَصِيفٌ » جَارِيَةُ الطَّائِيٍّ عَلَى عَصَابَتِهَا :
 الْكُفْرُ وَالسَّحَرُ فِي عَيْنِي إِذَا نَظَرْتُ فَاعْرُبْ بِعَيْنِيكَ يَا مَعْرُورُ عَنْ عَيْنِي (٤)
 فَإِنَّ لِي سَيْفَ لِحْظٍ لَسْتُ أُغْمِدُهُ مِنْ صَنْعَةِ اللَّهِ لَا مِنْ صَنْعَةِ الْقَيْنِ ١٥

ما كتبت
وصيف على
عصابتها

وَكَانَ عَلَى عَصَابَةِ « مِزَاجٍ » ، وَهِيَ مِنْ مُوَاجِنِ أَهْلِ بَغْدَادَ وَفَتَاكُهَا :
 قَالُوا عَلَيْكَ دُرُوعُ الصَّبْرِ قَلْتُ لَهُمْ هِيَاتَ إِنَّ سَبِيلَ الصَّبْرِ قَدْ ضَاقَا
 مَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يُبْصَرُهَا حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاقَا

ما كتب على
عصابة مزاج

وَكَتَبْتُ « عَنَانٌ » جَارِيَةُ النَّاطِقِيٍّ عَلَى عَصَابَتِهَا مِنْ قَوْلِهَا :

وعصابة عنان

(١) اسمها مشتق من الشكل ، بالفتح والكسر ، وهو غنج المرأة ودلها وغزلها . ٢٠

(٢) ن : « فِي قَبَاءِ كَانَ عَلَى عَاتِقِهِ الْأَيْمَنِ » .

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخ : « صَفِيحَةُ وَجْهِهِ » .

(٤) جَعَلَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِيمَا عَدَا نِ مِمَّا كَتَبْتُهُ جَارِيَةَ النَّاطِقِيٍّ عَلَى عَصَابَتِهَا .

فما زال يشكو الحب حتى حسبته تنفس في أحشائه وتكأما^(١)
فأبكى لديه رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما
وكتبت « حدائق » في كفها بالحناء :

ما كتبت حدائق
في كفها

ليس حسن الخضاب زين كفى حسن كفى زين لكل خضاب
قال : وخرجت علينا جارية حمدان ، وقد تقلدت سيفاً محلي ، وعلى رأسها
قلنسوة مكتوب عليها :

ما كتبت جارية
حمدان على
قلنسوتها

تأمل حسن جارية يحار بوجهها البصر^(٢)
مؤنثة مذكرة فهي أثنى وهي ذكر^(٣)

وعلى حائل
سيفها

وعلى حائل سيفها مكتوب بالذهب :

لم يكنه سيف بعينه يقتل من شاء بحديه
حتى تردى مرهفا صارماً فكيف أبقى بين سيفيه
فلو تراه لابساً دزعه يخطر فيها بين صفيه
علمت أن السيف من طرفه أقتل من سيف بكفيه

١٠

٤٤١
٣

وكتبت « واحد » على منطقة جاريته « منصف » الكوقية :

تكتي من غمزة العي ن إذا ما مست تنجل^(١)
وفوادي رقي حتى كاد من صدرى ينسل
بعض ما بي يصدع القاب فما ظنك بالكل

١٥

ومن قولي فيما كتبت على كأس مذهبة :

أشرب على منظر أنيسق وأمزج بريق الحبيب ريق
وأحلل وشاح السكاب رفقا واحذر على خصرها الدقيق

٢٠

كتابة لابن
عبدربه على كأس
مذهبة

(١) جمل هذان البيتان فيما عدان مما كتبت وصيف جارية الطائي على عصابتها .

(٢) في بعض النسخ : « بوصفها » .

(٣) في بعض النسخ : « مذكرة مؤنثة » .

(٤) ماس عيسى : تبغتر في مشيه .

- وَقُلْ لِمَنْ لَامٌ فِي التَّصَابِي إِيْلِكَ خَلٌّ عَنِ الطَّرِيقِ
 وَتَفْ صَرِيحُ الْغَوَانِي بِيَابِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ فَأُسْتَسْقَى ، فَأَمْرٌ وَصِيفًا لَهُ
 فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ خَمْرًا فِي كَأْسٍ مَذْهَبَةٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا فِي رَاحَتِهِ قَالَ :
 ذَهَبٌ فِي ذَهَبٍ رَا حَ بِهَا غُصْنُ لُجَيْنِ
 فَأَتَتْ قُرَّةَ عَيْنٍ مِنْ يَدَيِ قُرَّةَ عَيْنِ
 قَسْرٌ يَحْمِلُ شِمْسًا مَرْحَبًا بِالْقَمَرَيْنِ
 لَا جَرَى بَيْنِي وَلَا بَيْنَهُمَا طَائِرٌ بَيْنَ
 وَبَقِينَا مَا بَقِينَا أَبَدًا مُلْتَقَيْنِ^(١)
 فِي غُبُوقٍ وَصَبُوحٍ لَمْ نَبْعَ نَقْدًا بَدَيْنِ
 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٢) قَالَ : رَأَيْتُ عَلَى
 مَرْوَحَةَ مَكْتُوبًا :
 الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ
 وَالْمَحَبُّ إِذَا مَا حَبِيبُهُ يَاتُ عِنْدَهُ^(٣)
 وَقَالَ : وَرَأَيْتُ فِي مَجَاسٍ مَرِيرًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالذَّهَبِ :
 أَشْهَى وَأَعَذِبُ مِنْ رَاحٍ وَمِنْ وَزْدٍ إِنْ كَانَ قَدْ وَضَعَا خَدًّا عَلَى خَدٍّ
 تَضُمُّ إِحْدَاهُمَا أَحْشَاءَ صَاحِبِهِ حَتَّى كَأَنَّهَا لِلْقُرْبِ فِي عَقْدٍ
 هَذَا يَبُوحُ بِمَا لَا قَاهُ مِنْ حُرْقٍ وَذَاكَ يُظَاهِرُ مَا يُخْفَى مِنَ الْوَجْدِ^(٤)
 وَفِي عَصَابَةِ أُخْرَى :
 فَإِنْ يُحْجِبُوهَا بِالنَّهَارِ فَمَا لَهُمْ بِأَنْ يُحْجِبُوهَا بِاللَّيْلِ عَنِّي خِيَالَهَا
 قَالَ أَبُو عَبِيدَةَ : وَرَأَيْتُ عَلَى [عَصَابَةٍ] حَسَنَاءَ مَكْتُوبًا :
 عَصَابَةُ حَسَنَاءَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : « مُتَّفَقَيْنِ » .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ : « بَنُ عَبْدِ اللَّهِ » .

(٣) ن : « كَانَ عِنْدَهُ » .

(٤) فِي بَعْضِ النُّسخ : « مِنْ حَزْنٍ » .

كُتِبَتْ فِي جَبِينِهَا بِعَبِيرٍ عَلَى قَمَرٍ
فِي سُطُورِ ثَلَاثَةٍ : لَعْنُ اللَّهِ مَنْ غَدَرَ
وَتَنَاوَلَتْ كَفَّهَا نَحْمُ قَلْتِ أَسْمَعِيَ الْخَبَرَ^(١)
كُلُّ شَيْءٍ سِوَى الْخَلِيَا نَهْ فِي الْحُبِّ يُفْتَقَرُ
بِإِذَا خَانَكَ الْحَبِيدُ بُِ فَتَرْهُ إِلَى سَقَرٍ^(٢)

٥

ما كتب على
مصائب وصائف
الرشيد

قال الأصمعي : رأيت على باب الرشيد وصائف على عصاة كل واحدة
منهن مكتوب :

٤٤٢
٣

نَحْنُ حُورٌ نَوَاعِمٌ مِنْ أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ
أَحْسَنَ اللَّهُ رِزْقَنَا لَيْسَ فِينَا مُنْجَسَةٌ^(٣)
فَاتَّقِ اللَّهَ يَا فَتَى لَا تَدْعِنِي مُوسُوسَةٌ

١٠

الكرمانى
والمأمون

وقال أبو جعفر الكرمانى يوماً للمأمون : أناذن لى فى دُعابة ؟ قال : هاتِها
ويحك فما العيشُ إلّا فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنك ظلمتني وظلمت غسان
بن عباد . قال : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : رفعت غسان فوق قدره ،
ووضعتني دون قدرى ، إلّا أنك لغسان أشدُّ ظُلماً . قال : وكيف ؟ قال : لأنك
أقمتَه مقامَ هرة ، وأقمتني مقامَ رَحْمَةٍ . فاستظرف ذلك منه ورفع درجته .

١٥

دعابة عبد الملك
لعطاء

أبو زيد قال : كان عطاء بن أبي رباح مع ابن الزبير ، وكان أُمْلَحَ الناس
جواباً ، فلما قُتِلَ ابن الزبير أَمَنَهُ عبدُ الملك بن مروان ، فقدم عليه ، فسأل الأذن ،
فقال عبدُ الملك : لا أريده يُضْحِكُنِي ، قد أَمَنَيْتِهِ فليَنصَرِف . قال أصحابه : فنحن
نتقدم إليه أن لا يفعل . فأذن له عبدُ الملك ، فدخل وسلم عليه ، وبايعه ، ثم
ولّى ، فلم يصبر عبدُ الملك أن صاح به : يا عطاء ، أما وجدتُ أُمْلَكَ أسماً إلّا عطاء ؟

٢٠

(١) هذا البيت ساقط من ن .

(٢) هذا البيت من ن فقط .

(٣) ن : « منجسه » بالجيم .

قال : قد والله أستنكرتُ من ذلك ما أستنكرته يا أمير المؤمنين ، لو كانت سَمْتَنِي بِأَمِّي المباركة صلوات الله عليها مَرِيَم . فضحك عبد الملك ، وقال : أخرج .

لمب رجلٌ بين يَدَي هارونَ بالشَّطرنج ، فلما رآه قد استعْجَدَ لِعَمِّهِ وفاوضه الكلام قال له : ولَّني نهر بوق . قال : بل أولَّيك نصفه ، اكتبوا عهده على بوق . قال : فولَّني على أرمينية . قال : أخشى أن يبطلُ عليَّ خبرُك . قال : ٥ فغيرها . قال : لا أريد أن أبعذك من نفسي ^(١) .

بين هارون
ولعب شطرنج

وأختصم إلى زيادٍ بنو راسب وبنو طفاوة ^(٢) في غلامٍ ادَّعوه ، وأقاموا جميعاً البيِّنةَ عند زياد . فأشكَلَ على زيادٍ أمرُهُ ، فقال سعدُ الرايية ^(٣) ، من بني عمرو بن بَرِيع : أصلح الله الأمير ، قد تبَيَّن لي في هذا الغلام القضاء ، ولقد شهدت البيِّنةُ لبني راسب والطفاوة ، فولَّني الحكمَ بينهم . قال : وما عندك في ذلك ؟ ١٠ قال : أرى أن يُبَلَق في النهر ، فإن رَسِب فهو لبني راسب ، وإن طَافا فهو للطفاوة . فأخذ زيادُ نعليه وقام وقد غلبه الضحك ، ثم أرسل إليه فقال ^(٤) : ألم أنهك عن المزاح في مجلسي ؟ قال : أصلح الله الأمير ، حَضَرَنِي أَمْرٌ خِفْتُ أَنْ أَنْسَاه . فضحك زياد وقال : لا تعودنَّ .

حكم سعد بين بني
راسب وبني
طفاوة

أبو زيد قال : لم يكن بالبصرة أفصحُ لساناً ولا أظهرُ جلالاً من الحسن بن أبي الحسن البصري ، وزُرْعَةُ بن أبي حمزة الهلالي . ١٥

أفصح أهل
البصرة وأجلهم

قال : وأخبرني الوليد بن عُبيد البُحْثَرِي الشاعر قال :

كنا عند المتوكل على الله يوماً ، وبين يديه عُبادة الخنث ^(٥) ، فأمر به

التوكل وعبادة
الخنث

(١) هذا الخبر من ن فقط .

(٢) راسب : حى من جرم . العارف ٥١ . وبنو الطفاوة ، بالصم : حى من قيس عيلان ، القاموس .

(٣) في عيون الأخبار (٢ : ٦٠) أن الحكم هو « ابن عرباض » .

(٤) بعده في ن زيادة محرفة ، وهي : « فقال معاوية إذا أبو سفيان قطرة ، ويتركان ما جم من مائه نزيفا وما اشتد من منيته ضعيفا . فكان زُرْعَةُ إذا ذكر بعد ذلك يقول : ما كان شأنى وشأن معاوية » .

(٥) ن : « للؤث » .

فألقى في بعض البرك في أيام الشتاء ، فأبتل وكاد يموت بردًا ، قال : ثم أخرج من البركة وكسى ، وجعل في ناحية من المجلس . فقيل له : يا عبادة ، كيف أنت وما حالك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، جئتُ من الآخرة . فقال له : كيف تركت أخى الوائق ؟ قال : لم أجزُ بجهنم . فضحك المتوكل وأمر له بصلة .

نوادر أشعب^(١)

قال أشعب : في وفي أبي الزناد عجب ، كنتُ أنا وهو في كفالة عائشة بنت عثمان^(٢) فما زال يعلو وأسفل حتى بلغنا غایتنا هذه .

قيل لأشعب : لو أنك حفظت الحديث حفظك هذه النوادر ، لكان أولى بك . قال : قد فعلت . قالوا له : فما حفظت من الحديث ؟ قال : حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كان فيه خصلتان كُتب عند الله خالصًا مُخلصًا » . قالوا : إن هذا حديث حسن فما هاتان الخصلتان ؟ قال : نسي نافع واحدة ونسيت أنا الأخرى .

وقال أشعب : رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل . قالوا له : كيف ذلك ؟ قال : رأيتني أحمل بكرة ، فمن شدة ثقلها عليّ كنت أسلح في ثيابي ، ثم أنتبهت فإذا أنا بالسلاح ولا بكرة .

ساوم^(٣) أشعب رجلًا بقوس ، فقال له : أقل ثمنها دينار . قال أشعب : والله لو أنك إذا رميت بها طائرًا في جوف السماء فوق مشويًا بين رغيفين ما اشتريتها منك بدينار أبدًا .

وقيل لأشعب : خففت صلاتك . قال : إنه لم يُخالطها رياء^(٤) .

٢٠ (١) انظر الأغاني (١٧ : ٨٣ — ١٠٥) وجمع الجواهر للحصري ٥٤ — ٥٦ .
(٢) في الأصول : « فاطمة بنت عثمان » ، صوابه في الأغاني وجمع الجواهر .
(٣) ن : « وسام » .
(٤) في بعض النسخ : « لأنها صلاة لا يُخالطها رياء » .

وضرب الحجاجُ أعرابياً سبعمائة سوط ، وهو يقول عند كلِّ سوط : شكراً لك يا رب . فلقية أشعبُ ، فقال : أتدري لم ضربك الحجاجُ سبعمائة سوط ؟ قال : ما أدري . قال : لكثرة شكرك لله . يقول الله : (لئن شكرتم لأزيدنكم) فقال الأعراب :

يارب لا شكراً فلا تزدني أسأت في شكرك فاعف عني
* باعد ثواب الشاكرين مني *

وسأل رجلٌ من أشعب أن يسلفه ويؤخره فقال : هاتان حاجتان ، فإذا قضيتُ لك إحداها فقد أنصفت . قال له الرجل : رضيت . قال : فأنا أوخرك ما شئت ولا أسلفك .

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي القعقاع . قال : رأيت أشعباً في السوق يبيع قطيفة ، ويقول للمشتري : أريد أن أبرأ إليك من عيب . قال : وما ذاك ؟ قال : يحترق تحتها من دُفين فيها .

قال أشعب : من بال ولم يضطر كُتب من السكاظمين الغيظ^(١) .

وقيل لأشعب : هل خُلق خُلُق أطمع منك ؟ قال : بلى ، أمي ؛ فإنني

كنت إذا جئتُها بفائدة قد أعطيتها قالت : ما جئتُ به ؟ فأتتهجى لها الشيء حرفاً ١٥ حرفاً . ولقد أهدى لنا مرة غلام فقالت : ما أهدى لنا ؟ قلت : غين . قالت : ثم ماذا ؟ قلت : لام ألف ميم . فأغنى عليها ، وجعلت تضطر^(٢) . ولو أخبرتها به جملةً لطار قلبها فرحاً^(٣) .

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : لم أنظر إلى اثنين يتساران إلا حسبت أنهما يأمران لي بشيء .

٢٠

(١) نسب هذا القول في عيون الأخبار (٣ : ٢٧٦) إلى ابن شباة مولى بني أسد .

(٢) الكلام بعد « حرفاً حرفاً » إلى هنا ساقط من ن .

(٣) في بعض النسخ : « ولو أكلت لها الحروف لانت فرحاً » .

ونظر أشعبُ إلى رجل قبيح الوجه ، فقال : ألم ينهكم سليمان بن داود أن تخرجوا بالنهار .

ومرَّ أشعب برجلٍ نجَّارٍ يعمل طبقاً^(١) فقال له : زد فيه طوقاً واحداً تتفضل به عليّ . قال : وما يدخل عليك من ذلك ؟ قال : لعلَّ يوماً يُهدى إلى فيه شيء .

قال الأصمعي : أخبرني هارون بن زكريا عن أشعب قال : أدركتُ الناس يقولون : قُتل عثمان . قال الأصمعي : وعاش أشعبُ إلى زمان المهدي ورأيتُه .

من نوادر
الأعمش

دخل رجل على الأعمش يسأله عن مسألة ، فردَّ عليه فلم يسمع ، قال له : زدني في السماع يرحمك الله . قال : ما ذلك لك ، ولا كرامة . قال : فبيّني وبينك رجلٌ من المسلمين . قال : فخرجا إلى الطريق ، فرمَّ بهما شريك القاضى فقال : إني حدثت هذا بحديثٍ فلم يسمع ، فسألني أن أزيده في السماع لأنه ثقیل السمع وزعم أن ذلك واجبٌ له ، فأبيتُ . قال له شريك : عليك أن تزيده ، لأنك تقدر أن تزد في صوتك ، ولا يقدر أن يزد في سمعه .

أتت ليلةُ الشكِّ من رمضان ، فكثُر الناس على الأعمش يسألونه عن الصوم ، فضَجِر ، ثم بعث إلى بيته في رُمَّانة^(٢) فشَقَّها ووضعها بين يديه ، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبلَ يريد أن يسأله تناول حَبَّةً فأكلها ، فكفَى الرجل السؤال ونفسه الرد .

قال رَقَبَةُ بن مَصْقَلَة : سَفِهَ علينا الأعمش يوماً ، فقالت أمراؤه من وراء السُّتر : أحلوا عنه ، فوالله ما يمنعه من الحجِّ منذ ثلاثين سنةً إلا مخلفه أن يُلَطِّم كَرِيه^(٣) ، أو يشتم رفيقه .

طلبت بنتُ الأعمش من الأعمش حاجةً ، فحجبها بالردِّ^(٤) ، فقالت : والله

(١) في الأغانى (١٧ : ٩٠) أنه وقف على امرأة تعمل طبق خوص .

(٢) في بعض النسخ : « نجىء إليه برمانة » .

(٣) الكرى : السكرى ، وهو من يغير حاجته بأجر .

(٤) كلمة « بالرد » ليست في ن .

ما أعجبُ منك ، ولكني أعجب من قوم زوجوك .

ودخل رقية بن مصقلة على الأعمش ، فقال : إنا والله لنأتيك فما تنفعنا ،
ونتخلف عنك فما تضرنا ، وإن الوقوف إليك لذلٌّ ، وإن تركك لحسرة ،
تُسال الحكمة فكأنما تُسقط الخردل ، وما أشبهك إلا بالصماخيةون^(١) ، فإنه
كريبه الشربة ، نافع المعدة . فرفع رأسه الأعمش وقال : من هذا المتكلم ؟ فقيل
له : رقية بن مصقلة . فنكس رأسه .

وقال رجلٌ من تلاميذ الأعمش : صنعتُ للأعمش طعاما ، ثم دعوته ، فمضى
معي وأنا أقوده ، حتى سقطت رجله في حفرة يعملها الصبيان للكرة ، فقال :
ما هذا ؟ قلت : حفرة يعملها الصبيان للكرة . قال : لا ، ولكنك حفرتها
لتقع رجلي فيها . والله لا أأكلُ عندك يومى هذا طعاما . قال : فحملت الطعام
إليه ، ثم صنعتُ له بعد ذلك طعاما ودعوته إليه ، فقال : ادخل بنا الحمام قبل
ذلك . فأدخلته الحمام ، فلما جئت أن أصب الماء الحار على رأسه قال : ما دعاك
إلى هذا ؟ أردت أن تسلخ قفائي ، والله لا أأكل عندك يومى هذا طعاما ! قال :
فحملتُ الطعام إليه^(٢) .

وكثر الشعر على الأعمش فقلنا له : لو أخذت من شعرك ؟ قال : لا أجِد
حجما يسكت حتى يفرغ . قلنا له : فإنا نأتيك بحجام ونقدّم إليه أن يسكت
حتى يفرغ . قال : فأفعلوا . قال : فأتيناه بحجام وأعذرنا إليه ألا يتكلم حتى
ينقضى أمره ، فبدأ الحجام بحلقه ، فلما أمعن في حلقه سأله عن مسألة ، فنفض
ثيابه^(٣) وقام بنصف رأسه مخلوقا ، حتى دخل بيته ؛ ثم جثناه بغيره ، فقال :

(١) لم نجد له ذكرا في كتب الفردات الطيبة ، إلا أن يكون « السقوطن » وهو
ما يطلق عليه « حى العالم » . انظر تذكرة داود .

(٢) قال حملت الطعام إليه ، ليست في ن .

(٣) في بعض النسخ : « ففض ثيابه » .

لا والله لا أخرج إليه حتى تصوّموه أو تحلفوه . فحلفناه ألا يسأله عن شيء .
فَخَرَجَ إِلَيْهِ^(١) .

ولمحمد بن مطروح الأعرج من التبرّم المليح ، والضجّر الموقّع ، ما هو أحسنُ
من هذا وأوقع .

وسأله رجلٌ يوماً : ما تقول يرحمك الله في رجل مات يوم الجمعة ، أيعذب
عذاب القبر ؟ قال : يُعَذَّبُ يومَ السبت .

وقال له آخر : أتجد في بعض الحديث أن جهنّم تخرب ؟ قال : ما أشقاك إن
أتكّلت على خرابها .

واستسقى بالناس يوماً ، فأمرع بالصلاة قبل أن يتوافى الناس ، فلما أنصرف
تلقاه بعض الوزراء ، فقال له : أسرعت أبا عبد الله . قال : ليس علينا أن ننتظر
حتى تشربوا وتأكّلوا^(٢) .

وكانت لقومس^(٣) الكاتب منه منزلة وجوار ، وكان يُتَحَفّه ويتفقدّه بما
أمكنه من الهدايا ، وكانت صلاته معه في الجامع والأعرج صاحب الصلاة ، فإذا
حضرت الصلاة ولم يحضر قومس^(٤) قال لبعض القومة : أنت يا شيطان ، كَلِّمْ
هؤلاء الكلاب لا يقيموا الصلاة حتى يأتي ذا الخنزير . فكان برّؤه في حبس
الصلاة عليه برّاً العقوق خير منه .

وكان يجلس إليه خصي زرياب ، قد حجّ وتنسك ولزم الجامع ، فيتحدّث
في مجلسه بأخبار زرياب ، ويقول : كان أبو الحسن رحمه الله يقول كذا وكذا .
فقال له : الأعرج : من أبو الحسن هذا ؟ قال : زرياب قال : بلغني عنه أنه
كان أخرق الناس لاستِخصي .

(١) ن : « وكذلك خرج إليه » .

(٢) ن : « أن ننتظر الثألي حتى يشربوا البنش » .

(٣) في بعض النسخ : « لفراس » .

(٤) في بعض النسخ : « فراس » .

تبرّم محمد بن
مطروح

هو وقومس

هو وخصي
زرياب

وسأله مرة وقال له : ما تقول في الكبش الأعرج . أيجوز في الأضحية ؟
قال . نعم والخمى أيضا مثلك .

وسمع أبو يعقوب الحريري منصور بن عمار صاحب المجالس^(١) ، يقول في
دعائه^(٢) : « اللهم أغفر لأعظمنا ذنبا ، وأقسانا قلبا ، وأقربنا بالخطيئة عهدا ،
وأشدنا على الدنيا حرصا » . فقال له : امرأتى طالق إن كنت دعوت
إلا لإبليس .

أبو يعقوب
الحريري ومنصور
ابن عمار

الأصمى قال : حدثنا بعض شيوخنا عن ابن طاوس قال : أقبلت إلى
عبد الله بن الحسن ، فأدخلني بيتا قد نُجِدَ بالرُّهاوى واليساني^(٣) ، وكل فرشة
شريفة^(٤) . قال : فبسطت نطما^(٥) وجلست عليه ، وابناه محمد وإبراهيم صبيان
يلعبان ، فلما نظرا إلى قال أحدهما لصاحبه : ميم . فقال له الآخر : جيم . فقلت
أنا : نون واو نون . فاستغربا ضحكا وخرجا إلى أبيهما .

ابن طاوس وابنا
عبد الله بن الحسن

أبوزيد قال : سكر حائك من الزط^(٦) ، تخلف بالطلاق ليغنيه أبو علي
الأشرس^(٧) ، فمضى معه جماعة إلى أبي علي ، فأخبروه ، وقالوا : سكر وامتلا^(٨)
وحلف بالطلاق ليغنيه . فأقبل على الحائك ، فقال : يا مُرد سبز^(٩) ، يا مُرد

قصة الحائك
وأبي علي
الأشرس

(١) ترجم له ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢ : ١٧٣) والخطيب في تاريخ بغداد
(١٣ : ٧١ - ٧٩) .

(٢) ن : « إصرارا » .

(٣) الرهاوى : نسبة إلى الرها بضم الراء : مدينة بالجزيرة . واليساني : نسبة إلى
ميسان ، وهي كورة بين البصرة وواسط . في بعض النسخ : « والباني » تحريف .

(٤) في بعض النسخ : « فرشة حرير » .

(٥) ن : « نطمي » .

(٦) الزط ، بالضم : جيل من الهند ، معرب « جت » . انظر القاموس ومفاتيح العلوم
٧٤ ومعجم استيعباس ٣٥٦ .

(٧) في بعض النسخ : « الأشراسي » .

(٨) في بعض النسخ : « سكر قابلي » .

(٩) سبز ، بفتح السين ، معناه بالفارسية الأخضر . ن : « سفرا » وفيها عدا ن :
« يا مُرد سعد » صوابها ما أثبتنا .

خُشٍّ^(١) يا مُرْدَ تَرٍّ^(٢) . إياك أن تعود .

قال أبو زيد : تفسيره : ياسمين أخضر ، ياسمين طيب^(٣) ، ياسمين

رطب .

ابن المقفع وأحد
البخلاء

وكان شيخ من البخلاء يأتي إلى ابن المقفع ، فالح عليه يسأله الغداء عنده ،
وفي كل ذلك يقول له : أترى أنك تراني أتكلف لك شيئاً ؟ لا والله ، لا أقدم
لك إلا ما عندي . فأجابه يوماً ، فلما أتاه إذا ليس عنده ولا في منزله إلا كسرة
يابسة وملح جريش . ووقف سائلاً بالباب ، فقال له : بورك فيك . فالح عليه
في السؤال ، فقال له : لئن خرجت إليك لأدقن ساقيك ا فقال ابن المقفع للسائل :
أنك والله لو علمت من صدق وعيده ما علمت من صدق وعده لم تُراذه كلمة ،
ولا وقفت طرفة عين^(٤) .

٤٤٥
٣

٥

١٠

رقية بن مصقلة
وأحد الزهاد

مرّ برقية بن مصقلة رجل زاهد غايظ الرقبة ، فقال : هذا رجل زاهد ،
والعلامات فيه بخلاف ذلك . فقال له رجل : أكله بذلك أصلحك الله ، لئلا
تكون غيبة ؟ قال : كله حتى تكون نيمة .

سبع من العجائب

قال شريك بن عبد الله القاضي : سبع من العجائب : عمياء مُنتَقِبة ، وسوداء
مختَضِبة ، وخَصِيٌّ له أسراء ، ومُخَنَّثٌ يؤم قوما ، وأموى شيمى ، ونَخَعْنَى مُرَجِنَى ،
وعَرَبِيٌّ أَشَقَر . ثم قال شريك : من المحال عربى أشقر .

٢٥

ما اجتمع في
ضرار بن عمرو

قالوا : كانت في أبي عمرو ضرار بن عمرو ثلاثة من المحال : كان كوفياً

(١) خَشٍّ بضم الخاء ، هي « خوش » ، ومعناه بالفارسية الطيب . ن « حبس »
وما عدان : « أيام حسا » ، صوابهما ما أثبتنا .

(٢) تر ، بفتح التاء بمعنى رطب في الفارسية . والكلمة مهمة في ن . وفي سائر
النسخ : « باردبدا » تحريف .

(٣) هذه الكلمات الأربع ساقطة من ن . على أن تفسير « مررد » بمعنى الياسمين غير
صحيح . فقد جاء في كتاب السامى في الأسامى للميداني ، في الباب الرابع (فصل الرياحين) : «

« الآس والرند والعمار : مورد » بضم الميم . وأما الياسمين فهو بالفارسية « ياسمن » ، أو
« ياسم » أو « ياسم » أو « ياسمون » أو « ياسمين » . انظر استينجاس ١٥٢٦ .

(٤) الخبر في كتاب البخلاء ص ١٠١ .

٢٠

٢٥

مُعْتَزِلًا ، وكان من بنى عبد الله بن غطفان ، ويرى رأى الشعوبية . ومحال أن يكون عربىً شعوبياً ومات وهو ابن سبعين سنة .

من فتاوى شريح وقيل لشريح القاضي : أيهما أطيب : اللوز ينق أو الجوز ينق ؟ فقال : لا أحكم على غائب .

فتوى عمر بن نيس وسأل رجلٌ عمرَ بن قيسٍ عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الإنسان في ثوبه أو خُفِّه أو جِبِّهته ؟ فقال : له أرم بها . قال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى تُرَدَّ إلى المسجد . قال : دعها تصيح حتى ينشقَّ حلقها . قال الرجل : أولها حلق^(١) ؟ قال : فمن أين تصيح .

فتوى الشعبي وسئل عامرُ الشعبيُّ عن المسجد الخرب أيجامع فيه ؟ قال : نعم ، ويُخْرَأُ فيه .

بين قانس وزوجه الأصمى قال : ولى رجلٌ مُقِلَّ قضاء الأهواز ، فابطأت عليه أرزاقه ، وحضر الأضحى ليس عنده ما يضحى به ولا ما ينفق ، فشكا ذلك إلى امرأته ، وأخبرها بما هو فيه من الضيق ، وأنه لا يقدر على الأضحية . فقالت له : لا تنقم ، فإن عندى ديكاً جليلاً قد سمته ، فإذا كان يوم الأضحية ذبحناه . فبلغ جيرانه الخبر ، فأهدوا له ثلاثين كبشاً وهو فى المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ورأى ما فيه من الأضاحى ، قال لامراته : من أين هذا ؟ قالت : أهدى لنا فلان وفلان وفلان . حتى سمّت جماعتهم . فقال لها : يا هذه تحفظى بديكنا هذا ، فلهوا كرم على الله من إسحاق بن إبراهيم ، إنه قدى بكبشٍ واحد ، وقد قدى ديكنا هذا بثلاثين كبشاً .

أبو دلالة والمهدى خرج أبو دلالة^(٢) مع المهدى فى مصادٍ لهم ، فعن لهم ظبىً فرماه المهدى فأصابه ، ورعى على بن سليمان فأخطأ وأصاب الكلب ، فضحك المهدى وقال لأبى دلالة : قل . فقال :

(١) ن : « ومن أين لها حلق » .

(٢) الخبر فى جمع الجواهر للحصرى ٩٠ — ٩١ .

قد رمى المهديّ ظلياً شكّ بالسهم فواده
وعلى بن سلبا ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لها كُ لئ امرئٍ يأكل زاده

وكتب أبو دلامة إلى عيسى بن موسى ، وهو والى الكوفة ، رقعة فيها لأبي دلامة
هذه الأبيات :

إذا جئت الأميرَ فقل سلامٌ عليك ورحمةُ الله الرَّحِيمُ
وأما بعدَ ذاكَ فلي غريمٌ من الأنصارِ قُبِّحَ من غريمٍ^(١)
لزومٌ ما علمتُ ببابِ دارى لزومَ الكلبِ أصحابَ الرقيمِ^(٢)
له مائةٌ على ونصفُ أخرى ونصفُ النصفِ في صكِّ قديمِ
دراهمٍ ما انتفعتُ بها ولكن حَبوتُ بها شُيوخُ بني تميمِ^(٣)

٤٤٦
٣

أبو دلامة
والمهدي

ودخل أبو دلامة على المهديّ ، وعنده محمد بن الجهم وزيره ، وكان المهديّ
يَسْتَنقِلُهُ فقال له : أبا دلامة ، والله لا تَبْرَحُ مكانَكَ حتّى تهجوا أحدَ الثلاثة .
فهمَّ أبو دلامة بهجاء ابن الجهم ، ثم خاف شرّه ، فرأى أن هجاء نفسه أقلُّ
ضرراً عليه ، فقال :

ألا أبلغُ لَدَيْكَ أبا دُلامةُ فليسَ من الكِرامِ ولا كِرامه
إذا لبسَ العِمامةَ كانَ قرداً وخنزيراً إذا وضعَ العِمامةَ^(٤)
وإن لَزِمَ العِمامةَ كانَ فيها كقرٍ ما تفارقه الدمامة^(٥)

١٥

أبو دلامة وي زيد
ابن مزيد

وعرض أبو دلامة ليزيد بن مزيد ، وهو قادم من الرميّ ، فأخذ بعنانِ
فرسه وأنشده :

٢٠ (١) هذا ما في ن . وفي سائر النسخ : « من الأعراب أقبح » .

(٢) في بعض النسخ : « لزوم الكهف » .

(٣) ن : « وصلت بها » .

(٤) ن : « إذا تزع العمامة » وكتب إزاءها بالهامش : « إذا جيل العمامة » . وفي

٢٥ ن أيضا : « وخنزيرا إذا تزع العمامة » .

(٥) في بعض النسخ : « كثور لا تفارقه الكمامة » . والفصحة في جمع الجواهر ٩٠ .

إِنِّي حَلَفْتُ لَنِّ رَأْيُكَ سَالِكًا بِقُرَى الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفَرٍ^(١)
لِتُصَلِّينَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَلِتَمْلَأَنَّ دِرَاهِمًا حِجْرِي

فَقَالَ لَهُ : أَمَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الدَّرَاهِمُ فَإِلَى أَنْ
أَرْجِعَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٢) . فَقَالَ لَهُ : لَا تَفَرِّقْ بَيْنَهُمَا ، لَا فَرَقَ قَى اللَّهِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ
فِي الْجَنَّةِ فَاسْتَسْلَفَهَا^(٣) مِنْ أَصْحَابِهِ وَصَبَّهَا فِي حِجْرِهِ حَتَّى أَثْقَلَهُ^(٤) .

تمنى أبي دلالة
على المهدي

وَدَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ^(٥) عَلَى الْمَهْدِيِّ فَأَسَمِعَهُ مَدِيحًا لَهُ فِيهِ ، فَأَعْجَبَهُ وَقَالَ لَهُ : مَثَلُ
حَاجَتِكَ . قَالَ : كَلْبٌ صَيْدٍ أَصْطَادُ بِهِ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِكَلْبٍ تَصْطَادُ بِهِ .
قَالَ : وَغُلَامٌ يَقُودُ الْكَلْبَ . قَالَ : وَغُلَامٌ يَقُودُ الْكَلْبَ^(٦) . قَالَ : وَخَادِمٌ تَطْبِخُ
لَنَا الصَّيْدَ . قَالَ : وَخَادِمٌ^(٧) . قَالَ : وَدَارًا نَسْكُنُهَا^(٨) . قَالَ : وَدَارًا نَسْكُنُهَا^(٩) .
قَالَ : وَجَارِيَةٌ آوَى إِلَيْهَا . قَالَ : وَجَارِيَةٌ . قَالَ : بَقِيَ الْآنَ الْمَعَاشُ . قَالَ : قَدْ
أَقْطَعْنَاكَ أَلْفَ جَرِيبٍ عَامِرَةٍ ، وَأَلْفَ جَرِيبٍ غَامِرَةٍ . قَالَ : وَمَا الْغَامِرَةُ ؟ قَالَ :
الَّتِي لَا تَعْمَرُ . قَالَ : فَأَنَا أَقْطَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ فَيَافِي بَنِي أَسَدٍ .
قَالَ : فَأَنَا نَجْعَلُهَا عَامِرَةً كُلَّهَا . قَالَ : فَيَأْذَنُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَقْبِيلِ يَدِهِ . قَالَ :
أَمَّا هَذِهِ فَدَعُهَا . قَالَ : مَا مَنَعَتْنِي شَيْئًا أَيْسَرَ عَلَى أُمَّ عِيَالِي فَقَدْ أَمِنْتُ مِنْهُ^(١٠) .

١٥

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : « إِنِّي نَذَرْتُ » .

(٢) ن : « فَكَمَا تَرْجِعُ » فَقَطْ .

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخ : « فَاقْتَرَضَهَا » .

(٤) فِي بَعْضِ النُّسخ : « أَثْقَلَتْهُ » .

(٥) الْخَبَرُ فِي الْحَيَوَانِ (٢ : ١٧٠) وَالْأَغَانِي (٩ : ١١٦) وَجَمْعُ الْجَوَاهِرِ ٩٠ .

٢٠

(٦) فِي بَعْضِ النُّسخ : « قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِغُلَامٍ » .

(٧) فِي بَعْضِ النُّسخ : « وَأَمَرْنَا لَكَ بِخَادِمٍ » .

(٨) فِي بَعْضِ النُّسخ : « وَدَارًا تَأْوِي إِلَيْهَا » .

(٩) فِي بَعْضِ النُّسخ : « أَمَرْنَا لَكَ بِدَارٍ » .

(١٠) فِي بَعْضِ النُّسخ : « مَا مَنَعَتْنِي شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهَا » .

المضحكات

ابن خالط
ووسيط يزكيه

- أبو الحسن المدائني قال : خطبَ رجلٌ من بني كلاب امرأةً فقالت أمها :
دعني حتى أسألَ عنك . فانصرف الرجلُ فسألَ عن أكرم الحى عليها ، فدلَّ
على شيخٍ منهم كان يُحسن الحضر في الأمر^(١) ، فسألَ عنه ، فأتاه فسألَ^(٢) أن
يُحسنَ عليه الثناء ، وانتسب له ، فعرّفه . ثم إنَّ العجوز غدت عليه فسألته عن
الرجل ، فقال : أنا أعرفُ الناسَ به . قالت له : فكيف لسانه ؟ قال : مِذْرُهُ
قومه وخطيبهم . قالت : فكيف شجاعته ؟ قال : مَنيع الجار ، حامى الدمار^(٣) .
قالت : فكيف سماحته^(٤) ؟ قال : ثمالُ قومٍ ورِيئهم . وأقبل الفتي فقال
الشيخ : ما أحسنَ والله ما أقبل ، ما أنشئ ولا أنحنى . ردنا الفتي فسلم ، فقال
الشيخ ما أحسنَ والله ما سلم ، ما فار ولا ثار . ثم جلس فقال الشيخ : ما أحسنَ
والله ما جلس ، ما دنا ولا نأى . ثم ذهب الفتي ليتحرك فصرط ، فقال الشيخ :
ما أحسنَ والله ما صرط ، ما أطنها ولا أغنها ، ولا بربرها ولا قرقرها . ونهض
الفتي خجلاً ، فقال : ما أحسنَ والله ما نهض ، ما أرقد ولا أقطوطى^(٥) .
فقالت العجوز : حسبك يا هذا ، وجّه إليه من يردّه^(٦) ، فوالله ولو سلّح في
ثيابه لزوّجناه .

وخطب رجلٌ امرأةً^(٧) فجعل يخطبها ويُنعِظ ، فضرب رأسَ ذكره بيده
وقال : مَهْ إليك يُساق الحديث .

(١) في بعض النسخ : « التوسط في الأمر » .

(٢) في بعض النسخ : « فأتاه يسأله » .

(٣) الكلام بعد : « وخطيبهم » إلى هنا ساقط من ن .

(٤) ن : « سخاؤه » .

(٥) ارتد ارتداداً : أسرع في السير . والقطوطى : قارب في خطوه .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ن .

(٧) هذا الخبر مما انفردت به نسخة ن .

لأبي تمام
في حمار و غلام

أبو سويد قال : كان لحبيب بن أوس حمارٌ حصان^(١) ، و غلام مؤنث ، فإذا
نزل أخذ الحمار ينهق والغلام يمجن في كلامه . قلنا له : إنما أنت فضيحة ، فهل
قلتَ فيهما شيئاً ؟ فقال :

٥ لي حمارٌ و غلامٌ و هما مختلفانِ
أيرُ ذا يُنمِظ للنَّيد لك و ذا رِخو العنانِ
لو بهذا عَفَ هذا لاستراح الثَّقَلانِ

ما قال بشار
على لسان حماره

محمد بن الحجاج البزاز ، وكان راوية بشار قال^(٢) : قال بشار ذات يوم وهو
يَعْبَث ، وكان مات له حمارٌ قبل ذلك ، قال : رأيتُ حماري البارحة في النوم ،
فقلت له : ويلك مالك مت ؟ قال : إنك ركبتني يوم كذا وكذا فمررتنا على باب
الأصبهاني ، فرأيت أتاناً عند بابه ، فعمشقتها فمت . وأنشدني :

١٠

سَيِّدِي مِلْ بعناني نحو باب الأصبهاني^(٣)

٤٤٧
٣

إِنَّ بالباب أتاناً فضلت كلَّ أتان

تَيَمَّنِي يوم رُحنا بثناياها الحِسان

و بَغُنَجٍ و دَلال سَلَّ جِسمي و بَراني

١٥٠

ولها خذٌ أسيل مثل خذ الشيقران^(٤)

فبها مِتَّ ولو عِشُّ مِتُّ إذا طال هَواني

فقال له رجل من القوم : يا أبا معاذ . ما الشيقران^(٤) ؟ قال : هذا من
غريب الحمير^(٥) . فإذا لقيتم حماراً فسلوه^(٦) .

(١) أصل الحصان الفعل من الحيل .

(٢) الخبر في الأغاني (٣ : ٦٢ / ٨ : ٧٤) .

(٣) في بعض النسخ : « خذ لي أماناً من أمان » .

(٤) في بعض النسخ : « الشقراي » وفي الأغاني : « الشيقران » .

(٥) في بعض النسخ : « هو شيء يتحدث به الحمير » .

(٦) في بعض النسخ : « فإذا لقيت حماراً فاسأله » .

- ول قيل لأعرابي وهو واقفٌ على رَكِيَّةٍ مالحة^(١) : كيف هذا الماء ؟ قال :
يُخْطِئُ القلب ، ويصيب الاست .
- وأخذ رجل شُرْب ، فأتى به الوالى فقال : أَسْتَنْكِهوه . فقالوا : إن
نكته لا تُبين عنه . قال : فقيُّوه . فقال الشارب : فإن لم أقيُّ نبذاً^(٢) فمن
يضمن لى عشاى ؟
- ورافق رجلٌ أعرابياً فى سفر فقال له : أنا والله أشتهى كَشْكِيَّةً^(٣) ! ومدَّ
بها صوته فضرط . فقال له صاحبه : ما أشرع ما نفختك يا ابن أم^(٤) .
- أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحذب فسقط فى بئر فذهبت حدبته
وصار آدر^(٥) ، فدخلوا يهنئونه ، فقال : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب !
- أبو حاتم قال : رُمى رجلٌ أعورٌ بنشابة^(٦) ، فأصابته عينه الصَّحِيحَةُ
فقال : أَمْسِينَا وأمسى الملك لله .
- وقال رجلٌ للجَمَّاز : ولدت أُمراًنى لستة أشهر . فقال : لقد كان
إناءُها ضارياً^(٧) .
- قالوا : أتى الحجاجُ بسفطٍ قد أُصيب فى بعض خزان كسرى مُثْقَل ، فأمر
بالثقل فكسر فإذا فيه سفطٌ آخر مُثْقَل ، فقال الحجاج : مَنْ يشتري منى هذا
السفط بما فيه ولا أدرى ما فيه ؟ فزايده فيه أصحابه ، حتى بلغ خمسة آلاف
دينار ، فأخذه الحجاج ونظر فيه ، فقال : ما عسى أن يكون فيه إلا حاقة من
سحاقات المعجم^(٨) ! ثم أُنْفذَ البيع وعزم على المشتري أن يفتحَه ويُريه ما فيه ،

(١) الركية : البئر .

(٢) فى بعض النسخ : « شراباً » .

(٣) الكشكية : نسبة إلى الكشك بالفتح ، وهو ماء الشعير .

(٤) ن : « يا ابن أخى » .

(٥) الأدر : العظيم الحصى . والخبر فى الحيوان (١ : ١٧٧) .

(٦) النشابة : واحدة النشاب ، وهى السهام .

(٧) فى اللسان : « نهى على رضى الله عنه عن الشرب فى الإناء الضارى . قال معناه

السائل ، لأنه ينقص الشرب على شاربِهِ » . (٨) ن : « كسرى » .

ففتح به بين يديه فإذا فيه رقعة مكتوب فيها^(١) : من أراد أن تطول لحيتُه
فليمشطها من أسفل .

الزبير بن بكار قال : جاءت امرأة إلى ابن الزبير^(٢) تستعدي على زوجها ،
وتزعم أنه يُصيب جاريتها ، فأمر به فأحضر ، فسأله عما أدعت ، فقال : هي
سوداء ، وخادمها سوداء^(٣) ، وفي بصرى ضعف ، ويضرب الليل برؤاقه وإنما
أخذ من دنا مني .

اعتذار الزوج
الذي يصيب
جاريتها

قال : وخطب رجل خطبة نكاح ، وأعرابي حاضر ، فقال : الحمد لله ،
أحمده وأستعينه ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأن محمداً عبده ورسوله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح . فقال الأعرابي :
لا تُقيم الصلاة فإنني على غير وضوء .

لأعرابي وقد
سمع خطبة نكاح

وقال^(٤) : سمعت أبا موسى عيسى الضمري يقول : دخلت الحمام فإذا بأعمى
قد ركب أعمى^(٥) فقال له : ما هذا ؟ قال : ظلمات بعضها فوق بعض .

لأحد العميان

وقال العوام بن حوشب : قال لي عيسى بن موسى : من أرضعتك ؟
قلت : ما أرضعتني خلق سوى أمي . قال : قد علمت أن ذلك الوجه القبيح
لا يصبر عليه سوى أمك .

بين العوام بن
حوشب وعيسى
ابن موسى

كان رجل مقيت قد تنسك ، وتشبه بالحسن البصري ، فشهد جنازة ،
فوقف على القبر وإلى جنبه رجل مليح ، فضحك ، فقال له الناسك : ما أعددت
لهذه الحفرة يا فلان ؟ قال : قد ذقت فيها الساعة^(٦) .

بين ناسك قبيح
ورجل مليح

(١) ن : « رقعة مكتوبة » ، فقط .

(٢) ن : « أبي الزبير »

(٣) في بعض النسخ : « وجاريتها سوداء » .

(٤) هذا الخبر مما انفردت به نسخة ن .

(٥) بعد هذه الكلمة في ن : « ركب يعامله » .

(٦) ن : « أمك نذقتها الساعة » .

بين أعرابي ونبطي
ودخل أعرابي الحمام فضرط ، فقال نبطي : كان في الحمام : جُبْحَانِ الله !
فقال له الأعرابي : يا ابن اللخناء لكن ضرطتي أفصح من تسبيحك^(١) .
وقيل لأعرابي : مالك لا تجاهد ؟ قال : والله إنني لأبغض الموت على فراشي ،
فكيف أن أسعى إليه ركضاً .

لأعرابي في شهادة زنا
واستشهدوا أعرابياً على رجل وامرأة زنيا ف قيل له : رأيته داخلاً وخارجاً
كالمرود في المسكحلة ؟ فقال : والله ما كنت أرى هذا لو كنت جلدة أستها .
ووجد منبوذ بضفة العراق^(٢) وعند رأسه مائة دينار ورقة مكتوب فيها :
« أنا الشقي ابن الشقية ، وابن القدح والرطلية^(٣) ، وابن البغى والبغية ، وابن
الأبقال الطرية ، من كفلتني فله هذه المائة » .

٤٤٨
٣
السندی بن شاهك قائد الخليفة ، قال : بعث إلى المأمونُ بريداً
وأما بخراسان ، فطويت للراحل حتى أتيتُ باب أمير المؤمنين وقد هاج بي
الدم وانصرفت إلى منزلي ، فقلت : أحضروا إليّ الحجام . قالوا : هو محموم .
قلت : فهاتوا حجاماً غيره ولا يكون فضولياً . فأتوني به ، فما هو إلا أن دارت
يداه على وجهي حتى قال : جُعِلت فداك ، هذا وجه ما أعرفه ، فمن أنت ؟
قلت : السندی بن شاهك . قال : قال : ومن أين قدمت فإني أرى أثر السفر
عليك ؟ قلت : من خراسان . قال : وأي شيء أقدمك ؟ قلت : وجه إلى أمير
المؤمنين بريداً ، ولكن إذا فرغت سأخبرك بالقصة على وجهها . قال : وتعرفني
بالمنازل والسكك التي جئت عليها ؟ قلت : نعم . قال : فما كان إلا أن فرغ
ودخل رسول أمير المؤمنين ومعه كركي ، فقال : إن أمير المؤمنين يُقرئك السلام ،
وهو يعذرك فيما هاج بك من الدم ، وقد أمرك بالتخلف في منزلك ههنا إلى

(١) ن : « من لسانك » .

(٢) في بعض النسخ : « في بعض العراق » .

(٣) في بعض النسخ : « والركبة » .

قصة السندی
ابن شاهك
والحجام

أن تقدرو عليه إن شاء الله . ويقول : ما أهدي إلينا اليوم غير هذا الكركي ،
 فشأنك به . قال : فالتفت السندي إلى جلسائه فقال : ما يصنع بهذا الكركي ؟
 فقال الحجام : يطبخ سكباجا . قال السندي : يصنع كما قال . وحلف على
 الحجام أن لا يبرح ، فحضر الغداء فتقدينا وهو ينظر ، ثم قدم الشراب فلما
 دارت الأقداح قلت : يعلق الحجام في المقايين^(١) . ثم قلت : جعلت فداك ،
 إنك سألتني عن المنازل والسكك التي قدمت عليها ، وأنا مشغول في ذلك الوقت
 وأنا أقصها عليك فأسمع : خرجت من خراسان وقت كذا ، فنزلت بمكان
 كذا ، يا غلام : اضرب . فضربه عشرة أسواط ، ثم قلت : وخرجت منه إلى
 مكان كذا ، يا غلام أوجع . فضربه عشرة أسواط أخرى ، ولم يزل يضربه
 لكل سكة عشرة حتى انتهى إلى سبعين سوطا ، فالتفت إلى الحجام وقال : ١٠
 يا سيدي : سألتك بالله إلى أين تريد أن تبلغ ؟ قلت : إلى بغداد . قال : لست
 تبلغ بغداد حتى تقتلني ، قلت : فأتركك على ألا تعود ؟ قال : والله لا عدت
 أبدا . قال : فتركته وأمرت له بسبعين دينارا^(٢) ، فلما دخلت على المأمون أخبرته
 الخبر فقال : وددت أنك بلغت به إلى أن تأتي على نفسه .

فتوى أبي ضمضم أنت جارية أبا ضمضم فقالت : إن هذا قبلي . قال لها : قبلي ، فإن الله ١٥
 يقول : (والجروح قصاص) .

وارتفع رجلان إلى أبي ضمضم ، فقال أحدهما : أبقاك الله ، إن هذا قتل
 ابني . قال : هل لأبني أم ؟ قال : نعم ، قال : أدفعها إليه حتى يؤلدها لك ولدا
 مثل ولدك ، ويربّيه حتى يبلغ مبلغ ولدك ويبرأ به إليك .

وكان بالمدينة أعمى يكنى أبا عبد الله ، أتى يوما يغتسل من عين^(٣) ، فدخل ٢٠
 اعتصار أعمى
 لبس ثيابه مبتلة

(١) المقايين : خشبتان يشبع الرجل بينهما فيجلد . جنى الجنّتين المحبي ص ٨٠ . وفي
 اللسان : « يشبع الرجل بينهما الجلد » ، تحريف .

(٢) في بعض النسخ : « درهما » .

(٣) ن : « أتى يوما عينا ليغتسل بها »

بثيابه فقيل له : بَلَّلت ثيابك . قال : تَبَلُّ على أحبُّ إلى من أن تَجفَّ على غيري .

قصة الناسك
الذي كسر الجرة

وفي كتاب للهند^(١) أن ناسكا كان له سَمْنٌ في جَرَّةٍ معلقة على سريره ، ففكر يوما وهو مُضطجع على السرير ويده عُكَّاز ، فقال : أبيع الجرة بعشرة دراهم ، وأشتري بها خمسة أعنز ، فأولدهن في كل سنة مرتين ، فيبلغ النتاج في عشر سنين مائتين^(٢) وأبيعهن فأبتاع بكل عشرة بقرة ، ثم ينشئ المال بيدي ، فأبتاع العبيد والإماء ، ويؤلف لي ولد فأخذه في الأدب ، فإن عصاني ضربته بهذه العصا . وأشار بالعصا ، فأصاب الجرة فانكسرت ، وصب السمن على وجهه ورأسه^(٣) .

حديث الرجل
الذي كان يجمع
بين الرجال
والنساء

١٠ الزبير قال : حدثنا بكَّار بن رباح قال : كان بمكة رجلٌ يجمع بين الرجال والنساء ويحمل لهم الشراب^(٤) فشكى إلى عامل مكة فغربه إلى عرفات^(٥) فبنى بها منزلاً ، وأرسل إلى إخوانه ، فقال : ما يمنعكم أن تُعاودوا ما كنتم فيه ؟ قالوا : وأين بك وأنت في عرفات ؟ فقال : حمارٌ بدرهم ، وقد صرتم على الأمن والنزهة . ففعلوا فكانوا يركبون إليه حتى فسدت^(٦) أحداث مكة ، فعادوا بشكايتهم إلى والي مكة ، فأرسل فيه فأتى به فقال : يا عدو الله ، طردتك من حرم الله فصرت بفسادك إلى المشعر الأعظم^(٧) . فقال : يكذبون على أصلح الله الأمير . فقالوا : دليلنا أصلحك على ما نقول أن تأمر بحمير مكة فتجمع

٤٤٩
٣

(١) هو كتاب كلية ودمنة . (انظر باب الناسك وابن عرس) .

(٢) في بعض النسخ : « حتى تبلغ ثمانين » . وفي كلية ودمنة : « ثم حزر على هذا الحساب لخمس سنين فوجد ذلك أكثر من أربعائة عنز » .

٢٠

(٣) في كلية ودمنة : « على رأسه ولحيته » .

(٤) ن : « ويعمل لمن الشراب » .

(٥) في بعض النسخ : « فنقاه إلى عرفات »

(٦) ن : « أفسد » .

(٧) في بعض النسخ : « طردتك فصرت تفسد في المشعر الحرام » .

٢٥

وتُرسل بها أمناء إلى عرفات ويرسلونها ، فإن لم تقصد لمنزله من بين المنازل
 كعادتها إذا ركبها السفهاء فنحن غير مبطلين . فقال الوالى : إن فى هذا لدليلاً
 وشاهداً عدلاً . فأمر بحمير من حمير الكراء فجمعت ثم أرسلت ، فصارت إلى
 منزله كما هى من غير دليل ، فأعلمه بذلك أمناءه فقال : ما بعد هذا شيء ،
 جردوه . فلما نظر إلى الشياطين قال : لا بدّ أصلحك الله من ضربى ؟ قال : نعم
 يا عدوّ الله . قال : والله ما فى ذلك شيء ، هو أشدّ علىّ من أن يشمت بنا أهل
 العراق ويضحكوا منا ويقولوا : أهل مكة يميزون شهادة الحمير . قال : فضحك
 الوالى وخلق سبيله .

ولقى رجل امرأة جميلة فجعل يتعرّضها ، وألحّ عليها ، فدخلت درباً
 وكشفت عن وجهه قد شاطر البدر حسنه وقالت له : انظر إلى ما يسخن عينك ،
 ويقوم له أيرك ، وينيكه غيرك .

بين حسناء
 ومتنبح لها

وهنا رجل رجلان فى عرسه ، فقال : باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر
 فى المعركة .

تهنئة رجل
 فى مرسه

الهيثم بن عدى قال : بينا أنا بكفاسة السكوفة إذا برجل مكفوف البصر قد
 وقف على نخاس من نخاسى الدواب ، فقال له : أبيض حماراً ليس بالصغير المحتقر ،
 ولا بالكبير المشتهر ، إذا خلا له الطريق تدفق ، وإذا كثّر الزحام ترفق ، وإن
 أقلت علفه صبر ، وإن أكثرته شكر ، وإذا ركبته هام ، وإن ركبته غيرى نام .
 قال له النخاس ، يا عبد الله ، اصبر فإذا مسح الله القاضى حماراً أصبت به حاجتك
 إن شاء الله .

وصف أحد
 المشتري لحمار
 يبيعه

قال : ودخل رجل السوق فى شراء فرس ، فقال له النخاس : صفه لى .
 فقال : أريده حسن القميص^(١) ، جيّد القصوص ، وثيق العصب ، نقي القصب ،

وصف فرس

(١) يعنى بالقميص جلده ..

يُشير بأذنيه ، ويتشوّف برأسه^(١) ، ويخطر يديه ، ويدخو برجليه^(٢) ، كأنه موج في لجة ، أو سيل في حدور ، أو منقط من جبل . فقال له النخاس : نعم كذلك كان صلوات الله عليه . قال : إنما أصف لك قرصا ، قال : ما حسبتك إلا في وصف نبي منذ اليوم^(٣) .

٥ قال : ودخل أبو نجيلة^(٤) اليمين فلم يربها أحدا حسنا ، ورأى نفسه وكان هجاء أبي نجيلة
لليمين قبيحا أحسن من بها ، فقال :

لم أر غيري حسنا منذ دخلت اليمين
ففي حرٍّ أم بلدةٍ أحسن من فيها أنا^(٥)

١٠ محمد بن إسحاق قال : قال سفيان بن عيينة : دخلت الكوفة في يوم فيه رذاذ من مطر ، فإذا أنا بكناس قد فتح كنيفا ، ووقف على رأس البئر ، وهو يقول :
بلد طيب ويوم مطير هذه روضة وهذا غدير

ثم قال لصاحبه : أنزل فيها . فأبى عليه ، فنزل وهو يقول :
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا^(٦)
الأصمى قال : بينا أنا سائر بالقيفاء^(٧) ، إذ سمعت صوتا يقول :
١٥ جنبوني ديار هند وسعدى ليس مثلي يحل دار الهوان
قال : فالتفت يمنا ويسرة فإذا أنا بالصوت يخرج من حش ، فأقبلت حتى

الأصمى واحد
الكناسين

(١) ماعدان : « ويشرف برأسه » .

(٢) دحا الفرس يدحو : رمى يديه رميا ، لا يرفع سلبكه عن الأرض كثيرا . في بعض النسخ : « ويدحر » تحريف .

(٣) في بعض النسخ : « في وصف فرس نبي هذا اليوم » ، تحريف .

(٤) في بعض النسخ : « ابن نجيلة » ، تحريف .

(٥) يقول العرب في هجائهم الموزج : « في حرام فلان » ، أي في هنها .

(٦) البيت لمهل ، كما في الحيوان (٦ : ٤٢٩) .

(٧) القيفاء هنا : اسم موضع .

وقفت عليه ، فإذا بحشاش ويده كأس^(١) ، فقلت : يا سبحان الله ، أنت في بيت
عذرة^(٢) وتقول :

* ليس مثل محل دار الهوان *

فأني ذلك ، وأي هوان أكثر مما أنت فيه ؟ قال : فرغ رأسه إلى وقال :

لا تلعني فإني نَسْوانُ أنا في الملك ما سقتني الدنانُ

فقلت : ما هو إلا كقول الآخر :

* مَن قرَّ عيناً بعيشه كفَّه^(٣) *

والعلی بن الجهم :

لعل بن الجهم

٤٥٠
٣ أعظم ذنبي عنديكم ودِّي فليت هذا ذنبكم عندي

١٠ يا خسرتا أهلك وجداً بمن لا يعرف الشكوى من الوجد

حماد الرواية قال : أتيت مكة فجلست في حلقية منها ، فيها عمر بن أبي ربيعة
القرشي ، وإذا هم يتذاكرون العذريين وعشقتهم وصبايتهم ، فقال عمر بن أبي
ربيعة : أحدثكم عن بعض ذلك ، كان لي خليل من عذرة يكنى أبا مسهر^(٤)
وكان مستهتراً بأحاديث النساء^(٥) ، يصبو بهن ويُنشد فيهن ، على أنه كان
لا عاهر الخلو ، ولا حديث السلوة ، وكان يوافي الموسم في كل سنة ، فإذا أبطأ
ترجعت له الأخبار ، واستوقفت له السفار .

خير الجعد بن
مهبج

وإنه راث عني سنة من ذلك خبره^(٦) ، حتى قدم وفد عذرة ، فأتيت

(١) أراد بالحشاش من يعمل في الحش ، وهو بيت الخلاء . في بعض النسخ : « بكناس
ويده فأس » .

(٢) في بعض النسخ : « أنت تكنس عذرة » .

(٣) للأضبط بن قريع ، كما في كتاب المعمرين للسجستاني ٨ . صدره :

* وا قبل من الدهر ما أتاك به *

(٤) اسمه الجعد بن مهبج ، كما في الأغاني : (١٠ : ٤٨) حيث وردت القصة .

(٥) المستهتر بالتي : المولع به . في بعض النسخ : « مشتهراً » .

(٦) راث : أبطأ . في بعض النسخ : « غاب علي » .

القوم أنشدُ صاحبي^(١) فإذا رجلٌ يتنفس الصُّعداء ، فقال : أعن أبي مُسهرٍ
تسأل ؟ قلت : نعم . قال : هيهات هيهات ! أصبح والله أبو مُسهرٍ لا حيتاً فيرجي
ولا ميتاً فينسى ، ولسكنه كما قال الشاعر :

لعمرك ما حَيَّي لأسماء تاركى صحيحاً ولا أَقْضَى به فأموت^(٢)
فقلت : وما الذي به ؟ قال : كمثل الذي بك ، من أنهما ككُما في الضلال ،
وجرَّ كما أذبال الخسار^(٣) ، كأنكما لم تسمعاً بجنة ولا نار . قلت : فما أنت منه
يا ابن أخي ؟ قال : أخوه . قلت : والله إنك وأخاك كالوشى والبجاد ، لا يرفعك
ولا ترقرقه^(٤) . ثم أنطلقت وأنا أقول :

أرائحة حُجَّاجٍ عُذرة رَوْحةٍ ولما يروح في القوم قيس بن مهجع^(٥)
خَلِيلِي يَشْكُو ما يُبْلَاقِي من الهوى ومهما يقل أسمع وإن قلتُ يسمع
ألا ليت شِعري أى شيء أصابهُ آمِن زفرات هِجْنٍ من بين أضلع^(٦)
فلا يُبعدنك الله خِلاً فإنتى سألتي كما لا قيت في الحب مصرعي^(٧)

قال : فلما حججتُ ووقفت بعرفات إذا به قد أقبل ، وقد تغيَّر لونه وساءت
هيئته ، وما عرفته إلا بناتته^(٨) ، فأقبل [فأدنى ناقته من ناقتي]^(٩) حتَّى خالف
بين أعناقهما ، ثم أعنتني ، وجعل يبكي فقلت له : ما الذي دهاك^(١٠) ؟ قال :
بَرَح الخفاء ، وكشف الغطاء . ثم أنشد يقول :

(١) ن : « أسأل عن صاحبي » .

(٢) في بعض النسخ : « ما هذا الغرام بتاركى » . وما أثبتنا من ن يطابق رواية الأغاني .

(٣) الخسار : الخسران ، وهو الضلال . في بعض النسخ : « الخسران » .

(٤) الوشى : ضرب من الثياب رقيق . والبجاد : كساء مخطط من أكسية الأهراب . ن
« كالوشى والبجاد لا يرفعك ولا ترقرقه » ، تحريف .

(٥) كذا . والصواب « جعد بن مهجع » كما في الأغاني . وهو اسم « أبي مسهر »
كما سبق .

(٦) في بعض النسخ : « أى خطب أصابه » أمن زفرات الهجر . وما أثبتنا من ن

(٧) هذا البيت ساقط من ن .

(٨) الكلام بعده إلى « دهاك » ساقط من ن . وبديله في الأغاني : « فأدنى ناقته

من ناقتي حتَّى خالف بين أعناقهما ، ثم عانتني وبكى حتَّى اشتد بكأؤه ، فقلت ما وراءك » .

(٩) التكملة من الأغاني . (١٠) إلى هنا ينتهي سقط ن .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

لئن كانت عُدَيْلَةُ ذاتَ مَطلٍ لقد علمتُ بأنَّ الحُبَّ داءٌ^(١)
 وإِنَّكَ لو تكلَّمتَ الذي بِي لزالَ الظلمُ وأنكشفَ الفُطاءُ^(٢)
 فإنَّ معاشِرِي ورجالَ قومي حُتوفهم الصَّبابَةُ واللَّقاءُ
 إذا العُذرى ماتَ بِحَتَفِ أنفٍ فذاك العبدُ يبيكه الرِّشَاءُ^(٣)

قلت : يا أبا مسهر ، إنها ساعة عظيمة تُضرب فيها أ كباد الإبل من شرق
 الأرض وغربها ، فلو دعوت الله كنتَ قنّاً أن تظفر بحاجتك ، وتُنصر على
 عدوك . فجعل يدعو حتى إذا مالت الشمس للغروب ، وهم الناس أن يُفيضوا
 سمعته يُهينُ بشيء ، فأصغيتُ إليه مستمعاً فجعل يقول :

يا ربَّ كلِّ غدوة وروحة مِن محرم يشكو الصِّبا وتوَّحه^(٤)

١٠ أنتَ حسيب الخلق يومَ الدَّوحة

خبر يوم الدوحة قلت له : وما يوم الدَّوحة ؟ قال : سأخبرك إن شاء الله ، ولولم تسألني .
 فيتمننا نحو المزدلفة فأقبل عليّ وقال :

إني رجل ذو مالٍ كثير ، ونعم وشاء ، وإنِّي خَشِيتُ على مالي عامَ أوَّلِ
 الثَّلف ، فأتيت أخوالي كلباً ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس ، وسَقَوْنِي جُمة البئر^(٥)
 وكنت منهم في خير أحوال ، ثم إنِّي عنمتُ على مرافقة أهل ماء لم يقال له
 الحوادث^(٦) ، فركبتُ يوماً فرسي ، وعلقتُ معي شراباً أهداه إليّ بعضُ
 الكلبيين ، فانطلقتُ حتى إذا كنت بين الحى ومرعى النعم ، رُفِعتُ لى دوحة

٤٥١
٣

(١) في الأغاني : « لئن كانت عديلة ذات لب » .

(٢) في بعض النسخ : « لزال السر » وفي الأغاني : « لحف الكلم » في أصلها
 « لحف الكلم » .

٢٠

(٣) يبيكه الرشاء ، أى هو من الذين يمتنون في الاستقاء .

(٤) كذا . وفي الأغاني : « يشكو الضحى ولوحه » .

(٥) جمة البئر : ما جم منها وارتفع .

(٦) في الأغاني : « الحوذان » .

عظيمة ، فقلت : لو نزلت تحت هذه الشجرة ثم تروحت مُبرداً ! ففعلت
فشددتُ فرسى بغصن من أغصانها ، ثم جلست تحتها ، فإذا ببغبار قد مطع من
ناحية الحى ، ثم تبينتُ فبدت لى شخص ثلاثه ، فإذا فارسٌ يطرُد مسحلاً
وأثاناً^(١) ، فلما قرُب منى إذا عليه درع أصفر ، وعمامة خَزٍ سوداء ، فمالبتُ أن
لحق المسحَل فطعنه فصرعه ، ثم ثنى طعنةً للأثان ، وأقبل وهو يقول :

نظعنهم سُلْكِي ومَخْلُوجَةً كَرَكْ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ^(٢)

فقلت له : إنك قد تعبت وأتعبت ، فلو نزلت . فثنى رجله فنزل ، فشدد فرسه
بغصن من أغصان الشجرة ، ثم أقبل حتى جلس معي ، فجعل يُحدثني حديثاً
ذكرتُ به قول الشاعر^(٣) :

١٠ وَإِنْ حَدِيثًا مِنْكَ لَوْ تَبَذَّلْتَهُ جَنَى الْفَحْلِ فِي أَلْبَانِ عُوذٍ مَطَافِلِ

فبينما هو كذلك ، إذ نكت بالسوط على ثنيتيه ، فمالكتُ نفسي أن
قبضت على السوط ، فقلت : مه . قال : ولم ؟ قلت : إني أخاف أن تكسرهما ،
لأنهما رقيقتان عذبتان . قال : فرفع عقيرته وجعل يتغنى :

إِذَا قَبَّلَ الْإِنْسَانُ آخَرَ يَشْتَهِي ثَنَائِيَهُ لَمْ يَأْتِمِ وَكَانَ لَهُ أَجْرًا^(٤)

١٥ وقال : ما الذي تعلقت في سرجك ؟ قلت : شرابٌ أهداه إلى بعض أهلك ،
فهل لك فيه ؟ قال : ما نكرهه إذا كرهه^(٥) . فأتيتُه به ، فوضعتُه بيني وبينه ،
فلما شرب منه شيئاً نظرتُ إلى عينيه كأنهما عيناً مهاة قد أضلت ولدها ، ثم رفع
عقيرته يتغنى :

(١) المسحل : الحمار الوحشي . والأثان : أثناء .

٢٠ (٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه ١٤٩ . السلكي : المستقيمة . والمخلوجة :
المعوجة عن يمين وشمال . والأمان : السهمان عليهما ريقهما .

(٣) هو أبو ذؤيب الهنلي . ديوان المذليين (١ : ١٤٠) .

(٤) في بعض النسخ : « أجر » تحريف . وبعده في الأغاني :

فان زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يحو الله عنه بها الوزرا

(٥) ن : « وما أنكر منه إذا كره » .

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُجِيبْ قَتَلَانَا^(١)
 يَصْرَعَنَّ ذَا الْحِلْمِ حَتَّى لَا حَرَكَهَ بِهِ وَهَنْ أَوْضَعُ خَلَقَ اللَّهُ أَرْكَانَنَا^(٢)
 ثُمَّ قُتِلَ لِأَصْلَحِ مِنْ أَمْرِ فَرَسِي ، فَرَجَعْتُ وَقَدْ حَسَرَ الْعِمَامَةُ عَنْ رَأْسِهِ ،
 وَإِذَا غَلَامٌ كَانَ وَجْهُهُ دِينَارٌ هَرَقَنِي ، فَقُلْتُ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ مَا أَعْظَمَ قُدْرَتَكَ .
 قَالَ : كَيْفَ ؟ قُلْتُ : ذَلِكَ لِمَا رَاعَنِي مِنْ نُورِكَ وَبَهَرَنِي مِنْ جَمَالِكَ . قَالَ : ٥
 وَمَا الَّذِي يَرُوعُكَ مِنْ رِزْقِ الدَّوَابِّ وَنَبِيْشِ التُّرَابِ^(٣) ، ثُمَّ لَا يَدْرِي أَيْنَعَمُ
 أَمْ يَبْئُوسُ ؟ قُلْتُ : لَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِكَ إِلَّا خَيْرًا . ثُمَّ قَامَ إِلَى فَرَسِهِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ
 بَرَقَتْ لِي بَارِقَةٌ مِنْ تَحْتِ الدَّرْعِ ، فَإِذَا تُدَيُّ كَأَنَّهُ حَقٌّ عَاجٍ . قَاتَ : نَشَدْتُكَ
 اللَّهُ ، أَمْرَأَةً ؟ قَالَتْ : إِي وَاللَّهِ ، أَمْرَأَةٌ ، تَكْرَهُ الْعُمُورَ ، وَتُحِبُّ الْغَزْلَ . قُلْتُ :
 وَأَنَا وَاللَّهِ كَذَلِكَ . قَالَ : جَلَسْتُ وَاللَّهِ تُحَدِّثُنِي مَا أَفْقَدُ مِنْ أَنْسَاهَا شَيْئًا^(٤) ، ١٠
 حَتَّى مَالَتْ عَلَى « الدَّوْحَةِ » سَكْرَى . فَأَسْتَحْسَنْتُ وَاللَّهِ يَا بَنَ أَبِي رَبِيعَةَ الْغَدَرِ ،
 وَزَيْنَ فِي عَيْنِي ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَصَمَنِي مِنْهُ ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ أَنْتَبَهْتُ مَذْعُورَةً ، فَلَاثْتُ
 عِمَامَتَهَا بِرَأْسِهَا ، وَأَخَذْتُ الرُّمَحَ ، وَجَالَتْ فِي مَتْنِ فَرَسِهَا ، فَقُلْتُ : مَضَيْتِ
 وَلَمْ تَزُودِي مِنْكَ زَادًا . فَأَعْطَنِي بَنَانَهَا^(٥) فَمَسَّتْهُ وَاللَّهِ مِنْهَا كَالنَّبَاتِ الْمَطُورِ
 زُهْرُ الثَّلَجِ^(٦) . ثُمَّ قُلْتُ : أَيْنَ الْمَوْعِدُ ؟ قَالَتْ : إِنَّ لِي إِخْوَةَ شُوسَا^(٧) وَأَبَا غَيُورًا ، ١٥

(١) البيتان لجرير في ديوانه ٩٥ هـ والكامل ١٦١ ليسك . وفي هامش ن إشارة إلى رواية « حور » بدل « مرض » .

(٢) ما عدا ن : « يصرعن ذاللب » و « إنسانا » بدل « أركاننا » .

(٣) كذا في ن . وفي سائر النسخ : « زرق العيون وحبس التراب » . وفي الأغاني :
 « من حبس التراب وأكيل الدواب » . ٢٠

(٤) في بعض النسخ : « ما أنكر من أمرها شيئاً » .

(٥) في بعض النسخ : « ثناياها » .

(٦) الزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض . ما عدا ن : « فحست والله منها كالثلج المطور » ، تحريف .

(٧) الشوس : جمع أشوس ، وهو الذي يرفع رأسه تكبرا . ما عدا ن وكذا في ٢٥
 الأغاني : « شرسا » ، وهو جمع أشرس ، وهو العسر الخلق الشديد الخلاف .

والله لأن أسرك أحب إلي من أن أضرك . ثم مضت ، فكان والله آخر العهد بها إلى يومى هذا ، وهى التى بلغتنى هذا المبلغ ، وأحلتنى هذا الحل .

- قال : فدخلتنى له رقة . فلما أنقضى الموسم شددت على ناقتى وشددت على ناقتة وحملت غلاماً لى على بعير ، وحملت عليه قبة حمراء من آدم كانت لأبى ربيعة ، وأخذت معى ألف دينار ، ومطرف خز ، ثم خرجنا حتى أتينا بلاد كلب ، فإذا الشيخ فى نادى قومه ، فسلمت عليه ، فقال : وعليك السلام ، من أنت ؟ فقلت : عمر بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى . قال : المعروف غير المنكور فما الذى جاء بك ؟ قلت : جئت خاطباً . قال : أنت الكفاء الكفى ، الذى لا يرغب عن وصله^(١) ، والرجل الذى لا يرد عن حاجته . قال : قلت : إني لم آت لك لنفسى وإن كنت فى موضع الرغبة ، ولكفى أتيتكم لأبن أختكم العذرى . قال : والله إنه لكفاء الحسب ، كريم النسب ، غير أن بنائى لم يعرفن هذا الحى من قريش . قال : فعرف الجزع من ذلك فى وجهى ، فقال : أما إن أصنع بك ما لم أصنع لغيرك^(٢) ، أخيرها فى نفسها ، فهى وما أختارت . فقلت : خيرها . فأرسل إليها أن من الأمر كذا وكذا ، فرأى رأيك . فقالت : ما كنت لأستبد برأى دون رأى القرشى ، خيارى ما أختار . قال : قد ردت الأمر إليك . ١٥
- قال : فحمدت الله وصليت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقلت : قد زوجتها العذرى^(٣) ، وأصدقته هذه الألف الدينار ، وجعلت تكرمها العبد والبعير والقبة ، وكسوت الشيخ المطرف ، فسر به ، وسألته أن يبنى بها من ليلته ، فأجابنى إلى ذلك ، فضربت القبة فى وسط الحى ، وهديت إليه ليلاً ، وبت عند الشيخ فى خير مبيت ، فلما أصبحت غدوت فقامت بباب القبة ، فخرج ٢٠

(١) ن : « حسبه » .

(٢) ما عدا ن : « أصنع فى ذلك ما لم أصنعه قط لغيرك » .

(٣) فى الأغاني : « قد زوجتها من الجعد بن مهبج » . وفيما عدا ن : « العذرى مهبجاً » تحريف .

إلى وقد تبين الجذل فيه ، فقلت : كيف كنت بعدى أبا مُشهر ؟ قال : أبدت لي كثيراً مما كانت أخفته يوم رأيته . فقلت : أقم على أهلك بارك الله لك . ثم أنطلقت إلى أهلي وأنا أقول :

كُنَيْتُ الْفَتَى الْمُذَرَّى مَا كَانَ نَابَهُ وَمِثْلِي لِاثْقَالِ النَّوَائِبِ أَحْمَلُ^(١)
أَمَا اسْتَحْسَنْتُ مِنْى الْمَكَارِمِ وَالْعَلَا إِذَا صَرَّحْتَ أَنَّى أَقُولُ وَأَفْعَلُ^(٢) •

حدث أبو محمد الشَّعْبِي^(٣) الْوَرَّاقُ ، وَكَانَ عِنْدَ بَابِ خِرَاسَانَ عَلَى رَأْسِ الْجَمْرِ الْأَوَّلِ ، عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْمُونِ الْمَوْصِلِيِّ ، قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ الْمَأْمُونِ ، وَقَدْ خَلَا وَجْهَهُ ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ ، إِذْ قَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، هَذَا يَوْمُ خَلْوَةٍ وَطِيبٍ . فقلت : طِيبَ اللَّهُ غَيْشَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَدَامَ سُرُورَهُ وَفَرَحَهُ . فَقَالَ : يَا غُلَامَانِ خُذُوا عَلَيْنَا الْبَابَ ، وَأَحْضِرُوا الشَّرَابَ . قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَلَنِي فِي مَجَالِسٍ غَيْرِ الْمَجَالِسِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ، وَإِذَا قَدْ نُصِبَتِ الْمَوَائِدُ ، وَأُصْلِحَ كُلُّ مَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَالُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ كَانَ تَقَدَّمَ فِيهِ^(٤) . قَالَ : فَأَكَلْنَا وَأَخَذْنَا فِي لَذَنَاتِنَا وَشَرَبْنَا ، فَأَقْبَلَتِ السَّيِّيرَاتُ^(٥) مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِضُرُوبٍ مِنَ الْغَنَاءِ ، وَصُنُوفٍ مِنَ اللَّهْوِ ، فَلَمْ نَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، خَيْرَ أَيَّامِ الْفَتَى أَيَّامُ الطَّرِبِ . قلت : هُوَ وَاللَّهِ ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَإِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ ، فَهَلْ لَكَ فِيهِ ؟ قلت : يَا سَيِّدِي أَوْ أَتَأَخَّرُ عَنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ . قَالَ : لَعَلَّنَا نُبَاكِرُ الْمَصْبُوحَ فِي غَدَوَاتِنَا هَذِهِ ، وَقَدْ عَزِمْتُ عَلَى دَخْلَةِ إِلَى دَارِ الْحَرَمِ ، فَكُنْ

مجلس للمأمون
وإسحاق
الموصلى

٢٠

(١) فِي الْأَفَانِي : « وَإِنِّي لِأَعْيَاءِ النَّوَائِبِ حَالٌ » .

(٢) الْأَغَانِي : « إِذَا طَرَحْتَ إِنِّي لَمَالِي بِذَالِ » .

(٣) ن : « السَّبْعِي » .

(٤) تَقَدَّمَ فِي الْفَتَى : أَمْرٌ بِهِ وَأَوْصَى .

(٥) السَّيِّيرَاتُ : الْمَسْتَوْرَاتُ . ن : « السَّتَارَاتُ » جَمْعُ سِتَارَةٍ .

بمكانك ولا تريم ، فإنني أوافيك عن قريب . قال : قلت : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين . ثم نهض إلى دار النساء ، فما عرفت له خبراً إلى أن ذهب من الليل عامته .

قال إسحاق : وكان المأمون من أشغف خلق الله بالنساء ، وأشدّهم ميلاً إليهن واستهتاراً بهن ، وعلمت أن النبيذ قد غلب عليه ، وأنهن قد أنسينه أمرى ، وما كان تقدّم إلى ووعدني من سرعة رجوعه ، فقلت في نفسي : هو أعزّه الله في لذته وأنا هاهنا في غير شيء ، وفي بقية ، وعندى صبيّة كنت قد اشتريتها ، وكانت نفسي متطلّمة إلى اقتضاها ، فنهضت مسرّعاً عند ذكرها فقال الخدم : على أي شيء عزمتم ؟ وإلى أين تريد ؟ قلت : أريد الانصراف . قالوا : فإن طلبك أمير المؤمنين ؟ قلت : إنه أدام الله سروره قد شغله الطرب ولذة ما هو فيه عن طلبى ، وقد كان بيني وبينه موعد قد جاوز وقته ، ولا وجه لجلوسى .

قال إسحاق : وكنت مقدّم الأمر في دار المأمون ، مقبول القول فيه ، لا أعارض في الشيء إذا أومات إليه ، فخرجت مبادراً إلى باب الدار ، فلقيني غلمان الدار ، وأصحاب النوبة . فقالوا : يا سيّدنا ، إن غلمانك قد أنصرفوا وكانوا قد جاءوك بدابة ، فلما علموا بمبيتك أنصرفوا . قلت : لا ضير ، فأنا أتمشى إلى البيت وحدى . قالوا : نحضرك دابة من دواب النوبة . قلت : لا حاجة لى في ذلك . قالوا : فنمضى بين يديك بمشعل . قلت : لا ، ولا أريد أيضاً ذلك . وأقبلت وحدى نحو البيت ، حتى إذا صرت ببعض الطريق أحسست بحركة البول^(١) ، فعدلت إلى بعض الأزقة ، لئلا يجوز بي

(١) في بعض النسخ : « بحركة البول » .

- أحد من العوام فيراني أبول على الطريق ، فبليت حتى إذا قمت للتمشيع ببعض
الحيطان إذا أنا بشيء معلق من تلك الدُّور إلى الزقاق فما تمالككت أن تمسحت
ثم دنوت إلى ذلك الشيء لأعرف ما هو ، فإذا بزنبيل كبير معلق بأربع آذان ،
وإذا هو ملبس ديباجاً ، وفيه أربعة أحبل إبريسم ، فلما نظرت إليه وتبينته
قلت : والله إن لهذا سبباً ، وإن له لأمرأ . فأقمت ساعة أروى في أمره وأفكر
فيه ، حتى إذا طال ذلك بي قلت : والله لأتجاسرن ولأجلسن فيه كائناً في ذلك
ما كان . ثم لففت رأسي بردائي وجلست في جوف الزنبيل ، فلما أحسن من
كان على ظهر الحائط بثقله جذبوا الزنبيل إليهم ، حتى انتهوا إلى رأس الحائط ،
فإذا بأربع جوار^(١) ، وإذا هن يقلن : انزل بالرَّحِب والسعة ، أصدق أم
جديد ؟ فقلت : لا بل جديد . فقلن : أنت يا جارية بين يديه الشمعة . فابتدرت
إحداهن إلى طست فيه شمعة وأقبلت بين يدي ، حتى نزلت إلى دار نظيفة بها
من الحسن والظرف والنظافة ما حزت له ، ثم أدخلتني إلى مجالس مفروشة ،
ومناس^(٢) مَرصوفة^(٣) ، بصنوف من الفرش الذي لم أر مثله إلا في دار ملك
أو خليفة ، فجلست في أدنى مجلس من تلك المجالس ، فما شعرت بعد ساعة
إلا بضجة وجلبة وسُتُور قد رُفعت في ناحية من نواحي الدار ، وإذا بوصائف
يتساعين^(٤) في أيدي بعضهن الشمع ، وبعضهن المجامر ، يسجر فيها العود
والند ، وإذا بينهن جارية كأنها تمثال عاج ، تنهادي بينهن كاليدر الطالع ، بقدر
يُزرى على العصون ، ودلٍ وشكل ، فما تمالككت عند رؤيتها أن نهضت فقالت :
مرحباً بك من زائر آتى ، وليست تلك عادته^(٤) . وجلست ورفعت مجلسي عن

(١) ن : « جوار عقار » .

(٢) مناص : جمع منصة . ن : « ومناصب موضوعة » .

(٣) ماعدان : « يتسابقن » .

(٤) ن : « مادتك » .

الموضع الذي كنت فيه . فقالت : كيف كان ذا والله لي ولك . ولا علم كان وقع لي ، فما السبب ؟ قال : قلت : أنصرفتُ من عند بعض إخواني وظننتُ أنني على وقت ، فخرجتُ في وقت ضيق وأخذني البول ^(١) ، فأخذتُ إلى هذا الطريق ، فعدلتُ إلى هذا الزقاق ، فوجدتُ زنبيلًا معلقًا ، فحملني النبيذ على أن جاستُ فيه ، فإن كان خطأ فالنبيذ أكسبني . وإن كان صوابًا فالله أكرمني . قالت : لا خير إن شاء الله ، وأرجو أن تحمد عواقب أمرك ، فما صنعته ؟ قلت : برّاز . قالت : وأين مولدك ؟ قلت : بغداد . قالت : ومن أي الناس أنت ؟ قلت : من أفناءهم وأوساطهم ^(٢) . قالت : حيّاك الله وقرب دارك ، فهل رويت من الأشعار شيئًا ؟ قلت : شيئًا يسيرًا ^(٣) . قالت : فذا كبرنا بشيء مما حفظت . قلت : جعلتُ فداك إن للداخل دهشة ، وفي أنقباض ، ولكن تبندئين بشيء من ذلك ، فالشيء يأتي بالذاكرة . قالت : لعمري لقد صدقت ، فهل تحفظ لفلان قصيدته التي يقول فيها كذا وكذا ؟ ثم أنشدتني جماعة من الشعراء القدماء والمحدثين من أحسن أشعارهم ، وأجود أقاويلهم ، وأنا مُستمعٌ أنظر من أي أحوالها أعجب : من ضبطها ، أم من حسن لفظها ، أم من حسن أدبها ، أم من حسن جودة ضبطها للغريب ، أم من اقتدارها على النحو ومعرفة أوزان الشعر ؟ ثم قالت : أرجو أن يكون ذهب عنك بعض ما كان من الحصر والأنقباض والحشمة . فقلت : إن شاء الله ، لقد كان ذلك . قالت : فإن رأيت أن تفشدنا من بعض ما تحفظ فافعل . قال : فأنذفتُ أنشد جماعة من الشعراء ، فاستحسنّت نشيدي ، وأقبلت تسألني عن أشياء تمر في شعري كالختبرة لي ، وأنا أجيبها بما أعرف في ذلك ^(٤) ، وهي

٤٥٤
٣

٢٠

(١) ن : « وحركني البول » .

(٢) يقال رجل من أفناء القبائل : لا يدري من أي قبيلة هو . في بعض النسخ : « من

أفنائهم » تحريف .

(٣) ن : « شيء ضيف » .

(٤) ن : « فأجبتها بما عرفت في ذلك » .

- مُصْنِيةً إِلَى ، وَمُسْتَحْسَنَةً لِمَا آتَى بِهِ ، حَتَّى إِذَا أُتِيَتْ عَلَى مَا فِيهِ مَقْنَعٌ قَالَتْ :
 وَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ ، وَمَا تَوَهَّمْتُ فِيكَ مَا أَلْفَيْتُ ، وَمَا رَأَيْتُ فِي أَبْنَاءِ التَّجَارِ وَأَبْنَاءِ
 الشُّوْقَةِ مِثْلَ مَا مَعَكَ ، فَكَيْفَ مَعْرِفَتِكَ بِالْأَخْبَارِ وَأَيَّامِ النَّاسِ ؟ قُلْتُ : قَدْ
 نَظَرْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَتْ : يَا جَارِيَّةُ أَحْضِرِينَا مَا عِنْدَكَ . فَمَا غَابَتْ عِنْدَا
 شَيْئًا حَتَّى قَدَّمَتْ إِلَيْنَا مَائِدَةً لَطِيفَةً ، قَدْ جَمَعَ عَلَيْهَا غَرَائِبُ الطَّعَامِ السَّرِيِّ ،
 فَقَالَتْ : إِنَّ الْمَالِحَةَ أَوَّلَ الرِّضَاعِ ^(١) ، فَدُرْتُكَ . فَتَقَدَّمْتُ ، فَأَقْبَلْتُ أَعْتَذِرُ بَعْضَ
 الْعِذَارِ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَحْتَنِي وَتَضَعُ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَإِنِّي لَمَتَقَسَّمُ الْقَلْبَ لِمَا أَرَى مِنْ
 ظَرْفِهَا وَعَقْلِهَا ، وَحَسَنِ خَقَرِهَا ، وَكَثْرَةِ أَدْبِهَا ، حَتَّى رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ ، وَأَحْضَرْتُ
 آيَةَ الْبَيْذِ ، فَوَضِعْتُ بَيْنَ يَدَيَّ صَيْنِيَّةً وَقَنِينَةً وَقَدَحَ وَمِغْسَلٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا
 مِثْلُ ذَلِكَ ، وَفِي وَسْطِ الْمَجْلِسِ مِنْ صُنُوفِ الرِّيَاحِينَ وَغَرَائِبِ الْفَوَاكِهِ مَا لَمْ أَرَهُ
 اجْتَمَعَ لِأَحَدٍ ، إِلَّا لَوْلَى عَهْدٍ أَوْ سُلْطَانٍ ؛ قَدْ عَيَّيْتُ أَحْسَنَ تَعْبِئَةٍ ، وَهَيَّئْتُ
 بِأَحْسَنِ تَهْيِئَةٍ .

- قَالَ إِسْحَاقُ : فَتَشَاقَلْتُ عَنِ الشُّرْبِ لِتَكُونَ هِيَ الَّتِي تَبْتَدِي . فَقَالَتْ : مَا لِي
 أَرَاكَ مَتَوَقِّفًا عَنِ الشُّرْبِ ؟ قُلْتُ : أَنْتَظَرُ أَلَّا لِي ، جُعِلْتُ فِدَاكَ . فَسَكَبْتُ قَدْحًا
 فَشَرِبْتُ ثُمَّ سَكَبْتُ قَدْحًا آخَرَ فَشَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَتْ : هَذَا أَوَانُ الْمَذَاكِرَةِ فَإِنَّ
 الْمَذَاكِرَةَ بِالْأَخْبَارِ وَذَكَرَ أَيَّامِ النَّاسِ مِمَّا يُطْرِبُ . قُلْتُ : لِعَمْرِي أَنَّ هَذَا مِنْ
 أَوْقَاتِهِ . فَانْدَفَعْتُ فَقُلْتُ : بَلْفَنِي أَنَّهُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُلُوكِ يُقَالُ
 لَهُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَكَانَ مِنْ قَصَّتِهِ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى مَرَرْتُ بَعْدَهُ أَخْبَارَ حِسَانٍ
 مِنْ أَخْبَارِ الْمُلُوكِ وَمَا لَا يُتَحَدَّثُ بِهِ إِلَّا عِنْدَ مَلِكٍ أَوْ خَلِيفَةٍ ، فَسَرَّتُ بِذَلِكَ سِرُّوًّا
 شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ حَدَّثْتَنِي بِأَحَادِيثِ حِسَانٍ ، وَلَقَدْ كَثُرَتْ تَعَجُّبِي مِنْ
 أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنَ التَّجَّارِ يَحْفَظُ مِثْلَهَا ^(٢) ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ أَحَادِيثِ الْمُلُوكِ ،

(١) المألحة : المراضعة .

(٢) في بعض النسخ : « مثل هذا » .

وما لا يُتحدث به إلا عند ملك أو خليفة^(١) . فقلت لها : جعلت فداك ، إنه كان لي جارٌ ينادم بعض الملوك ، وكان حسنَ المعرفة ، كثيرَ الحفظ ، فكان ربما تعطل عن نوبته التي كان يذهب فيها إلى دار صاحبه لشغلٍ يمنعه من ذلك ، أو لأسرٍ يقطع ، فأمضى إليه ، وأعزم عليه وأصيرُ به إلى منزلي ، فربما أخبرني من هذه الأحاديث شيئاً ، إلى أن صرتُ من خاصّة أخدانه ، ومَن كان لا يفارقه فما سمعت مني فمَنه أخذته ، وعنه استفدته . فقالت : يجب أن يكون هذا كذا . ولعمري لقد حفظت فأحسن الحفظ ، وما هذا إلا لقريحة جيدة ، وطبع كريم .

قال إسحاق : وأخذنا في شيء من الشراب والمذاكرة أبتدى الحديث فإذا فرغتُ ابتدأتُ هي في آخر أحسن منه حتى قطعنا بذلك عامّة الليل ، والنند والعود وفائق البخور في المجلس يحدّد ويسجّر ، وأنا في حالةٍ لو توهمها المأمون وتأمّلها لاستطار فرحاً وسروراً . ثم قالت لي : يا أبا فلان — وكنت قد غيّرت عليها أسمى وكُنيتي — والله إنني لأراك كاملاً ، وفي الرجال فاضلاً ، وإنك لو ضىء الوجه ، مليح الشكل ، بارع الأدب ، وما كان بقي عليك إلا شيء واحد حتى تكون قد برعت وبرزت . فقلت : وما هو يا سيدتي دفع الله عنك الأسواء ؟ قالت : لو كنت تحرك بعض الملاحى ، أو تترنم ببعض الأشعار . فقلت : والله لقدماً أشتهيته ، وطالما كلفتُ به ، وحرّصت عليه ، فلم أرزقه ، ولا وجدته ممن تعلق بشيء منه ، فلما طال عنائي به ، وكلما تقدّمت في طلبه كنتُ منه أبعدَ وعنه أذهب ، تركته وأعرضتُ عنه ، وإن في قلبي من ذلك الحرقه وحرارة ، وإنني لمُسْتَهْزِئٌ به مائلٌ إليه ، وما أكره أن أسمع في مجلسي هذا من جتيده شيئاً لتكمل ليلتي ، ويطيب عيشي . قالت : كأنك قد عرضت بنا . فقلت : لا والله ، ما هو تعريضٌ ، ولا هو إلا تصريح ، وقد بدأت بالفضل ، وأنت حرّية باستتمام

(١) هذه العبارة ساقطة من ن .

ما بدأت به^(١) ، فقالت : يا جارية ، عود . فأحضرت العود فأخذته ، فما هو إلا أن جسته حتى ظننت أن الدار قد سارت بي وبمن فيها ، واندفعت تغني بصوت ما ظننت أحدا يغني به ، مع صحة إيماء^(٢) ، وجودة ضرب ، فقلت : والله لقد أكل الله فيك خلال الفضل^(٣) ، وحباك بالسكال الرائع ، والعقل الوافر ، والأخلاق المرضية ، والأفعال السنية . فقالت : هل تعرف لمن هذا الصوت ، ومن غنى به ؟ فقلت : لا والله . قالت : الغناء لفلان^(٤) . والشعر لفلان ، وكان من سببه كذا وكذا . فقلت : هذا والله أحسن من الغناء . فلم تزل تلك حالها في كل صوت تغنيه ، وهي مع ذلك تشرب وأشرب حتى إذا كان عند انشقاق القمر أو قبله جاءت عجوز كأنها داية لها^(٥) ، فقالت : أي بنية ، إن الوقت قد حضر^(٦) ، فإذا شئت فانهضي .

١٠

قال : فلما سمعت مقالها نهضت فقالت : عزمت ؟ قلت : إى والله . فقالت : مصاحبا ، عليك بستر ما كنت فيه ، فإن المجالس بالأمانة . فقلت : جعلت فداك ، أو أحتاج إلى وصية في ذلك ؟ فودعتها ، وودعتني ، وقالت : يا جارية ، بين يديه . فأتى بي باب في ناحية الدار ، ففتح لي وخرجت منه إلى طريق مختصرة ، وبادرت البيت ، فصليت الصبح ووضعت رأسي ، فما انتهت إلا يرسل الخليفة على الباب ، فتمت وقد أسرج لي ، فركبت إلى الدار ، فسرت إليه فلما مثلت بين يدي المأمون ، قال لي : يا إسحاق ، جفوناك ما كنا ضيمناه لك ،

١٥

(١) في بعض النسخ : « وأنت أولى من آثم ما بدأ به » .

(٢) في بعض النسخ : « أداء » .

(٣) في بعض النسخ : « لقد جمع الله لك خلال الفضل » .

(٤) في بعض النسخ : « لإسحاق » . والكلام بعده إلى كلمة « الغناء » ساقط

٢٠

من ن .

(٥) في اللسان (دوا) : « الداية : الطئر » .

(٦) ن : « قد حضر الوقت » .

- وتشاغلنا عنك . فقلت : يا سيدي ، ليس شيء آثر عندي ولا أسر إلى قلبي من سرور يدخل على أمير المؤمنين ، فإذا كمل سروره وطاب عيشه ، فعيشنا طيب وسرورنا بسروره متصل . ثم قال : ما كانت حالك ؟ قلت : يا سيدي ، كنت قد اشتريت صبيّة من الشوق ، وكنت معلق القلب بها ، فلما تشاغل أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، عني ، وخلوت وقد كانت في بقية ، طالبتني نفسي بها ، فضيت مسرعا فأحضرتها وأحضرت نبيذاً ، فسقيتها وشربت معها ، وغلب على الشكر ، فقطعتني عما أردت ، وذهب بي النوم إلى أن أصبحت . فقال لي : ما أكثر ما يتهين على الناس من هذا ، فهل لك في مثل ما كُنا فيه أمس ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أحد يمتنع من ذلك ؟ قال : فإذا شئت . فنهضت ونهضت ، فصرنا إلى المجلس الذي كُنا فيه بالأمس ، على مثل حالنا تلك وأفضل ، حتى إذا كان في الوقت وثب قائماً ، فقال : يا إسحاق ، لا ترم فاني أحيثك ، وقد عزمت على الصبحة^(١) ، فما هو إلا أن توارى عني حتى ضرب بي ، وتأملت ما كنت فيه فإذا هو شيء لا يصبر عنه إلا جاهل ولو بزوال نعمته . قال : فنهضت فقال لي الفلماني : الله الله ، فإنه البارحة قد أنكر علينا تخليتك ، وطالبنا بك ، وقال : لِمَ تركتموه ؟ ولا نحسبك إلا نحب الإيقاع بنا . فقلت : والله لا نال أحدكم بسببي مكروه أبداً^(٢) ، ولكن أبادر الحاجة ، والله لا كان لي حبس ولا لبث ، وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه إذا دخل أبطأ ، وأنا موافيكم قبل خروجه إن شاء الله . قال : فنهضت ، فما شعرت إلا وأنا في الزقاق ، فوافيت الزبيل على ما كان عليه ، فتعدت فيه ، وصمدت ، وصرت إلى الموضع الذي أعرف ، فلم ألبث إلا هنيهة وإذا بها قد طلعت ، فقالت : ضيفنا ؟ قلت : إي والله . قالت : أو قد عاودت ؟ قلت : نعم ، ولا أظن إلا أني قد ثقلت . فقالت : مادم نفسه يقرئك السلام .

(١) الصبحة : نوم الغداة ، وهو بضم الصاد وفتحها .

(٢) ن : « لا نال أحدنا منك شيء مكروه أبداً » .

- فقلت : هَفْوَةٌ ، فَمُنَى بالصَفْح . قالت : قد فعلنا فلا تَعُدْ . قلت : إن شاء الله قال : ثم جلسنا وأخذنا فيما كُنَّا فيه من المذاكرة والإنشاد وأحضرنا النبيذ ، ولم نزلْ على تلك الحال وأفضل ، وقد أنِسْتُ وأنبسطت بعض الأنبساط ، وهي مع ذلك لا تزال تقول لي : أَوِهْ ، لو كنت الآن على ما أنت عليه وأحكمت من تلك الصنعة شيئاً ، لقد تناهيت وبرعت . فقلت : والله لقد حرصت على ذلك وجهدتُ ٥ فيه فما رزقته ، ولا قدرت عليه . ثم قلت : يا جُعَلت فداك ، لا تَخْلِينَا مما كان من فضلك البارحة ، لا تَخْلِينَا منه . فتأخذ في الأغاني ، وكلما مر صوت حسن طيب وجيد بانغ قالت : يا فتى ، أتدرى لمن هذا ؟ فأقول : لا . فتقول : لإسحاق . فأقول وإسحاق هكذا جعلت فداك في الحِذْق ؟ فتقول : بئح ، إسحاق تاريخ هذا الشأن ^(١)
- ١٠ بديع الصوت ، وعتيق الغناء ! فأقول : سبحانك الله ، لقد أعطى إسحاق هذا ما لم يُعطه أحد . فتقول : ولو سمعت هذا منه لكنت أشد استحساناً له ، وبه أشد كلفاً . حتى إذا كان الوقت ، وجاءت العجوز نهضت وودعتها ، وبادرت بين يديّ جارية ففتح الباب ، فخرجت منه . وبادرت المنزل ، فتوضأت للصلاة وصليت الصبح ، ووضعت رأسي فَنِمْتُ ، فما انتبهت إلا برسول الخليفة يطلبونني ، فقمْتُ وقد أسرج لي فركبت إلى الدار ، فها هو إلا أن مثلت بين يدي ١٥ المأمون حتى قال : يا إسحاق أبيت إلا مكافأة لنا ، ومعاملة بمثل ما استعملناه معك ! قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما إلى ذلك ذهبت ، ولا إليه قصدت ، ولكنني ظننت أن يكون أمير المؤمنين قد تشاغل عني ببلدته ، وأغفل أمرى . وجاءني الشيطان فأذكرني أمر الجارية ^(٢) فبادرت إلى البيت . قال : وكان من أمرك ماذا ؟ قلت : قضيت الحاجة ، وفرغ الأمر . فقال : قد أنقضى ما كان ٢٠ بقلبك منها ، وواحدة بواحدة ، والبادي أظلم . فقلت : بل أنا يا أمير المؤمنين

(١) في بعض النسخ : « إسحاق في هذا البيت » .

(٢) ن : « أمر تلك للمونة » .

ألوم وأظلم ، وإليك المذرة . فقال : لا تريب عليك ، هل لك في مثل حالنا الأول ؟ قلت : إى والله . قال : فانهض بنا . وقام وقت ، حتى إذا صرنا إلى الموضع الذى كنا فيه أخذنا فى لذتنا وشربنا ، حتى إذا كان فى الوقت قال لى : يا إسحاق ، ما عزمك ؟ قلت : لا عزم لى يا أمير المؤمنين . قال : فعزمت عليك لتجلسن حتى أخرج إليك لنصطبح ، فإنى عازم على الصبح ، وقد نغصت على ذلك منذ يومان . قلت : فالليلة إن شاء الله . وطرحت الستارات ودخل إلى الحرم ، فما هو إلا أن توارى عنى حتى ضرب لى وقت وقعدت ، وجالت وساوسى ، وجعلت أفكر فى مجلسى معها ومكانها ومحادثتها والنظر إليها ، وفى الخروج عن طاعة المأمون ، وما يلحقنى فى ذلك من سخطه وموجده ، فيسهل على كل صعب إذا فكرت فى أمرها . قال : فوثبت مبادراً ، فاجتمع على جند الدار ، فقالوا لى : أين تريد ؟ فقلت : الله الله ، فإن لى قصة ، وأنا معلق القلب ببعض من فى منزلى ، وأحتاج إلى مطالعتهم فى بعض الأمر . فقالوا : ليس إلى تركك من سبيل . قال : فلم أزل أرفق بهذا ، وأطلب إلى هذا ، وأقبل رأس هذا^(١) ، ووهبت خاتمى لواحد ، وردأى لآخر ، حتى تركونى ، فلما خرجت عن جملتهم وأنا لا أصدق فلم أزل أعدو حاسراً ، حتى وافيت الزبيل فجلست فيه ، وصعدت السطح ، وصرت إلى الموضع ، وأقبلت على مثل حالتها تلك ، فلما رأتنى قالت : ضيفنا ؟ قلت : إيهك الله^(٢) . قالت : جعلتها دار مقام ؟ قلت : جعلت فداك حق الضيافة ثلاث ، ثم إن رجعت بعدها فأنت فى حل من دعى . قالت : والله لقد أتيت بحجة . قال : ثم جلسنا ، فأخذنا فى مثل حالنا الأول من الشرب والإنشاد والمذاكرة والمحادثة والعناء حتى إذا علمت أن الوقت قد قارب فكرت فى قضيتى ، وعلمت أن المأمون لا يقارنى^(٣) على هذا ، وأنى لا أتخلص منه إلا بأن

(١) ن : « يد هذا » .

(٢) إيهك ، بمعنى حسبك ، كلمة يراد بها السكف والإسكات .

(٣) لا يقارنى ، بمعنى لا يوافقنى . ن : « لا يقاربنى » وفى سائر النسخ : « لا يفارقنى »

ووجهها ما أتينا .

أشرح له قصتي ، وأكشفت له عن حالي ، وعلمت أنني إن قلت له ذلك طالبني
بمعرفة الموضع والمسير به إليه ، مع ما كان غلب عليه من الميل إلى النساء ،
والاستهتار بهن . فقلت لها : أتأذنين في ذكر شيء خطر ببالي ؟ قالت : قل ما بدا
لك . قلت : جعلت فداك ، إني أراك ممن يقول بالغناء ، ويعجب به وبالأدب ،
ولي ابن عم هو أحسن مني وجهاً ، وأظرف قدّاً ، وأكثر أدباً ، وأغزر معرفة ،
وإنما أنا تلميذ من تلاميذه ، وحسنة من حسناته ، وهو أعرف الناس بغناء إسحاق
وأحفظهم له . قالت : « طفيلي ويقترح » ، لم ترض أن أتبعنا ثلاثة أيام ، حتى
احتجت أن تأتي معك بآخر . فقلت لها : جعلت فداك ، ذكرته لتكوني أنت الحكمة ،
فإن أذنت وأردت ذلك ، وإلا فلا إكراه . قالت : فإن كان ابن عمك هذا على
ما ذكرت فماذا نكره أن نعرفه ونشاهده . فقلت : هو والله على أكثر مما وصفت . قالت :
فإذا شئت . قلت : فالليلة . قالت : والليلة . ثم حضر الوقت فهضت وصرت إلى
البيت ، فما وصلت حتى وافيت منزلي قد هجم عليه ، وإذا برسل الخليفة وأصحاب
الشرط قد ركبوا إلى بابي ، فلما بصروا بي سحبت سحبا على حالي تلك ، حتى
انتهوا بي إلى الدار ، فإذا المأمون جالس وسط الدار على كرسي ، وإذا هو مغتاض
خرد^(١) ، فقال : يا إسحاق ، أخرجنا عن الطاعة ؟ قلت : لا والله يا أمير المؤمنين .
قال : فما قصتك وما الذي أظهر ما أرى من الانحراف ، وكثرة الخلاف ؟ فاصدقني
حالاً . قلت : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي قصة أحْتَاج فيها إلى خلوة . فأومأ
إلي من كان واقفا بين يديه فتعجّوا ، حتى إذا خلونا قلت : كان من خبري كيت
وكيت ، وفعلت وصنعت ورأيت كذا . فوالله ما فرغت من حديثها حتى قال :
يا إسحاق ، أتدرى ما تقول ؟ فقلت : إي والله ، إني لأدرى . فقال : ويحك ،
فكيف لي بمشاهدة ما شاهدت ؟ قلت : ما لي ذلك من سبيل . قال : والله لا بد
أن تلتطف لي^(٢) وتوصلني إليها ، فهذا ما لا صبرَ لما قبل عنه . قلت : إي والله ، قد

(١) الحرد : الغضب ، وفعله كضرب وسميع .

(٢) لطف له ، من باب نصر : رفق ودنا .

تفكرت في قصتي وفيما قدمت عليه من عصبانك ، وعلمت أنه لا ينبغي
إلا الصدق وكشف الحال ، وعلمت أنك تطالبني به أشد المطالبة ، فقدمت إليها
ذكراً من ذلك ، وقلت لها كيت وكيت ، ووعدتها في أمرك بكذا وكذا . قال :
قد والله أحسنت ، ولولا ذلك لفلئت بكل مكره . قلت : فالحمد لله الذي سلم .
قال : ثم نهض ونهضت حتى صرنا إلى مجلسنا ، وأخذنا في لذتنا وشربنا ، وهو
مع ذلك يقول : يا إسحاق ، حدثني عنها ، وصف لي حالها ، وشرح لي أمرها .
فوالله ما قطعنا يومنا ذلك إلا بذكرها ، وما وصلنا إلى آخر النهار إلا والمأمون
لا يصدق من شدة تعلق قلبه بها ، وبما قربت عنده من حالها ، حتى إذا كان بعد
هدأة من الليل وهو يقول في كل ساعة : ما جاء الوقت ؟ وأنا أقول : بقي قليل ،
والساعة . والتعلق غالب عليه ، حتى إذا جاء الوقت نهضنا فخرجنا من بعض أبواب
القصر ، ومعنا علام ، وهو على حمار وأنا على حمار . فلما صرنا بالقرب من منزلها
نزلنا ثم قلنا للعلام : انصرف فإذا كان عند انشقاق الفجر فكن « اهنا بالحمارين .
وأقبلنا نمشي متكبرين وأنا أقول : يجب أن تظهر برِّي بحضرتها وإكرامي ، وتطرح
نخوة الخلافة^(١) ، وتجبر الملك ، وكن كأنك تبع لي . وهو يقول : نعم ، أوترى أنني أجهل
وتحتاج إلى أن توصيني ؟ ثم قال لي : ويحك يا إسحاق ، فإن قالت لي : غريم ، فكيف
أصنع ؟ قال : قلت : أنا أكفيك وأدفعها عن ذلك ، وأصددها برفق وحسن مس^(٢) .
ثم صرنا إلى الزقاق ، فإذا بزنبيلين معلقين بثمانية أحبل فعدت في واحد وقعدت في
آخر ، ثم جذب الجواري وإذا نحن في السطح ، وبادرنا بين أيدينا حتى انتهين بنا
إلى المجلس . قال : فأقبل المأمون يتأمل الفرش والدار والزي ، ويعجب بذلك إعجاباً
شديداً ، وقعدت في موضعي الذي كنت أقعد فيه ، وقعد المأمون دوني في المرتبة .
ثم أقبلت فسلمت ، فما تمالك أن نظراً إليها فبهت من حسنها ، فقالت : حيّا الله

(١) ن : « وتدعى من نخوة الخلافة » . والنخوة : التعظم والافتخار .

(٢) هاتان الكلمتان من ن فقط . والكلمة الأولى في أصلها : « وحش » .

- ضيقنا بالسلام ، والله ما أنصفت ابن عمك ، ألا رفعت مجلسه ؟ قلت : ذلك إليك جعلت فداءك . فقالت : ارتفع فديتك ، فأنت جديد ، وهذا قد صار من أهل البيت ولكل جديد لذة . فنهض المأمون حتى قعد في صدر المجلس ، ثم أقبلت عليه تذاكره وتناشده وتمازحه ، وهو آخذٌ معها في كل فن ، فسكتها وأخفها . قال : فالتفتت إليّ وقالت : وفيت بوعدك ، وصدقت في قولك ، ووجب شكرُك على صنيعك .
- ٥ قال : ثم أحضرنا النبيذ وأخذنا في الشراب ، وهي مع ذلك مقبلة عليه ، وهو مقبلٌ عليها ، ومسرورةٌ به ومسرورٌ بها . قال : فالتفتت إليّ وقالت : وابن عمك هذا من أبناء التجار ؟ قلت لها : نعم ، فديتك ، نحن لا نعرف إلا التجارة . قالت : وإنكما فيها لغريبان . ثم قالت : موعذك . فقالت : لعمرى إنه ليجب ، ولكن حتى يسمع شيئاً^(١) . قالت : وذاك . وأخذت العود ، وغنّت صوتاً ،
- ١٠ فشربنا عليه رطلا ، ثم غنّت بصوت كان المأمون يقترحه على ، فشربنا عليه رطلا . قال : فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال وغلب عليه الفرح ، وتداخله السرور وارتاح وطرب ، قال : يا إسحاق . فوالله لقد رأيتك نظراً إلى نظر الأسد إلى فريسته ، فنهضت وقلت : لبّيك يا أمير المؤمنين . قال : غنّي هذا الصوت .
- ١٥ فلما رأتني أخذت العود ووقفت بين يديه أغنيّه ، علمت أنه الخليفة وأناى إسحاق . فنهضت وقال : ها هنا . وأومأ إلى كلة مضروبة . فدخلتها ثم فرغت من ذلك الصوت وشرب رطلا^(٢) وقال لي : ويحك يا إسحاق ؛ انظر هذه الدار ومن ربّها ؟ فخرجت فلقيت تلك العجوز ، فقلت لها : من صاحب المنزل ؟ ومن مولاكم ؟ قالت : الحسن بن سهل . قلت : ومن هذه منه ؟ قالت : ابنته بوران . فرجعت وأعلمته فقال : علىّ به الساعة . قال : فقلت لها : امضى فأحضريه وأعلميه أن أمير المؤمنين يطلبه . قال : فغابت عني هنيئة ثم جاءت وهو في إثرها

(١) في بعض النسخ : « اسمع شيئاً » .

(٢) ن : « وشربت رطلا » .

فوقف بين يديه فقال : ألك بنت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : أزوجتها ؟
قال : لا والله . قال : وما اسمها ؟ قال : بوران . قال : فإني أخطبها إليك . قال : هي
يا أمير المؤمنين أمّتك ، وأمرها إليك . قال : فإني قد تزوجتها على نقد ثلاثين
ألف دينار نحمّلها إليك في صبيحة ليلتنا هذه ، فإذا قبضت المال فاحملها إلينا من
ليلتها . قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ثم نهض وفتح لنا الباب وخرجنا ، فلما
صرنا إلى الدار قال : يا إسحاق ، لا يقفن أحدًا على ما وقفت عليه ، فإن المجلس
بالأمانة . قلت : يا أمير المؤمنين ، ومثلي يحتاج إلى وصية بهذا الأمر .

قال إسحاق : فما أصبحنا حتى أمر بحمل المال ، ونقلت إليه من يومها ،
وكانت أحظى نسائه عنده وآثرهنّ لديه . وأقت^(١) أستر هذا الحديث إلى أن
مات المأمون ، فما اجتمع لأحدٍ ما اجتمع لي في تلك الأربعة الأيام التي كنت
أنصرف من مجلس أمير المؤمنين في خلافته إلى مجلسها . والله ما رأيت من
الرجال في ملوكهم ولا خلفائهم ولا سوقيهم^(٢) أحدًا يفي بالمأمون ، ولا شاهدت
من النساء امرأة تقاربها فها وعقلا^(٣) ، وحلاوة وشكلا ، وأما معرفتها وأدبها
فما أظنّ أن في الأرض امرأة كان يتبها لها أن تقف من العلوم على مثل ما وقفت
عليه . ولقد سألت بعض من كان يتولّى خدمتها من عجائزها فقلت لها : وما حملها
على ما أرى ؟ فقالت : والله إنها لتفعل هذا منذ كذا وكذا سنة . ولقد عاشرت
من الظرفاء والأدباء والملاح أكثر من أن يقع عليه إحصاء ، وما جرى بينها
وبين أحد مكروه ولا خنا ، ولا لفظة قبيحة ، ولم يكن مذهبها في ذلك إلا حبّ
الأدب والمذاكرة لأهلها ، والمباشرة لأهل الرواة والأقدار ، وذوى الثبل والأخطار
لا لريبة تظهر ، ولا لحالة تنكر .

(١) في بعض النسخ : « وكنت » ،

(٢) السوق : جمع سوقة ، وهي الرعية . في بعض النسخ : « وملوكهم وخلفائهم
وشرفائهم » .

(٣) في بعض النسخ : « امرأة كبوران في عقلمها » .

قال : فوالله لقد تضاعف قدرُها عندي ، وعظمَ خطرُها في نفسي ، وعلمتُ شرفَ همتها وفضلها .

فهذا خبر بوران صحيحا على الحقيقة ، والسبب الذي تزوجها المأمون به ^(١) .

قال هشام بن الكلبي والميسم بن عدي : إن ناساً من بني حنيفة خرجوا
يتنزهون إلى جبلٍ لهم ، فرأى نقي منهم في طريقه جاريةً ، فرمى بها فقال لأصحابه :
لا أنصرف والله حتى أرسلَ إليها وأخبرها بحقي لها . فطلبوا إليه أن يكف عن
ذلك فأبى أن يكف ، وأقبل يرسل الجارية ، وتمكن حبها من قلبه ، فانصرف
أصحابه ، وأقام النقي في ذلك الجبل ، فمضى إليها ليلةً متقلداً سيفاً وهي بين أخوين
لها ناعة ، فأيقظها فقالت : أنصرف لا ينتبه أخوأي فيقتلاك . فقال : الموت والله
أهون مما أنا فيه ، ولكن إن أعطيتني يدك حتى أضعها على قلبي انصرفت .
فأعطته يدها ، فوضعها على قلبه وصدره وانصرف .

خبر النقي الحنفي
والجارية

فلما كانت الليلة الثانية أتاها وهي على مثل تلك الحال فأيقظها ، فقالت له
مثل مقالها الأول ^(٢) ، فقال : لك الله إن أمكنتني من شفّتيك أرشفهما أن
أنصرف . فأمكنته فرشفهما ساعة ثم أنصرف ، فوقع في قلبها من حبه مثل الذي
كان بقلبه منها وفشا خبرهما في الحى ، فقال أهل الجارية : ما مقام هذا الفاسق
في هذا الجبل ؟ أمضوا بنا إليه حتى نخرجه منه . فبعثت إليه الجارية آخر النهار :
إن القوم سيأتونك الليلة فاحذر على نفسك . فلما أمسى قعد على مرقبٍ ومعه
قوسه وسهمه ، ووقع بالحى في بعض الليل مطر ، فاشتعلوا عنه ، فلما كان في آخر
الليل وأنقش السحاب وطلع القمر ، اشتاقت إليه الجارية ، فخرجت تريده ،
ومعها صاحبة لها من الحى كانت تثق بها ، فنظر النقي إليهما فظن أنهما ممن

٤٥٩
٣

٢٠

(١) في بعض النسخ : « وسبب تزوج المأمون بها » .

(٢) ن : « مقالها الأولى » .

يطلبه ، فرمى فما أخطأ قلبَ الجارية ، فوقعت ميتة وصاحت الأخرى ورجعت .
وانحدر الفتى من الجبل فإذا الجارية ميتة ، فقال :

نَعَبَ الغراب بما كره تَ ولا إزالة للقَدَرُ
تَبَكَّى وأنتَ قتلَها فاصبر وإلا فانتحر

ثم وجأ بمشاقصه أوداجه حتى مات^(١) ، فجاء أهلُ المرأة فوجدوها ميتتين^(٢)
فدفنوهما في قبر واحد .

باب اللغز

كانت في أبي عطاء السُّنْدِي لُغْزَةٌ قَبِيحَةٌ^(٣) فاجتمع يوماً في مجلس بالكوفة
حمادُ الراوية ، وحمادُ مجرِدٍ ، وحمادُ بنُ الزُّبْران ، وبكر بن مُصعب ، فنظر
بعضُهم إلى بعض ، فقالوا : ما بقى شيء إلا قد تهبأ في مجلسنا هذا ، فلو بعثنا إلى
أبي عطاء السُّنْدِي . فأرسلوا إليه ، فأقبل يقول : سرهبا سرهبا ، هَيَّا كم الله . وقد
كان قال أحدهم : من يحتال لأبي عطاء حتى يقول : جرادة وزُجَّ وشيطان .
فقال حمادُ الراوية : أنا . فقال : يا أبا عطاء ، كيف علمك باللغز ؟ قال : هَسَن
— يريد حسن — فقال له :

فما صقراء تُكفَى أم عوف كَأَن سُوَيْقَتَيْهَا مِنْجَلَانِ^(٤)

قال : زَرادة . فقال : أصبت^(٥) . ثم قال :

أَتَعْرِفُ مَسْجِدًا لِبْنِي تَمِيمٍ فَوَيْقُ الْمِيلِ دُونَ بَنِي أَبَانِ

(١) الشقس : سهم عريض النصل أو طويله .

(٢) ن : « فجاء أهل الحمى وهما ميتان » .

(٣) كلمة « قبيحة » ليست في ن . والخبر في خزائن الأدب (٤ : ١٧) والشعر

والشعراء ١٧٩ وشرح المقامات للعريفي (٢ : ١٣٢) .

(٤) في الحيوان (٥ : ٥٥٨) : « كأن رجيلتها » .

(٥) ن : « قال له أصبت » .

قال : هو في بنى سَيِّتَان^(١) ، قال . أصبت . ثم قال :
فما أَسْمَ حَدِيدَةٍ في الرِّمَحِ تُسَمَّى دُونِ الصَّدْرِ لَيْسَتْ بِالسِّنَانِ^(٢)
فقال : زُرْ . فقال : أصبت .

وقال المأمون يصف خاتماً :
الغاز المأمون في الخاتم

وأبيضَ أَمَّا جِسْمُهُ فِدَوْرٌ نَقَى وَأَمَّا رَأْسُهُ فَمُعَارٌ
ولم يَكْتَسِبْ إِلَّا لِنَسْكَنِ وَسَطَهُ مَوْثَةٌ لَمْ تُكْسِ قَطُّ خَارِ^(٣)
لَهَا أَخَوَاتٌ أَرْبَعٌ مِنْ مِثْلِهَا وَلَكِنَّهَا الصُّغْرَى وَهْنٌ كِبَارُ

لغز في الأرب وقال آخر في أرب :

لَمُوتٌ بَذَاتُ رَأْسِ ذِي التِّيَاثِ كَرَفَعَ الإِصْبَعَيْنِ عَلَى الثَّلَاثِ^(٤)
إِذَا السَّبَابَةُ ارْتَفَعَتْ مَعَ الْخِلَّةِ صَرَاجَتِ الثَّلَاثِ بَلَا أَتَشْكَاثُ
لَمُوتٌ بِهَا تَطِيرُ بَلَا جَفَاخِ وَتُنْسَبُ فِي الذُّكُورِ فِي الْإِنَاثِ

الغاز في أمور شتى وقال :

رُبَّ ثَوْرٍ رَأَيْتُ فِي جُحْرِ نَمْلِ وَقَطَاةٍ تَحْمِلُ الْأَثَالَا
وَنُسُورٍ تَمْشِي بِغَيْرِ رُحُوسٍ لَا وَلَا رِيشَ تَحْمِلُ الْأَبْطَالَا^(٥)
وَعَجُوزٍ رَأَيْتُ فِي بَطْنِ كَلْبٍ جُمْلُ الْكَلْبِ لِلْأَمِيرِ جَمَالَا^(٦)
وِغْلَامٍ رَأَيْتُهُ صَارَ كَلْبًا ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ صَارَ غَزَالَا
وَأَتَانٍ رَأَيْتُ وَارِدَةً لِمَا ءِ زَمَانًا وَمَا تَذُوقُ نِيلَالَا
وَعُقَابٍ تَطِيرُ مِنْ غَيْرِ رِيشٍ وَعُقَابٍ مُقِيمَةٍ أَحْوَالَا

(١) يريد بنى شيطان . وفي الحيوان (١ : ٣٠٠) : « وفي بنو سعد بنو شيطان » .

(٢) في بعض النسخ : « ترمى » بدل « تسمى » .

(٣) كذا: ورد القول .

(٤) اللاتيات : الالتفاف ، والقوة ، والسمن .

(٥) ن : « يعيش من غير روس » .

(٦) في الأصول : « حالاً » بالحاء المهملة ، ولا وجه له .

الثَّور : النمل الذي يُخْرِجُ التُّرابَ من الجُحْرِ العظيم بفيه^(١) . والقَطَاة :
 موضع الرُّدْف من الفرس . والنُّسور : بطون الخوافر . والعَجُوز : السيف .
 وبطن السكلب : الجلد الذي يعمل منه غمدُ السيف . وصار كلباً : ضمَّ كلباً ،
 أخذه من صار يصور ، من قول الله عزَّ وجلَّ : (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) . والأتان :
 الصخرة^(٢) . والعُقاب التي تطير من غير ريش^(٣) : البَكْرَة . والمقيمة
 أحوالاً : اللواء .

وقال آخر في البيضة :

ألا قل لأهل الرأي والعلم والأدب وكلُّ بصيرٍ بالأمور أخى أرب^(٤)
 ألا خبروني أى شئ رأيتمُ من الطَّير في أرض الأعاجم والعرب
 قديم حديث وهو بادٍ وحاضر^(٥) يُصادُ بلا صيد وإن جدَّ في الطلب^(٥)
 ويؤكل أحياناً طبيخاً وتارة قليلاً ومشوياً إذا دُسن في اللحم
 وليس له لحم وليس له دم وليس له عظم وليس له عصب
 وليس له رجل وليس له يد وليس له رأس وليس له ذنب
 ولا هو حي ولا هو ميت ألا خبروني إن هذا هو العجب

وقال آخر : ١٥

إنني رأيت عجوزاً بين حاجبها ونايها حبشي قائمٌ رجلُ
 له ثلاثون عيناً بين مرقفهِ وبين عاتقه في رجله قزل^(٦)
 في ظهره حية حمراء قانية في ظهرها رجلٌ في ظهره رجلُ

(١) هذا التفسير لم يرد في المعجمات المتداولة .

(٢) هي الصخرة تكون على فم البئر . ن : « الحجارة » .

(٣) ن : « بغير ريش » .

(٤) في بعض النسخ : « لدى أرب » .

(٥) في بعض النسخ : « قد بنا وهو حاضر » .

(٦) القزل : أسوأ العرج وأشدّه .

المعجوز : الناقة . والحبشي الذي بين حاجبيها ونابها : الأسود الحابس
بالخطام . وقوله : له ثلاثون عينا بين عاتقه وبين مرفقه : مثاقيل كانت مصورة
في عضده . وقوله : في ظهره حية حمراء قانية : كان عليه برأس فيه تصاوير
بعضها داخل في بعض .

وقال آخر في القلم :

فلا هو يمشي لا ولا هو مُتَقَدُّ وما إن له رأس ولا كفٌ لامِسٍ
ولا هو حيٌّ لا ولا هو مَيِّتٌ ولكنه شخص يرى في المجالس
يزيد على ممّ الأفاعي لمأباه يدب ديباً في الدُّجى والحنادس
يُفرِّق أوصالاً بصمتٍ يحببهِ وتُفرى به الأوداج تحت القلائس
إذا ما رآته العين تحقرُ شأنه وهيات يبدو والنفس عند الكرادس^(١)

وقال آخر فيه :

ضئيل الرِّواء حَكِيرُ الغناء من البحر في المنصب الأَخْضَرِ
عليه كهيئة مرّ الشَّجَا ع في دِعْصٍ مَحْنِيَةٍ أَغْفَرِ^(٢)
إذا رأسه صَحَّ لم يَنْبُعْ وحر السَّيْلَ ولم يُبْصِرِ
وإن مُدِيَّةً صَدَعَتْ رأسه جَرَى جَرَى لَاهِائِبٍ مَقْصِرِ
يقضى لِبَاتِهِ مَقْبَلًا ويحسها هَيْثُ المَزِيرِ^(٣)
جَرَى بكفٍ نَقَى كَفَهُ نَسُوقُ الثَّراءِ إِلَى المَقَرِ

٤٦١
٣

١٥

(١) النفس : الداد الذي يكتب به . وفي الأصول : « النفس » : ن : « يشدد »
بدل « يبدو » . والكرادس : جمع كردوس ، وأصله الكراديس ، وحذف اللياء من
مثله جائز عند الكوفيين . والكردوس : كل عظيمين التقيا في مفصل . عبر به عن القصة .

(٢) الشجاع : الحية . والدعص : رمل مجتمع .

(٣) البيت من ن فقط . المزير : القلم .

أبيات من الشعر المحدث

ماء النعيم بوجهه متحيرٌ والصّدغ منه كمطقة للراء
وكانما نهكت قوى أجفانه بالراح أو قد شيب بالإغفاء
لو باشر الماء القراح بكفه لجرت أنامله بنبع الماء

وقال المؤمل^(١) :

عجبتُ لمن يُطَيِّبني بمسكٍ وبني يتطيب المسك الفتيتُ
خلاخيلُ النساءِ لها وجيبٌ ووسواسٌ وخلخالٌ صموتُ^(٢)
ولو أن النساء غنّين يوماً عن المسك الذكي كما غنيت
لأصبح كلُّ عطارٍ فقيراً قليلاً بماله ما يستقيت^(٣)

خاتمة نسخة ن

« هذا آخر المجلد السابع من الأم ، وهو آخر الديوان . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه البررة المنتجبين وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وسلم تسليماً كثيراً . وكان الفراغ من هذا السفر في سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستائة على يدي العبد الفقير إلى ربه ، الراجي عفوه ومغفرته ، يوسف بن علي ابن زيد بن مجبر بن محمد بن حسان بن أحمد بن هذيل الزهرى ثم البسطي عفا الله عنه وعن جميع المذنبين . حامداً لله حق حمده ، ومصلياً على نبيه محمد المصطفى وعلى آله ، ومسلماً » .

(١) هو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي ، شاعر كوفي من مخضرمي الدولتين . الأغاني (١٩ : ١٤٧) .

(٢) الوجيب : الحفوق والاضطراب . والوسواس : صوت الحلي .

(٣) ما يستقيت ، أي ما يجد بيت ليلة . والبيت ، بالكسر : القوت .

فهرست الموضوعات

باب في الأدعياء ... ١٣٢
في الباء وما قيل فيه ... ١٣٩

كتاب الجمانة الثانية في المتنبيين

والمرورين والبخلاء والطفيليين

أخبار المرورين والمجانين ... ١٤٨
مجانين القصاص ... ١٥٦
باب نوحي الأعراف ... ١٥٦
النوحي من لساء الأشراف ... ١٦١
شعراء المجانين ... ١٦٤
أخبار البخلاء ... ١٧٤
طعام البخلاء ... ١٧٩
ما قالت الشعراء في طعام البخلاء ... ١٨٧
باب من أخبار البخلاء ... ١٩٢
باب ما قيل في البخلاء ... ١٩٤
رسالة سهل بن هارون في البخل ... ٢٠٠
أخبار الطفيليين ... ٢٠٤
باب من أخبار المحارفين الظرفاء ... ٢١٥

فرش كتاب الزبرجدة الثانية

في بيان طبائع الإنسان وسائر

الحيوان وتفاضل البلدان

النفس الملكية ... ٢١٩
النفس الغضبية ... ٢١٩
النفس البهيمية ... ٢٢٠
البيان ... ٢٢١
قولهم في الدار الضيقة ... ٢٢٢
اللباس ... ٢٢٣
لباس الصوف ... ٢٢٥
التزين والتطيب ... ٢٢٦
الرجلة والركوب ... ٢٢٨
الحيل ... ٢٢٨

كتاب الياقوتة الثانية في الغناء

واختلاف الناس في ذلك

فضل الصوت الحسن ... ٤
اختلاف الناس في الغناء ... ٦
أخبار عبد الله بن جعفر ... ١٧
أخبار ابن أبي عتيق ... ٢٠
أصل الغناء ومعدنه ... ٢٧
أخبار المغنين ... ٢٧
من قرع قلبه صوت فمات منه أو أشرف ... ٥٣
أخبار عنان وغيرها من القيان ... ٥٧
خير الذنفاء ... ٦٦
حديث أبي السراء ... ٦٩
قولهم في العود ... ٧٣
قولهم في المبردين في الغناء ... ٧٥
باب من الرقائق ... ٨٦
باب من رقائق الغناء ... ٨٠

كتاب المرجانة الثانية

في النساء وصفاتهم

قولهم في المناكح ... ٨٣
صفات النساء وأخلاقهن ... ١٠٣
صفة المرأة السوء ... ١١١
ومن قولهم في الجارية ... ١١٧
المنجيات من النساء ... ١١٧
من أخبار النساء ... ١١٨
باب الطلاق ... ١١٨
من طلق امرأته ثم تبعها نفسه ... ١٢٢
في مكر النساء وغدرهن ... ١٢٦
في السراري ... ١٢٨
المهجناء ... ١٢٩
كما احتجبت به المهجناء ... ١٢٩

فرش كتاب الفريدة الثانية

في الطعام والشراب

أطعمة العرب	٢٩٠
أسماء الطعام	٢٩٢
صفة الطعام وفضله	٢٩٣
باب آداب الأكل والطعام	٢٩٧
البطنة وقولهم فيها	٢٩٨
الحمية وقولهم فيها	٣٠٣
سياسة الأبدان وما يصلحها	٣٠٦
تدبير الصبغة	٣٠٧
ما يصلح لكل طبيعة من الأغذية	٣٠٨
الحركة والنوم مع الطعام	٣١٠ ، ٣١١
تقدير الطعام وما يقدم منه وما يؤخر	٣١٠
الأوقات التي يصلح فيها الطعام	٣١٢
الأطعمة اللطيفة	٣١٤
• اللطيفة في نفسها اللطيفة لغيرها	٣١٤
• الفليضة في نفسها اللطيفة لغيرها	٣١٥
• الفليضة	٣١٦
• المتوسطة	٣١٧
• الحارة	٣١٨
• الباردة	٣١٨
• اليابسة	٣١٩
• الرطبة	٣١٩
• القليلة الفضول	٣٢٠
• الكثيرة الفضول	٣٢٠
• التي غناها كثير	٣٢٠
• التي غناها قليل	٣٢١
• التي تولد كيموساً جيداً	٣٢٢
• التي تولد كيموساً رديئاً	٣٢٣
• المتوسطة الكيموس	٣٢٥
• السريعة الانهضام	٣٢٥
• البطيئة الانهضام	٣٢٧
• الضارة للمعدة	٣٢٧
• التي تفسد في المعدة	٣٢٨
• التي لا يسرع إليها الفساد	
• في المعدة	٣٢٨
• المليئة المسهلة للبطن	٣٢٨

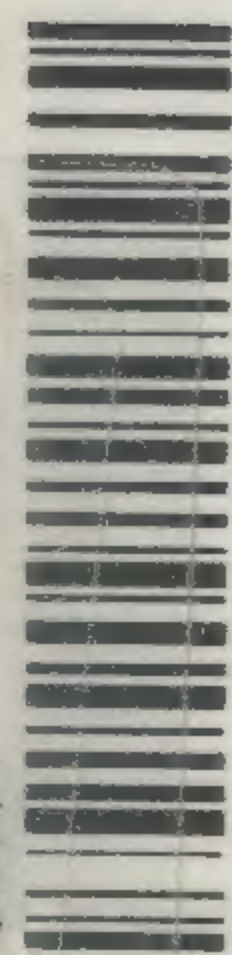
البغال	٢٢٩
الحير	٢٢٩
طبائع الإنسان وسائر الحيوان	٢٢٩
ما نقص من خلقه الحيوان	٢٣٤
المبستركات من الحيوان	٢٣٤
الأنعام	٢٣٥
النعاس	٢٣٧
الطير	٢٣٨
البيض	٢٤٠
السباع	٢٤١
الحيوان الذي لا يصلح إلا بأمير	٢٤٢
مصيد الطير	٢٤٦
مصيد السباع	٢٤٧
تفاضل البلدان	٢٤٧
الشامات	٢٥١
الجزيرة ، العراق	٢٥٢
فارس ، خراسان	٢٥٣
مصر	٢٥٤
صفة المسجد الحرام	٢٥٥
صفة الكعبة	٢٥٥
صفة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم	٢٦٠
قبو المحراب	٢٦١
صفة مسجد بيت المقدس	٢٦٣
آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام	
بيت المقدس	٢٦٤
فضائل بيت المقدس	٢٦٥
نتف من الأخبار	٢٦٦
نتف من الطب	٢٧١
التعويذ والرقى	٢٧٤
الحجامة والسكي	٢٧٥
السم والسحر	٢٧٦
العين	٢٧٧
أبيات في الطب في كتاب فرج	
ابن سلام	٢٨٧
الهدايا	٢٧١

كتاب اللؤلؤة الثانية في	الأطعمة التي تحبس البطن ... ٣٢٩
الفكاهات والملح	د التي تولد السدد ... ٣٣٠
باب من المفاهات ، حديث عباس	د التي تجلو المعدة وتفتح السدد ٣٣٠
بن الأحنف ... ٣٨٢	د التي تنفخ ... ٣٣١
حديث المجرى ... ٣٨٨	ما يذهب النفخ من الأطعمة ... ٣٣١
حديث صاحبة الزب ... ٣٩١	كتاب إسحاق بن عمران إلى بعض
خبر الهاشمي مع المضحك ... ٣٩٣	إخوانه ... ٣٣٢
يوم دارة جلجل ... ٣٩٥	الحمر المحرمة في الكتاب ... ٣٣٤
خبر دعبل وصريع الفواني ... ٣٩٧	من حد من الأشراف في الحمر وشهريها ٣٤٨
خبر الحسن بن هاني مع الأسود ٤١١	الفرق بين الحمر والنبذ ... ٣٥٢
خبر ذي الرمة ... ٤١٦	مناقضة ابن قتيبة قوله في الأشرية ٣٥٤
ما يكتب على العصائب وغيرها ... ٤٢٤	احتجاج المحرمين لقليل النبيذ
نواذر أشعب ... ٤٣١	وكثيره ... ٣٥٦
نواذر الأعمش ... ٤٣٣	رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أهل
المضحكات ... ٤٤١	الأمصار في الأبيظة ... ٣٥٩
خبر يوم الدوحة ... ٤٥٢	احتجاج المحللين للنبذ ... ٣٦٠
مجلس للمأمون وإسحاق الموصلي ٤٥٦	قصة الحارث بن كلدة طبيب العرب
خبر الفتي الحنفي والجارية ... ٤٧٠	مع كسرى أنوشروان الفارسي ٣٧٣
باب اللغز ... ٤٧١	
آيات من الشعر المحدث ... ٤٧٥	

تم تحقيق هذا الكتاب وطبعه في أول ذي القعدة سنة ١٣٦٩
(١٥ أغسطس ١٩٥٠) . والمحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



Bibliotheca Alexandrina



0428652